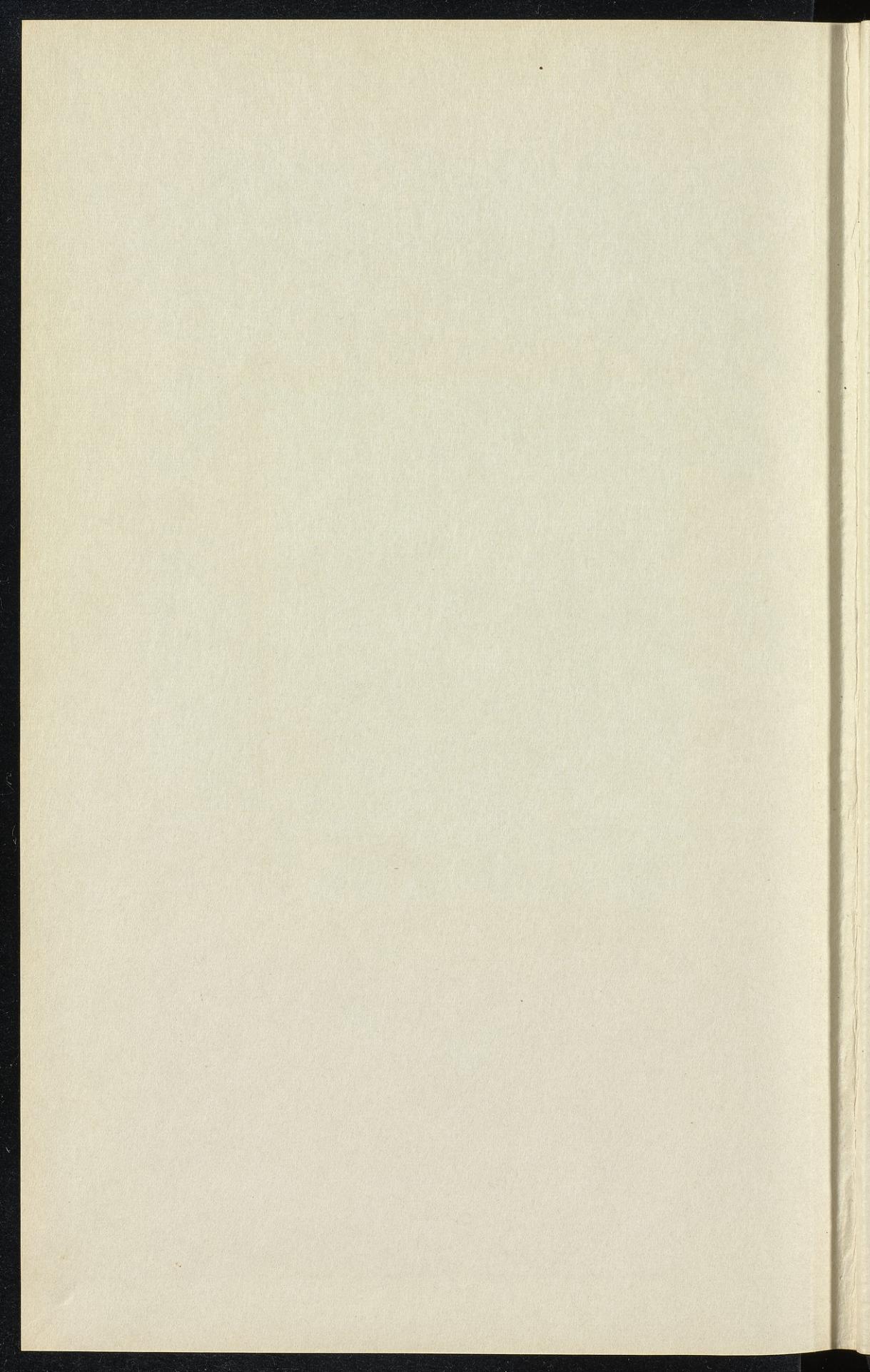
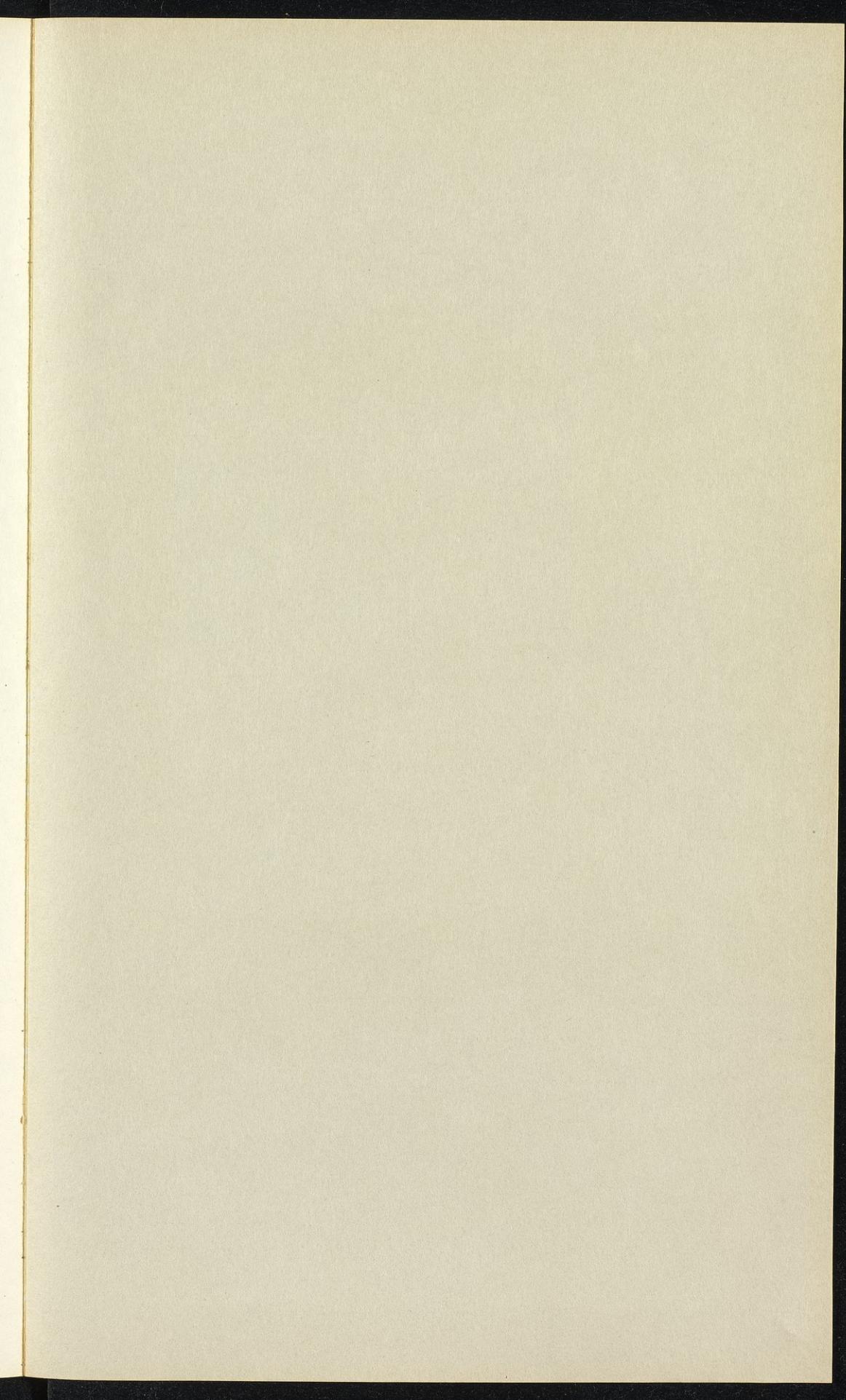
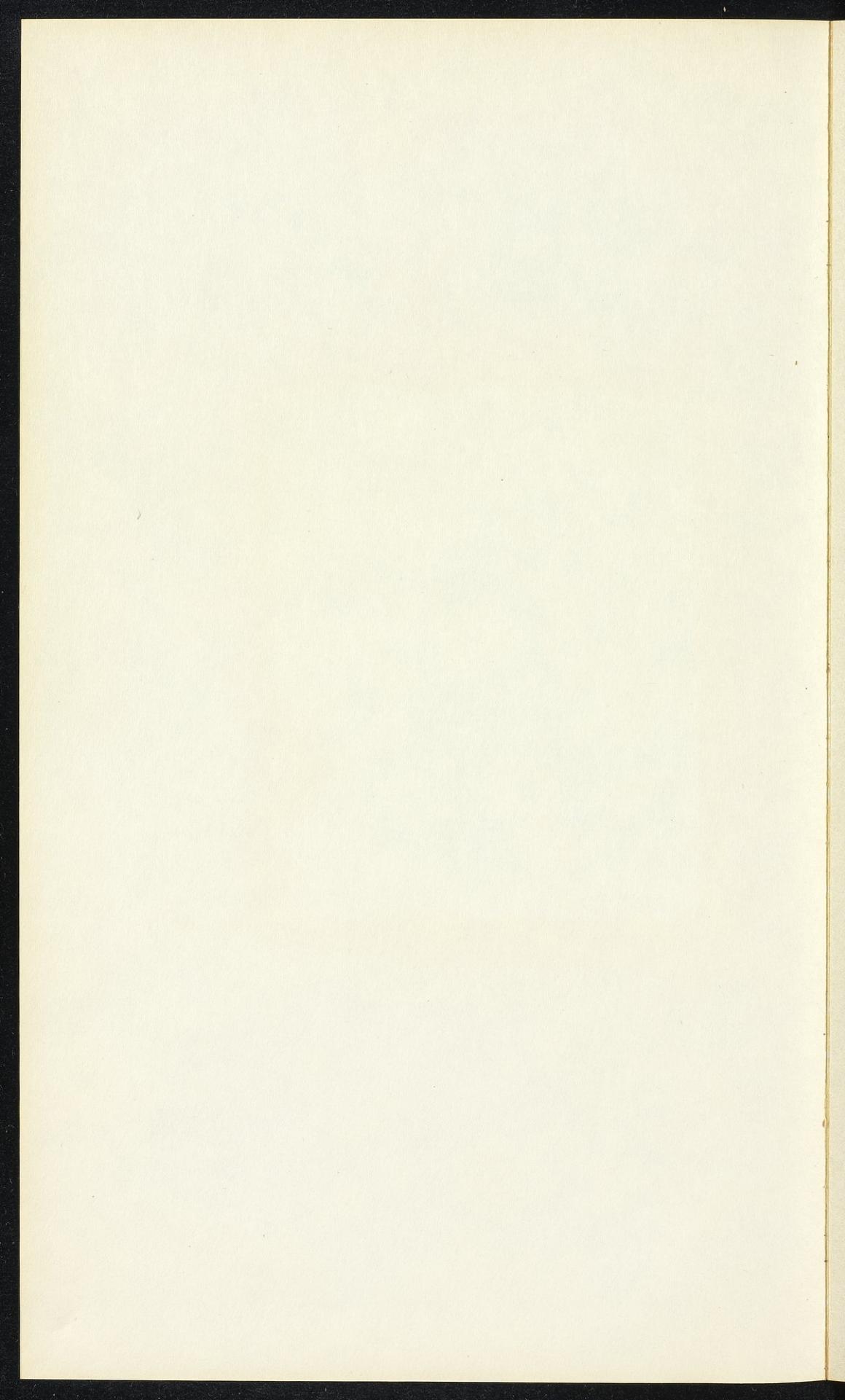


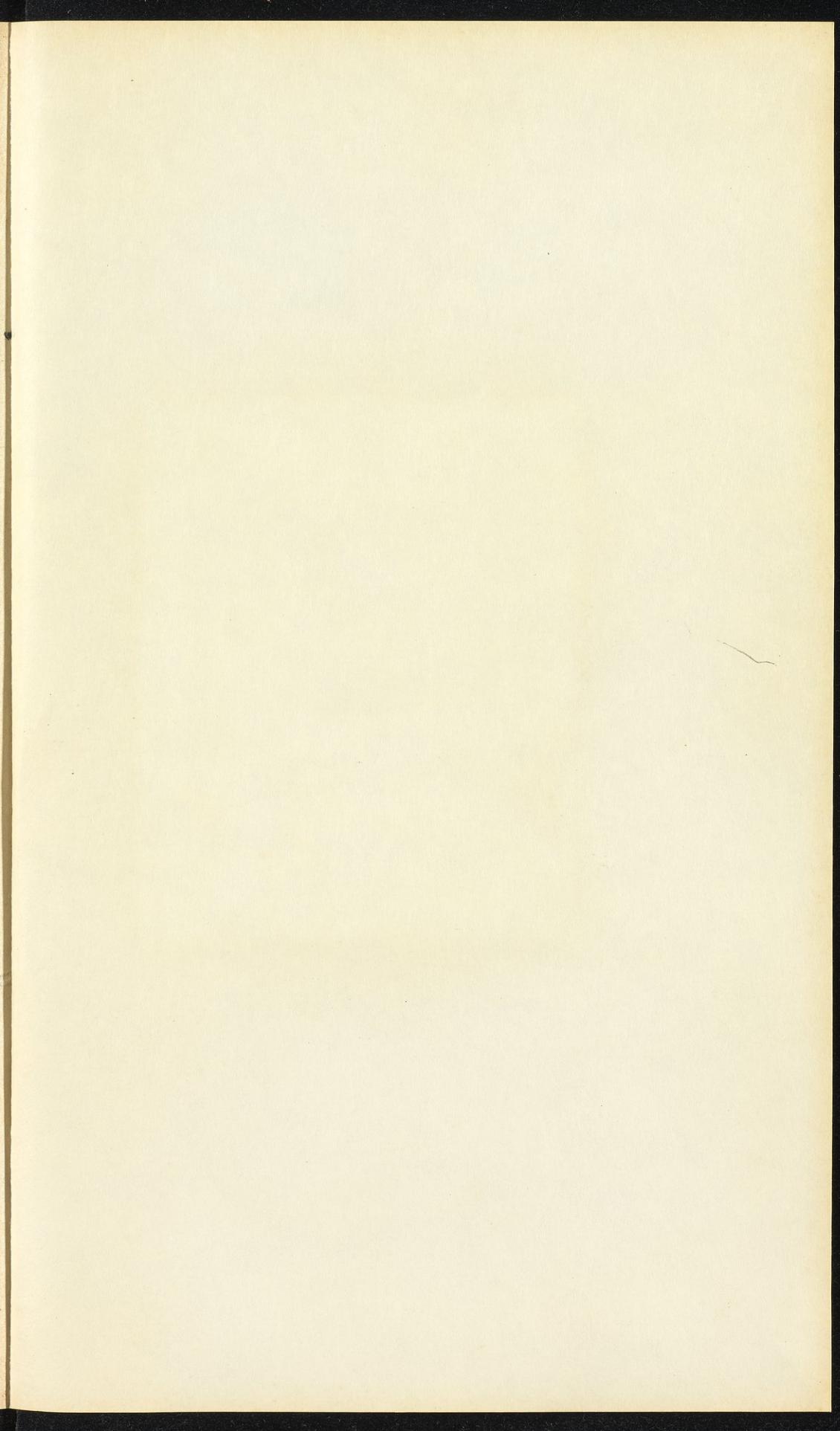
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY











عبد الرحمن بن محمد البجلي

مَلَكُ الْجَزَرِ الْعَالَمِ

يشتمل على إيجاز واف مفصل للتاريخ انقطار الجزائـري في جميع اطواره وحركاته السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية والادبية والفنية والاقتصادـادية والعمـانية والصنـاعية ومـترجم العـقوـيين وارـبـاب القرـائـح من مشاهـير الجزائـرين منـذ اقـدم العـصـور الى الآـن .

الجزء الثاني

يحتوى على خـريـطـتين تـارـيخـيتـين و خـمس اوـحـات مـصـوـرـة

ما كان في هذه الدـنيـا بنـو زـمـن
الـأـوـعـنـدـى منـ اخـبارـهـم طـرف

المـعـرى

المطبعة العـربية - الجزائـر

١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م

965
T56

v.2

الطبعة الاولى

المطبعه العربيه - الجزء

١٩٥٥ - ١٣٧٥ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

338484

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— ٩ —
تاریخ الجزائر العام

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على جميع الانبياء والمرسلين وعلى
الصحابة والتابعين ، وتابع التابعين لهم باحسان الى يوم الدين
اما بعد ، فلقد علم قراء الجزء الاول من كتابنا هذا

تاریخ الجزائر العام

انه قد احتوى على تاریخ هذا القطر الجزرى الکريم من الشمال الافريقي الذى هو
واسطة عقد المغرب العربى منذ العصر الحجرى القديم فيما قبل التاریخ ، ثم منذ
وجد التاریخ واتظامه في سلسلة ورصفه في ديوانه الى قرب نهاية القرون الوسطى ، اي
منتهى دولة الموحدین سنة ٥٦٦٨ - ١٢٦٩ م

وها أنتا اليوم بفضل الله وعونه اقدم للقراء الكرام هواة التاریخ ورواد العلم
والمعرفة الجزء الثاني من تاریخنا هذا كاملا غير منقوص ولا معقوص ، متمشيا
فيه على نسق ما عاهده القراء مني في الجزء الاول من وضوح في التعبير ، وسهولة
في الاسلوب واطراد في الفصول ، واتظام في العرض؛ واستيعاب في الجمع ، واحكام
في الوضع ، وصرامة في الحكم ، متحاشيا كل انجازا وامتيازا؛ مستمدما العون
وال توفيق من البارى جل جلاله ، انه هو العليم الخبير ذو القوة المتين ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

المؤلف

الجزء الاول ١٦ جادى ١٣٧٥ هـ
ربض العین الزرقاء ٣١ دیسمبر ١٩٥٥ م

الدولة الحفصية

٦٢٧_٩٤٣ هـ

١٢٢٩_١٥٣٦ م

نشأتها

لقد مرنا في الجزء الاول ان دولة الموحدين استمرت قابضة على صولجان الملك ووحدة الشمال الافريقي طيلة مدة قرن ونصف ؛ ولقد اكتسب المغرب الاسلامي يومئذ بوحدته هذه بأسا وقوة تمكّن بهما من نفوذه السياسي على بلاد الاندلس وخضع له كل من دول ضفاف هذا البحر الايضاً المتوسط وأمه شرقاً وغرباً ، ولم يزل الموحدون في اوج عزهم وشاهق سلطانهم الى ان تصدع شملهم في «وقعة العقاب» بالاندلس (١٢١٢هـ) فاضطرب يومئذ حبل الدولة وأذلت ايامها بالذهب ، فيخرج عنها ولاة النواحي وظهر العصيان من رؤساء العشائر فاستبدوا بالادارة ونما فيهم الشعور بالقوة الفردية على حين ضعف الدولة فتفككت حينئذ وحدة الشمال الافريقي واشترقت في هنثلاث امارات اوقل هي ثلاثة دول اسلامية مغربية متزاحمة على جذب طرف حبله متنازعة نفوذها على هذا القطر والاستحواذ عليه : فكلها تحاول الاستقلال به وبسط نفوذها وسلطانها عليه ؛ ولتكافؤ القوات - او ضعفها ؟ -- لم يخلص تماماً الى اي دولة من هذه الدول الثلاث ، واخيراً توزعتها - مرغمة - فيما بينها : فكان شرقية لبني ابي حفص وغربيه لبني مررين وواسطة عقده - الجزائر - لبني زيان من بني عبد الواد ؛ ووقيعت الجائز مراراً في قبضة الحفصيين وبنى مررين ايضاً وامتد نفوذهم اليها ونشروا سلطانهم على نواحٍ منها برهة من المدحر ، فمن هم هؤلاء الحفصيون ؟ ..

نظامها الحكومي

كان بحكم استقرار رؤسائه هذه الدولة في حاضرة تونس ان اتخذ ملوكها هذه المدينة عاصمة لملكتهم المغربية ؛ وحكمتها مستقلة تماما تحت رعاية ملوكها المتلقب اولا بالامير ثم بال الخليفة استثناء بهذا اللقب عن ملوك دولة بنى عبد المؤمن الموحدية ، ثم توافق ملوك هذه الدولة امام قداسته لقب الخليفة فاتخذوا اسم «السلطان» (١) شارة لهم . وولاية الملك فيهم غالبا تكون بالعهد من السلطان السابق ، وتارة تكون بالغلبة والقهر ؛ وتمتاز سكوك الاوامر السلطانية وما يصدر عن اذن الملك من رسائل ومناشير بوضع «العلامة» في اعلا الكتاب بالقلم الغليظ بعد البسمة ، وهي «الحمد لله والشகر لله» ، كما قد توضع ايضا في ختام بعض الرسوم ، ولكتابه هذه العلامة موظف خاص بالقصر وقد تضاف الى «القهرمان» وهو صاحب اشغال السلطان والمكلف ايضا بضبط الحسابات وحصر الذخيرة وتمويل القصر وجميع ما يحتاج اليه السلطان في نفسه من رزق وعطاء الخ وتجتمع جميع مصالح الحكومة واعمالها الادارية في ثلاث وزارات : الجيش ، القضاء ، المال ، والجيش عندهم مختلط من العرب والبربر وغيرهم وفيه من الافرنج ايضا ؛ وقد بلغ عدد الفرسان ايام ابي زكرياء الاول الى سبعين الف فارس ؛ ولم يكن اهتمام هذه الدولة بإنشاء الاساطيل وتجهيزها بالشكتة والسلاح بأقل من اهتمام غيرها من الدول المعاصرة لها يومئذ ، وكان مركز الاسطول الحفصي بالجزائر ميناء بونة - عنابة - وبالساحل التونسي ايضا . واما ديوان الاموال فانه منوط بصاحب الاشغال ، ولصاحب هذه الخطة النظر في مالية الدولة من دخل وخرج وهو المسؤول عن استخلاص الاموال والمحاسبة باسم الحكومة وله التفويض التام والسيطرة المطلقة على جميع من دونه مرتبة من ولاة

(١) ان اول من تلقى من ملوك الاسلام بهذا اللقب هو السلطان محمود بن سيدكتين صاحب غزنة ، لقبه بالخليفة العباسي القادر بالله ٣٨١-٥٤٢ هـ (٩٦١-١٠٣٠ م)

المراتب الادارية ، ويشترط فيه ان يكون من عصبة الموحدين الاولين ، ولقد بلغت ثروة خزينة الحكومة ايام ابي زكريا يحيى الاول نحو التسعة عشر مليون دينارا (١) وهو ما يقدر بما ينفی على اربعة وثلاثين مليار فرنك ، وليس هذا المبلغ بالهين اذا قيس بضيق المملكة وبما كانت عليه خزانة الدول المعاصرة يومئذ ؛ واغلب موارد الخزينة الحفصية من الزكاة والخراج والجبایات ؛ واكثر عملية الدولة ونقودها مصروبة بالمدن الجزائرية ككبجاية وقسنطينة والجزائر وقسنوس ؛ وهي متنوعة الى ذهب وفضة ، والى فلوس نحاسية احدثها الاساطان ابو زكريا الاول ، وكان لا يحصل على رأسة القلم في الدولة الامن يحسن الاعشاء العربي ويجيد صناعة الكتابة والرسائل مع شرط الامانة وكتمان الاسرار ، ولم يشترطوا النسب في صاحب هذه الخطة كما دأبوا في سائر الولايات والمناصب الرئيسية لقلة او فقد الاعفاء فيه بسبب رطانة المستهم وما يغلب عليهم من العجمة وتخلف الملكة ، وجميع اعمال الدولة كانت تدون باللسان العربي العلين ، وهو ما جعل حكومة جمهورية (بيزا) الايطالية على وضع نص المعاهدة التجارية التي قدمتها للدولة الحفصية سنة ١٢٦٤ (١٢٦٥) باللغة العربية ويختص ؛ رئيس الشرطة من بين موظفي الحكومة بلقب «الحاكم» ؛ وهناك «المجتبى» المكلف باصلاح الهيئة الاجتماعية والمسؤول عن الاسواق والملاجر والامر بالمعروف والنهي عن المأمور ؛

وكان مما امتازت به دولة الحفصيين ان وجد بها منصب وزير الرأى والمشورة ، وهو الملقب لديهم ؛ «شيخ الموحدين» المشرف على جميع شؤون الدولة مما قل او جل ؛ واخيرا استندت هذه الخطة الى «الملاجر» كما جعلت له وزارة الحرب ايضا ؛ وبذلك أصبحت خطة «الحجابة» هي اكبر المناصب

الحكومية في هذه الدولة . (١) وكان نظام الاقطاع يومئذ معمولاً به عند كثير من الدول الإسلامية كما هو في غيرها أيضاً؛ فإنه كثيراً ما اضطرت الحكومة الحفصية عسكرياً إلى اقطاع بعض جهات من ممتلكاتها إلى بعض القبائل العربية المناصرة ، ثم انه لا فرق بين هذه الدولة وبين غيرها من تقدمها من دول المغرب الإسلامي ، فهي تسير حسب سبقاتها مستمسكة في سياستها العمومية بسنة الموحدين حتى كاد ان لا يوجد ، هنالك فرق بين الحكومتين اذا استثنينا بعض الفروق الطفيفة

حدود الجزائر الحفصية

الجزائر الحفصية هي عبارة اليوم عن مقاطعاتي الجزائر وقسنطينة مع جزء من مقاطعة وهران ؛ وهي تنقسم إلى أربع ولايات : ولاية بونة – عنابة – ، وولاية بجاية ، وولاية قسنطينة ، وولاية الزاب وقاعدته مدينة بسكرة وتارة مقرة من بلاد الحضنة ، ويمتد خط الجنوب إلى ما وراء بلاد وارجلن – واركلة – ، و كثيراً ما رأينا اختلاف عمال هذه الولايات الجزائرية على الحكومة المركزية حيث قاموا بعدة وقائع حربية حاولوا بها اخذ البيعة لانفسهم والاستبداد بالملك فتداخلت الحدود واحتللت الخطوط والذخوم المرسومة لمملكة الجزائر الحفصية

(١) قال ابن خلدون : ومعنى الحجابة - في دولة بالمغرب - الاستقلال بالدولة والواسطة بين السلطان وبين أهل دولته لا يشاركه في ذلك أحد . ح ٧ ص ٤١٨ فهو منزلة كبير الامانة في الدول العربية اليوم

كيف كان استيلاء الحفصيين على الجزائر

كان اول ما وقع من التراب الجزائري بيد الحفصيين ولاية قسنطينة وبجاية فاستسلم اهلها الى السلطان ابى زكريا الحفصى سنة ٥٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) فأسر بنو حفص عمال هاتين المقاطعتين وذهبوا بهم الى تونس ؛ ثم في سنة ٥٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) كان استيلاؤهم على ولاية الجزائر ونواحي شلف والبطحاء - البسيط الذى بين مدينة غليزان وسهل وادى شلف - وما الى ذلك من الجهات الغربية الزناتية ؛ وقد جعل التصرف في هذه الجهات لا قرارب السلطان الحفصى وبنى عماره ؛ وفي سنة ٥٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) جهز السلطان المستنصر اخاه عمر بن ابى زكريا الاول للقضاء على سلطة الفقيه ابى على الهمياني المتساوط يومئذ على عمل « مليانة » فقدم عمر المذكور صحبة « مبغدون بن فرندة » النصراوى الى مليانة ونصبا عليها المجانق وضيقا عليها الحصار فأعطت المدينة مقادتها لبني حفص واستسلمت لهم يوم عيد الفطر - ٢٩ او ط - من التاريخ فعقد السلطان آنذاك لأخيه عمر على ولاية بجاية مكافأة له على انتصاره وتغلبه هذا ، ولكن عمر استغفى اخاه من هذه التولية فاعفا

فتاح ولاية تلمسان

لقد كان لمبادعة خليفة الموحدين على السعيد من بنى عبد المؤمن بمراكش اضطرب كبير ادى الى نقض البيعة وشق العصا في كثير من ارجاء المغرب ، فكانت هذه فرصة لخروج ولاة النواحي عن الخليفة ونبذ طاعته ، وكان من بينهم عبد الله بن زكريا الهمزوجي صاحب تلمسان ، فنشأ عن ذلك بينه وبين يغمراس (١) النباني المتيحيز يومئذ لبني عبد المؤمن خلاف ونزاع كبير افضى الى تسلط يغمراس على تلمسان

(١) ضبطه ابن خلدون في موضع من تاريخه بالحركات مره : بفتح الياء والغين وسكون الميم بعدها راء مفتوحة ثم الف بعدها سين مفتوحة فنون ساكنة ؛ ومرة بكسر الغين والسين

وبينما الحال على ذلك اذ وفد على السلطان اى زكرياء الحفصى نخبة من رؤساء بنى توحين ومجراوة مستصرخين به ضد يغمراسن؛ ولقد كان لبني توحين ملك ما بين قلعة «سعيدة» غربا الى «المديمة» شرقا وكانت لهم قاعدة بنى سلامه (١) ومنداس (٢) ووانشريس. فتيخز ابو زكرياء ذلك وسيلة ووصلة للقضاء على عرش الموحدين المختضر ومن الاهم من رؤساء النواحي وولات الجهات، فنزل في شوال ٦٣٩هـ (افريل ١٢٤٢م) ب مليانة، ومنها راسل يغمراسن في الادعاء لطاعة الدولة الحفصية فأى؛ ويومئذ احاطت حيوش الحفصيين بتلمسان فضيق حصارها وبالغت في التكثيل باهلها فخرج يغمراسن من باب العقبة لرد عادية بنى حفص فانهزم ونجاهو بنفسه الى الصحراء، وسقطت تلمسان بيد الحفصيين آخر المحرم ٥٦٤٠هـ (جولiet ١٢٤٢م) ودخلها يومئذ ابو زكرياء فرد عنها عادية جندة وكف أيديهم عن النهب والسلب

المسيعة بالخلافة

منذ نهاية القرن السادس الهجري - او اخر الثاني عشر الميلادي - والعالم الاسلامي بالشرق والمغرب كله يتعرض في قلق واضطراب متربعا ماعسى ان يحدث او يقع من التحولات السياسية العامة الناتجة عن اتحاد مم النصرانية في حربها الصليبية التي كادت ان تعصف بالعالم الاسلامي اجمع؛ وما كان كذلك من اتحاد قبائل المتر برئاسة جنكيز خان وشروعها في الزحف على غرب بلاد آسيا وجنوها واحتلالها لبلاد الصين سنة ٥٦١٦هـ (١٢١٩م)؛ وتصدع الاسر القابضة على زمام

(١) هي على سته كيلومترا الى الجنوب الغربي من مدينة فرندة من مقاطعة وهران وفيها تفرغ مؤرخنا العظيم عبد الرحمن بن خلدون للعلم والدرس فسكن بقصر ابي بكر بن عريف اربع سنوات وهنالك شرع في وضم تاريخه الكبير فاكمل به مقدمة العجيبة ،

(٢) غربي تيارت وجنوب مدينة غيليزان - بين وانشريس وجبل كزول الواقع على عشرة كيلومترات بالجنوب الغربي من مدينة تيارت الحالية

بقية الباقيه من بعض المدن الاسلاميه؛ والامير اطوريه الساجوقيه يومئذ قد انقرضت من بلاد فارس ، ومثلها الدولة الغزنويه ايضا بعد قضائهما على الدولة الجديدة القائمه بأفغانستان الشرقيه فاسقطتها من شاهق عزها حوالي سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م)؛ وانفراض عائلة زنكى في الموصل ، وملوك مصر والشام يومئذ في شقاق وتناحر واقتراق؛ وفي بغداد من الخلاف الطائفي والمذهبى القائم بين اهل السنة والشيعة، بل وبين مذاهب اهل السنة انفسهم كخلاف والجدل الواقع ايضا بين الحنابلة والحنفية قد بلغ اشدته ... وعم ذلك سائر طبقات الشعب العراقي وارث مدنيات العالم ! ... فدعماً ذاك كله الى بسط نفوذه الاجنبي ونشر سلطانه على الشرق الاسلامي ، وفعلاً اكتسح التتر معالم الحضارة الاسلامية وحطم عواصم المدينة الشرقيه ، وكان ذلك الفتک الذريع بالانسانية الذي لم يسجل التاريخ فيما عهدناه حوادث افضع منها منذ تحدث عن البشر الى يوم الناس هذا - اذا استثنينا حوادث (اتيلا) ونهاية الاندلس الاسلامية ! ... وسقطت بغداد قلب العالم الاسلامي النابض بيد التتر سنة ٥٦٥ هـ (١٢٥٨ م) وذهبت بذها بآمالها تملك المدينة الزاهرة المشرقة ، وسقطت الخلافة العباسية بسقوطها

وفي المغرب الاسلامي كذلك فان سلطان الامويين بالاندلس قد انهار منذ سنة ٥٤٢ هـ (١٠٣١ م) وتشتت وحدتهم السياسية فتوزعها ملوك الطوائف بينهم ، فقام بكل ناحية منها امير المؤمنين ومنبر ! .. فاشتد حيشذ الشعور الاسلامي العام فأعلن حاجته الاكيدة الى زعيم ديني ورئيس سياسي تجتمع لديه جميع السلطات المدنية والعسكرية ، وكان من المقداران وجدت دولة الحفصيين يومئذ صلة العصا ، قوية الاساطين ، وثيقة الاركان ، فتأكدت مبايعتها على الناس ، فأطاعها اهل سبتة وفاس وطنجة وسبيلها - تأفيلاً -؛ ومكنته بعدما قتل اهلها عامل الموحدين عليها سنة ٥٦٤ هـ (١٢٤٥ م) وبعث اهل مكة بسيعهم الى السلطان المتصر سنة ٥٦٧ هـ (١٢٥٩ م) وهي بانشاء عبد الحق بن سبعين فقررت على الناس ، وبایع بنو مرین تقیة ریثما استوثق

الامر لسلطانهم يعقوب المريني فبنوا عهد الحفصيين ؛ ودخل اهل مدينة شبيلة وغيرها من بلاد الاندلس في دعوة الحفصيين ايضا فاخترق حينئذ صيتها البلاد وخشيتهم امم اوروبا بفاتت تخطب ودهم وابرمت في ذلك معاهدات سلام بينها وبين القصر الحفصي ، منها معاهدة « فريديريك » امبراطور الامان لمدة عشر سنوات ومعاهدة « اوهان سطوفان » ملك صقلية وهلم جرا ... ويومئذ تلقب السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان ابي زكرياء يحيى الاول بأمير المؤمنين ، وتسمى بالمستنصر بالله الواشق .

تراث يغمر اسن وانتصاره

لا يعزب عن القاريء الكريم ما قدمناه من حال انهزام يغمر اسن الزيناني عن تلمسان ايام غزو الحفصيين لها سنة ٥٦٤٠ (١٢٤٢) وما كان من فراره منها والتجائه الى الصحراء الخ ... وبعد ما تأكد يغمر اسن من اطبق الكثير من سادة العالم الاسلامي ودوله شرقا وغربا على مبايعته ملك الحفصيين بالخلافة اعتضم بالدهاء والتديس في الانتصار فبعث بوالدته - سوط النساء - الى ابي زكرياء الحفصي لتقديم مراسيم البيعة نيابة عنه فاقتبلاها ابو زكرياء راضيا عن ولدها ، فاغتنمت الوالدة يومئذ هذه الفرصة وقدمت للسلطان اقتراحا يتضمن طلب العفو عن يغمر اسن والمساحة له بالعودة الى رئاسة قومه من بنى عبد الواد تحت طاعة الخليفة ، فأمضى لها ابو زكرياء ذلك كله ، واذن في عودة يغمر اسن الى تلمسان واحد شروط بينهما وتمت عقدة المبايعة على ذلك وعاد يغمر اسن سنوايا : وكان السلطان الحفصي ادرك ما يكتنه يغمر اسن في صدره من الحقد والضغينة على ملك الحفصيين ، فأقطع القطائع حول تلمسان واحد امارات في بنى توجين ومغاروة وجاء بنى سليم الى نواحي بونة - عنابة - فأسكنهم بها الى ارض الجريد واغدق عليهم من الاموال ما غمر لهم به وجعلهم حاجزا بينه وبين خصمه ومنافسيه فكانوا ردء

المملكة وحصنها الحصين

وما بليث ابو زكرياء بعد ذلك الاقليلا حتى فاجأه اجله وهو بمحلته في بونة فتوفى ليلة الجمعة ١٢ جمادى الثانية ٥٦٤٧ (٢٢ سبتمبر ١٢٤٩ م) ودفن من الغد بجامع بونة . وكان يغمر اسن قد عاد بعد الى تلمسان بموجب نصوص المعاهدة التي عقدها مع الملك الراحل؛ ولم يسرح قومه ان اجتمعوا حوله واخذوا معه في الانقضاض على المدن الجزائرية وغزوها ففتحوها مدينة مدينة ، واقتحموا مليانة سنة ٥٦٦٨ (١٢٦٩ م) ، ثم وقعت بلدة المدينة بـ ايديهم سنة ٥٦٨٧ (١٢٨٨ م) ، وهكذا اخذ الزيانيون في امتلاك القطر الجزائري تدريجيا حتى استولوا عليه باسره كما سند كره فيما يأتي من تاريخهم

اضطرابات وفتن

كان مما اشاعه الناس يومئذ ان الخليفة المستنصر الحفصى عازم على الفتك بابن عمها ابى القاسم بن ابى زيد لما بلغه عنه من رفض بيعته والخروج عن الطاعة ؛ وباغت الاشاعة هذه الى ابى القاسم فخشى على نفسه ، فخرج من تونس سنة ٥٦٦١ (١٢٦٢ م) الى نواحى قسنطينة ملتحقا بشبل بن موسى بن محمد رئيس الدواودة - اشیاع بنى بن غانية واعداء الموحدين والحفصيين - وهنالك بايع هؤلاء القوم وبرزوا معه لغزو البلاد الجزائرية فأحدثوا بها اضطرابا كثيرا واضرروا اعظميه اضرت بالجيم واشتد يومئذ غضب السلطان على ابى القاسم ، فأرعد وابرق ويست قتله ، فارتاءع لذلك ابو القاسم وتراجع الى تلمسان متواريا ومنها ركب بمرسى هينين الى الاندلس ، ثم التحق بالمغرب الاقصى فأقام بتينملل حيث مصدر دعوة الموحدين ، ثم عاد الى تلمسان فتوفي بها

مقاومة العصابة المنشقين

كانت حوادث أبي القاسم بن أبي زيد وحركة الدواودة من رياح ، سبباً في خروج السلطان المستنصر الأول بنفسه من تونس سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٥ م) على رأس جيشه العظيم ونزله بأماكن الفتنة ومواطن الثورة بالقطر الجزائري ، وقضاءه على المنشقين بها ، واستمر السلطان متنقلًا في البلاد مستقتصاً بنور الفتنة ومناجم الخلاف حتى نزل على الدواودة ففر رئيسهم شبل بن موسى وخرج بقومه إلى القفر فاحتل السلطان يومئذ بلادهم ونزل بمدينة «المسيلة» - المحمدية - آخر مواطن رياح ، وهنالك وفدى عليه محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين مجددًا لطاعته ، فاكره السلطان واقطعه مدينة «مقرة» و«أوماش» من أعمال الزاب الجزائري ، واستمر المستنصر في زحفه على الدواودة إلى أن ظفر بهم بمدينة «نقاؤس» - بالقاف المعقودة - فتبدد شملهم وانتهت اسلامتهم ، وبقى السلطان على رؤوس الفتنة فضربت عناقهم ونقلت إلى بسكرة فنصبت بها ، وأما الاشلاء فإنها تركت حيث قتلوا فنصبت كذلك متفرقة بالامكنة التي بويع فيها أبو القاسم بن أبي زيد التائش بنواحي نقاؤس والمسيلة وغيرها ؛ وأخذ السلطان سيرها فاحتاج بقيمة النواحي المشaque ، فمن حكمه القوم أكتافهم مجانزين «وادي شدي» - جدي - فطار دتهم الجيوش الحفصية إلى أن تجاوزت بهم مقاوز الصحراء ثم عادت مع السلطان إلى تونس

انتهاض مدينة الجزائر وفتحها

جاهر أهل مدينة الجزائر بنبذ طاعتهم أيام ان ظهر ضعف الحفصيين إمام حملة زناتة عليهم حوالي سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) ولقد حاول الجزائريون بذلك الاستبداد بحكم بلادهم والتوصل إلى تأسيس مملكة جزائرية بحثه ؛ فهاجمهم يومئذ عامل بجاية «أبو هلال الهمتاني» واطال حصار مدينة الجزائر نحو سنة ثم عاد منهزمًا إلى مرکزه ؛ وبقيت الجزائر في هذه الفترة مستقلة حررة إلى أن غزتها

جيوش بني حفص سنة ٥٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م) بقيادة أبي الحسن بن ياسين ومناصرة حامية بجایة، وخرج معها الاسطول الحفصي فانحصرت الجزائر من جيم جهاتها ودخلتها الجيوش الحفصية متخفية في اهلها قتلا ونهبا وسلبا، فاستسلمت المدينة حينئذ واذعنـت لطاعة الحفصيين : واخذـت مشيختها ورؤساؤها فغلـوا واسـروا ثم نوـقلوا إلى تونـس مصـدـفين فاعـتقـدوا هـنـاك بالقصبة إلى وفـاة المستـنصرـ سنة ٥٦٧٥ هـ (١٢٧٧ م) فـعـفـوا عـنـهم ولـدهـ الـوـائـقـ يومـئـذـ

مبايعة الجزائر لابى اسحاق الاول

كان ابو اسحاق ابراهيم بن ابى زكريا يحيى الاول مقىما بمدينته تلمسان ، ولما توفي اخوه المستنصر نهض مطالبـا بملك اخيه مناقضا للوائق الذى اخذ البيعة لنفسـه بعد وفـاة والـدـهـ ؛ وكان اول من بايعـه على الملك مضـيفـه يغمـراسـنـ بنـ زيـانـ صاحـبـ تلـمسـانـ ؛ وصادـفـ انـ كانـ اـهـلـ بـجـايـةـ منـشقـينـ عـلـىـ وـالـىـ الاـشـغالـ عـنـهـمـ فـقتـلـوـهـ وـاستـدـعـواـ اـبـاـ اـسـحـاقـ يـحـثـونـهـ عـلـىـ وـلـايـةـ العـرـشـ ، فـاتـقـلـ اليـهـمـ اـبـوـ اـسـحـاقـ وـدخلـ بـجـايـةـ آـخـرـ شـهـرـ ذـىـ القـعـدـةـ سـنـةـ ٥٦٧٧ـ هـ (افـرـيلـ ١٢٧٩ـ مـ) فـاجـتمـعـ عـلـيـهـ اـهـلـهاـ وـبـاـيـعـهـ بـالـمـلـكـ ؛ فـغـزـاـ بـهـمـ قـسـنـطـيـنـةـ فـامـتـعـتـ عـلـيـهـ ، وـهـنـاكـ بـعـثـ الـوـائـقـ جـيـوشـهـ لـمقـاتـلـةـ عـمـهـ هـذـاـ ، وـمـاـ كـادـتـ الجـيـوشـ تـتـصلـ بـالـزـابـ الـجـزـائـريـ حـتـىـ تـقـدـمـتـ بـنـفـسـهـاـ إـلـىـ اـبـىـ اـسـحـاقـ فـبـاـيـعـهـ بـالـمـلـكـ وـكـتـبـتـ فـيـ ذـلـكـ وـثـيقـةـ بـعـثـتـ بـهـاـ إـلـىـ الـوـائـقـ بـتـونـسـ ، فـتـازـلـ مـكـرـهـاـ عـنـ العـرـشـ وـخـلـعـ نـفـسـهـ غـرـةـ رـيـبـعـ الـأـوـلـ ٥٦٧٨ـ هـ (١٢ـ جـولـيـطـ ١٢٧٩ـ مـ) ، فـكـانـتـ الـجـزـائـرـ بـذـلـكـ هـىـ اـوـلـ مـنـ باـيـعـ السـلـطـانـ اـبـاـ اـسـحـاقـ وـاـوـلـ مـنـ اـعـتـرـفـ لـهـ بـحـقـهـ عـلـىـ العـرـشـ

ظهور ابن ابى عمارة الدعى

هو رجل من اهل المسيلة ، وكان مسكن آبائه بجایة فنشأ بها ، واسمـهـ احمدـ بنـ مرـزوـقـ ، ولـقـدـ سـوـلتـ لـهـ نـفـسـهـ يـوـمـاـ اـنـ يـدـعـيـ اـثـمـاـ وـزـورـاـ . انهـ مـنـ بـيـتـ المـلـكـ

وانه من ابناء الواثق الحفصي ، وكان هنالك من الموالى من ايده في دعواه هذه ونهضوا معه ضد ابي اسحاق ابراهيم الاول فدخل الناس في طاعته وتغاب على السلطان برهاء، ومكره فامتلك نواحي طرابلس واحتل تونس واتخذ لنفسه لقب «المعتمد على الله»، وخرج ابو اسحاق من تونس مع ولده ابي زكرياء طريدا آخر شوال ٦٨١هـ (جانفي ١٢٨٣م) محاولا الالتجاء الى قيسارطينة فمنع عنها واليها خشبة خروج الامر من يده ، فتوجه السلطان الطريرد الى ولده ابي فارس امير بجاية ، فاعتذر منه ومنعه من النزول عليه وصرفه الى مكان آخر واجبره بالتنازل له عن العرش ؛ وجاء ابن ابي عمارة غازما بجاية فتحمل عليها في صفر سنة ٦٨٢هـ [ماي ١٢٨٣م] وقتل ابا فارس في اخوته ، فانتقل السلطان الطريرد ابو اسحاق يومئذ من اعمال بجاية مع ولده ابي زكرياء متوجها الى تلمسان ، واحتل ابن ابي عمارة المدينة واخذ البيعة لنفسه ، وبعث بمن ادرك ابا اسحاق بجبل بنى غبرين فردة مأسورة الى بجاية وهنالك قتل السلطان صبرا في اخر شهر ربيع الاول سنة ٦٨٢هـ [جوان ١٢٨٣م] ونجا ولده ابو زكرياء الى تلمسان ؛ ثم بعد حين انكشف حال ابن ابي عمارة واقتضى ذلك تزويره وتحققو تدجيله وانه دعى في بيت الملك فتألبوا ضده ونقضوا بيعته فقتلوه سنة ٦٨٤هـ [ماي ١٢٨٤م] وتولى الملك يومئذ المستنصر الثاني

انفصال الجزائر عن الحكومة المركزية

كان هنالك شخصيتان متنافستان بالقصر الحفصي وهما الحاج ابو الحسن بن سيد الناس وابو عبد الله الفرازى ؛ فكلاهما كان يزاحم صاحبها في نيل الحضوة والمنزلة والمقام الرفيع عند السلطان . ولقد لاحظ الحاجب المذكور انه مغموم ومحاط بالجانب مهمتهم المقام عند السلطان بجانب صاحبها الفرازى ، فأضمر المستنصر حسيكة وأبطن له غلا ، وكان من المقدر يومئذ ان يوجد ابو زكرياء يحيى بن ابراهيم عم المستنصر - بتلمسان مطالبا بعرش والده ، فالتحق به ابو الحسن فبايعه واحد

له البيعة من الناس واقام له ابهة الملك وشعار السلطة وخرج معه في جمع حاشد الى اعمال قسنطينة فطاقوها بتلك الولاية ، وكان اذ ذاك اهل بجاية في اضطراب ونزاع فلما رأوا ابا زكرياء بادروا الى تقديم يعنهم اليه فاحتل ابو زكرياء يومئذ بجاية سنة ٥٦٨٤ [١٢٨٥] وبايده اهل مدينة الجزائر والزاب ، فرسخ يومئذ قدم ابي زكرياء بعمالة الجزائر فأورثها بنيه ، واصبحت المملكة الحفصية محازة الى جزئين ، قسم شرقى وعاصمته تونس ، وقسم غربى بالغرب الاوسط تتزعمه حاضرتا قسنطينة وبجاية ، وهكذا استمر الامر بالقطر الجزائري الى سنة ٥٦٩٤ [١٢٩٤] - وعند ابن خلدون ان ذلك وقム سنة ٥٧٠٧... حيث انتقض اهل مدينة الجزائر على عاملهم فأطروده واستبدوا بولائهم جاعلين امرهم بيد «ابن علان» فمكث هذا اربعه عشر سنة حاميا للمدينة واحوازها الى العهد الزيانى ، وضلت البقية من القطر الجزائري ما بين مدو جزر بين ملوك الحفصيين وامراء الجزائر وولاتها الى ان دعا ابو بكر خالد بن يحيى الحفصى الى نفسه سنة ٥٧١١ [١٣١١] وتلقب بالتوفى على الله ، فخالف عليه والى بجاية عبد الرحمن بن خلوف فقتلته السلطان غdra فى السنة التالية واحتل ابو بكر بجاية واذعن تونس لطاعة ابن الزيانى وعادت الدولة الى اقسامها ثانيا ، وهكذا الى سنة ٥٧١٨ [١٣١٨] فحاز ابو بكر ولاية تونس واعاد وحدة الدولة الى نصابها وجمع بين القطرين الشقيقين : تونس والجزائر

اعتداء الانجليز على مدينة الجزائر

بينما الامر ما ذكرنا في الجزائر اذ فاجأها الانجليز بحملة بحرية عنيفة سنة ٥٦٨٦ [١٢٨٦] يقودها «روحى دولوريا» فحطموا مدينة «القالمة» واتهبوها اموالها وتركوها كجوف حمار ! ... ثم اعادوا عليها الكرة سنة ٥٦٩٠ [١٢٩٠] وحاصروها معها في هذه المرة مدينة بونة ايضا ، واسروا اهلها ، فاستبسيل الجيش الحفصى وشمر عن ساق الحرب فاندحر الانجليز عن الجزائر

امارة بنى مزنی (١) بمسکرة

كانت امارة الزاب الى هذا العهد لبني رومان ، وهى من اغنى امارات الجزائر واضخمها لذلك العهد وتمتد حدودها من المسيلة ونقاوس شمالا الى واركلة - وارجلن - ووادى ريف جنوبا ، ومن «الدوسن» غربا الى بادس شرقا؛ وتبعد مدينة بادس هذه عن بسکرة بنحو ثلاثة ومائة كيلوميترا وتقرب من (خنة سيدى ناجي) بنحو العشر كيلومترات ؟

استمر بنورمان على ولايتهم هذه الى عصر السلطان ابى اسحاق ابراهيم الاول فاتسعها منهم وجعلها للفضل بن على جد بنى مزنی ، حيث قام بنصرته وتأييده دعوته، فشكرا له السلطان موقفه هذا وولاه إمارة الزاب هذه سنة ٥٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) ثم كانت في عقبه ؛ وحسنت سيرة بنى مزنی واحسنوا التدبیر فعاشا وعاش الناس معهم في ارغمد عيش ، وهم تارة مقيمون بمسکرة وتارة بمقرة من بلاد الحضنة ، وكان طبيعيا ان ينشأ عن ذلك من ذوى الاعلائق السافلة والامر ارض النفسيات الحبيبة حسد وضغينة فاوغرروا صدر السلطان على بنى مزنی واضرموا غيظه ، فاضطرب لذلك شأن امراء هذا البيت وانتقضت أمورهم فتبذلوا في سيرهم وسلو كهم السياسي ، واصبحوا تارة بجانب الحفصيين ، تارة مع بنى زيان ، واحيانا نجدهم منقادين لبني مرین ملوك المغرب الاقصى ، وكثيرا ما اشتبه عليهم الامر فنراهم في ان واحد يبايعون اميرا وينتفضون عليه في نفس الوقت وهكذا ذهب بنو مزنی في تيار من عاصفة الاهواء السياسية المختلقة التي ادت بهم الى الاندحار ، فغزاهم السلطان ابو فارس عزوز الحفصي واقتحم مدينة بسکرة يوم السبت ١٧ جمادى الثانية ٤٨٠ هـ (٢٢ جانفي ١٤٠٢ م) وقضى على هذه الاسرة بعدما امضت في حكم الزاب ما ينيف على قرن وربع ، وكان من اشهر رجالها: الفضل بن على وابنه المنصور ولدته يوسف ، وعلى ، وحسن ، وأحمد ،

(١) بفتح الميم وضمها

حزب السننية وأبن مزني

كان بمدينة « طولقة » من عمل بسكرة رجل من عرب رياح اسمه « سعادة » وهو من بطن « مسلم » او « رجمان » اشتهر بين قومه وعشيرته بالعلم والصلاح آخذًا على نفسه القيام بالحسنة – يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؛ فاجتمع عليه الناس وكثير حوله الاتباع والتحقق به بعض رؤساء العرب من الدواودة كشيخ بنى محمد بن مسعود ؛ واولاد ادريس ، ورجالات العطاف وغيرهم في كثير من اتباعهم ومرؤوسهم من المستضعفين ، وكلهم عاهد « سعادة » على التزام طريقته والأخذ بمبدأ فتشكلت يومئذ حالة من الخاصة وال العامة اشتهرت باسم « السننية » او « السقية » كما كان يدعوهن هو ، فلما استكملت هذه الجماعة قوتها واستندت شوكتها اخذت في شن الغارات على العصابة المحاربين وقطعان الطرق المعديين ، وكان شيخهم هذا متشددًا على الولاة والحكام كثیر المؤاخذة لهم على ما يأتونه من حيف او جور؛ وقد بلغ عامل الزاب يوما وهو يومئذ المتصور بن فضل بن مزني – ان زعيم السننية هذا يذكر عليه اعماله وخاصة وقع الظلامات والمسخ على الرعية ، فطوى على عداوته احناء صدره وعزز على الفتك به لولا تصلب حزب السننية في وجه العامل وصدده عن مراده ، وكان ذلك مما زاد في انتشار صيت الشيخ سعادة وانتصار الناس له فبایعوه على اقامته السنة او الموت دونه ، فاشتد من ذلك غضب ابن مزني على السننية واذنهم بالحرب مستنفرا حلفاءه من رؤساء العشائر وولاة الحفصيين ، ومستنصرًا بالامير خالد بن ابي زكرياء الحفصي والى بجاية ، فيجأته الجنود من كل صوب ، واعز الى اهل طولقة بالقبض على الزعيم سعادة فامتنع عنهم ، واخذنى تأسيس رباطه بتلك الانحاء على غرار منهاج عبدالله بن ياسين في انشاء دولة المرابطين او ابن تومرت في انشاء دولة الموحدين ؛ فكان ذلك حصنه المنيع الذي التجأ اليه اتباعه ريثما تكاملت قواهم فزحفوا على مدينة بسكرة واحد قوا بها وحاصروها سنة ٣٠٣ هـ (١٣٠٣ م) وقطعوا اخيالها وشدوافي تضييقهم على اهلها وبدلاوا

غاية جدهم لفتحها فاستعاصت عليهم ثم اعادوا غزوها فخابوا ورجعوا عنها مرتين، ويومئذ هـ ١٣٥٥ (١٧٠٥ م) اقفل سعادة بقومه الى مشاتيهم ، فمكثوا في رباطهم بزاب طولقة ريثما تهيأت لهم الاسباب فغزوا مدينة «مليل» احدى مدن بسكرة ، فاستصرخ اهلها بابن مزنى فانجذبهم عساكرة المخيمه بذلك ، واشتد اوار الحرب بين طائفه السنية وجند الامير ، فاسفرت الواقعة عن قتل الزعيم سعادة وحمل رأسه الى ابن مزنى ، فاستشاط لذلك غضب اتباعه فاندفعوا في حملة عنفية بقيادة ابي يحيى بن احمد شيخ اولاد محرز – من الدواودة – الى عاصمة الزاب – بسكرة – فشنوا غارتهم عليهم وقطعوا نخيلها وتمى وطيس الحروب فعظمت الفتنة واستند القتال ، فكان فيمن وجد قتيلا بحومة الوغى على بن منصور بن مزنى هـ ١٣٦٢ (١٧١٢ م) واخذ بعض رؤساء قومه فاسروا وفيهم من احرق بالنار وسكنت الحرب مدة تمكّن فيها السنية من نشر مبادئهم الاصلاحية تحت اشراف رئيسهم الديني الشيخ ابي عبد الله محمد بن الازرق المقرى :

استمر امر السنية على ذلك وهم يتربون الفرص ويرصدون الخلاس ، الى ان جاءهم المدد من ناحية «ريغ» فاعدوا حصار بسكرة سنة هـ ١٣٣٩ (١٩٢٠ م) تحت امرة على بن احمد شيخ اولاد محمد – من الدواودة – واطلوا حصار عاصمة الزاب اشهرها وآخرها عجزوا عن اقتحامها فرجعوا الى مراكزهم ؛ ونزل الشيخ ابن الازرق مدينة بسكرة باستدعاء من صاحبها يوسف بن مزنى – تفريقا لامر السنية – وعرض عليه قضاها فاجابه الى ذلك ؛ وانسحب يومئذ حزب السنية من الميدان وانتشر عقدة ولم يبق له ذر الا عند من يتخذه كوسيلة للتوصل به عند العامة الى قبض الصدقات والزكاة والنذر باسم القيام بتغيير المنكر . وان «برج سعادة» المعروف الى اليوم قرب مدينة طولقة هو مكان الرباط الذي اسسها الزعيم «سعادة» وذلك لقول ابن خلدون : «اوغر اي ابن مزنى – الى اهل طولقة بالقبض على سعادة فيخرج منها وابنها بأنجائهما زاوية ونزل بها هو واصحابه واقام المرابط سعادة بزاويته من زاب

طولقة، ولقد بقى من عقب سعادة على عهد ابن خلدون بالزاوية المذكورة بنون وحفدة يوجب لهم ابن مزني الرعاية وتعرف لهم اعراب الفلاة من رياح حقا في اجازة من يحيى مزني من اهل الساقية [١]

الجزائر بين الحفصيين والمرinيين

ذهبت دولة الموحدين العظيمة التي كانت تعرف كيف تسوس رعایتها العرب المتهاكين على الرئاسة وتركت بعدها اضطراباً عظيماً بين تلك القبائل العربية المتشوقة الى مناصب الحكم المتفرقة يومئذ تارة هنا وتارة هناك تجري وراء كل ناعق ترى فيه نيل مرادها والحصول على اغراضها ، فطوراً نراها تسير في ركب الحفصيين ، وطوراً نجدها منحازة الى بني مرین ، وتارة تكون في جانب الزیانیین ، كل ذلك تفعله لغاية واحدة هي الحصول على الرئاسة ، والغاية عندهم تبرر الوسيلة ، فكانت حالات الاعراب هذه شديدة على الحفصيين ، وتعددت يومئذ الواقف الشورية وانتشرت الفوضى وعمت الفتنة لا في الجزائر فحسب بل بالغرب الاسلامي كله ، وعجز الحفصيون عن رد عادية هؤلاء الاعراب فضاقوا بهم ذرعاً فاضطروا الى الاستنجاد بدولة بني مرین ، فجاءت هذه حامية الدولة المستنجدة فاحتلت او لا تلمسان سنة ٥٦٩٩ (١٣٠٠ م) بدون ان تحفظ للحفصيين حرمة ، بل لم يكتف بذلك السلطان ابو يحيى المرینی فحاصر ايضاً بجاية سنة ٥٧٠١ (١٣٠١ م) .

[١] ابن خلدون ج ٦ ص ٣٨-٣٩

ثم في سنة ٥٧٢٨ (١٣٢٧ م) حدث من الفتن ما اضطرب لها بالسلطان الحفصي حيث ظهر في اسرته من ينمازه في الحكم مطالبًا بالعرش ، مستنصرًا عليه بنى عبد الواد الزيانيين ملوك تلمسان ، فاستصرخ الملك الحفصي يومئذ بالسلطان أبي سعيد المريني على ان يقاسمها ولاية تلمسان – ان انتصر على اهلها – فكان الامر كذلك واقتسمت اوطان بنى عبد الواد بين بنى حفص وبنى مرiven وتم ذلك بينهما سنة ٥٧٣٠ (١٣٢٩ م)

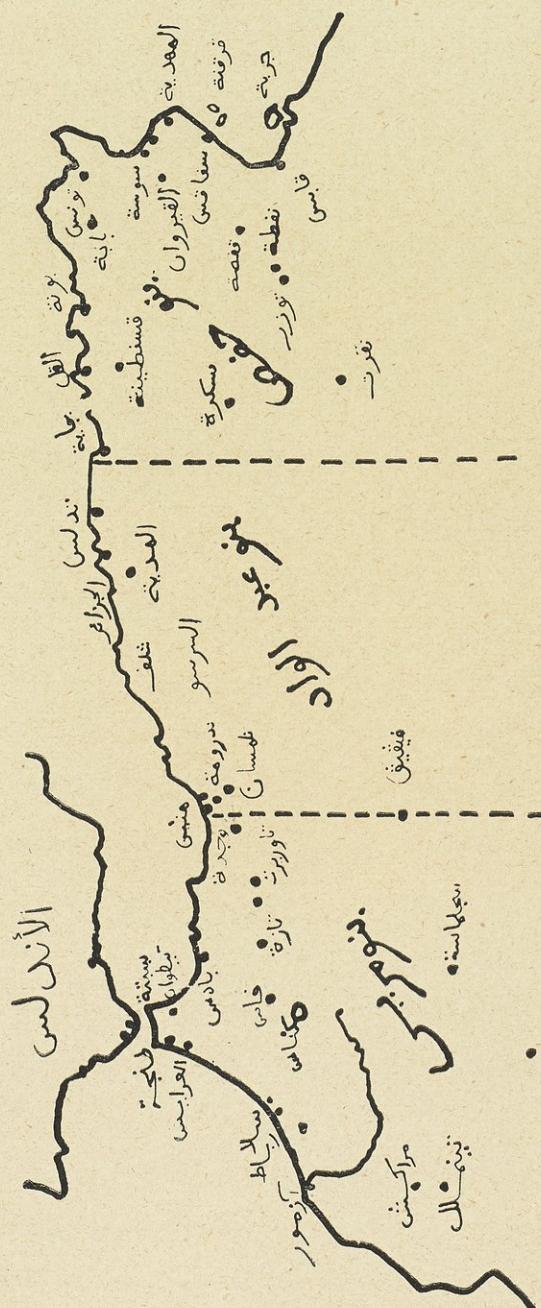
واخذت حيئت مطامع المرينيين تتسع وأنظارهم تتشوف الى حيازة المغرب الاوسط - الجزائر - ، وما كادت تمضي خمس سنوات حتى تحرك السلطان ابو الحسن المريني من عاصمة فاس ، قاصدا غزو الجزائر ، فاقتضم تلمسان عنوة يوم ٢٧ رمضان ٧٣٧ هـ (٢٠ ابريل ١٣٣٧ م) وقد اربى يومئذ عدد القتلى على ثمانين الف قتيل ، ومنذ ذلك اخذ شأن المرينيين يرتفع ويعلو بالغرب الاوسط ونفوذهم يتشر شيئا فشيئا حتى عم سلطانهم القطر المغربي كله وذلك في مدة لا تزيد على عشر سنوات ، وحكموا تونس ايضا مدة عاشرة ونصف ثم عادت الى اصحابها الحفصيين ، واستعاد الفضل بن يحيى الحفصي مدينة بجاية وقسنطينة فاحتلها يوم الجمعة غرة المحرم سنة ٥٧٤٩ هـ [فتح ابريل ١٣٤٨ م]؛ وسقطت ولاية تلمسان بيد ابي عنان المريني فاحتلها سنة ٥٧٥٣ [١٣٥٢ م] وبلغ الى المدينة ، ثم بعد سنتين فتحت لهم بجاية ثم قسنطينة وبونة سنة ٥٧٥٨ هـ [١٣٥٦ م]

وفي شوال ٥٧٦١ [اوتو ١٣٦٠ م] ازمع الحفصيون واجعوا على استرجاع ملكهم الضائع بالغرب الاوسط ، فنازل ابو عبد الله الحفصي مدينة بجاية فامتنعت عليه فداب على المكافحة وثار على متابعة الفتح بتكرار دشن الغارات عليها حتى فتحها في رمضان ٥٧٦٥ هـ [جوان ١٣٦٤ م] ، وبعد شهرين نازل مدينه تدليس - داس - فافتكتها من يد الزيانيين ، ثم استعادها السلطان ابو حمو الشانى كما سندكرة فيما يلى من تاريخ الدولة الزيانية وانزل بها حاميته وعقد السلم مع اى

عبد الله الحفصى واصهر اليه فى ابنته ، ثم عاد الحفصيون فاحتلوا تلمسان مرة اخرى واستعادوا اليهم ملك بسكرة وقسنطينة وبايعهم اهل المدية ومليانة وتنس ، وهكذا اضحت الجزائر تتنقل بين ايدي ملوك المغرب الاسلامى يتهافتون عليها تهافت الفراش على السراج ولم يكن لها فى هذه الاونة استقلال بالحكم الا ببرهة قليلة من الزمن قام فيها بعض ولاة العواصم المستبدین فتظاهرروا فيها بمظاهر الملك ؛ وظلت كذلك الى ان تم حضن حكمها لبني عبد الواحد الزيانين

الدولة الحفصية

— ۲۷ —



جريدة المغرب الإسلامي من القرن السابع الهجري إلى أواسط العاشر

حرکة السلطان الى بسكرة

لقد بلغت النخوة والتيه بعامل الزاب احمد بن مزني الى اذ استشرفت نفسها الى الامتناع من اداء واجب الحسراج للدولة ورفض طاعتها محتميا بالاعراب القاطنين بضواحي الزاب والتلول ، وخاصة منهم الدواودة الذين طالما اسيطروا الحكومة عليهم بأعمالهم العدائية وموافقتهم السلبية ، فتجرىك السلطان ابو العباس احمد الاول الى قاعدة الزاب - بسكرة - سنة ٥٧٨٦ (١٣٨٤م) في جاءها في حيش عظيم حتى ازدحم الناس بالجند وضاقوا بهم ذرعا ، وضرب عليها الحصار وكانت هنالك مقتلة عظيمة دامت اياما خضم لها ابن مزني واذعن لسلطان الحفصيين فكفت عنه ايدي الجند وانكفا عنه ابو العباس في قومه الى تونس

تنازع امراء بنى ابي حفص على ولاية قسنطينة وبجاية

كانت ولاية قسنطينة لابي بكر بن ابي العباس احمد الحفصي ، فسازعه عليها ابن عميه الامير ابو عبد الله محمد بن ابي زكرياء صاحب بونة - عنابة - وحاصرها سنة ٥٧٩٦ (١٣٩٤م) فانتصر السلطان ابو فارس الحفصي لأخيه ابي بكر و الواقع بابن عميه صاحب بونة ، فذهب يومئذ ابو عبد الله ملتجئا الى فاس مستنصر خا سلطانها المريني ومكث هنالك الى ان عقد له سلطان مرین على حيش عظيم زحف به على بجاية سنة ٥٨١٠ (١٤٠٧م) فانتصر على صاحبها ابي يحيى فعزله وولي مكانه ولده المنصور ثم ارتحل عنها الى تونس متقدما من سلطانها ابي فارس ؛ فخالفه السلطان المذكور الى بجاية فأقصى عن حكمها المنصور وجعل ولايتها لابن أخيه احمد بن ابي بكر ، ثم انبى لمقاتلة ابي عبد الله فظفر به فقتلها وبعث برأسه الى من نصبه على باب فاس اغاثة مؤيدة وناصره سلطان بنى مرین ، وتقدم الى تلمسان فاحتلها سنة ٥٨١٢ (١٤٠٩م) ثم كانت هدنة وصلح تموجلت فيه الهدایا والتحف بين ملوك الحفصيين وبنى مرین

ولما انتصب السلطان أبو عمرو عثمان على عرش تونس مكان أخيه المستنصر
المتوفى سنة ٥٨٣٩ هـ [١٤٣٥ م] قام في وجهه صاحب بجایة وهو يومئذ على بن عبد
العزيز ، فامتنع عن مبايعته مدعيا انه احق بالملك من عممه ، وقد شاعر على ذلك
فقیہ بجایة منصور بن على بن عثمان ؛ فشتأّت عن ذلك حروب وخطوب انهزم
فيها صاحب بجایة وامتلكها السلطان أبو عمرو في جمادی الثانیة سنة ٥٨٤٣ هـ
[نوفمبر ١٤٣٩ م] فولى عليهما ابن عممه عبد المؤمن بن احمد الاول

مشاركـة الجزائر في هـزم الصـلـمـيـيـيـيـن

كان لا نهزم النصارى عن انتهاكية واستيلاء سلطان مصر الملك بيبرس البندقدارى على بلاد سوريا امتعاظ شديد وغير ظيم عظيم اورئهم شجوا وشجنا ، فقامت لديهم قيمة الاحزان وارسلوا الى البابا «كاليمنضوس الرابع» يطلبون منه المساعدة والمعاونة على القتال باسم الصليب - كذبا وزوراً؛ فأرسل هو بدوره منشورا الى جميع ملوك اوروبا يستنصرهم ويستفزهم الى ايقاد حرب صليبية ثامنة لأخذ ثارهم من المسلمين ، فكان اول من لبى نداء البابا ملك فرنسا لويس التاسع Louis IX واحد في تجهيز العساكر والاساطيل لذلك ، وبعد استشارة اصحابه ووقوع المداولات بينهم في تعين البلاد التي تقصدها الجملة الصليبية وقم الاتفاق على مهاجمة تونس بدعوى ان اهل المغرب طالعدوا على بحرية فرنسا وغيرها؛ فسارت الجملة بقيادة الملك لويس المذكور ونزلت باتفاق مدينة قرطاجنة من الساحل التونسي ، وكان عدد جيش الصليبيين زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين ألفا من الرجال ، وباغت اساطيلهم ثلاثة قطعة ما بين كبيرة وصغرى، فنادى حيئذ السلطان الحفصي ابو عبد الله محمد المستنصر الاول في الناس بالاستعداد والتفير العام، وارسل الى جميع الملوك التابعة له - ومنها الجزائر - يطلب المدد ، فوافته الامداد من كل ناحية ، وجاءه ابو هلال عياد صاحب بجاية في جموعه وسرح اليه محمد بن عبد القوى عسكرا بني توحبين لنظر ابنه زيان ، وجاءت جموع العرب وهوارة وولها صة - سكان بسيط بونة -

مقاومة القرصنة الاروبيّة

لقد بلغ من عتو قراصنة الغرب وأصواته ان أصبحوا يجوبون بهذا البحر
ويعتبرون مراكب المسلمين فيه فيختطفون الناس من اهل المغرب ويسعونهم
بأسواق اوروبا بيم السوائل ، فكثروا ماحدثنا التاريخ عن بحارة اوروبيين كانوا
يستغلون حركتهم التجارية لارتكاب القرصنة ؛ فان المؤرخ المسيحي «دوه-اس
لاطري» يقول ان في سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٠م) هجمت سفينتان من بيزا على مراكب
إسلامية واسرت ركابها وانتهكت اعراض النساء ووضعت يدها على ما صادفته من
عروض ومتاع ؛ ويكتفى ان نعيد للأذهان كما يقول المؤلف المذكور : آلاف
المزارعين والملاكيين العرب الذين اختطفوا في قابس عام ٦٨٣ هـ (١٢٨٤م)
وجريدة عام ٧٠٩ هـ (١٣١٠م) وطرابلس عام ٧٥٦ هـ (١٣٥٥م) ثم يبعوا في اسواق
الرقيق باوروبا

وكان أول من انبى لمقاومة هذه القرصنة الاروية ورد عاديتها عن سواحل المسلمين بالغرب اهل بجایة فانهم قد كانوا لهؤلاء القرصنة كيلابيكيل ، فاتخذوا منهم الاساطيل للغزو وأخذنوا في الهجوم على سواحل الافرنج مثل جنوة والبنديقية وسواحل ايطاليا واسبانيا ، فغنموا واسروا ، وكثيرون يومئذ عد

(١) راجع ابن خالدون ج ٦ ص ٢٩٠-٢٩٤ والأخبار السنّية ص ٢٧٠-٢٦٧ ط مصر ١٣١٧

الاسرى في بجاية حتى اشتد لغطتهم وصخبهم بالمدينة من أثر اجتياز السلاسل والاغلال ؛ ولمن انتصر بعد ظلمه فاوشك ما عليهم من سيل ولم تعدم الانسانية بحمد الله رجالا عاملين على المحافظة على شرفها والسمو بها الى مقامها الجديرة به في هذه الحياة ؛ فلقد كان لعملية القرصنة هذه استياء عظيم في قلوب الافارقة المسلمين فعملوا على عقد معاهدات بينهم وبين دول هذا البحر من الغربيين ؛ وحرضوا على توفير الضمانات وفرض التعويضات على الحسائر التي تتحقق رعايا الطوفين من جراء اعتداء القرصنة ؛ فتعهدت جميع الدول التي ابرمت تلك الوثائق بالعمل المشترك لاستئصال القرصنة ، ولقد نصت معاهدة (صبيو) في فصلها التاسع عشر على انه اذا ما اضطر الموحدون الى تجهيز مركب لمطــاردة احد القرصنة الجنوبيــين فان جمهــورية جنوة يجب عليها اذ ذاك ان تجهــز بدورها مركبا للمســاهمة في هذه المطــاردة ، وقد ادى الامر بالطوفين استيصالا لارباح القرصنة العفنة - الى تحضــير بيع الغــائم والاسرى وتسريح هؤلاء عاجلا بدون فداء ، بل قرر الجنــابان معا اتلاف مصادرة اموال القرصنة الذين يهاجمون رعايا الدول المتحــالفة ، ولكن بالرغم عن كل ذلك ظلت كل من اوروبا وافريقيــة تعجان بالاسرى المسلمين والمسيحيــين ، ولقد وازن المؤــرخ « لاطــري » وقابل في كتابه المذكور بين فظائع القرصنة المسيحــية وفظائع القرصنة الاسلامــية ، فلا يلاحظ ان المسيــحيــين يتــحملون قسطا وافرا من النــهب والتدمــير الذى ارتكــب باسم القرصنة البحــرية والذى نسب الى المغاربة وحدــهم (١) ؛ وما كان من حق المؤــرخ المذكور ان ينسب هذا العمل الشــنيع الى الاديان او يسمــيه بها ، فالقرصنة ليست هــي في شيء من الدين ، فلا هــي مسيــحــية ولا اسلامــية ، وانما هــي تطاول على الغــير حبا في الاثــرة والغلــبة ، وقد تكون دفاعا وذبا عن الحــمى وحيــئــند تتحقق بباب الجهــاد والحرــب وكل منهــما حدود وقوانين

الاسلام والنصرانية بالغرب

جاء في المعاهدة التي ابرمها السلطان المستنصر الحفصي سنة ٦٦٨هـ (١٢٧٠م) مع ملك فرنسا فيليب الحبرى ، وشارل دوق انجو ، وتيتو ملك نافار ، ن للرهبان والقساوسة المسيحيين الاقامة بالملكة الحفصية تحت رعاية الدولة الاسلامية ، ولهم اتخاذ الكنائس والاديرة لإقامة شعائرهم الدينية وطقوسهم التقليدية والقاء الموعظ الخ كما لو انهم كانوا في ديارهم وبين اظهر قومهم ، واعطيت لهم الارض الكافية لذلك ؛ فتكاثر يومئذ عدد النصارى ببجاية وغيرها من بلاد الجزائر وتونس وطرابلس ، وانتشرت معابدهم بها ، وذلك غاية في التسامح وفي التاريخ المذكور سقطت جزيرة «ميورقة» بيد «يعقوب» الاول ملك «اراغون» فذهب إليها الراهب الفرنسي «ريموند لول» فوجدها صالحة لبث تعاليم المسيحية ونشر مبادىء مذهبة «الفرانسيسكى» (١) فابتلى بهاديرًا لاجتماع الطائفية به واتخذه مركزاً للتبيشير بعقيدته ، وفيه أخذ في درس اللغة العربية ليستعين بها على تنصير المسلمين بالغرب ، ولقد بلغ هذا الراهب من الجرأة والحماسة إلى أن ألقى بحتفه في تونس عاصمة المملكة الحفصية وطفق يطعن في الاسلام ويستنقض رسوله الكريم فهم بقتله المسلمون لولا أن ادركته عنابة السلطان الحفصي فاتسلله من أيدي الرعية وانقذه من الردى وابقاءه أسيراً بتونس مدة ، ثم اطلق السلطان كلامه وفك اسره فارتاحل يومئذ إلى مدينة الجزائر ، ومنها انتقل إلى بجاية واستمر يعمل بها على خطته المعهودة في نشر دعوته التبشيرية معلنًا عداوته للإسلام فقتل هنالك يوم ١٧ ربیم الاول ٥٧١٥هـ (١٣١٥م)

(١) اسس القديس الايطالي «فرانسوا داسيز» المولود سنة ١١٨٢ والمتوفى سنة ١٢٢٦م وان تأسيس مذهبة هذا سنة ١٢٠٩م

المعتقدات والمذاهب الدينية

ما برج المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ينظرون الى علماء الاسلام وائمة مذاهبه والمجتهدين منهم واختلاف اقوالهم وآرائهم في احكامه وشرائمه لا يكتظون الى مذهب واحد وامام واحد، من غير تكير ولا تعصب ولا تحيز ولا اعتراض؛ فليس عندهم ترجح لهذا عن ذاك ولا تقاضل بين امام وامام او مذهب دون مذهب فالكل على هدى من ربهم ورحمة، والشريعة بينهم كالبحر من اى الجوانب اغترفت منه فهو واحد، وان ما ورد عن هؤلاء الاعلام من الاختلاف في الفتوى وبعض الفروع انما كان عن اجتهد وجد ودأب منهم رضي الله عنهم في خدمة هذا الدين الحنيف رحمة بال المسلمين ، وقد كان سفيان الشورى رحمة الله تعالى يقول : لا تقولوا اختلف العلماء في كذا وقولوا قد وسع العلماء على الامة بكلذ؛ اذ كلهم يغرفون من معين واحد سماوى كله خير وبركة ، واستمر الحال على ذلك الى ان حدث تقليد اهل المذاهب في القرن الرابع الهجري وابتدا الجدل.

وبينا المسلمون على ذلك في تقليدهم هذا مطمئنين خاشعين الى ربهم اذ فوجئوا بحادثة وقعت بمصر ايام دولة المماليك البحريية ، اختلف فيها الملوك الظاهر «بيبرس» العلائى البندقدارى ١٢٦٥-٥٦٧٦ والشيخ الاسلام الوزير تقى الدين بن بنت الاعز ، فذهب كل منهما غير مذهب صاحبه ، واغتنم حسدة الشيخ ومنافسوه فرصة هذا الخلاف المستحدث فزيروا للسلطان قول الحقيقة في المسألة اعترضا على الشيخ تقى الدين الذى كان يرى رأى الشافعية فيها ، وكان يومئذ لا يلي القضاء ولا يقدم للحكم بين الناس في مصر الا الشافعية . اتباعا لما كان عليه الايوبيون من قبل ، فتوسع السلطان الظاهر يومئذ ١٢٦٦-٥٦٦٥ في ديوان القضاء وجعله لاربعة فقهاء من اهل المذاهب الاربعة : شافعى وحنفى ومالكى وحنبلى ، وافتى فقهاء الامصار بوجوب تقليد اصحاب هذه المذاهب خاصة وتحريم ما عداها ، واقيمت لاهلها الخوانق والزوايا والربط ، وحيست

باسمها الاوقاف وعودي من تمذهب بغيرها وانكر عليه . ولم يول قاض ولا قبلت شهادة احد ولا قدم للخطابة او التدريس او الامامة بالمساجد احد مالم يكن مقلادا لاحد هذه المذاهب الاربعة (١) ولا ادرى ما حجتهم في ايجابهم تقلييد البعض من ائمة المذاهب دون البعض ، وكلهم عالم وكلهم مجتهد ؟ ... ولعل الانمة الذين رغبوا عن اقوالهم وعن مسائلهم الاجتهادية الشرعية هم اعلم بتلك المسائل او - ببعضها - من غيرهم ؟ ... ومن يدرى ؟

.... وكان ما ارادوا وانصرف الناس يومئذ الى تقلييد الانمة الاربعة واجتهدوا في استنباط الاحكام واستخراج النصوص الفقهية وتفریع المسائل الشرعية على مقتضى قواعد المذاهب الاربعة ، وتحول اليها طلاب الوظائف والمتطلعون الى نيل الجاهة وحيازة المناصب البارزة في الدولة (٢) وكان من المصادفة ان ظهر وقائد بمصر رجل زعم انه ولد الخليفة الظاهر بن الناصر العباسي ، وانه نجا بنفسه من مذبحه المغول ببغداد ، وبعد ان ثبت نسبه لدى حکومة مصر رسماً بايعه السلطان بالخلافة - تبركاً - ولقبه « بالمستنصر بالله » او « الحاكم بأمر الله » ، فتوهم البعض من سكان الامصار والممالك الاسلامية ان ما اشتهر مصر من وجوب الاقتصار على تقلييد هذه المذاهب الاربعة خاصة انا كان صادرا عن اذن الخليفة العباسي المقيم يومئذ هناك ، فامثلوا واطاعوا لدولة المماليك واقتصروا من ذلك العهد في اخذ

[١] خطط المقرizi ج ٢ ص ٣٤٤ ط بولاق ١٢٧٠ هـ . ولقطة العجلان ص ٢٣٤ ط استانبول

١٢٩٦

[٢] كان الشيخ محمد بن الدهان البغدادي المتوفى سنة ٥٥٩٠ هـ ١١٩٤ م حنبلياً فتشفع ، ثم تحنف حين طلب الخليفة نحويَا يعلم ولده النحو ، ثم عاد الى مذهب الشافعية حين شغرت وظيفة التدريس بالنظامية وكان من شرط صاحبها ان يكون المدرس بها شافعياً ، ولم يكن عهداً احد اعلم منه بالفقه والنحو - وكان الامام ابوحيان الاندلسي المتوفى سنة ٥٧٤٥ هـ ١٣٤٤ م ظاهراً يا ثم تشفع حين انتقله الى المشرق ، فتولى تدريس التقسيير بالمنصوريه والاقراء بالجامع الاقر بالقاهرة ، وكان يقول : محال ان يرجم عن مذهب الظاهر من علق بذهنه .

أحكامهم الشرعية عن فقهاء هذه المذاهب خاصة والغاء كل ما عداها ، ولم يشن في ذلك سوى الزبديه باليمن ، والشيعة بفارس والعراق ، والا باضية بعمان والمغرب فتم سك كل من هؤلاء مذهبهم ، وما شذ هؤلاء الطوائف الثلاث عن الامتثال لهؤلئه الامر الا لكونهم لا يرون صحة امامه العباسين ولا يعترفون بخلافتهم . ومنذ يومئذ انفردت المذاهب الاربعة بالانتشار والتمسك في البلاد وأخذ غيرها في الاندرس والتقلص تدريجيا الى ان أصبح الامر على ما هو عليه الحال الى الان (١)

(١) يذكر علماء الاحصاء ان اثنتي المذاهب ذيوعا وانتشارا في العالم الاسلامي اليوم هو مذهب ابي حنيفة ، فانه الغالب على بلاد الهند وان اتباعه هناك يقدرون بنحو ٤٨ مليون مسلم ، ويكتنر مقلدوه ايضا في بلاد العراق والشام والافغان والتركمستان — الشرقيه والغربيه — والقوفاز ، وهو الغالب ايضا على الاتراك والابانيين ، وسكان البلقان والاتحاد السوفيتى ؛ وفي البرازيل بamerika الجنوبيه نحو الخمسة والعشرين الف مسلم حنفي ، ويقدر الجميع بنحو ١١٨ مليونا حنفيا . وبليه في الديوب والانتشار مذهب الشافعية، فهو الغالب على القطر المصري — ما عدا الصعيد فافت اهل المالكية — وعلى بلاد فلسطين وببلاد الاقراد وأرمينية ، واكثر السنوية من اهل فارس شافعية — وفيهم الحنفية — (والاغلبية عندهم شيعة) وجميع مسلمي جزيرة سردينب - سيلان - وجزائر الفيليبين وجاءة وما جاورها من الجزر كاهم شافعية ، وكذلك اهل الهند الصينية واستراليا واهل عسير والسنويون في اليمن وحضرموت - عدا عدن - فان فيها بعض الحنفية ، كما انه يغاب اياضاعلى اهل الحجاز مع مذهب الحنبله ، ويتبعه نحو الربع من مسلمي الشام ، ويكتنر اتباعه بالعراق - اعني بعد المذهب الحنف - ويتبعه في الهند نحو المليون مسلم ، وفي تركيا نحو المليون ونصف شافعيه كما انه يوجد بقلة في جهات اخرى ، ويقدر المجموع بنحو ٧٣ مليون .

وبيله في نسبة عدد الاتباع للمذهب المالكي فانه الغالب على اهل المغرب الاسلامي وارض الصعيد والسودان والكويت وقطر والبحرين ، وله اتباع متقددون في العراق والجاز وفلسطين واكثر اهل السنة في الاحسنه مالكية وحنبله ، ويقدر مجموع المالكية بنحو ثلائين مليون .

اما الحنبله فانهم اظهروا ما يكون بتجدد والجاز بجانب المذهب الشافعى كما في فلسطين ايضا ، ونحو الربع من اهل السنة بالشام حنبله ، وهذا المذهب اتباع قليلون بقطر والبحرين من النازحين الى هذه البلاد من تجد ، ويقدر عدد اتباع المذهب الحنبلى اليوم بنحو اربع ملايين مسلم . وفي الجزائر اليوم بجانب المالكية نحو الاربعين الف اباضي ، وباضافية ما يجريه من اباضيه وهم ٢٠٠٠٠ نسمه ، وتابعان ٥٩٧٦٠٠ نسمة ، وما يجلب نفوسه بالقطر الطرابى ٤٨٠٠٠ نسمه ، كان مجموع عدد الاباضية زهاء ٧٠٥٦٠٠ نسمة .

وانظر ما قدمناه من كلامنا حول حركة المذاهب الاسلامية وتطورها بالجزائر في
الجزء الاول صفحة ٢٠١ - ٢١٩ - ٢٥٧ - ٢٩٤ - ٣٢٧ - ٣٥٠ - ٣٨١

وان هذا العمل وان كان فيه نوع من جمع كلمة المسلمين وتوحيد اتجاههم
وصد للاذاعب المغرضين وارباب الدعاوى العريضة فان فيه ايضا تضييقا لسعة الفقه
الاسلامى وتحجيرا للافكار الحرة وقلا للنشاط والبحث العلمى وتعطيلا للشريعة
بحمل الاكفاء من الناس على ترك الاجتهاد في تفهم الكتاب والسنة واستنباط
الاحكام على ما توجيه مقتضيات الحياة وعلى ما يقتضيه تقدم العلم وترقى العقل
البشرى واتساع مداركه ومدارجها وما يتजدد مع الزمان من حوادث ونوازل،
وفيه كذلك تسفيه لآراء المقدمين وطعن في جميع ما ذهبوا إليه من آراء كان لا
يرأها أصحاب المذاهب الاربعة ، في حين انهم كلهم كانوا لا يرون فيما عالموا
من شؤون المجتمع وما يبذلوه من وسع في الذب عن حقيقة الدين
وما انفقوا من جهود جبارة في استنباط الاحكام والاستدلال عليها بصحيح الكتاب
والسنة وتدوينها الاخدمة دين الاسلام الخالد الذي لا يسعه كل ما عرف من
مذاهبها - جميعها - الى اليوم فكيف يسعها الاقتصار على هذه الاربعة فقط !
وفي ذلك ايضا من الجمود المميت للقرائح ، والتضييع للعلم بالغاء ما احتفظ به الاوائل
من اثر صحيح او اجتهاد صائب ، ورحم الله شيخ الاسلام زكرياء الانصارى حيث
قال : « اياكم ان تبادروا الى الانكار على قول مجتهد او تخطئته الا بعد احاطتكم
بأدلة الشريعة كلها ومعرفتكم بجميع لغات العرب التي احتوت عليهما الشريعة
ومعرفتكم بمعانيها وطرقها ، فاذا احاطتكم بها كما ذكرنا ولم تجدوا ذلك الامر
الذى انكر تموها فجئتمكم الانكار والخير لكم ، واني لكم بذلك » ؟ !
وبالفعل انعدم يومئذ الاجتهاد واغلاق بابه بالمغرب الاسلامي كما ذكره العز بن
عبد السلام ٥٦٦٠ م - ١٢٦١ . وقل انصاره بالشرق ايضا .

ولو راجعنا رجال هذه المذاهب الاربعة انفسهم واستشرناهم فيما احدثه

المحدثون حول مذاهبهم لما وجدنا فيهم واحدا . رحمة الله تعالى يرى هذا التحجيز او قل التضييق ! ... فهذا امام دار الهجرة مالك بن انس نراه ينهى الخليفة ابا جعفر المنصور عما واجبه اليه عزيمته من حمل الناس على مذهبة قائلا : « لا تفعل ذلك يا امير المؤمنين ، فان الناس قد سبقت اليهم اقاويل ، وسمعوا احاديث ، ورووا روايات ، واحذ كل قوم بما سبق اليهم » ، وكذلك نجد الامام هذا فداء الناس وما اختار اهل كل بلد منهم لانفسهم » ، وكذلك نجد الامام هذا نفسه يؤكّد في دفع الخليفة هرون الرشيد عما هم به هو الاخر ايضا من تعليق كتاب الموطأ في الكعبة وحمل الناس على ما فيه ، فقال « يا امير المؤمنين لا تفعل فان اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الامة فكل يتبع ما صح لديه عنده ، وكل على هدي ، وكل يريده الله ، وان اصحاب رسول الله اختالفوا في الفروع وتفرقوا في البلاد وكل مصيبة » فقال لها الرشيد : وفقك الله يا ابا عبد الله ! ... وقد صح عن الشافعى ايضا انه نهى الناس عن التقىد حتى بمذهبها ، وهكذا كان منهاج جميع ائمة السلف رحمة الله تعالى ، فلم يبلغنا عن احد منهم انه امر اصحابه بالتزام مذهبها او الاقصرار على مذهب واحد معين ، بل المنقول والمقرر عنهم جميعهم انهم كانوا يحثون اصحابهم على الاجتهاد في اخذ الاحكام من مصدر الشريعة المطهرة ، وكانوا يرون ان التقىد في هذا معصية واشراف على خطر عظيم ، ذلك لأن الحوادث والوقائع في المعاملات لا تنتهي فلا بد اذا من الاجتهاد او الأخذ بجميع مذاهب الاسلام على الاقل ، نعم انهم كانوا يعملون بفتوى بعضهم بعضا ولكن كلهم لسان واحد يقول : اذا صح الحديث فذاك مذهبى ، فما معنى اذا هذا التضييق ؟! ... اللهم الا ان يقال ان ذلك كان موقفا وفي ظروف مخصوصة منعا لتسرب التعاليم الدخيلة في الاسلام فمسلم .

ويتصل بهذا ما يرجع الى مباحث اصول الدين وتشعب الجدل الديني في العقائد واحتلال ارباب الفرق والطوائف الاسلامية في المعتقدات وتقضي ارباب

انظار ائمة مذاهب علم الكلام واهل الاعتزال كما هو السائد يومئذ بالشرق ،
فإن ذلك كله لم يكن منه شيء بالغرب ، و خاصة في الجزائر فانها بريئة من ذلك ،
والناس فيها على عقيدة مذهب السنة والجماعة حسب اصول مذهب الاشعرى
وتعاليمه التي جاء بها ابن تومرت من الشرق الى هذه الديار ، الا ما كان من
جماعه الاباضية فان عقيدتهم ترمي الى الخارجيه (١)

وما كان اتحاد الناس هنا بالجزائر والمغرب قاطبة في عقيدتهم الاشعرية وبعدهم
عن الآراء الاخرى الا لتمسكهم بمذهب مالك ، وفي ذلك يقول عياض : « وقد
نظرنا طويلا في اخبار الفقهاء وقرانا ما صفت في اخبارهم الى يومنا هذا ، فلم
نر مذهبنا من المذاهب غيره - يعني المالكي - اسلام منه ، فان فيهم الجهمية - والرافضة -
والخوارج - والمرجئة - والشيعة - الا مذهب مالك فانا ما سمعنا ان احدا من قلد
مذهبه قال بشيء من البدع » (٢)

وفي هذا العصر ايضا اخذت الطرق الصوفية تنتشر باشتئار رجالها المؤسسين في
المشرق والمغرب ، كالقاديرية المنسوبة الى الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة
٥٦٥-١١٦٦ والشاذلية المنسوبة الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي المتوفي سنة
١٢٥٨ ، والنقبشندية المنسوبة الى الشيخ خواجة بهاء الدين نقشبند المتوفي سنة
٥٧٩١-١٣٨٩ والى هذه الطرق الثلاثة يرجع سند جل طرق المتصوفة المنتشرة
اليوم بالغرب الاسلامي وغيرها ، وكان يومئذ حدوث وظيفة او قل منصب شيخ
المشائخ بمصر ، احدثها السلطان صلاح الدين الايوبي ، غير ان الجزائر بقيت
نازحة عن الفكرة الطرقية هذه ولم تتأثر بها بهذه الصفة التي هي عليها اليوم الا
منذ العهد التركي العثماني فقط .

١) انظر الجزء الاول من الكتاب ص ١٧٨ و ٢٠١ والملل والنحل للشهر ستانى ج ١ ص
١٨٠ ط مصر ١٣١٧ هـ

٢) مقدمة كتاب المدارك ص ١٩ ط باليرمو ١٩١٠

اجل انه لم تكن ارض الجزائر منعزلة تماما او خلوا عن الفكرة الصوفية وطريق القوم ، الا ان علماء الشريعة بها كانوا بالمرصاد لاصحاب الشطحات والخرافات المبتدةعة فلم يجرأ يومئذ احد على ادعاء الطريق ما لم يكن حقا هو على قدم الجند واصراه ، واليك صورة مصغره عن موقف علماء الجزائر تجاه هذه الطبقة من الناس :

روى الغبريني في عنوانه عن عالم بجاية الشيخ أبي الحسن عبيد الله الأزدي المتوفي بها سنة ١٢٩٢-٥٦٩١ م قال انه كان متذمراً عن مقالة المتبسين وشعوذة المشعوذين غير مسامح في شيء مما يخالف ظاهر الشريعة ولا عامل على شطحات المتصوفة ، ولقد مضى بمسجده ابوالحسن الفقير (١) المعروف بالطيار مع صاحب لع من الفقراء ، ودخلوا عليه في وقت يحيى فيه المسجد ، وجلسوا من غير تحية فأمرهم بالتحية فقال له الطيار « ولذكر الله اكبر » وامتنع من الركوع ووقع بيته وينهم في هذا كلام ، وما ظهر منهم التوقف مع هذا المقال وعدم النزوع عن هذه الحال وقم العمل على نفيهم الى المغرب واخراجهم من البلد ؛ والنفي في حق هؤلاء وامثالهم قليل وانما الواجب ان يعاملوا بأسوء التمثيل ، وهؤلاء جملة اغبياء لا علم ولا عمل ولا تصوف ولا فهم وهم مع ذلك يجهلون الناس ويعتقدون ان مبناهم على اساس [٢]

١) هو لقب عام لاتباع طرق المتصوفة عندنا بالجزائر

٢) عنوان الدراسة ص ٦٣

الثقافة والحضارة وال عمران

لم تحد هذه الدولة في خطتها التمدنية عن ما قدمته في تاريخ دولة الموحدين وكيف تحيد عنها وقد درجت من مهدها وترعرعت من ايكتها وتغدت بلبانها... فكان معالم حضارة الحفصيين قائمة الى اليوم وآثارهم مشاهدة باقية بدار سلطانهم ومركز حكمهم -تونس- الى الان؛ فهذه قلاع ومناور وثكنات، وهذه معاهد وقصور ومرستانات ، وتلك مساجد ومدارس دور كتب واسواق وحمامات ، وهي كلها تميّز بطبعها الحفصي وشكلها الاندلسي الجميل المرتكز في تخطيطه على فن العمارة الصنهاجي وبنيات بني الأغلب .

والملاحظ على هذه الدولة انها قليلة الآثار بالجزائر وانها قصرت عن ايتها العبرانية بعاصمتها ملكها -تونس- دون بقية مملكتها المتعددة بالجزائر اللهم الا شيء تافه يسير كضيعة فرار التي احدثتها بالزار الغربي السلطان ابو العباس احمد الاول ١٤١٣-٥٧٧٢ م وتوسيع قصبة قسنطينة وجامعها الكبير سنة ١٤١٣-٥٨١٦ م على عهد يحيى المنتحب ، وتأسيس مسجد واركانه -وارجلان- بالجنوب الجزائري المرسوم على مأذنته اسم الامير ابي زكرياء الاول فقط ، ولا اعلم لهذه الدولة من آثار لها بالجزائر باقية غير هذه ولعل عذرها في ذلك هو انصراف الحكومة يومئذ الى احمد الفقين والثورات بالمغاربة -الاوسيط والادنى- واحتلال ولاة الامر بانقسام المملكة بين الجزائر وتونس واهتمامهم برد عاديت المزاحمين لهم من بنى مرین ومنافسيهم من بنی زیان وشیوخ العرب ورؤساء القبائل البربرية الخ... وايا ما كان فان فضل بنی ابي حفص على فن العمارة لا ينكر .

اما عن الاقتصاد فان الجزائر كانت مزدهرة بما فيها من اسواق قائمة وتجارة رائجة في انواع الحبوب والتمور والماشية والصوف ، وخاصة بمدينة قسنطينة وبجاية وسطيف وميلة والقلعة وارض الزراب ، وسيز القوافل كان يومئذ منظماً ما بين الجزائر والسودان ، وكذلك المواصلات بحراً ما بين المملكة

الحفصية والولايات الاطالية كقطلانية وصقلية وجنوة؛ فانه كان اهذا الدول الغربية معاهدات وعلاقات تجارية مع الجزائر وتونس وكانت لها محطات ومستودعات لتبادل التجارة منبئة بكمال سواحل الشمال الافريقي كمرکز بوتة وبجاية، فمن هذه كانت تستورد حاجياتها الضرورية من حبوب وزيت وسمك وصوف ومرجان وأنواع البسط والجلد الخ .. وذلك ما كانت الجزائر ولا تزال تغله الى الآن، وان المملكة الحفصية كانت بدورها كذلك تستورد من الخارج انواع الزجاج والمصوغ وادات الحديد الصناعية الخ . . فازداد بذلك ثراء الرعية ، وبلغت ثروة اسرة القائد نبيل عشرين قنطرة ذهباً ناصاً ومثلها من قيمة الجواهر والعقار والاثاث ! ...

وفي الميدان العلمي نرى التعليم يومئذ منتشر بالكتابات والمساجد التي هي معاهد الاسلام العالمية منذ وضم الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم حجر مسجد الاسلام بالمدينة من اول يوم الى الآن، ويكفيانا ان نعلم ان ما ذكره ابن خلدون في مقدمته الحافلة من انواع جميع العلوم والمعارف والفنون والصناعات انما كانت كلها تدرس بالمساجد ، ولقد تلقاها هو نفسه في المساجد، وكان رحمه الله يتطلع بنفسه لتفقيف طلبة العلم بالتدريس في مساجد الجزائر كما يؤخذ من سيرته في بجاية بمسجد القصبة على عهد ولايته الحجابة لامراء هذه الدولة، تلك هي المساجد التي هدمها وخر بها الاستعمار واخلي بقيتها من المدرسين ! ... وان حركة التأليف كانت مطردة بالجزائر كما تشهد بذلك كتب التراجم وفهارس العلماء ، فان مقدمة ابن خلدون وضعاها مؤلفها بالجزائر بقلمة بنى سلامة بالجنوب الغربي قرب مدينة «فرندة» من مقاطعة وهران سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٤م)، وان كلام من الامام عبد الرحمن الشعالي - واحمد المغراوى - واحمد بن يونس القسنتيني - وابي العباس احمد بن ادريس البجاوى - وحمزة بن محمد البجاوى - ومحمد ابن احمد الوانوغي - و محمد بن عبد القوى البجاوى - وبنته رقية - و محمد النقاوسي - ومنصور بن محمد المتنانى - وناصر بن احمد بن مزنی - واسرة

المشداً في آخرِين من العُبَّارِين البُنْغَاءِ الَّذِين لا يَقُلُون عن هُؤُلَاء ثَقَافَة وَعِلْمًا وَادِبًا
كَاهُمْ انجِبُهُمُ الْجَزَائِرُ الْحَفْصِيَّة ، وَإِذَا كَانَ أَبُو عَلِيِّ الْمَسِيلِيُّ الْمُعْرُوفُ بِأَبِي حَامِدِ الصَّغِيرِ
حِينَ يَشَارُ إِلَيْهِ بِالْتَّفَرِدِ فِي الْعِلْمِ يَقُولُ : أَدْرَكْتِ بِبِيجَايَةِ مَا يَنِيفُ عَلَى تِسْعِينَ مَفْتِيَا
مَا مِنْهُمْ مَنْ يَعْرِفُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيِّ الْمَسِيلِيِّ مَنْ يَكُونُ ، فَمَا ظَنَكَ بِالْأَدَبِ وَالنِّحَاةِ
وَالْمَحَدِثِيَّنِ وَغَيْرِهِمْ (١)

ويحدثنا الغبريني في عنوانه بشيء من التفصيل عن كتب الدراسة والفنون التي كانت تدرس عهداً في الجزائر، فهو يذكر لنا من دواعين امهات الفقهاء موطأ الإمام مالك والتهذيب للبرا ذي والجلاب والتلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي - ومحنثسر بن أبي زيد ورسالته الشهيرـة - والمدونة وكتاب عبد الله بن عبد الحكم - والتفريم لابن الجلابـ والتبصرة للبيهـيـ وكتب ابن العربي والمازري والقاضي عياضـ ولم يكن يومئذ يُعرف بالجزائر أو غيرها من بلاد المغرب مختصر خليل حتى جاء به محمد بن الفتوح التلمساني سنة ٥٨٠ هـ (١٤٠٢م) فاقبل عليه الناس وعنوا به وتناولوه بالشرح والتدريس مكتفين به عن بقية دواعين الفقه المالكي وأمهاته وفي الأصلين كتاب الارشاد لامام الحرميين والمستصفى للغزالـيـ والمعالـمـ وكتاب الباقلانـيـ وابن فوركـ والسـنـنـ للـشـافـعـيـ وكتاب ثالـيثـ بن سـعـدـ البـصـرـيـ وجامـعـ الخـيـراتـ لـسـفـيـارـ بنـ عـيـنةـ

وفي التفسير كتاب الكشاف للزمخشري واحكام القرآن لابي الحسن علي بن محمد الطبرى - والكشف والبيان عن تفسير القرآن لابي اسحاق احمد الشعابى - والتحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لابي العباس المهدوى - والوحيز في شرح كتاب الله العزيز لابن عطية المحاربى الغرناطى

وفي الحديث كل الصحاح - ما عدا ابن ماجة فإنه لم يذكره الغسيني في
برنامجه - وكتاب التمهيد لابن عبد البر القرطبي ، والمتقد للباسجى ،

١) عنوان الدراسة ص ٦٢٣

والمختار الجامع بين المتنقى والاستذكار للقاضى ابى عبد الله محمد بن عبد الحق التوسى ومسند احمد بن حنبل

واما علوم اللغة والادب فانها كانت تدرس بالجزائر في كتاب سيبويه والايضاح لابى الفارسى - والجمل للزجاجى - والعقد الفريد لابن عبد ربه - وزهر الاداب للحصري - والقانون لابى موسى الجزوی - والمفصل للزخشري - وادب الكتاب لابى محمد بن قتيبة - واماوى القالى - وديوان الحماسة لابى تمام وشعره وشعر المتنبى وابى العلاء ومقامات الحربرى - وقصيدة ابن دريد واما التصوف فانه كان يدرس في كتاب قوت القلوب لابى طاب المكى - والرسالة المنسوبة للقشيرى - وكتب ابى الفرج بن الجوزى - ورسالة فضل مكتبة لابى سعيد الحسن بن ابى الحسن البصرى

واما عن صناعة الطب فانها كانت - كما يقول الغبريني - اشد الصنائع ضياعا في بلادنا ذلك لانه يتعرضها الغث والسمين ولا يقع بينهما التمييز الا عند القليل من الناس؛ وهو يذكر لنا من كتب الطب المتداولة بينهم كتاب القانون لابن سينا وارجوزته المشهورة في الطب ، وكان معن برع في هذه الصناعة واشتهر امره يومئذ بالجزائر الطبيب ابن اندراس فانه كان ماهر ا فى علمه باحثا مجيدا تصدر لاقراء العربية والطب بجایة وكانت دروسه ومحالسه العلمية حافلة باذكياء الطلبة واعيان العلماء ويجرى فيها من الابحاث الدقيقة ما يعز وجوده في بطون الكتب ، وكان ابن اندراس هذا على راس الاطباء المختصين بقصر الامارة في بجایة وبها وضع ارجوزته في الادوية ، ثم استدعاه المستنصر الحفصي الى تونس فسلكه في طبة اطبائى المختصين به (١)

ولم يذكر لنا الغربيني عن كتب الفلسفة والمعقول شيئاً سوى علم المنطق فانه ذكر بأنه كان يدرس عندهم على طريقة الفارابي وابن سينا وغيرهما من الاقدمين والمحدثين والمتوسطين ، وذكر من كتب المعقول المتداولة بينهم كتاب النجاة والاشارات والتبيهات وكلها لابن سينا . والذى يبدو من كلام المقرى في ازهار الرياض وابن خلدون في مقدمته انه لم يكن ببلاد المغرب يومئذ تحقق قام وتمكن من ناصية فنون الفلسفة والعلوم العقلية ؛ بحيث اتنا لا نكاد نجد من آثارها ورسومها بالجزائر في هذا العصر الا قليلاً عند امثال القاضى محمد بن ابراهيم الاصولى واضرائه، ذلك ان اهلها مع قلتهم كانوا مضطهدىن من قبل علماء النقل الجامدين المتزمتين (١)

ويحدثنا التاريخ عن فخامة مكتبة الدولة الحفصية بما لم يعهد مثله يومئذ عند اى حكومة من الدول المعاصرة بالمغرب - وخاصة في اوروبا - فان عدد كتب المكتبة الدولية بلغ الى ست وثلاثين الف مجلد ؛ (٢) بينما كانت مكتبة باريس في مفتتح القرن الرابع عشر الميلادي لا تزيد على بعض عشرات من الكتب ، ومثلها كذلك مكتبة « اوكسفورد Oxford » من بلاد الانكليز فانها عهدت عباره عن صندوق واحد فيه بعض مجلدات مجعله تحت رحمة رئيس رهبان كنيسة مریم

ورغم كل ما ذكرنا من تقدم الحضارة وتوفر اسباب الثقافة والمدنية في هذا العصر فقد سجل التاريخ عجز دولة الحفصيين عن وقاية المغرب من سقوطه من قمة مجده الشامخ التي تبأها ايام دولة الموحدين ، ولكل امة اجل

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٤ وأزهار الرياض ج ٣ ص ٢٦

(٢) مما يذكره التاريخ بكل اسى ان هذه الكتب التي جمعها ابو زكرياء الاول تفرقت وبيعـت سوقـ الكتبـيين بتونـس أيامـ حركـة الـاحـيـانـيـ الىـ قـابـسـ اوـائلـ سنـةـ ١٣١٧ـ هـ ٧١٧ـ مـ وـ لـقـدـ كانـ وـنـ حـسـنـ الجـدـ انـ عـوـضـهـ الـاـمـرـاءـ بـعـدـ بـمـكـنـيـاتـ شـتـىـ

انهيار الجزائر الحفصية

لم تزل الدولة الحفصية حاكمة على القطر الجزائري إلى أن دهمها الشقاء ونخر عظمها الخلاف والاقتراق وظهر في الولاية والرؤساء حب الترف والاسراف والانهماك في الشهوات، فذهبت هيبيتهم من الصدور وخلت عن توقيرهم النفوس، فاستطاع بالدولة سماع سوء وخفت نشاطها السياسي، وشعر الاجانب بضعفها فارتاح لها اهل الحروب الصليبية فهاجمها لويس التاسع ملك فرنسا ومات هناك بتونس كما تقدم؛ وهاجمها ايضاً كارلوس صاحب صقلية؛ وذهب التسيه يومئذ بالاسبان الذين انتصروا يومئذ على المسلمين بالانداس إلى غزو القطر الجزائري فاحتلوا المرسى الكبير بوهران سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) وزحفوا نحو تلمسان ومستغانم وتداس - دلس - وبجایة واستولوا على قلعة مرسي «الجزائر» فهدموا منها منارها الذي انشأه المسلمون لمراقبة العدو منه وبنوا مكانه حصن «البنيون» وقد كان ذلك سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠ م) بقيادة «الكونت دونافار»؛ ويومئذ خرج إلى الجزائر الحفصي المقيم بقسنطينة متوجرياً إلى قلعة بنى عباس فاستقر بها إلى أن ظهر الاتراك العثمانيون بتونس فقاومهم السلطان الحفصي الحسن بن محمد مستعيناً عليهم بالاسبان؛ فتحولوا عنه إلى مدينة «حيجل» بالجزائر ففتحوها سنة ٩١٩ هـ (١٥١٣ م). وكانت ولاية بونة لامحمد بن الحسن الحفصي فنزل عنها للاسبان جزاء حمائهم ودفعهم عن تونس ضد الاتراك . وبقى هو مقيناً بها إلى أن بويح له بالملك مكان أبيه سنة ٩٤٣ هـ (١٥٣٦ م) فانتقل يومئذ إلى تونس ، وكان ذلك آخر العهد بالدولة الحفصية في الجزائر

وتمكن البرتغاليون يومئذ من احتلال بعض المراكز الهامة من الشمال الافريقي فأقاموا فيه محارس ومحصوناً، واضحت الاراضي الداخلية نهباً متنازعاً بين بدأة الاعراب والقبائل البربرية - او قل المغربية - المستقلة التي كانت تأبى الخضوع والطاعة لنظام الدول الوطنية **الحاكمة**، فضلت متحاربة متنافرة تفسح للجانب

فرصة النصر والظفر ؛ وكان ذلك كله سبباً مباشراً في تدهور الدولة الحفصية واضحة حلال سلطانها وتضييع كيانها ، فسقطت نهائياً بيد الاتراك الفاتحين يوم ٢٥ جمادى الاولى سنة ٩٨١ هـ (٢٤ سبتمبر ١٥٧٣ م) وأسر آخر ملوكها محمد بن الحسن فنقل من تونس إلى استانبول وبقي هنالك إلى وفاته بها ، وبانتقاله انقرضت دولة الحفصيين من المغرب بعد ما حكمت ٣٥٤ سنة قضت منها بالجزائر ٣١٥ سنة

ولاية الجزائر وزعماؤها

كان من أشهر ولاة الجزائر - فاتحة عهد الدولة الحفصية - الامير ابو زكرياء سبي الاول ، حيث ولاده ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ولاية بجایة ، وجعل وزارته ليحيى بن صالح بن ابراهيم ، ومشورته لابن ابي مهدي ، وجيشه لعبد الحق بن ياسين ، وعقد للعباس بن منديل على بلاده مغراوة بشلف وكانت حاضرتها مليانة ، ومنحه بها شبه استقلال وتصرف داخلي ، فاتخذ العباس ذلك ذريعة لاظهار ابهة الملك وشارفة السلطان . وكان يومئذ عبد القوي بن العباس بن منكوش على ولاية توجين

ولما فتح السلطان ابو زكرياء الاول مقاطعة قسطنطينة سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) اقطعها البنو النعمان - هم من قبيلة هناتة بالمغرب الاقصى - ام يزوالا ولاية بها الى ان نكوا على يد السلطان المستنصر سنة ٦٥١-٦٥٣ م فتولاها يومئذ ابن كلدان سن من مشيخة الموحدين - فأقام هو بتونس واناب عنه ابا بكر بن موسى بن عيسى الکومي المعروف بابن الوزير ، فمكث هذا بقسطنطينة الى ان عين من طرف المستنصر محافظاً بها

ولما استبد ابو على الملاني بعاصمة مغراوة - مiliانة - سنة ٦٥٩-٦٦١ م (١٢٦١-١٢٦٣ هـ) له السلطان المستنصر الاول اخاه الامير عمر فأخضعه ، وفي عودة الامير من غزاته هذه وافاة - وهو بطريقه الى تونس - عقد الولاية على بجایة جزاء بطولته

وموقفه الحربي ضد الشّائـر الملياني المستبد بمغرـاوة ؛ فامتنع عمر من قبول هذه الولاية واستعنـى أخاه السلطـان منها فأعفـاه وولـى عليهـا يومـئـذ ابا هـلال عـيـاد بن سعيد الـهمـتـاتـيـ، فـمـكـثـ بهاـ إـلـىـ وـفـاتـهـ بـقـرـيـةـ بـنـىـ وـرـارـ سـنـةـ ١٢٧٤ـ٦٧٣ـ مـ، فـخـلـفـهـ عـلـيـهـاـ ولـدـهـ مـحـمـدـ، فـيـخـشـىـ السـطـانـ اـسـبـادـاـهـ فـأـشـرـكـ مـعـهـ فـيـ الـعـمـلـ اـبـاـ العـلـاءـ اـدـرـيسـ بـنـ اـبـيـ الـمـلـكـ الغـافـقـ وـجـعـلـهـ عـلـىـ اـشـغـالـ بـجـاـيـةـ، وـكـانـ ذـلـكـ بـسـعـىـ مـنـ اـخـهـ كـاتـبـ الـدـوـلـةـ اـبـيـ الجـيـرـ؛ فـوـجـدـ مـحـمـدـ بـنـ هـلـالـ فـيـ ذـلـكـ مـضـايـقـةـ لـهـ، فـعـمـلـ عـلـىـ التـخلـصـ مـنـ اـبـيـ العـلـاءـ بـقـتـلـهـ فـيـ ذـيـ القـعـدـةـ ٥٦٧٧ـ مـارـسـ ١٢٧٩ـ مـ وـيـقـولـ الغـبرـينـيـ اـنـهـ لـمـ اـنـقـصـلـ حـيـشـ بـجـاـيـةـ مـعـ جـيـشـ اـفـرـيقـيـةـ لـحـصـارـ مـلـيـاـنـةـ، وـبـقـيـتـ الـبـلـادـ شـاغـرـةـ عـاـثـ المـفـسـدـوـنـ فـيـ الـخـارـجـ وـافـسـدـوـنـ وـامـتـدـتـ الـاـيـدـيـ وـوـقـعـ هـرـجـ عـظـيمـ، فـقـامـ بـأـمـرـ النـاسـ قـاضـيـ بـجـاـيـةـ وـأـمـامـ جـامـعـهـ الـاعـظـمـ الشـيـخـ اـبـوـ العـبـاسـ اـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـغـماـزـ الـانـصـارـيـ وـوـقـفـ خـيـرـ مـوـقـفـ وـحـفـرـ الـحـفـيرـ عـلـىـ الـبـلـادـ وـشـيـدـ مـاـ اـحـتـاجـ إـلـىـ التـشـيـيدـ مـنـ اـسـوـارـ وـظـهـرـ مـنـ عـقـلـهـ وـفـضـلـهـ وـبـنـلـهـ وـجـدـهـ وـاجـتـهـادـهـ مـاـ حـمـدـ بـهـ اـمـرـةـ وـجـلـ بـهـ قـدـرـةـ (١)ـ فـعـدـ بـذـلـكـ مـنـ زـعـمـاءـ الـجـزـائـرـ وـرـؤـسـائـهـ الـعـامـلـيـنـ؛ اـمـاـ قـسـنـطـيـنـيـةـ فـقـدـ كـانـ عـلـىـ رـاسـ قـيـادـةـ حـيـوـشـهـاـ فـيـ التـارـيـخــ اـيـامـ الـواـقـعـ (٥٧٨ـ٦٧٥ـ ١٢٧٧ـ ٥٧٩ـ ١٢٧٩ـ مـ)ـ عـبـدـ العـزـيزـ بـنـ عـيـسـىـ بـنـ دـاـوـدـ الـهـمـتـاتـيـ

وـفـيـ سـنـةـ ١٢٨٠ـ٥٦٧٩ـ مـ وـلـىـ السـلـطـانـ اـبـرـاهـيمـ اـلـاـوـلـ وـلـدـهـ اـلـاـكـبـرـ اـبـاـ فـارـسـ عـبـدـ العـزـيزـ عـلـىـ بـجـاـيـةـ، وـجـعـلـ حـيـجـابـهـ لـمـحـمـدـ بـنـ اـبـيـ بـكـرـ بـنـ خـلـدونـ جـدـ الـمـؤـرـخـ الـاقـرـبـ، وـلـمـ تـكـدـ تـمـرـ ثـلـاثـةـ اـشـهـرـ وـثـلـاثـةـ عـشـرـ يـوـمـاـ عـلـىـ حـيـجـابـهـ اـبـنـ خـلـدونـ هـذـاـ حـتـىـ قـتـلـ عـلـىـ يـدـ اـبـيـ عـمـارـةـ الدـاعـىـ. وـفـيـ سـنـةـ ١٢٨٢ـ٥٦٨١ـ مـ قـتـلـ عـاـمـلـ قـسـنـطـيـنـيـةـ اـبـوـ بـكـرـ بـنـ الـوـزـيـرـ اـقـتصـاصـاـ مـنـهـ بـسـبـبـ خـلـمـ طـاعـتـهـ وـثـورـتـهـ ضـدـ الـحـفـصـيـنـ، وـكـانـ قـتـلـهـ عـلـىـ يـدـ عـبـدـ العـزـيزـ الـهـمـتـاتـيـ قـائـدـ الـجـيـوشـ الـاـعـلـىـ بـقـسـنـطـيـنـيـةـ؛ وـجـعـلـ مـكـانـهـ اـبـوـ مـحـمـدـ بـنـ بـوـفـيـانـ الـهـرـغـىـ

وفي سنة ٤٦٨٥-١٢٨٥ م عاد يحيى بن ابراهيم لامتلاك بجاية بمساعدة الدواودة ، فانتصر في حركته هذه واستقل بملكية الجزائر وكان بذلك اول من قسم الملكة الخصبة الى شطرين : غربية وشرقية ؛ واتخذ لنفسه لقب «الم منتخب لاحياء دين الله » وجعل حججاته لابي الحسن بن سيد الناس الاشبيلي فلما توفي الحاجب المذكور ١٢٩١-١٩١٠ م خلفه ابو القاسم بن ابي حي الاندلسي ؛ وفي سنة ٤٦٩٨-١٢٩٨ م عهد الم منتخب لابنه خالد بولاية عهده وولاه على قسنطينة؛ وكانت اقامة الم منتخب تارة بقسنطينة وتارة ببجاية، ولم يزل كذلك الى ان وفاه اجله ببجاية سنة ٥٧٠٠-١٣٠٠ م . وبعد وفاته انتقل ولده خالد الى بجاية فاستوزر بها يحيى ابن ابي الاعلام ، وجعل القيام بشؤون دولته لابي عبد الرحمن بن عمر، وولى قسنطينة على بن الامير الهمданى صهر الحاجب بن ابي حي ؛ وفي سنة ٤٧٠٥-١٣٠٥ م عزل الحاجب المذكور بتهمة مواليته لابي عصيدة خصم الامير خالد وتولى مكانه ابو عبد الرحمن يعقوب بن غمر السلمى؛ ويومئذ غير ابن الامير سياسته تعصبا لصهره وحول وجهته نحو ابي عصيدة فدعاه ونادى باسمه ملكا، فنهض الامير خالد الى قسنطينة فقتل عاملها المذكور واستعاد قسنطينة لطاعته

وما انتقل الامير ابوالبقاء خالد بن يحيى الى تونس سنة ٤٧٠٩-١٣٠٩ م عقد لعبد الرحمن بن المزار ويعقوب بن خاوف الصنهاجى على بجاية تحت رعاية واشراف الحاجب ابن غمر، وبصعى من الحاجب المذكور عقد لاخيه ابي بكر بن يحيى على قسنطينة وكان قد ولد ونشأ بها ؛ ولما صار الامر الى السلطان ابي بكر هذا الملقب : (المتوكل على الله) وانتقل من قسنطينة الى تونس سنة ٤٧١٨-١٣١٨ م استقل الحاجب بن غمر بولاية قسنطينة وما والاها من التراب الجزائري الى ان توفي بعد ذلك بسنة ، فولى السلطان يومئذ اعمال الجزائر لبنيه : فيجعل ولاية قسنطينة لابي عبد الله محمد المزداد والناشيء بها؛ وبجاية لابي زكرياء يحيى ؛ وبونة - عنابة - للفضل ؛ وبعث معهم الحجاب والوزراء والقادرة ؛

ثم تولى على اعمال قسنطينة الامير ابو العباس احمد بن السلطان ابي يحيى ابي بكر ١٣٣٤-٥٧٣٥ م وكان على حجابتة ابو القاسم بن عموم من مشيخة الموحدين و في سنة ١٣٣٩ هـ هلك محمد بن السلطان ابي يحيى ابي بكر عامل قسنطينة . فتولى مكانه ولده ابو زيد عبد الرحمن تحت كفالة مولاهم نبيل . ولما هلك ابو زكريا والي بجاية نجل السلطان سنة ١٣٤٦ هـ - ٧٤٦ م قدم البحائيون مكانه ابنه محمدأ ، وكان حاجبه فارح المعلوحي بن سيد الناس ، واستمر ابو زيد محمد على ولايتهما هذه الى يوم استيلاء ابي الحسن المريني على المملكة الحفصية سنة ١٣٤٦-٥٧٤٨ م فشرد امراء بنى ابي حفص ، ونقل محمدأ الى ندرومة وعبد الرحمن واخوه الى وجدة . وابقى صهره الفضل بونته .

وفي سنة ١٣٥٥ هـ - ٧٥٦ م نهض ابو زيد عبد الرحمن بن محمد من عمله بقسنطينة فدخل بونته مستنصرها عممه الفضل واجلب على تونس تاركا ولايته لأخيه ابي العباس احمد . ثم بعد سنة وقعت ولاية قسنطينة بيد المرينيين فقبضوا عليه ونقلوه الى سبتة .

وفي سنة ١٢٦٠ هـ - ٧٦٢ م اقطع ابو العباس امير بجاية ولد أخيه ابا عبدالله محمدأ اعمال بونته ، واشتهر من رؤساء الحنيد بجاية يومئذ القائد البشير وفي رمضان سنة ١٢٦٤ هـ - جوان ١٣٦٤ م احتل الامير محمد بجاية واقتله بمعاضدة بنى مرین من يدعوه ابي اسحاق ابراهيم ؛ واستدعي ليحجاته من خبرة المغرب الاسلامي عبد الرحمن بن خلدون وكان عبد الرحمن هذا يومئذ صاحبة السلطان ابي سالم المریني بفاس . فبعث بأخيه يحيى كنائب عنه وحافظ على الرسم الى ان عاد اخوه عبد الرحمن بن خلدون من الاندلس فاستقل بحمل اعباء الملك وتدبر السياسة بجاية ، وبادر بنفسه التدرس والخطابة بجامع قصبتها نحو سنتين الى ان سعى به خصومه ومنافسوه الى السلطان ابي العباس احمد فيخرج ابن خلدون من بجاية الى بسكرة بعد ما عاش في كتف الجزائر وتحت رعاية ملوکها الحفصيين

نحو سنتين ، ولما انتقل السلطان الى تونس ١٢٧٠-٥٧٧٢ م اصتحب معه اخاه ابا زكرياء وقله من ولاية بونته الى منصب الحجابة بتونس ، وجعل مكانه ولده محمدما ومن هنا بعث السلطان بولديه محمد وابراهيم الى الجزائر فجعل الاول على بجاية والثاني على قسنطينة ، وارسل معهما القادة والحجاج .

وفي سنة ٧٧٣ هـ - ١٣٧١ م عقد السلطان على قسنطينة لقائد بشير ، وبعد وفاته سنة ٧٧٩ - ١٣٧٧ م جعل السلطان هذه الولاية لولده ابي اسحاق ابراهيم مستقلا بها ، وقد كان بها من قبل تحت وصاية القائد نبيل لمكان صغرها . ولما توفي الامير محمد صاحب بجاية سنة ٧٨٥ هـ - ١٣٨٣ م خلفه في منصبه ولده احمد اما اخوه ابراهيم صاحب قسنطينة فانه توفي بعد اخيه بثاني سنوات وخلفه في ولايته كاتبه ابراهيم بن يوسف الغمارى ٧٩٣ هـ - ١٣٩١ م

وبعد ان استولى السلطان عزوز الحفصي على قسنطينة واحتلها في رمضان ٥٧٩٨ جوان ١٣٩٦ م قدم لقيادة الجندي بها قائده نبل ، وجعل على قصبتها الشیخ قاسم بن احمد بن تافراکین التینملي ، وولى اخاه زكرياء على بونته ثم نازل بذلك نواحي لوراس فضل الطريق هو وجنته وكاد ان يهلك .

وفي سنة ١٤٠٧-٥٨١٠ م انتصر المرنييون للامير محمد الحفصي المنهزم اليهم فأمدوه بالأسلحة والعتاد الحربي ، حتى اشتد ساعده وعظم باسه فتقوى بذلك على فتح بجاية ، وعقد لابنه المنصور عليها ، فنهض السلطان عزوز مقاومة الامير محمد الى ان ظفر به فقتلته في المحرم ٨١٢ هـ - مای ١٤٠٩ م واسر ولده المنصور وجعل ولاية بجاية لابي البقاء خالد ، ثم عزل ابو البقاء هذا بالمعتمد بن السلطان ابي فارس سنة ٨٢٤ هـ - ١٤٢١ م ثم عزل كذلك المعتمد سنة ٨٣٤ هـ - ١٤٣٠ وتولى مكانه القائد ابو نعيم رضوان مملوك السلطان .

وفي هذه السنة قتل النزاودة قائد قسنطينة جاء الحمير في معركة كانت بينهم فعقد السلطان ابو فارس لمملوکه محمود عليهما ، فدخلها في ثاني عشر رجب

الدولة الحفصية

- ٥١ -

ثـامـنـ اـفـرـيلـ منـ سـنـتـهـ هـذـهـ ؛ وـ فيـ سـنـتـهـ ١٤٣٣ـ هـ ١٣٧ـ مـ وـ لـىـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ الـمـتـصـورـ عـلـىـ قـسـنـطـيـنـةـ أـخـاـهـ أـبـاـعـمـرـ عـمـانـ وـ جـعـلـ وـلـاـيـةـ بـجـاـيـةـ لـعـمـهـ أـبـيـ الـحـسـنـ عـلـىـ بـنـ عـزـوزـ أـبـيـ فـارـسـ . وـ فيـ سـنـتـهـ ١٤٣٦ـ هـ ٨٤٠ـ مـ تـنـازـعـ وـالـيـةـ بـجـاـيـةـ عـلـىـ قـسـنـطـيـنـةـ عـمـانـ اـخـ الـمـتـصـورـ مـعـ عـمـهـ عـلـىـ بـنـ عـزـوزـ صـاحـبـ بـجـاـيـةـ عـلـىـ الـمـلـكـ فـتـحـارـبـاـ وـ كـانـ النـصـرـ بـيـنـهـماـ سـجـالـاـ وـ اـخـيرـاـ تـغـلـبـ عـمـانـ عـلـىـ عـمـهـ وـ دـخـلـ بـجـاـيـةـ فـيـ جـمـادـيـ الثـانـيـةـ ٨٤٣ـ هـ - نـوـفـمـبرـ ١٤٣٩ـ هـ فـوـلـىـ عـلـيـهـ اـبـنـ عـمـهـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ بـنـ اـحـمـدـ فـاغـتـيـلـ هـذـاـ اوـائـلـ سـنـتـهـ ٨٤٦ـ هـ ١٤٤٢ـ مـ وـ خـلـفـهـ اـخـوـهـ اـبـوـ مـحـمـدـ عـبـدـ الـمـلـكـ ؛ كـاتـولـاـهـ كـذـلـكـ مـحـمـدـ اـبـنـ فـرجـ سـنـتـهـ ٨٤٥ـ هـ . ثـمـ فـيـ سـنـتـهـ ٨٥٦ـ هـ - ١٤٥٢ـ مـ اـعـتـقـلـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ اـحـمـدـ بـتـونـسـ وـ تـوـلـىـ مـكـانـهـ اـحـدـ مـوـالـيـ السـلـطـانـ ، فـأـصـبـحـ اـلـجـزـائـرـ يـوـمـئـذـ يـدـ الـمـوـالـيـ ، وـ فـيـ هـذـهـ سـنـتـهـ كـانـتـ وـلـاـيـةـ بـسـكـرـةـ لـقـائـدـ اـبـيـ زـيـدـ عـبـدـ الرـحـمـنـ الـكـلـاعـيـ .

وـاشـهـرـ مـنـ رـؤـسـاءـ تـبـسـةـ فـيـ سـنـتـهـ ٧٥٣ـ هـ - ١٣٥٢ـ مـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـوـنـ ، وـمـنـ رـؤـسـاءـ عـرـبـ رـيـاحـ الـمـقـيـمـينـ بـضـواـحـيـ قـسـنـطـيـنـةـ وـ بـجـاـيـةـ حـوـاليـ سـنـتـهـ ٧٨٨ـ هـ ١٣٨٦ـ مـ يـعـقـوبـ بـنـ عـلـيـ بـنـ اـحـمـدـ ؛ وـ فـيـ سـنـتـهـ ٨٥٩ـ هـ - ١٤٥٥ـ مـ عـقـدـ السـلـطـانـ لـوـلـدـهـ عـبـدـ الـعـزـيزـ عـلـىـ بـجـاـيـةـ وـاضـافـ إـلـيـهـ كـذـلـكـ وـلـاـيـةـ قـسـنـطـيـنـةـ وـاعـمـالـ بـسـكـرـةـ وـقـرـتـ ، وـ فـيـ سـنـتـهـ ٨٦٧ـ هـ - ١٤٦٢ـ مـ عـقـدـ السـلـطـانـ لـفـيـدـهـ مـحـمـدـ الـمـنـصـورـ بـنـ مـحـمـدـ الـمـسـعـودـ عـلـىـ وـلـاـيـةـ قـسـنـطـيـنـةـ وـ جـعـلـ بـيـنـ يـدـيهـ مـزـوارـاـ القـائـدـ اـبـاـعـلـىـ مـنـصـورـ الصـيـانـ ، وـ القـائـدـ بـشـيرـاـ عـلـىـ الـمـدـيـنـةـ .

وـكـانـتـ رـآـسـةـ الزـابـ لـبـنـيـ مـزـنـيـ ، اـشـهـرـ مـنـهـمـ الـفـضـلـ بـنـ عـلـيـ وـ وـلـدـهـ الـمـنـصـورـ وـابـنـهـ يـوـسـفـ وـ عـلـيـ وـ حـسـنـ وـ أـحـمـدـ ؛ وـ رـآـسـةـ بـنـيـ تـلـيـلـانـ الـمـعـرـوـفـينـ باـسـمـ اوـلـادـ ثـابـتـ الـمـقـيـمـينـ بـجـبـلـهـمـ الـمـطـلـ عـلـىـ الـقـلـ شـمـالـ مـيـلـةـ وـ قـسـنـطـيـنـةـ لـلـحـسـنـ بـنـ اـبـراهـيمـ بـنـ اـبـيـ بـكـرـ اـبـنـ ثـابـتـ ، وـ آـخـرـهـمـ عـلـىـ وـرـئـاسـةـ قـبـائلـ سـدـوـيـكـشـ بـالـبـسـائـطـ الـوـاقـعـةـ بـيـنـ قـسـنـطـيـنـةـ وـ بـجـاـيـةـ هـيـ لـاوـلـادـ سـوـاقـ ثـمـ كـانـتـ لـبـنـيـ سـيـلـيـنـ ، وـ كـانـ مـنـ اـشـهـرـ الرـؤـسـاءـ فـيـ اوـلـادـ سـوـاقـ عـلـيـ بـنـ عـلـاـوـةـ بـنـ سـوـاقـ ، ثـمـ اـبـنـ اـبـاؤـهـ : طـاحـيـةـ فـيـهـيـ

فمنديل الذي عزله السلطان ابو بكر وادال منبني علاوةبني عمهم اولاد يوسف بن حمو بن سواد . وممن اشتهر من رؤساء احياء سدويدش القاطنين بجبل بابور وما اليه من نواحي بجاية : صخر بن موسى ، اختصه السلطان ابو يحيى بهذه الرأسة وكانت له مقامات في خدمته وعرف بالسوء لابنه الامير اي حفص ، فلم يزد معه الى ان اوقع بنو مرین بناحية قابس فقطعه السلطان ابو الحسن المرنوني من خلافه ثم هلك ، فخلفه حيئذ ابنه عبد الله وكان له شأن في خدمة صاحب بجاية الى ان هلك اعوام الثمانين فخلفه ابنه محمد [١] وكانت رأسة وادي ربع ، بالجنوب الجزائري ، للدواودة ، اشتهر منهم عبد الله بن يوسف بن عبد الله ، ثم انساؤه داود فيوسف فمسعود ، ثم الحسن بن مسعود ثم ابنه احمد الذي تولى رئاسة قومه على عهد ابن خلدون ؛ وحاضرتهم يومئذ مدينة تقرت . وكان يوسف بن حسن ايضا من بيت مشيختها فامتنع يوما من اداء جبایته للسلطان اي عمر وعثمان سنة ٨٥٣ - ٩٤٩ م فاقتصر عليه السلطان المدينة واسرة في بنيه واهله وذويه . ورئاسة تمايسين ، من وادي ربع كذلك كانت لبني ابراهيم الريغين ، ورئاسة وارقلة لابي بكر بن موسى بن سليمان من بني اي غبول - فيخذد من بنى وكير احدى بطون بنى واركلة - اما رئاسة ولها صفة بسيط بونته هي لعسكر بن بطان من بنى عريف ، ورئاسته لواته بنواحي بجاية كانت لولد راحيج بن صواب الملوati ، ومشيخة قبيلة بنى ايراتن الزواوية كانت لبني عبد الصمد ، وقد ترأست فيهم امرأة تدعى شمس ، كان لها عشرة بنين . ويبدو ان آخر ولاة الحفصيين بالجزائر هو الامير احمد بن الحسن ، ولـه اعمال بونته ايام والده السلطان الحسن بن محمد الى ان نبذ التونسيون عهـد والـه وباعوا ولـده المذكور مكانه سنة ٩٤٦-١٥٣٦ م كما تقدم الاماء الى ذلك . اما عن رئاسة البحر وقيادة الاسطول الحفصى فإني لم اقف على تسمية رجال هذا السـلـك سوى اسم زيدون بن فرحون مع انه كان لهـذا الاسـطـول حرـكة مستـمرة بهذا الـبـحـرـ

[١] ابن خلدون ج ٦ ص ١٤٩ - ١٥١

ملوك الدولة الحفصية

تاريخ التولية

م ١٢٢٩	٥٦٢٧	ابوزكريا يحيى (الاول)
م ١٢٤٩	٥٦٤٧	ابوعبد الله محمد (الاول) المنتصر
م ١٢٧٧	٥٦٧٥	ابوزكريا يحيى (الثاني) الواثق
م ١٢٧٩	٥٦٧٨	ابواسحاق ابراهيم (الاول)
م ١٢٧٣	٥٦٨١	احمد بن مرزوق بن ابى عماره (الدعى)
م ١٢٨٤	٥٦٨٣	ابوحفص عمر (الاول) المستنصر
م ١٢٨٤	٥٦٨٣	ابوزكريا يحيى المنتخب لاحياء دين الله
م ١٢٩٥	٥٦٩٤	ابوعبد الله (ابو عصيدة) محمد (الثاني) المنتصر
م ١٢٩٥	٥٦٩٩	ابوالبقاء خالد الناصر (الاول) - بيجاوية ، ثم انفرد بالحكم
م ١٣٠٩	٥٧٠٩	ابوبكر (الاول) الشهيد - بيجاوية ، ثم انفرد بالحكم
م ١٣٠٩	٥٧٠٩	ابوالبقاء (الاول) الناصر
م ١٣١١	٥٧١١	ابوبكر (الثاني) المتكول - بقسنطينة وبجاية
م ١٣١٧	٥٧١٧	ابويحيى زكرياء الاجياني
م ١٣١٧	٥٧١٧	ابوضربة محمد (الثالث) المستنصر
م ١٣١٨	٥٧١٨	ابويحيى ابوبكر (الثاني) المتكول
م ١٣٤٦	٥٧٤٧	ابوحفص عمر (الثاني)
م ١٣٤٨	٥٧٤٩	ابوالعباس احمد (الاول) الفضل - بقسنطينة وبجاية
م ١٣٤٨	٥٧٤٩	ابوزيد عبد الرحمن - بقسنطينة
م ١٣٤٨	٥٧٤٩	ابوعبد الله محمد المنصور - بيجاوية
م ١٣٤٩	٥٧٥٠	ابوالعباس احمد (الاول) المتكول - نهائيا

تاریخ التولیة

م ١٣٥٠ هـ ٧٥١	ابواسحاق ابراهيم (الثاني) المستنصر
م ١٣٦٠ هـ ٧٦١	ابوعبد الله محمد المنصور - بيجاية -
م ١٣٦٨ هـ ٧٧٠	ابوالبقاء خالد (الثاني)
م ١٣٧٠ هـ ٧٧٢	ابوالعباس احمد (الثاني) المستنصر
م ١٣٩٣ هـ ٧٩٦	ابوفارس عبد العزيز - عزووز - (الموكل)
م ١٤٣٤ هـ ٨٣٨	ابوعبد الله محمد (الرابع) المنتصر
م ١٤٣٥ هـ ٨٣٩	ابوعمر و عثمان
م ١٤٨٨ هـ ٨٩٣	ابوزكريا يحيى (الثالث)
م ١٤٩٣ هـ ٨٩٩	ابوعبد الله محمد (الخامس) الموكـل
م ١٥٢٥ هـ ٩٣٢	ابوعبد الله محمد الحسن - بن محمد الخامس -
م ١٥٤١ هـ ٩٤٨	ابوالعباس احمد (الثالث) بن الحسن

مشاهير الجزائريين

يحيى بن عبد المعطى

١٢٣١ - ٥٦٢٨

هو ابوالحسين زين الدين ابوزكريا يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور الجزائري الزواوى، م焚ى اصله من قبيلة (آفراوسن) بزاوة؛ ترجم له ابن خلkan ترجمة حافلة، وقال انه : كان احد ائمة عصره، مبرزا في علوم العربية شاعرا محضاً كثیر الحفظ، وكان من جملة محفوظاته كتاب الصلاح للجوهرى، ولد ابن معطى بالجزائر سنة ١١٦٩-٥٥٦٤ واخذ العلم عن مشائخ بلده وتفقه بالذهب المالکي على الشيخ ابى موسى الجزوی ، ثم انتقل الى المشرق فتشفع ثم تحفظ، فكان في ذلك مثل ابن مالك وابي حیان حين خرج من المغرب، ولم يأت اوئلک بیدع، فقد رأينا كثیراً ممن غير مذهبہ من العلماء الاعلام وانتقل الى مذهب آخر، كالشيخ محمد بن الدهان النجوي كما تقدّمت الاشارة اليه، والخطيب البغدادي الحافظ المشهور فانه كان حنبلياً ثم تشنع ، وابن فارس صاحب المجمل في اللغة ، كان شافعياً ثم انتقل الى مذهب مالك ، وابن دقيق العيد كان مالكياً ثم تحول الى مذهب الشافعية . في آخرين كثیرین

سكن الشيخ ابن معطى دمشق فسمع بها من ابن عساكر، واقرأ بها النحو فانتفع به خلق كثیر، وولاه الملك المعظم مصالح الجامع ، ثم ان الملك الساکامل بمصر رغب اليه في الانتقال الى القاهرة فانتقل الشيخ الى بلاد الكناة وتصدر هنالك لامالاء الادب العربي وتدريسه بجامعها العتيق فالتف يومئذ حوله الطالبة واحتفلوا لدروسه واقبل عليه الناس يعظمونه ويكررون علمه وادبه فأخذوا عنه علماً كثیراً وادباً جماً ، واجرى له الملك على ذلك جرایة ، فأكب المترجم على

التدريس والتألیف فتخرج عنہ عدد عظیم . وكان مما وضعه من التألیف الفیته في النحو المشهور باسم الدرة الالفیة في علم العریبیة وهي التي اشار اليها ابن مالک النحوی في دباجة خلاصته واثنی علیه فيها ؛ وهي منظومة من بحیرین بعضها من السریع وبعضها من الرجز ، طالعها :

يقول راجی ربه الغفور يحیی بن معطی بن عبد النور

وهي مطبوعة بمصر ، وللعلماء عليها شروح كثيرة أشهرها شرح الشريشی ؛ وله كتاب الفصول ، وكتاب العقود والقوانين في النحو ، وحواش على اصول ابن السراج في النحو ، وشرح على كتاب الجمل لاز جاجی في النحو ، وشرح لابيات سیبویة نظما ، كما نظم الجھزة لابن درید في اللغة ونظم كتابا في العروض ، وله قصيدة في القراءات السبع وديوان خطب ، وكتاب المثلث ، وعنی اخیرا بنظم كتاب الصحاح للجوھری فتوفی ولم يکمله ، ويروى له من الشعر قوله عن نفسه متواضا :

قالوا تلقب زین الدین فهو له نعمت جمیل به قد زین الامنا
 فقلت لا تعذلوه ان ذا لقب وقف على كل بخش والدليل انا ا...
 ولم ینزل الشیخ على حاله وخطته العاملیة موفر الكرامة الى ان وافاه اجله
 فتوفي رحمه الله بالقاهرة سلیخ ذی القعده سنة ٢٩٥٦٢٨ سبتمبر ١٢٣١ م ودفن
 من الغد على شفیر الخندق قرب تربة الامام الشافعی رضی الله عنه

عبد الرحمن بن السطاح

١٢٣١ - ٥٦٢٩

هو أبو زيد وابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر المعروف بابن السطاح اصله من مدينة الجزائر وسكن بجایة ثم انتقل في طلب العلم الى الاندلس فدخل اشبيلية واخذ بها عن أبي الحسن بن زرقون وابي بكر بن طايبة النحوي وابي عبد الرحمن بن علي بن طرفه؛ ومنها انتقل الى مرسية فاتصل بها بابي القاسم الطرسوني فأخذ عنه مقامات الحريري وكتباً اخرى في الادب وعلم الاحكام ، وهناك اذن له المشائخ في التعليم فجلس بها للقراءة سنة ١٢٢١-٥٦١٨م وكان يشغله فيها بعقد الشروط وتحريير الصكوك وله في ذلك القدم الراسخة والتابع الطويل فتقدم بذلك على ارباب هذا الشأن في الاندلس ، ثم عاد الى بجایة سنة ١٢٢٦-٥٦٢٣م فانقطع بها لتدريس العلم حتى مهنته التوثيق ، فأخذ عنه جماعة منهم ابو عبد الله الصدفي ، وابو عبد الله بن الطراز . ثم كانت وفاته رحمه الله سنة ١٢٣١-٥٦٢٩م

أحمد بن هلال العروضي

١٢٤٢ - ٥٦٤٠

الاديب الكبير واللغوي الحجة ابو العباس احمد بن هلال العروضي ، من اهل مدينة الجزائر وفيها نشأ وبها تعلم وقرأ ثم انتقل الى بجایة فاجتهد في تحصيل فنون الشعر والقوافي وتنصص في فن العروض حتى اشتهر به فدعى بالعروضي ، وارتحل الى الاندلس فسكن مرسية وعنه اخذ اهلها العروض ومكث بها الى وفاته رحمه الله سنة ١٢٤٢-٥٦٤٠م

عبد الله بن السکات

م ١٢٤٣ - هـ ٦٤١

هو الامام القاضى ابو محمد عبد الله بن حجاج بن عبد الله بن يوسف المعروف با BIN السکات من اشهر بيوتات مدينة الجزائر العريقة في المجد الحائز على رئاسة العلم ايضا بها ، كان والده من قضاة العدل بهذه المدينة .

ولد مترجمنا بالجزائر في شهر صفر سنة ٥٦٢ هـ - ديسمبر ١١٦٦ م وبها نشأ وتعلم وكان من اشهر مشائخه بها والده والشيخ ابو عبد الله بن الحسن الجزائري : انتقل المترجم الى الاندلس فلقى بمعالقة ابا الحجاج بن الشيخ فسمع منه كتاب الاحكام لعبد الحق الاشبيلي وغيره من مؤلفات الاندلسيين الفقهية والادبية . واخذ ايضا عن الامام ابن العربي ، وله رواية عن ابى موسى الحبولي . ثم انتقل الى بجاية فتولى قضاءها بعد تأثير ابى عبد الله محمد بن ابراهيم الاصولى المتوفى سنة ٦١٢ هـ - ١٢١٦ م والمترجم له في الجزء الاول من كتابنا هذا صفحه ٣٩٦ وطالت مدته في القضاء وعلى طول مدته في هذه الولاية فإنه لم يتناول من مرتبه شيئاً لطعامه وانما كان ينفقه في الصدقة وصلة اهل البر ، وما كان يطعم الا من شيء كان يتناوله من عقار له ببلدة الجزائر ورثه عن ابيه ، وكان مشهوراً بالعلم والفضل والعفاف عادلاً في احكامه مشاوراً لاهل العلم فاخذ عنه اناس؛ وتوفي رحمة الله يوم التاسع والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ٦٤١ هـ - ١٥ نوفمبر ١٢٤٣ م وترك خمسة اولاد كل منهم ساد وحاز المراتب العليا وأفاد .

محمد بن منداس

م ١٢٤٥-٥٦٤٣

هو ابو عبد الله محمد بن قاسم بن منداس ، اصله من بلدة آشير ، وولد بمدينة الجزائر فاتح جادى الاولى سنة ٥٥٧ هـ ١٨٦٢ افريل ١١٦٢ م وفيها نشأ وترعرع وتأدب؛ اخذ عن الشيخ ابي محمد بن عبد الله وعلي بن عتيق ، وعن نخبة من ذوى الفضل ، ولما ورد الشيخ ابو موسى الجزاولي على مدينة الجزائر سنة ٥٨٠ هـ ١١٨٤ م لازمه الشيخ ابن منداس واخذ عنه علوم اللغة والادب . كما انه لقى في رحلته الى قابس الشيخ ابا القاسم بن م Bakan آخر من روى عن ابي عبد الله المازري ؛ ثم عاد ابن منداس الى بلدة الجزائر محبتهدا في نشر فنون من العلم وخاصة علوم الحديث فكان من اخذ عنه ابو عبد الله بن البار ، وكانت وفاته رحمه الله فاتح شهر المحرم ٦٤٣ هـ - ٢٩ ماي ١٢٤٥ م .

محمد بن الحسن القلعي

م ١٢٧٤ - ٥٦٧٣

هو عميد اهل الادب وزعيمهم بالجزائر وفحل من فحول الشعراء وامراء البيان وجهازنة العلماء المحققين الراسخين في العلم : العلامة الشيخ ابو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي . نسبة الى قلعة بنى حماد (١) التي كان جده ميمون قاضيا بها .

نشأ المترجم بمدينة الجزائر فقرأ على جلة علمائها كالشيخ ابو عبد الله بن منداس الآنف الذكر وغيره ومنها انتقل الى بجاية فاجتهد في تحصيل العلم والادب بها واستوطن هنالك فتخرج على يد اساتذتها الكبار منهم الشيخ ابو الحسن الحرالي ، والفقير ابو الحسن بن اي نصر ، والفقير ابو بكر بن محرز ، والفقير ابو المطراف بن عميرة وابو زيد بن السطاح في آخرين من نخبة الادباء والعلماء

برع الشيخ في فنون كثيرة من العلم وخاصة الادب فانه كان آية في تحريره غزير المادة فيه فقرأ عليه جمیع امهات كتب الادب والشعر فيقوم على جميعها احسن قيام ، وكان يحضر مجالسه الكثیر من فضلاء الطلبة وبنهاائهم ، وكثيرا ما كانت تتعرض عليه المسائل العويصة وامشاكل المختلفة في التفسير والحديث وغريب الشعر وغيرها فيتصدى لشرحها وتحليلها بكيفية عجيبة مما لا يكاد يوجد عند غيره من العلماء بل ولا في نوادر الكتب ايضا ؛ ومن تلامذته المشهورين ابو العباس احمد الغبريني مؤلف «عنوان الدرایة» فقد لازمه اکثر من عشر سنین واستفاد منه علماء كثیرا وادباء جماً وسطر اعتراقه بفضل شیخه هذا في عنوانه فقال : وهو افضل من لقيت في علم العربية لزمت عليه القراءة ما ينیف على عشرة اعوام واستمنت به كثیرا

واستفدت منه كثيرا ، قرأت عليه الإيضاح من فاتحته إلى خاتمتها ، وقرأت عليه جملة من الامالي وزهر الأداب ومن المقامات وقصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتibi وحضرت قراءة المفصل ؛ وكان رحمة الله محبا في التعليل؛ وله من التأليف كتاب سماه بالوضيح في عالم النحو، وحدق العيون في تقييم القانون - لعله قانون أبي موسى الجزوئي ؟ - ونشر الخفي في مشكلات أبي على ؛ هو على الإيضاح . وكان يؤثره على غيره من الكتب

وكان قدس الله روحه سخن الدمع سرير العمرة . فيه فضل وسخاء ومرودة وانتخاء ، وكانت يده ويد الطلبة في كتبه سواء لا مزية له عليهم ، بارع الخط حيد الشعر مكشرا منه يسلك فيه طريق أبي تمام حبيب بن اوس ، وكان صديقه الأديب أبو عبد الله محمد بن احمد الاريسي المعروف بالجزائرى شيخ كتبة الديوان بـجاية يسلك في شعره سلوك المتibi ، وكانا يتراسلان بـجـيدـ المـتـورـ وـبـدـيـعـ الـمـنـظـومـ . فمن شعر المترجم القلعي قوله في طالع قصيدة في مدح الحضرة النبوية :

امن اجل ان بانوا فؤادك مغرم	وقلبك حفاق ودمك يسجم
وما ذاك الا ان جسمك منجد	وقلبك مع من سار في الركب متهم
ومن قائل في نظمك متعجبنا	وجسم بلا قلب فكيف رايتم ؟ ..
ولا عجب ان فارق الجسم قلبـ	فحـيثـ ثـوىـ المـحـبـوبـ يـثـوىـ المـتـيمـ
ومما ضرهم لو ودعوا يوم او دعوا	فـؤـادـيـ بـتـذـكارـ الصـبـابةـ يـضرـمـ
عـساـهمـ كـاـبـدوـاـ صـدـوـداـ وـجـفـوـةـ	يـعـودـونـ لـلوـصـلـ الذـىـ كـنـتـ اـعـلـمـ
وـانـىـ لـادـعـوـ اللـهـ دـعـوـةـ مـذـنـبـ	عـسـىـ اـنـظـرـ الـبـيـتـ الـعـتـيقـ وـالـثـمـ
فـيـاـ طـوـلـ شـوـقـ لـلـنـبـيـ وـصـحـبـهـ	وـيـاـ شـدـ ماـ يـلـقـيـ الـفـؤـادـ وـيـكـتمـ

وتحتوى هذه المقطوعة على ثمانية عشر بيتا . وله موشحات حسنة ؛ ولقد شرع بنفسه في جمع شعره وتدوينه عام ثلاثين وستمائة هجرية وعاش بعد ذلك ثلاثة وأربعين سنة فلو تم له تدوين شعره كله لكان في مجلدات كثيرة ؛ ويقول

الغبرینی انه كان منه بآيدي الناس كثیر (١) و توفي رحمه الله ببجاية سنة

١٢٧٤ - ٥٦٧٣

ومن شعر صديقه الاريسي الجزائري المذكور قوله في طالم مقطوعة يتحزن
فيها إلى ارض الحجاز

ادرهـا فقد هبت نسيمة دارين
ونـم بـسر الـرـوض نـشر الـريـاحـين
وـقـام خـطـيـب الـورـق يـدـعـو هـنـزـيلـه
وـذـكـر اـيـام الصـباـة والـصـباـ
فـشارـكـمـين الـوـجـد مـن مـسـتـقرـه
وـبـحـث بـسـرـيـن جـنـى مـخـزـونـه
وكـلاـهـما شـاعـر فـحلـ مـكـثـر وـلـهـما فـي مـخـتـلـف اـغـرـاضـ الشـعـر وـفـونـهـ كلـ
ماـ هوـ حـسـنـ جـيدـ ، وـكـلاـهـما يـعـدـانـ منـ كـبـارـ اـدـبـاءـ الـجـزاـئـرـ فـي اوـاسـطـ الـقـرـنـ
الـسـابـعـ الـهـيـجـرـىـ رـحـمـهـمـاـ اللـهـ

ابوزيان ناصر بن مزني

١٤٢٠-٥٨٢٣

العالم المقرئ والمؤرخ الفقيه الشیخ ناصر بن احمد بن يوسف بن منصور بن فضل بن على بن احمد بن حسين بن عبد المعطی بن الحسین بن مزني الفزاری البسکری، يکنی باپی زیان وابی علی ولد بسکرہ فی المحرم سنة ٥٧٨١-افریل ١٣٧٩ من اسرة کریمة هی متتهی رأسة الزاب ومعقد آماله ، اذ كانت امارة بسکرہ وارض الحضنة بیدها منذ تولاهما جده الفضل بن على (١)

اشتغل المترجم بالعلم اولا في بلده فأخذ القراءات عن ابی الحسن على بن عبد الرحمن التوزری ، وكان يعظمها جدا : واخذ الفقه عن الامام بن عرفۃ وابی فارس عبد العزیز بن یحیی الغسانی البرجی ، ومحمد بن على ابراهیم الخطیب ، وعیسی بن احمد الغبرینی وسمع عليهما الصحيح

اتقل ابن مزني هذا الى مصر سنة ٥٣٠ هـ - ١٤٠٠ م فحج في هذه السنة ونکب في کثیر من ماله وكتبه في جملة ما اصاب ركب المغاربة من النهب يومئذ؛ واتفق ان نکبت اسرته في هذه السنة ايضا بسکرہ فعزل والده عن الامارة ونزل السلطان الحفصی بسکرہ فحطم بيت ابن مزني ، فاستقر لذلك المترجم بالقاهرة وكان بها يومئذ صديق آبائے العلامة الامام عبد الرحمن بن خلدون فعطف عليه وسعی له لدی من بیده الامر حتى نزل بالشیخونیة ، وبها سمع صحيح البخاری على التقى الدجوی ، ولازم الشیخ ابن حیجر مدة طویلة فاستقاد كل منهما من علم صاحبیه ؛ ولابن مزني هذا عناية خاصة واهتمام کبیر بالتأریخ واخبار الرواۃ ، جماعة لذلك ضابطا له مکثرا منه وقد شرع في جمع تاریخ کبیر للرواۃ لم یجتمع احد مثله ، ولم یقدر له تبیضه فقد اصیب في بصرة سنة ٥٨٢٢ هـ ١٤١٩

(١) راجع صفحۃ ٢١ من هذا الجزء

وانقل من الشیخونیة الى البرقوقة وطالع علته واعجلته المنیة فتوفی رحمة الله
يوم ٢٠ شعبان ١٤٢٣ - ٥٨٢٣ اوط ١٤٢٠ ولم يکمله ، يقول ابن حجر انه لو
اتم کتابه المذکور في التاریخ لكان مائة مجلد ! فانه جمع منه في مسوداته ما لا
يعد ولا يدخل تحت الحد ؛ ومات فتفرقت مسوداته شذر مذر ، ولعل اکثرها
عمل بطائن مجلدات ! . . وذكره المقریزی ذ، عقوده فقال ان صاحب الترجمة
كان يتردد اليه ، وقال رحمة الله ما ذا فقدنا من فوائدہ عوضه الله الجنة

احمد بن ابی القاسم الخلوف

٩٩٨ - ١٤٩٤ هـ

هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن ابی القاسم محمد بن عبد الرحمن بن
الخلوف الحميري ، انتقلت اسرته من مدينة فاس الى الجزائر فسكنت مدينة
قسنطينة ، وبها كان مولده متى جمنا في ثالث المحرم سنة ٨٢٩ هـ (منتصف نوفمبر
١٤٢٥) وذهب به والده صبيا الى مكة فجاور هنالك اربع سنين ثم انتقل به
إلى بيت المقدس وبه حفظ ولده القرآن الكريم وكتبا جمة في فنون مختلفة
وبما ان الولد كان متضلعما من فنون الادب والفقه فأخذ ولده بدراسته ما عنده من
العلم ، ثم ترکه يمتنج بمشيخة المشرق ، فاتصل المترجم يومئذ بآبی القاسم
النویری ولازمه فأخذ عنه الفقه وعلوم اللغة والاصول وغيرها وانتفع به ، كما انه
أخذ روایته في القراءات وعلوم القرآن عن الشهاب بن رسلان والعز القدسي
وماهر وغيرهم ، ثم انتقل الى القاهرة ؛ والظاهر ان ذلك كان بعد وفاة والده
بالقدس الشريف ٨٥٩ هـ - ١٤٥٥ م وهناك اجتمع بالعز عبد السلام البغدادي
فأخذ عنه النحو والصرف والمنطق ؛ وكان من اخذ عنه العربية بلاد المغرب
احمد السلاوي ويقول عنـه : انه احفظ من لقيه بها

واستقر متر جمنا بالمغرب مشتهرا بين اعيان علمائه بالادب والعلم الغزير متعاطيا لنظم الشعر الرقيق الفigel ، فاستكتبه المولى المسعود بن عثمان حفيد ابي فارس الحفصي ، وقدم الى القاهرة غير ما مرة ومنها رحلته اليها بمناسبة حجه سنة ٨٧٧ هـ ١٤٧٢ م فاجتمع فيها بالامام السخاوي وجرت بينهما محاورات ادبية ذكرها السخاوي في تاريخه « الضوء الامع » وقال في وصفه : ولقيته مودعا له وهو حسن الشكلة والابهة ظاهر النعمة ، طلق العبارة بليغا بارعا في الادب ومتعلقاته ويذكر بظرف وميل الى البزة وما يلائها ، كتب عنه غير واحد بالقاهرة والاسكندرية ومما كتب عنها من نظمها ما ضمن فيه قول ابن الامر صاحب الاندلس :

افاتكة المحظ التي سلبت نسكى
على اي حال كان لا بد لي منك
فاما بذل وهو اليق بالبهوى
فاما بذل وهو اليق بالملك

فقال :

اماط الهوى عن واضحي برقم النسك
فقلت وقد افت حاظتك بالفتوك
على اي حال كان لا بد لي منك
افاتكة المحظ التي سلبت نسكى
يمينا بنجم القرط منك اذا هوى
وخل على عرش بوجنتك استوى
فاما بذل وهو اليق بالبهوى
لئن لم تفي لا بد للقلب ما نوى
واما بعزم وهو اليق بالملك

ولاشتهار متر جمنا بجودة الشعر والكتابة عرف بين أدباء عصره بذى الصناعتين ، فهو حقا من امراء الشعر المتقندين وفي حول الادب العربي البارعين طويل النفس ضلیع في فن القريض ، له ديوان شعر خاص بمدح الحضرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام توجه بمقدمة حافلة تدل على رسوخ قدمه وتمكنته من ناصية اختصاصه وتعلقه الشديد بالجناب النبوى الشريف ؛ ولقد والله

ابدع في منظومه ومتوره ایما ابداع وجاء بما لم يوفق اليه غيره من ائمه هذا الشان
کالبوصيري واصرابه من شعراء المدح، فان قصائدہ کالها عيون وكالها تتدفق سلاسة
وطبعاً، وان اقصر قصيدة فيه لا تقل عن مئات الایات .

والشعر في هذا الغرض كما لا يخفى هو من اصعب الاغراض على الشعراء،
وذلك لعلو مقامه الشريف صلى الله عليه وسلم وتسامي منزلته التي لا تداني ولا
ترام وكل مدح او اطراء في جنابه عليه الصلاة والسلام يعد تقصيراً، ولذلك تجنبه
في حول الشعراء المتقدمين کابي تمام والبحترى والتبشى وغيرهم من صاغة القريض
ورواض القوافي والله در ابن الفارض حيث يقول :

وعلى تفتن واصفيه بمدحه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
وديوانه هذا بحمد الله هو مما ازدانت به مكتبتنا المتواضعة ، وهو يخط
جميل في ست واربعين ومائتي صفحة من القطع الكبير : وذكر لي ان له ديواناً
مطبوعاً ببيروت سنة ١٨٧٣ م ولا ادرى اهو نفس المخطوط الذى ذكرناه ام غيره
حيث لم اقف عليه، وآخر اشعاره رحمة الله في مدح السلطان ابى عمرو وعثمان
بن ابى عبد الله الحفصى فله فيه القصائد الروناتة الشائقة .

اما تأليفه من غير الديوان المذكور فله في العروض: تحرير الميزان لتصحيح
الاوzan ، وبديعية ميمية سماها مواهب البديع في علم البديع ؛ ولم يليها شرح
حسن ، ورجز في تصريف الاسماء والافعال سماه جامع الاقوال في صيغ الافعال،
وله في علم الفرائض كتاب عمدة الفائض ؛ كما يوجد له مكتبة باريس وبرلين ولندن
وبطرسبورج ديوان مخطوط مرتب على حروف الهجاء، وله موشح مستقل في
مكتبة برلين ؛ وكانت وفاته رحمة الله بتونس سنة ١٩٩ هـ ١٤٩٤ م ودفن هناك
بتربة سيدى محرز بن خلف رضي الله عنه .

جدول تاريخي

(١٥٣٦ - ١٢٢٩ هـ - ٩٤٣ - ٦٢٧)

تاریخ الحوادث	ام الحوادث
١٢٢٩ هـ ٦٢٧	تأسيس الدولة الحفصية
١٢٣٠ هـ ٦٢٨	اذعان مقاطعتي قسنطينة وبجاية للدولة الحفصية
١٢٣٨ هـ ٦٣٦	نجاح الحفصيين في فتح اعمال الجزائر الغربية
١٢٤٢ هـ ٦٤٠	الاستيلاء الحفصي على تلمسان
١٢٤٥ هـ ٦٤٣	المبايعة بالخلافة
١٢٤٩ هـ ٦٤٧	وفاة السلطان ابى زكريا الاول ببونة ودفنه بجانب الشيخ ابى مروان ثم نقله الى قسنطينة حيث مدفنه الان
١٢٦٢ هـ ٥٦٦١	حوادث ابى القاسم بن ابى زيد الحفصى بالجزائر
١٢٦٥ هـ ٦٦٤	حركة السلطان المستنصر الاول الى قمم المنشقين بالجزائر
١٢٦٩ هـ ٦٦٨	تمكن يغمراسن بن زيان من استرجاع مملكته الغربية
١٢٧٠ هـ ٦٦٩	مشاركة الجزائريين في دفع عادية الصليبيين عن الغرب :
١٢٧٩ هـ ٦٧٧	وانتهاص اهل مدينة الجزائر وفتحها
١٢٩٣ هـ ٥٦٩٢	ولاية ابى اسحاق الاول على بجاية ثم على عرش الملك بمبايعة
١٢٧٩ هـ ٥٦٧٨	الجزائريين
١٢٨٣ هـ ٥٦٨١	ولادة السلطان ابى بكر الثاني بقسنطينة
١١٨٥ هـ ٥٦٨٤	ولاية بنى مزني امارة الزاب الجزائرى
	ظهور الرعيم ابن ابى عمارة الجزائرى وقتله
	انفصال القطر الجزائري واستقلاله عن السلطة المركزية

أهم الحوادث	تاریخ الحوادث
اعتداء الافرنج على الساحل الجزائري	م ١٢٨٧ هـ ٦٨٦
ابتداء النزاع بين الحفصيين وبنى مرين على الجزائر	م ١٢٩٩ هـ ٦٩٩
نشوب الخلاف بين طائفة «السنية» وامير الزاب : ابن مزني	م ١٣٠٣ هـ ٧٠٣
ابطال وضع التاج عند ملوك هذه الدولة	م ١٣١٧ هـ ٧١٧
ولادة السلطان ابى العباس احمد الثانى بقسنطينة	م ١٣٢٨ هـ ٧٢٩
احتلال السلطان ابى الحسن المرینى لتمسان	م ١٣٣٧ هـ ٧٣٧
استعادة الحكومة المركزية لمملكة الجزائر	م ١٣٦٠ هـ ٧٦١
عصيان ابن مزنى - امير الزاب - وحركة السلطان اليه	م ١٣٤٨ هـ ٧٨٦
تنازع امراء بنى ابى حفص على ولاية قسنطينة ومجاورة	م ١٣٩٤ هـ ٧٩٦
القضاء على امارة بنى مزنى ببسکرة	م ١٤٠٢ هـ ٨٠٤
ظهور القرصنة الاسپانية بالسواحل الجزائرية	م ١٤٠٤ هـ ٩١٠
اقامة الاسپان لحصن «البنيون» بشعر مدينة الجزائر	م ١٤١٠ هـ ٩١٦
ظهور الاتراك العثمانيين بالميدان	م ١٤١٣ هـ ٩١٩
سقوط الجزائر الحفصية	م ١٤٣٦ هـ ٩٤٣

الدولة المرinية

٥٧٩٦-٦٦٨

م ١٣٩٣-١٢٦٩

بنو مرين؟

المرinيون هم فخذ من بطون القبيلة البربرية العظيمة زناتة؛ كانت مساكنهم وموطنهم وراء تلمسان جنوبا الى نواحي سجلماسة - تافيلالت - وبصحراء فيقيق الى ارجاء الاغواط؛ وهم قوم مرهوب جانبهم ، شديد باسهم ، كثير جمعهم يضاهون في مجتمعهم امة العرب والفرس واليونان ، وان الذين توّلوا الملك منهم فرعان يتسبّبان الى جرنومة واحدة : بنووزير قبيلبني عبد الحق، وبنووطاس. ولقد ابلى قبيلبني مرين هذا في نصرة الموحدين على خصومهمبني صنهاجة وغيرهم - ثم كانت بينهما ضغائن وحرازات من شأنها التزاحم على الملك والاتفاق على الرئاسة ، ولم يزل هؤلاء المرinيون يشرون على حين ضعف دولة الموحدين فتنا وغارات بأرجاء المغرب الاقصى حتى اقتحموا تلته سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) واستمروا في سيرهم الى الامام متصرّفين الى ان فتح اميرهم ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة مراكش يوم عاشوراء سنة ٦٦٨ هـ (٩ سبتمبر ١٢٦٩ م) فقضى بذلك على عرش الموحدين.

نظامها الحكومي

الدولة المرinية في كل شيء وهي لذلك لم تكن تختلف او تتختلف في خطتها السياسية بل وفي جميع نظمها الادارية والقضائية والمالية والجوية عن من تقدمها من دول الاسلام بالغرب الا قليلا (١) فالعاصمة فاس والسلطان هو دائمًا مصدر السلطة العليا، ويلقب بأمير المسلمين تأدبا وتميزا له عن لقب الخليفة بالشرق، وفيهم من تلقب بأمير المؤمنين واولهم ابو عنان، والحاچب عندهم يدعونه «المزوار» وهو المقدم على الجنادرة العاملين في المحافظة على الامن العام ، ولهم ايضا الاختصاص بالوقوف لدى باب السلطان وحمل الناس على التزام مراتبهم ، ولاعمال الجبايات ديوان تحت ادارة متصرف منبني مررين اليه يرجع تصحيح الحسابات والمحاسبة على جميع دخل الحكومة وخرجها وهو المسؤول عن ذلك كله ، وليس هناك من يتعقبه او يرافقه في عمله الا السلطان نفسه او الوزير الذي يعتبر الرئيس الحربي الاعلى ؛ وللدولة عملية مضرورة باسم ملووها . وخطة لكتابية منقسمة عندهم الى قسمين : قسم خاص باسرار الدولة وتسيير سياستها الداخلية والخارجية وقسم للمسائل العمومية والمناشير ، وكثيرا ما تولى هذه الخطبة ادباء من الاندلس بخلاف القضاة فإنه دائمًا مقصور على الغاربة وذلك ما يدلنا على شدة عنایة ابناء البلاد بالفقه دون الادب ، وقد تكون هناك نظرة خاصة بنظام الحكم ؟ ...

اما نظام الحرب والجيش فإنه كان حسب ما يسود من تواريخ المغرب والاندلس في ذلك العصر ان اسلک ثمانية من الجنود ناظرا يعقد لهم عقدة ولكن خمسة نظار عريف يعقد لهم عقدة . وعلى كل خمسة عريف نقيب يعقد لهم عقدة ، وعلى كل خمسة نقيباء قائد يعقد له عقدة ، وعلى كل خمسة من القواد امير يعقد له راية وفي العسكر المريني كثير من مرتبقة الافرنج والعبيد ، كما انه كان لهذه الدولة اسطول ضخم عظمت شوكته بهذا البحر ، وخاصة على عهد السلطان ابي الحسن

(١) راجم الجزء الاول صفحة ٢١٤ و ٣٤٧ و ٣٦١

المريني فانه خرج من تونس الى المغرب في ستاءة سفينة ، وذلك ما جعل المؤرخ الفرنسي «اندرى جولييان» يصف هذا الملك بأنه كان من اقوى الملوك واعظم السلاطين على الاطلاق في القرن الرابع عشر

وللجناد شعار يحملونه في المعرك وال الحرب وهو راية صغيرة من سكتان ايض ، وفي ذهابهم الى القتال يتقدمون غالبا منشد يغني بتلحين خاص واغمام موسيقية منسجمة تدعى عندهم بـ«تاصوكتايت» وهي خاصة بوقت البروز للقتال والسير الى الحرب ، وبين يديه طبل يضرب عليه منشدا اشعار الفخر والحماسة ؛ وهو تقريرا صنيع ما تفعله جنود الدول المعاصرة اليوم في خروجها للوغى ؛ وليس هناك ما تميز به هذه الدولة في صفة قتالها ومجالتها العدو في الحرب عن دول المغرب يومئذ سوى انها سبقتهم الى استعمال البارود وهندام النفط القاذف بمحصى الحديد وقوس الزيار ، وهي قوس عظيمة النزع توفر على احد عشر بغالا

حدود الجزائر المرينية

ان الحدود الجزائرية في ذلك العصر هي عينها المعروفة اليوم بحدودها الثلاثة : الشمالية والجنوبية والغربية؛ الا ان الحد الشرقي منها فانه كان تارة يمتد الى تونس وتارة لا يتعذر حدود اعمال قسنطينة وبجاية (انظر الخريطة صفحة ٢٧)

المرينيون وبنو عبدالواحد

لم تكن دولة بنى مرين الناشئة لقرضي المجاورة قبيل بنى عبدالواحد المنافس وذلك ليتحققها بالمكانة التي يتبوأها هذا القبيل في ميدان السياسة وال الحرب بالغرب الاوسط؛ فنشأت عن ذلك عداوة بين القيبيتين واحقاد كان مبعثها المنافسة على رأس زناتة والتشوف الى السلطان المطلق على المغرب الاسلامي ، ومن ذلك لم ترالجزائر طيلة هذه المجاورة الختامية مساملة قط ...

الزحف على مملكة تلمسان

ولما اشرفت سفينة العراك وال الحرب بالاندلس على شفا المنحدر والغرق، وأنكشف لملوك بنى مرین ان ساعة انهزام دولة الاسلام هنا قد حانت او كادت، وكان شعور الدولة المرینية بالمسؤولية العظمى الملقاة على كاهلها يومئذ قد تضاعفت بحكم انها سيدة العدوتين وانها وارثة عرش الموحدین الذين طالما خضعت لعرشهم الاندلس بما فيها من رعاياها وملوک، وشريف وصعلوك، فساعها ان تقع الكارثة بالاندلس على مرأى وسمع منها بدون ان تكون قد اتخذت لهذه الحال المتوقعة عدتها، او تحتمط لها على الاقل لكيلا تتهم بين الامم بالاهمال وعدم الصلاحية للملك، فاهتمت وقائد بالعمل على مزيد الاقتراب من الساحل الشرقي باتخاذ عاصمة ثانية لها بالغرب الاوسط ليتيسر لها الدفاع عن ارض الاندلس، فنجحت فتح الجزائر من ناحيتها الغربية ، ويجمت تلمسان فهاجمتها عدة مرات فانهزمت وكانت الغلبة دائمًا حلقة ملوکها بنی زیان ، وذلك ما جعل السلطان ابی يوسف يعقوب المرینی يتوعدهم بضرب الحصار الشديد عليهم والقضاء على امارتهم بها ، وفعلا نشببت الحرب بين ابی عجیی المرینی ویعمراس الزیانی بأحواز وجدة سنة ٥٦٤٧ هـ - ١٢٥٠ م وكانت الواقع هائلة انهزم فيها یعمراسن هزيمة شنعاء؛ وهذه اول حرب نظامية كانت بين بنی زیان وبنی مرین

ثم تجددت المعارك بينهم بوادي تلاغ في منتصف المحرم ٥٦٦٦ (اكتوبر ١٢٦٧) وقد قارب السلطان ابو يوسف الفتح لولا ان هنالك عزيمة ظهرت من جانب الزیانیین فصابروا على المقاومة والدفاع عن حرمهن فمال يومئذ ابو يوسف الى الصلح وعاد الى فاس

ثم انه في منتصف رجب سنة ٥٦٧٠ (فيفري ١٢٧٢) كانت بينهما وقعة وادی ایسلی الآتی تفصیلها، فبحصرت تلمسان مدة ثلاثة اشهر وثلاثة ايام وانطلقت بها ایدی الجيش المرینی فعاش فيها الجنبد بما شاء!.. ثم كف السلطان ایدیهم عنها وسعى

في جمع الشمل ومصالحة يغمر اسن امير بنى عبد الواد وتم ذلك بينهم سنة ٥٦٧٣ (١٢٧٤م) فسر لذلك سلطان مرين واظهر سروره بما تصدق به من مال كثير شكرأ الله عز وجل على ذلك، ثم انه في هذه السنة نفسها غزا سجلياسة - تافيلات - فاقتجمها يوم الجمعة ٣ ربيع الاول (٦ سبتمبر) وقتل بها سادة بنى عبد الواد وامر بصلبهم على اسوار المدينة وفيهم قائد اسرا عبد الماك العبد الوادي ، ثم عاد السلطان الى مراكش ؛ وهذا ما حمل يغمر اسن على تضليل الصاحب ومحاربة بنى مرين في وقعة الملعب المشهورة بأحواز تلمسان سنة ٥٦٨٠ (١٢٨١م) التي ادت الى حصار تلمسان ايضا وانهزام بنى عبد الواد ثم كانت هذه بين السلطان يعقوب المريني وعثمان بن يغمر اسن الزياني سنة ٥٦٨٤ (١٢٨٥م)

وفي ربيع الثاني سنة ٥٦٨٩ (ماي ١٢٩٠م) عزم السلطان يوسف بن يعقوب المريني على المسير الى غزو تلمسان وفتحها بسبب ايواء صاحبها لبعض الثوار على دولة مرين ، ولقد حاول من قبل استسلام هؤلاء الثوار المشاغبين من يد بنى زيان فلم يسمحوا له بذلك؛ وحيثئذ تقدم بنو مرين لحصار تلمسان ونصبوا عليها المجانق واطلقوا ايدي الحبند فيها ف ubiquوا بها واخذوها بالنهب والتخرير ثم اقلعوا عنها ؛ وان كل ما كان بعد ذلك من عداوة او ضغينة بين بنى مرين وبنى زيان او واقعة حرية انما كان منشؤها هذه الحادثة

وفي سنة ٥٦٩٤ (١٢٩٤م) استصرخ ثابت بن منديل رئيس مغراوة بالسلطان يوسف بن يعقوب المريني مستشفعا به لدى مالك تلمسان عثمان بن يغمر اسن في رد هجماته وكف عاديه قومه عنه ؛ فأرسل يوسف بشفاعته في ذلك الى عثمان فرفضها ؛ ويومئذ خرج يوسف لغزو تلمسان سنة ٥٦٩٥ (١٢٩٥م) انتقاما لشرفه ومر في طريقه على مدينة وجدة فحطم اسوارها وحاصر ندرومة اربعين يوما فامتنعت عنه ثم عاد الى مركزه

وفي السنة بعدها هاجم سلطان مرين اعمال تلمسان مشددا عليها الخناق ثم

نصب عليها قوس الزيار في رجب سنة ٥٦٩٧ هـ (أبريل ١٢٩٨ م) وانهالت عليها جنوده فخضعت له يومئذ مدينة ندرومة، وهنین، ووهران، ومزغران؛ وفتحت مازونة ومستغانم وبرشك ونشريس ومليانة والمدية وتتس وشرشال؛ وأذعن ابن علان صاحب مدينة الجزائر لسلطان مرین فجاء مبايعاً؛ ومن ثمة أخذ ظل حكومة بنی زیان يقلص عن مملكة الجزائر، وأخذت البلاد الجزائرية تسقط شيئاً فشيئاً بيد دولة مرین إلى أن امتلكت جميعها سنة ٥٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) وأصبح المغرب الأوسط يدين بطاعته إليها ما عدا مدينة تلمسان فإنها -- في هذه المرة -- لوحدها احتفظت بمن كنزها السياسي واستقلالها الداخلي.

ويلاحظ أنه قد كان لهذه الواقف والظروف انحراف في قفر جهات عديدة ونواح كثيرة من بلاد المغرب وخاصة اصقاع انفا الدار البيضاء واقطاراتها، فأخذ حيئت السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة ٥٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) في نقل عدد وافر من سكان الجزائر إليها، وكان اغلبهم من البربر؛ وأخذ من بينهم رعاة لشياه الدولة وساسة لا بلها، ومنذ اشتهرت هذه الطائفة الجزائرية المتنقلة باسم «الشاوية» وتأكد يومئذ امتصاص الشعب الجزائري بأهل المغرب الأقصى وازداد بذلك ارتباطاً وتشبيتاً

وقفة وادي ايسلي

ليس هنالك من شيء يحمل على معادات بنی مرین لبني عبد الواحد الزیانين سوى المزاومة على الملك وحب الرأسة والاستئثار بها؛ ومن أجل ذلك مد يغمرا سن يده أولاً للموحدين وربط صلته بهم تفخيماً لدولته وتشحيناً لشوكته وارهاباً لمنافسيه

ويومئذ حشد السلطان أبو يوسف يعقوب المریني جنوده وخرج بنفسه محفوظاً بجيش العظيم غازياً تلمسان غرة صفر ٥٦٦٩ هـ (سبتمبر ١٢٨٠ م) وما كاد يتصل بتراب الجزائر ويقترب من تلمسان حتى وفاه سفير السلطان ابن الامر ينتصر خه لنصر الاسلام وحماية المسلمين ودفع عاديه العدو عنهم بالانداس، ففي حال ذلك بينه

وبيـن المسـير إلـى تـلمسـان ، وـجـمـع مـشـيـخـة الدـولـة وـارـبـاب الشـورـى يـسـتـشـيرـهـم فـي الـأـمـر ، فـاتـفـقـت كـلـمـتـهـم جـمـيعـا عـلـى تـقـدـيم اـنجـادـالـانـدـلـاس وـحـمـاـيـتـهـا فـعـدـلـ السـلـطـان يـوـمـئـذـ عنـ خـطـطـهـ الـمـرـسـومـة ، وـرـاسـلـ صـاحـبـ تـلـمـسـان فـي الصـاحـفـةـ فـامـتنـعـ وـاـكـدـ مـتـابـعـةـ الـحـربـ ؛ فـالـجـمـعـتـ الـمـعـارـكـ الشـدـيـدةـ يـيـنهـ وـبـيـنـ بـنـيـ مـرـيـنـ بـوـادـيـ اـيـسـلـىـ منـ بـسـائـطـ وـجـدـةـ وـعـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـهـ ، وـذـلـكـ فـيـ مـنـتـصـفـ رـجـبـ (١٢٧٢ هـ) فـانـهـزـمـ الـزـيـانـيـونـ فـيـ هـذـهـ الـوـقـعـةـ شـرـ هـزـيـمةـ وـفـرـ يـغـمـرـاـسـنـ عـنـ حـمـلـتـهـ وـاضـرـمـتـ فـيـهاـ النـيـرـانـ وـقـتـلـ ولـدـهـ فـارـسـ ، وـاخـذـ السـلـطـانـ اـبـوـيـوسـفـ فـيـ اـسـتـقـصـاءـ وـتـبـعـ اـثـرـ يـغـمـرـاـسـنـ فـيـ الـبـلـادـ إـلـىـ أـنـ حـالـ بـيـنـهـمـ الـظـلـامـ فـأـتـىـ السـلـطـانـ مـدـيـنـةـ وـجـدـةـ وـأـمـرـ وـهـدـمـهـاـ فـعـفـتـ آـنـارـهـاـ

وـقـةـ وـادـيـ تـافـةـ

ولـماـ حلـ الـمـرـيـنـيـونـ بـالـانـدـلـاسـ وـأـمـتـلـكـواـ شـطـراـ مـنـهـاـ اـخـذـتـ عـقـارـبـ الـحـسـدـ تـدـبـ فـيـ قـلـوبـ مـلـوـكـ الـانـدـلـاسـ مـنـ بـنـيـ الـأـحـمـرـ وـأـنـشـرـ بـيـنـهـمـ دـاءـ الـأـثـرـةـ فـعـمـدـ سـلـطـانـهـمـ إـلـىـ يـغـمـرـاـسـنـ الـزـيـانـيـ طـالـبـاـ مـوـدـتـهـ وـصـدـاقـتـهـ وـوـاصـلـهـ بـهـدـاـيـاـ اـنـدـلـسـيـةـ فـيـخـمـةـ وـأـمـوـالـ عـظـيـمـةـ عـلـىـ اـنـ يـشـغـلـ عـنـهـ مـلـوـكـ بـنـيـ مـرـيـنـ بـمـشـاغـبـهـمـ وـأـحـدـاثـ مـشـاـكـلـ لـهـمـ بـالـمـغـرـبـ ؛ وـمـاـ كـادـ يـشـعـ خـبـرـ اـتـصـالـ اـهـلـ الـانـدـلـاسـ يـغـمـرـاـسـنـ حـتـىـ بـادـرـ السـلـطـانـ اـبـوـيـوسـفـ الـمـرـيـنـيـ إـلـىـ طـلـبـ الـصـلـحـ مـنـ صـاحـبـ تـلـمـسـانـ وـكـاتـبـهـ فـيـ ذـلـكـ سـنـةـ ١٢٧٨ هـ (١٢٨٠ مـ) فـتـعـصـبـ يـغـمـرـاـسـنـ لـفـكـرـتـهـ مـتـصـلـبـاـ فـيـ عـدـاـوـتـهـ ، فـرـأـيـأـتـهـ مـرـيـنـ مـدـةـ ثـلـاثـةـ اـشـهـرـ ثـمـ اـعـادـتـ سـعـيـهـاـ فـيـ طـلـبـ الـصـلـحـ ، فـامـتنـعـ بـنـوـ زـيـانـ كـذـلـكـ وـلـمـ يـقـبـلـواـ فـيـ ذـلـكـ قـوـلـاـ بـنـيـ مـرـيـنـ فـتـحـرـكـ هـؤـلـاءـ يـوـمـئـذـ لـلـقـتـالـ وـكـانـ الـمـيدـانـ بـيـنـهـمـ وـادـيـ تـافـةـ ، فـاتـصـرـتـ مـرـيـنـ عـلـىـ بـنـيـ عـبـدـ الـوـادـ وـأـتـهـبـتـ حـمـلـةـ يـغـمـرـاـسـنـ فـتـشـتـتـ أـمـوـالـهـ وـهـدـمـتـ قـبـابـهـ

تأسیس حاضرة المنصورة

لقد كان حصار السلطان ابو يعقوب المرینی لمدینة تلمسان من افضل واشد ما عرفه التاریخ في حصار مدینة، وقد طال الحصار ثمان سنین وثلاثة اشهر وایاماً، مات فيها نحو العشرين ومائة الف شخص ، واکل الناس يومئذ الحیف والكلاب والقطط والفیران واشلاء الموتى ، وبلغ ثمن الفار عشرة دراهم (١)

وفي تلك الاثناء شرع السلطان ابو يعقوب المرینی في اقامۃ بناء وأنشاء حاضرة المنصورة على نحو اربع كيلومترات غربی تلمسان ، وكان ذلك في فصل الشتاء من سنة ٥٦٩٩ (١٢٩٩ م) جعلها السلطان معتصمًا لجنبه المعسکر والمحاصر لعاصمة بني زیان ، وسمّاها «المیحلاة المنصورة» او تلمسان الجديدة ، وكان فيما انشیء بها يومئذ قصر امّلك حیال الجامع الذي تختلف منه اليوم جزء او قل هو طلل من انقضاض منارة القائمة على بابه ، ويقال انه كان بأعلاها تفافیح من الذهب الحالص يقدر ثمنها بسبعمائة دینار ، وكان حول القصر سور يفصله عن سکنی الرعیة ، وحول ذلك سور ابنتیت المنازل والقصور الانيقة والحمامات العمومية والفنادق والاسواق واجريت المیاه بالبساطین وانشئت بها دور الاسعاف الخ... ثم احيطت المنصورة هذه بسور انشأته الحكومة المرینية سنة ١٣٠٢ (٥٧٠ هـ) لحمايتها من الطواریء فأصبحت بعد ذلك من اعم الامصار الجزائرية وابدعها جمالاً، قال ابن مرزوقي الخطیب: «منصورة تلمسان التي لم ير الراؤون مثلها، ولا وصف الواصفون مثل وصفها، واما قصرها وسكن الامام بها فقد رأيت كثیراً ممن دخلها من المتجولين ممن رأى مباني العراق ومباني مصر والشام ومباني القديمة في الاندلس ومراکش اجمعوا كلهم على ان الذي اجتمع فيه لم يجتمع في غيره، وبحق ما قالوه، واما دار الفتح والبسقنة وما اتصل بهما والمشور فما اظن العمور اشتمل على مثلها فلاحاً الله من خرها»

(١) انظر ابن خلدون ج ٧ ص ٩٥-٩٦-٩٧

وهو يعني بذلك بنى عبد الواد حيناً خربوها وحطموا قصورها ودمروها سنة
٥٧٠٧ (م١٣٠٧) انتقاماً لانفسهم من بنى مرين وطمسوا معالم الهوان والذل
بأثر ضدهم

معركة مرسى الرؤوس

ولما طال الحصار بتلمسان واشتدت وطأته على اهلها بنى عبد الواد ٥٩٨ [١٢٩٩م] استجاش السلطان عثمان بن يغمر اسن الزيني بـ صـهـرـهـ اـبـيـ زـكـرـيـاـ الحفصـيـ صـاحـبـ بـجـاـيـةـ،ـ فـبـعـثـ هـذـاـ بـالـنـجـدـةـ إـلـيـهـ يـقـوـدـهـاـ أـخـوـهـ يـحـيـيـ،ـ وـمـاـ كـادـتـ الـحـامـيـةـ تـبـلـغـ غـايـتـهـاـ حـتـىـ اـعـتـرـضـتـهـاـ جـيـوشـ مـرـيـنـ بـجـبـلـ الزـابـ فـاستـاحـمـوـاـ هـنـالـكـ وـكـانـتـ الدـبـرـةـ عـلـىـ حـامـيـةـ بـجـاـيـةـ؛ـ وـلـوـفـرـةـ مـاـ تـسـاقـطـ هـنـالـكـ مـنـ القـتـلـ وـالـجـرـحـ سـمـيـتـ هـذـهـ المـاـجـمـعـ بـمـعـرـكـةـ مـرـسـىـ الرـؤـوسـ؛ـ وـارـتـاحـ لـهـ اـمـرـاءـ الـمـمـلـكـةـ الـحـفـصـيـةـ الشـرـقـيـةــ تـونـســ فـاسـتـصـرـواـ بـنـيـ مـرـيـنـ وـاسـتـظـهـرـواـ بـهـمـ عـلـىـ حـصـارـ بـجـاـيـةـ،ـ وـكـانـ ذـلـكـ سـيـيـاـ فـتـنـكـرـ سـلـطـانـ بـنـيـ زـيـانـ لـلـاـسـرـةـ الـمـاـلـكـةـ الـحـفـصـيـةـ فـرـفـقـ دـعـوـتـهـمـ وـاسـقـطـ ذـكـرـهـمـ مـنـ الـمـابـرـ.ـ وـفـيـ ذـلـكـ الـاـشـنـاءـ كـانـ سـقـطـ مـدـيـنـةـ الـمـدـيـةـ بـيـدـ بـنـيـ مـرـيـنـ فـاحـتـلـوـهـاـ وـبـنـواـ فـيـهـاـ حـصـنـاـ اـسـتـمـرـ هـنـالـكـ قـائـمـاـ إـلـيـ عـهـدـ الـاحـتـلـالـ الـفـرـنـسـيـ

تزاول بنی مرين عن ولاية تلمسان

كان اغتيال السلطان أبي يعقوب يوسف المريني سنة ٦٧٠ هـ [١٣٥٦ م] سبباً مباشرًا في افراج مرين عن تلمسان وانفكاك الحصار عن أهلهما؛ فتفرق تيومند جنودهم وأختلفت كلامتهم بموت ملكهم أبي يعقوب، وتنافسوا على العرش المريني كل من ولده وأخيه وحفيديه أبي ثابت عامر بن عبد الله؛ واستند الحفيد هذا إلىبني زيان مستظهراً بهم على مزاجيه، فيحالفهم على تنازل مرين وتخليها عن المملكة التلمسانية ان هو انتصر على خصميته وجلس على العرش؛ فكان الامر كذلك، ويوبع ابو ثابت هذا بتلمسان الجديدة -المنصورة- فتighbi يومئذ لبني زيان عن امارتهم

وذهب يوم ١٥ شوال ١٣٠٧ هـ [١٩ افریل ١٣٠٧ م] غازيا عرب ریاح المقيمين بقلماعة ابی طوبل والجزائر فقضى وطره منهم ثم عاد الى قاعدة فاس

نقض الصلح

وفي سنة ١٤٥٧ هـ [١٣١٤ م] نقض السلطان ابو سعيد عثمان المرینی الصلح المنعقد بين امارة تلمسان وحكومة فاس ، واغار على عاصمة الزیانیین فاكتسح اقطارها وبلغ الملعب ، فاتهکت حرمات اهل تلك التواحی واقتتحمت بعض المعاقل ، ثم عاد السلطان الى فاس ، واستمر بعد ذلك الزحف المرینی على تلمسان ست دفعات

تحالف بنی مرن والحفصیین ضد تلمسان

استغاث السلطان الحفصی بابی سعید المرینی على رد غارة بنی زیان عن الجزائر الحفصیة سنة ١٣٢٩ هـ (١٩٠٣ م) فتظاهرت الدولتان يومئذ وتحالفتا ضد بنی عبد الواد واحکما هذا التظاهر بالتصاهر ، ومات ابو سعيد دون بلوغ امنيته فخلفه ولده السلطان ابو الحسن وبعث من حينه الى ابی تاشفین ملك تلمسان ينافح عن مملكة اصهاره الحفصیین ، ويأمره بالتدخل عن كل ما وصلت اليه يده من ملك الحفصیین . وينهاد كذلك عن الاستمرار في الزحف ، فرفض كل ذلك ابو تاشفین واستمر سائرا على خطته ، وحيثند تظاهر المرینیون وبنو ابی حفص ضده وتوحدت القوات العسكرية فاكتفت احدى الدولتين من الشرق والاخرى من الغرب وهجمت الاساطيل المرینیة سواحل الجزائر وحملت الجنود على تلمسان فتجاوزتها الى تسالة - قرب سیدی بلعباس - ونزلت هنالك في شعبان ١٣٣٢ هـ (اپریل ١٣٣٢ م) وبذلك استعادت الدولة الحفصیة ملكها المسلوب بالجزائر ما عدا مدينة تلمسان فانها بقیت محافظة على استقلالها

النوب على عمالة الجزائر وهران

اجمع السلطان ابوالحسن المريني على اقتحام الاعمال الجزائرية فبرز اليها سنة ٥٧٣٥ (١٣٣٤) وبعد ان حاصر وجدة واستولى عليها تقدم الى ندرومة وهنین - فرصة تلمسان. فباقته هنالك البطون والقبائل خاضعة، ثم تقدم الى وهران فاحتلها سنة ٥٧٣٦ (١٣٣٥) وحضرت لسلطانه تملك الاصقاع بأجمعها وتبعتها في ذلك عمالة الجزائر مدينة سوی تلمسان

القضاء على امارة بنی زيان

وبعد ما انتهى السلطان ابوالحسن عملية الفتح بالجزائر التفت الى مدينة تلمسان حيث بقيت منحازة الى بنی عبد الواد فتجهز اليها سنة ٥٧٣٧ (١٣٣٦) عازما على فتحها، فخندق حولها وضرب عليها الحصار وسكن المتصورة بعد ما ادخل عليها بعض الاصلاحات الضرورية واحاطتها يومئذ بسور محكم ثم اورد نار الحرب على بنی عبد الواد فتعددت المعارك بينهم وكان الحرب فيها سجالا فصبر لها ابوالحسن حتى انتصر في النهاية واقتحم تلمسان يوم الاربعاء ٢٨ رمضان من سننته (٣٠ اפרيل ١٣٣٧) وقضى بذلك على امارة بنی زيان

فتح لاعمال الشرقية

اضطرب حبل الدولة الحفصية اثر موت ملكها ابی يحيى - المتوكـ ٤٧ ٥٧ (١٣٤٦) فشلت عن ذلك فتن ومشاكل و خاصة حول تولي الملك، فنشط لذلك امراء البيت الحفصي واخذ كل في جذب طرف حبل الرئاسة اليه يسعى في تحصيلها بكل وسيلة؛ وفيهم من ذهب مغرياً دولة مرين بالانقضاض على دولة الحفصيين واظهر في ذلك رغبة شديدة والمحاـ، وكان السلطان ابوالحسن المريني يتمنى لها الفرص من قبل لو لا مكان السلطان ابی يحيى من ولاته وصهرة . فتجهز يومئذ ابوالحسن لهذا

الفتح بجهازة وجاء محتشدًا فاقتجم وهران في صفر ٤٨٧هـ (ماي ١٣٤٧) وبنا فيها برجه الأحمر، وأمر بإنشاء برج المرسى أيضًا؛ واحتل مدينة الجزائر فعمل على تشرب العالبة من بسيط متوجة إلى المغرب الأقصى ونزل ولاية قسنطينة وبجاية فعزل عنهما ولاة الحنصيين وللبي عليهم ما قبله من بنى مرین ، ثم تقدم إلى تونس فاحتلها في موكب عظيم يوم الأربعاء ٨ جمادى الثانية -سبتمبر- يقول ابن خلدون: انه لم ير يوم مثله فيما علقناه . وفر عنها أذ ذاك سلطانها أبو حفص الثاني فيمن اجتمع إليه من أولاد مهلهل فلحقت بهم جنود أبي الحسن فأوقعوا بهم وتردى أبو حفص قتيلاً؛ وفي هذا اليوم تم لبني مرین -كما تم للموحدين قبلهم- الاستيلاء على المغرب الإسلامي بأقطاره الثلاثة : المغرب الأقصى والجزائر وتونس

ثورة بنى عبد الواد

اخْنَقَتْ سِياسَةُ بَنِي مَرِينَ مَعَ الْعَرَبِ فِي الْمُمْلَكَةِ التَّوْنِسِيَّةِ وَاسَاءَ بَعْضُ الْعَمَالَ فِي سُلُوكِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ لِلرَّعْيَةِ ، فَتَارَ النَّاسُ عَلَى السُّلْطَةِ الْمَحْلِيَّةِ وَاثَارُوا ضَدَهَا نَفْعَ الْفَتْنَةِ وَاصْلَقُوا سَيِّفَ الْمَلْوَمَةِ فَانْهَزَمَتْ مَرِينَ سَنَةَ ٤٩٧هـ (ماي ١٣٤٨) بِنَوَاحِي الْقِيرْوَانِ وَبِالْأَثْرِ اجْتَمَعَ بَنُو عَبْدِ الْوَادِ بِظَاهِرِ تُونِسِ وَبَاعِيْوَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ يَحْيَى بْنَ يَعْمَرِ اسْنَ بْنَ زَيَانَ ، وَتَحَالَفُوا مَعَ مَغْرَابَةِ وَتَوْحِينَ ، وَارْتَحَلُوا نَحْوَ الْجَزَائِرِ فِي خَمْسَائِهِ فَارَسْ وَلَحَقَ بِهِمْ فِي الطَّرِيقِ مِنْ مَغْرَابَةِ ضَعْفَ ذَلِكَ ، وَهُمْ فِي سَيِّرِهِمْ هَذَا آخْذِينَ فِي مَقَانِلَةِ رَؤْسَاءِ بَنِي مَرِينَ وَاسْتَمْرَوْا عَلَى ذَلِكَ مُتَصَرِّينَ حَتَّى دَخَلُوا تَلْمِسَانَ يَوْمَ ٢٢ جَمَادِيِ الثَّانِيَّةِ ٤٩٧هـ (١٧ سبتمبر ١٣٤٨) فَالْقَوَافِيَ الْقَبِضَ عَلَى عَامِلِ الْمَرِينِيِّينَ بِهَا الْمُسْتَبِدُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَرَارِ الْعَبْدِ الْوَادِيِّ فَأَوْدَعُوهُ السِّجْنَ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَفِي اثْنَاءِ ذَلِكَ اسْتَوْلَى عَلَى بَنِ رَاشِدِ مِنْ آلِ ثَابِتِ بْنِ مَنْدِيلِ الْمَغْرَابِيِّ عَلَى مَا كَانَ لِسَلْفِهِ مِنْ الْمَلْكِ بِوْطَنِ شَلْفَ ،

وغلب على مليانة وتنس وبرشك وشرشال واقتزى اعياص الملك بمواطنه . ولم يبق يومئذ يد مرين في الجزائر سوى مدينة وهران وونشريين ، واتفق ان كان حاضرا بأحواز تلمسان يومئذ ابو عنان بن السلطان ابي الحسن المريني فأظهر استبداده بالحكم متوقعا انتصار والده عليها فيخاب ، واخاف ريعيا مظنته

عودة الجزائر لبني عبد الواد

عاد السلطان ابو الحسن المريني من تونس بعد الاستيلاء في شوال سنة ٦٧٥٠ [ديسمبر ١٣٤٩] في ستائة سفينة يرید الجزائر ، وكانت يومئذ زوابع ورياح وعواصف بحرية ففرق قرقاً من اكب السلطان المريني ما بين سواحل داس وبجاية وكان فيمن هلك من حاشية السلطان وتأثيره الخاصة نحو الاربعين عالماً ، ولم يكن لينجو من هذا الموت الزؤام سوى ابي الحسن في شرذمة قليلة من رجال بلاطه دفعت بهم الرياح فأوقعتهم بمرأة الجزائر فكان هذا الحادث اكبر كارثة اصبت بها الدولة المرينية في اسطولها ؛ ويومئذ انهزم بنو عبد الواد هذه الفرصة واستعدوا في شهر ربيع الاول ٦٧٥١ - مای ١٣٥٠ لاسترجاع مملكتهم واماكنهم الجزائرية فتجهزوا تحت راية زعيمهم ابي ثابت الزيانى فخضعت لطاعةهم يومئذ نواحي منداس والسرسو وتيطري ومحنة ، ثم قفلوا الى تلمسان فدخلوها في شهر ربى سبتمبر . فنهض يومئذ ابو الحسن مم ولده الناصر مقاتلاً بنى عبد الواد وكان هؤلاء قد حالفوا قبيلة مغراوة العتيدة ، فانتصر ابو الحسن اولاً على اهل المدينة ومليانة ونواحيها ، ثم كانت عليه الدبرة فقهره ابو ثابت الزيانى ، كما انهزم ولده الناصر ايضاً امام على بن راشد رئيس مغراوة ، وكانت الواقعة الكبرى بينهم بسهول شلف يوم الاربعاء ١٠ شعبان [١٣ أكتوبر] فقتل الناصر المريني وفر والده السلطان الى جبل العمور ثم اصحر من هنالك الى سجلماسة وانتصر بنو عبد الواد وخلقت لهم ارض الجزائر وجاس على عرشها يومئذ ٦٧٥٢ م (١٣٥١)

السلطان ابو ثابت الزيانى

استیلاه السلطان أبي عنان على أعمال تلمسان

توفي السلطان ابو الحسن المرینی سنة (٥٧٥٢ هـ ١٣٥١ م) فخلفه ولده ابو عنان فارس ، وان اول ما تقدم اليه من الاعمال وبشره ان غزا يومئذ تلمسان ، وكان ذلك في السنة الثانية من ولايته ، فبرز لمقاومته السلطان ابو سعید عثمان الزیني وكان اللقاء بين الفريقين في سهل «انكاد» في شهر جمادی الاول (جوان) انهزم فيها بنو عبد الواد واسر ملكهم عثمان ثم قتل ، فنهض اخوه ابو ثابت بمغراوة في نواحي شلف ، واشتد سعير الحرب بينه وبين الوزير فارس بن ميمون المریني فانكسر ابو ثابت وذهب منهزا نحو بجاية وهنالك التي القبض عليه واحتل المرینيون مدينة الجزائر في شهر رجب - او ط - ثم حل سلطانهم بالمدية فأطرد منها ولادةبني عبد الواد وعمالهم وقتل هنالك طائفة من وزرائهم ورؤسائهم ثم عاد بالزعيم ابي ثابت الى تلمسان فقتلهم بها

تملك بجاية

وفد ابو عبد الله الحفصی امير بجاية صحبة وزير الحاجب فارح على السلطان ابي عنان وهو يومئذ بالمدية في شعبان ٥٧٥٣ هـ (سبتمبر ١٣٥٢ م) وكان موجب هذه الوفادة : الاستعانة لبني مرین على اهالي بجاية في تمردهم على السلطان وامتناعهم من دفع الجباية ، فاستعمم السلطان شکواه هندة واعز اليه بالواسطة من زين له التنازل عن ولاية بجاية على ان يعوضه السلطان عنها غيرها ما شاء من بلاد المغرب؛ فكان الامر كذلك ونزل ابو عبد الله عن ولايته فعقد له السلطان ابو عنان على مكناستة الزيتون وصارت بجاية لعمر بن علي الوطاسي

انفصال بجاية ، وفتح قسنطينة وبونة

اغتصاص اهل بجاية من استلاء السلطان المرسني عليهم وساعدهم منه ايضا سلوکه السياسي معهم ، فبيتوا على الثورة ، واتفق ان قدم عليهم الحاچب فارح في مأموريته له من طرف اميره الحفصي ، فاجتمع به اهل بجاية وائتمروا بحاکمها الوطاسي فقتلوا في ذى الحجۃ ٧٥٣ھ (جانفي ١٣٥٣م) وكانت هنالك غارة شعواء بين الفريقين ، فقبض سلطان مرين على ابی عبد الله الحفصي بتهمة المداخنة مع وزيره فارح ، واعتقل معه طائفه من اشراف بجاية وسادتها ممن كان ملتزمما بابی ؛ ثم لحق اهل بجاية ندم على ما فرط منهم فخشوا بودار ابی عنان وفتكه فانقلبوا على الحاچب فارح فاغتصلوا في جماعته وبعنوا براسه الى السلطان ابی عنان ؟ فعقد يومئذ لحاچبه ابی عبد الله محمد بن ابی عمرو على بجاية في جاءها في كتابه مفتاح سنۃ ٧٥٤ھ (فيفري ١٣٥٣م) فقضى شؤون الحكومة بها وصلاح من امرها وامض الفتنة القائمة يومئذ بأحوازها وقبض على رؤوس الفتنة وموكيدهما من اهل بجاية فاعتقلاهم وشردتهم الى اقصى المغرب وكان عددهم يناهز المائتين

وفي العشرين من رجب ٧٥٨ھ (١٠ جولیط ١٣٥٧م) نازل الوزیر فارس بن ميمون مدینة قسنطينة ثم لحق به السلطان ابوعنان في جم غفير من الجندي فاحتلها يوم ثانی عشر شعبان -فاتح اوط- واطرد منها اميرها ابا العباس احمد بن محمد بن ابی بکر الحفصي ، وتولی عليها يومئذ المنصور بن الحاج خلوف الياباني من رجال الشوری بدولتہ مرين فنزل بقصبها في شعبان من هذه السنة ؟ وفي هذه الانباء كان استيلاء مرين ايضا على بونة -عنابة-

الجزائر بين بنی عبد الواد وبنی مرین

انتصر محمد الحاج المرینی فتغلب على امير قسطنطينة سنة ٥٧٥٥ (١٣٥٤) وبقي يتقلب في وظائف مختلفة بأعمال هذه الولاية، فدخل ميلحة وباغ الى المسيلة؛ ثم امتلك سلطان مرین بعدها بجایة وبونة الخ ... وفي سنة ٥٧٦٠ (١٣٥٩) انتصر السلطان ابو حمو الزیانی على بنی مرین فانتزع منهم تلمسان؛ وفي السنة بعدها حمل السلطان ابو سالم المرینی على تلمسان انتقاما من سلطانها الزیانی لايواهه الزرداى عامل درعة وقاتل اخ السلطان، فاحتشد تلمسان في حملة شديدة في شهر رجب -ماي- واقتجمها يوم ٦ شعبان -٢٣ جوان. فقاومه ملكها ابو حمو الثاني وبعد عنها يوم ٨ رمضان -٢٣ جولیط.

وفي سنة ٥٧٧١ (١٣٦٩) وفدي على السلطان عبد العزیز المرینی طائفة من خواص اهل مدینة الجزائر ونواحيها يشكون اليه حيف دولة بنی زیان وشططتها في رسم المغرم؛ فكانت هذه فرصة سانحة لزحف عبد العزیز الى تلمسان واحتلالها يوم عاشوراء ٥٧٧٢ هـ (اوتوبر ١٣٧٠) واستولى بذلك على مالک بنی زیان، وانتزع من العرب اقطاعاتهم وفرق يومئذ عماله في بلاد المغرب الاوسط بوهران و مليانة والجزائر والمدية وواشریس الخ واقام السلطان المرینی بتلمسان الى ان ادركه حینه ووافاه حمامه بها سنة ٥٧٧٤ [١٣٧٢] فبُویع آن ذاك ولدته محمد الثاني بفاس؛ ومیکث ابو سعید عثمان بن جرار والیا عالی تلمسان من قبل مرین الى ان اقتجم عليه المدینة السلطان ابو حمو الثاني في شهر جمادی الاولى سنة ٥٧٧٦ هـ [نوفمبر ١٣٧٤] فخرج منها يومئذ ابو سعید وعادت الجزائر الى بنی عبد الواد

انقسام بنى مرين وتملك بنى عبد الواد

كان استبداد عبد الرحمن المرئي بملك مدينة مراكش وجلوته على عرشه
سنة ٥٧٧٦ [١٣٧٤] وخروجه عن طاعة ابن عمّه سلطان فاس أبي العباس
أحمد بن سالم سبباً في استقلال بنى عبد الواد بملك تلمسان ، وذلك لانتصار
سلطانهم أبي حمود صاحب مراكش ، وفي منتصف السنة هذه غالب صاحب فاس
على ابن عمّه فدخل عليه مراكش ثم التحق بتلمسان متقدماً من أصحابها فانهزم
أبو حمود سنة ٥٧٨٥ [١٣٨٣] وهدمت يومئذ أسوار المدينة وقصور الملك بها وقد
كانت بحث لا يعبر عن حسنها ... وبعث أبو العباس بولده فاحتل مدينة مليانة
والجزائر ودلس ثم استرجم أبو حمود مدينة تلمسان في السنة التالية ، فعمد يومئذ
أبو العباس إلى الحيلة والدهاء فأوحى إلى أبي تاشفين الزيني بغدر والده وقتلته
ليتسلّك ، فزین الشيطان لهذا الشقّ تفيد هذه المؤامرة الشنيعة فمات والده شهيداً
الغدر والخيانة واقام أبو تاشفين بتلمسان إلى سنة ٥٧٩٥ [١٣٩٢] فامتلكها يومئذ
أبو العباس سنة واحدة ثم مات في خلفه والده عبد العزيز الثاني ، وهو الذي أطلق
وثاق السلطان أبي زيان من السجن واعاد اليه اماراة تلمسان ، فانفرد بملكها
يومئذ هذه الاسرة الزينية من بنى عبد الواد واستمرت تحكم بها إلى الفتح

التركي العثماني

المذاهب والمعتقدات

كان انتصار بنى مرين الزيانيين على المصادمة الموحدين فرصة لفقهاء المالكية ، فعملوا على اعادة ريعان المذهب المالكي ونصرته بال المغرب بعد ان قضى عليه الموحدون واستبدلوه بالمذهب الظاهري او ما سموه اجتهادا ؛ فتأسست يومئذ المدارس الحكومية وانتشر التعليم مجانا بها ، واقبل عليها الطلبة يغرون من معينها ، ولقد نجحت الحكومة بعملها هذا يومئذ في القضاء على بعض الشخصيات والاسر النبيلة المتطلعة الى الرئاسة باسم التصوف وخدمة العلم فقضت على ما انشيء من طرف هؤلاء من الزوايا والرباط ؛ ونشأ عن هذا التزاحم بين مدارس الحكومة وزوايا المتصوفة ما كان فيه خير للعلم والدين فكان لكل من هاتين الناحيتين فضل كبير على المجتمع المغربي من حيث خدمة الفقه المالكي بالخصوص ، فتبين فيه فطاحل من رجال الشريعة والقانون وان لم يأخذوه بتقييم الحضارة وتهذيبها كما وقى في غيره من المذاهب في المشرق ، ذلك كما يقول ابن خلدون استغل البداوة على اهل المغرب ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لا هم العراق فكانوا الى اهل الحجاز اميل مناسبة البداوة ، ولهذا لم ينزل المذهب المالكي غضا عندهم (١)

ومن نبغاء الفقه بال المغرب يومئذ : عيسى التادلي الفاسي ، فانه كتب المدونة من حفظه بعد ما استأصلها الموحدون واخر قوها كما املأها ابو الحسن على بن عشرين على طبعة العلم من حفظه ايضا ، وقوبلت هذه النسخة على اصول المدونة فلم تختلف عنها الا بواو او قاء ! ...

واطردت يومئذ حركة التأليف في الفقه وتوسيع الفقهاء في الفروع استنبطا وتحريجا على مقتضى قواعد المذهب المالكي . اما العقاد فانها لم تحد يوما قيد افلة عن ما تركتها عليه ابن تومرت منذ جاء من المشرق بمذهب الامام الاشعري

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٢١٩ ط بولاق ١٢٧٤ م

فخامة بلاط ابن مرين

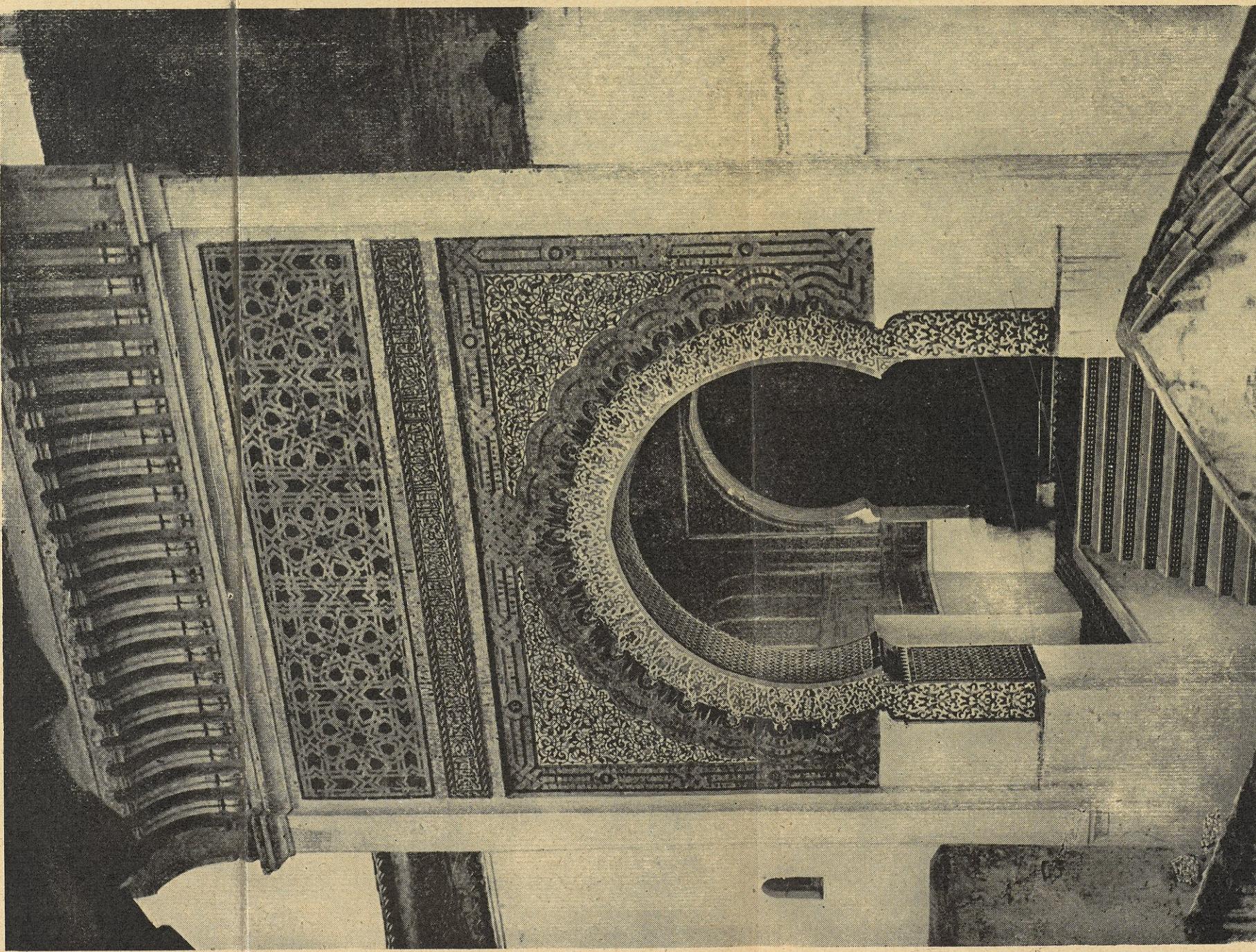
يذكر المؤرخون انه كان للسلطان ابى الحسن المرينى تعلق شديد بالحرمين الشريفين وانه اهدى للحرم الملكى فى موسم الحج لسنة ٥٧٣٨ (١٣٣٨م) مصحفا سنيما خطه بيديمه متقن الوراقه مهذب الصنعة ، جمع له بنغاز الفنون الجميلة فصنعوا له وعاء مزخرفا من آبنوس مطعم بالعاج والصندل مغشى بصفائح من ذهب مرصعة بالجواهر والياقوت ، واتخذوا له اصونته الجلد المحكمه من قومه بخطوط ذهبيه يعلوها غلاف من الحرير والديباج الرفيع وبعث مع وفد الحاج عددا وافرا من المال لشراء ضياع وحقول بالشرق وتحبيسها وقفا على القراء

خرج هذا الوفد السلطاني من تلمسان وركب البحر من مرسى هنين مصحوبا بهدايا اخرى فاخمة ضاحمة ارسل بها السلطان الى صاحب مصر الملك الناصر محمد بن قلاون . وكان من جملة محتويات هذه الهدية الملكية [٨٢٥] حبرا من ياقوت ، و[١٢٨] من زمرد ، ومثلها زبرجد ، و[٣٦٤] قطعة من المجوهرات النفيسة ؛ وحلل كثيرة منها [١٣] مذهبة ، ومن الانان [٢٠] مذهبة ايضا ، ومن الخلادي [٤٦] ، ومن القنوع المذهبة [٢٦] ، ومن المحررات المختومة [٨٠] ، ومن الرصاص [٢٠] شقة ، ومن الاكسسية الحريرية [١٨] ، ومن المشغفات [١٥٠] ، ومن احارم الصوف المحررة [٢٠] ، ومن شقق الملف الرفيع [١٦] ، ومن الفضالي المتنوعة والفرش والمحادي المنبوقة والحلل [٨٠٠] ، ومن اووجه واحسن الاحف المذهبة [٢٠] ، وحائطان حلة وحنابل [١١٢] كلها من حرير ، وفرش جلد مطرزة بالذهب والفضة ، و[١٠] س يوسف محلات بالذهب منضدة بالجواهر ، واغمدتها كذلك مرصعة ، و[١٠] سروج برکاب من ذهب ، ومثلها عشرة مطروزة بالفضة ، ومهاميز من ذهب ، وثلاث ركب فضة وستة مز جبة ومذهبة ايضا ، ومضمتان من ذهب وخوذة حديد بذهب مكلى بالجواهر ، و[١٠] من لزمات الفضة ، و[١٠] علامات مغشاة بالذهب ، ومثلها رايات مذهبة و[١٠] امثلة

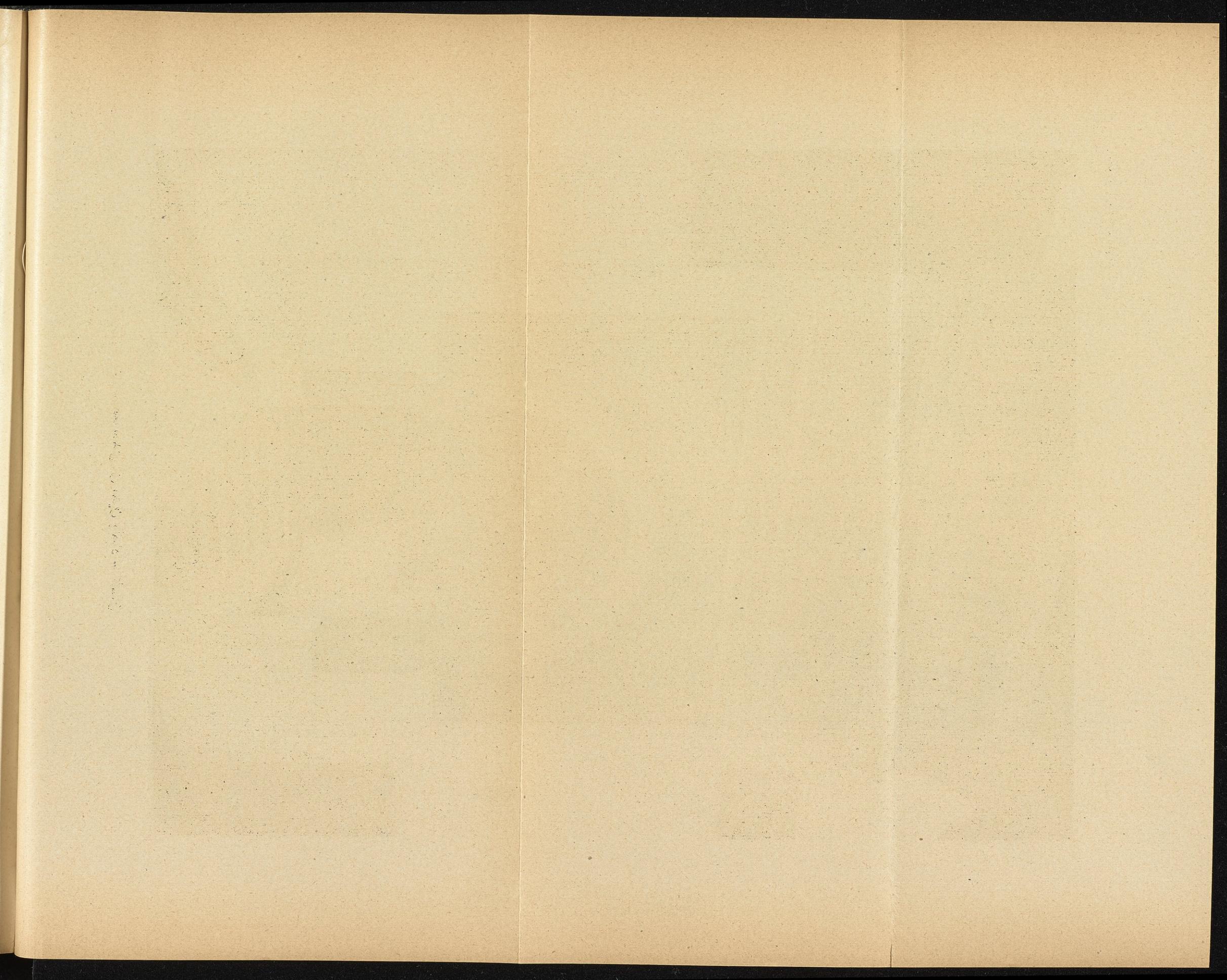
مرقومة ، و[٣٠] جلد اشرك ، و[٤٠٠] درقة ملطية منها مئتان بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة ؛ وخباء قبة كبيرة من مائة بنية لها اربعة ابواب ، وقبة اخرى مضربة من ست وثلاثين بنية مبطنة بحلقة مذهبة ، وهي من حرير ابيض ومرابطها من حرير ملون وعمودها من عاج وآنسوس واكبارها من فضة مذهبة ؛ ومن البارات الاحرار المتنقتات [٣٤] بزة ، ومن عتاق الحيل العراب [٣٥] حصانا ، ومن البغال [١٢٠] ذكورا واناثا ، و[٧٠٠] جمل ، و[٤٢] بازا . مما كان يقدر يومئذ جميعه بمائة الف دينار . وكان اتصال هذا الوفد بالديار المصرية في اليوم الثاني من رمضان هـ ٧٣٨ (٢٤ مارس ١٣٣٨) فتلقاءه مهندمار السلطان الناصر بحفاوة واجلال مما جعل هذا اليوم في التاريخ من ايام مصر المشهودة ، وحملت الهدايا على ثلاثة قطارا من بغال النقل - عدا الجمال - وكفانا هذا حجة ودليل في سياق الاستشهاد على فخامة بلاط الدولة المرئية وضخامة سلطانها وكافة الملك الناصر عن هذه الهدية الملكية الفخمة العظيمة بما يقاربها من التحف النفسية والأشياء الثمينة ، وفيها ما يستغرب جنسه وشكله فازدادت العلاقة الودية بذلك بين ملوك المشرق والمغرب تأكيدا كما ازداد التضامن والارتباط الاسلامي بينهم ميشاقا وعهدا (١) ومما يعد كذلك من رفاهة هذه الدولة وتقدمها في الميدان الفنى ما وجد بقصر السلطان ابى عنان من ذلك النموذج العجيب الفريد الذى يمثل شكل قلعة جبل الفتح - جبل طارق - بجميع ما تحتوى عليه هذا الجبل من الابراج والمحصون وغير ذلك من مظاهره العمرانية واسواره الخ ... فلا غرو اذا كان يومئذ هذا البلاط يفوق غيره من قصور قرطبة وبغداد والقاهرة ، وهذا معنى قول ابن خلدون : ان الحضارة الاندلسية انتقلت بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وزناناته

(١) انظر تفاصيل هذه الهدايا والعلاقة الودية والسفارات السياسية التى كانت تقام بين ملوك المشرق والمغرب في تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ٤٢٠ و ٤٤٠ و ٤٧٩ و ٥٠١ و ٣٤١ و ٣٤٥ ط القاهرة ١٣٧٠ هـ وكتاب الاستقصاء ج ١ ص ١٧٤ وج ٢ ص ٤٠ - ٤١ وكتاب الروضتين لابى شامة ج ٢ ص ١٧٣ ط مصر ١٢٨٨ هـ

باب مسجد سیدی ابی مدين بالعباد - تلمسان



تصوير افالاک - الحزائر



الثقافة والحضارة والعمان

انقضى القرن الثامن الهجري بالمغرب وله عراك وقنق وحروب واضطربات سياسية مختلفة اثارتها النزوات السياسية والعصبية القبلية بين بنى مرین ومجاورיהם من بنی عبد الواد والحفصيين، ولذلك لم نك نظر في اثار عمرانية باقية تذكر لهذه الدولة بالجزائر سوى ما سجله التاريخ من التخریب والتدمیر والنسف لما شيدته يد الحضارة الاسلامية بهذه الديار من قبل !

وإذا حاولنا تعلیل هذه الظاهرات التجلية يومئذ في سكان المغرب ، فانت لانکاد تجد لها تعلیلاً معقولاً او حالاً مطابقاً ل الواقع سوى فقر بعض النواحي النائية عن الحضارة ومواطن الرفاهية بالمغرب . مما جعل اهلها يزدحرون على الاماكن الخصبة ومواقع الخير

ورغم ذلك كله فإنها لا تزال بعض معالم المدنية من آثار هذه الدولة مائدة للعيان قائمة بالمغرب الاقصى والجزائر ؛ ممتازة برشاقتها وشكلها الاندلسي البديع؛ فمنها بفاس المدرسة العنانية ومدرسة العطارين ومدرسة الصفارين ومدرسة الصهريج والمدرسة المصباحية الخ ومنها بالجزائر وهي قليلة جداً كما ذكرنا لا تكاد تذكر بالنسبة الى عظمة هذه الدولة وفي خاتمة سلطانها واتساع عمرانها - : المسجد الجامع المستصل بضریح الشیخ ابی مدین شعیب بن الحسین الاندلسی رضاحیة العباد في تلمسان ، وكذلك المدرسة المجاورة له ، وكلاهما من منشآت السلطان ابی الحسن المرینی سنة ٥٧٤٨ھ (١٣٤٧م) وكلاهما آية في فن المعمار والزخرفة والنقش ؛ اما الضریح نفسه فهو من بقايا ما انشأ خلیفۃ الموحدین محمد الناصر بن المنصور بالجزائر؛ ومنها البرج الاحمر وبرج المرسى بوهوان الدان اشْهَما ابو الحسن ايضاً في تلك السنة ، والمسجد الجامع بمستغانم ٥٧٤٢ھ (١٣٤٠م) ؛ ويذكر ان بالجامع الاعظم في الجزائر جناحاً منه هو من زيادات ابی الحسن . وذلک الجامع الجميل مسجد سیدی الحلوی بتلمسان فإنه مما اخرجته يد الفن المغربي

على عهد السلطان أبي عنان ٤ هـ ١٣٥٣ م) وكذلك ما اتصل به من البناء هو مما انشئ في ذلك العصر ، كما يذكر أن الجامع الكبير بقسطنطينة هو أيضا من آثار أبي عنان. وتدلنا الابحاث التاريخية على أن الجامع الجديد مركب ديوان الافتاء الحنفية اليوم بالجزائر المؤسس سنة ١٦٦٠ هـ ١٣٥٤ م) إنما بنى على انقضاض المدرسة العنانية ؛ وأنه كان يعرف من قبل بجامع زاوية سيدى أبي عنان او جامع المدرسة العنانية ؟ ... ولا ادرى ما العلاقة في ذلك ؟ وكذلك قصبة بلدة المدية فانها انشئت سنة ٤ هـ ١٣٥٤ م) على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني ، ولا تزال الى اليوم بقايا من اطلال مدينة المنصورة التي أقامها هذا السلطان نفسه غير بي تلمسان سنة ٩٨ هـ ١٢٩٩ م) تشهد بمنتهى ما بلغه فن المعماري المغربي الجزائري من الابداع والاتقان في ميدان الزخرفة والنقش واحكام البناء ، قال ابن مرزوق الخطيب « منصورة تلمسان التي لم ير الراؤون مثلها ، ولا وصف الواصفون مثل وصفها . (١) اما عن سير الحياة الاقتصادية والحركية التجارية ، فقد كادت المتوجبات المغربية ان تتحصر يومئذ في صناعة الجلد ونسج الصوف والحرير المزركيش ، ولقد اشتهرت معامل الصوف المغربية في العالم حتى اشتقت لها في لغة اوروبا اسم Merinos - ميريروس - وهو خاص بالنوع الجيد من الصوف ، وهي كما لا يخفى نسبة الى المرينيين ، وكذلك صناعة الجلد اشتهرت في اوروبا بنسبةها الى المغرب Maroquinerie ولا تزال تعرف بهذا الاسم الى الان .

واما اردنا ان ننظر الى خصوصية الاقليم الجزائري في ذلك فإنه يكفيانا ان نعلم ما حكاه ابن خلدون عن الحياة العامة في مدينة المنصورة التي هي قرب تلمسان ونجعله كنموذج مصغر نطلع به على سير الحركة الاقتصادية بالجزائر في ذلك العصر ، قال :

(١) انظر ص ٧٦ من هذا الجزء والجزء السابع من تاريخ ابن خلدون صفحة ٢٢١

واختط بمكان فسطاط المعسکر قصرا لسكنه واتخذ به مسجدا للصلوة وادار عليهما السور وامر الناس بالبناء فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الراقية واتخذوا البساتين واجروا المياه ثم امر بادارة السور سياجا على ذلك سنة اشتتن وسبعين وصيروا مصرا فكانت من اعظم الامصار والمدن واحفافها اتساع خطنة وكثرة عمران ونفاق اسوق واحتفال بناء وتشييد منعة ، وامر باتخاذ الجمامات والمارستان وابني مسجدا جامعا وشيد له مآذنة رفيعة فكان من احفل مساجد الامصار واعظمها وسمها المنصورة واستبahir عمرانها ونفقت اسوقها ورحل اليها التجار بالبضائع من الآفاق فكانت احدى مدائن الغرب (١)

اما عن سير الحركة العلمية ونظام التعليم، فأنه يكفي ان قد عرف هذا العصر عند المؤرخين بعصر انشاء المدارس والمعاهد وترسيم العلماء والمدرسين بها ، غير اننا نرى القوم يومئذ تغلب عليهم علوم الشريعة والدين ، ولاحظ لهم في غيرها من الفنون العقلية الا قليلا مما جاءهم عن علماء اندلسيين او مشارقة ، وذلك لأن العلوم الفلسفية نشأت هنا على ايدي افراد متفرقين حركتهم الرغبة اليها فهم متفرقون لا تربطهم مجالس ، وهم فوق ذلك تحت رقابة من علماء الرسوم المتزمتين وتتأكد تلهم سير الحياة العلمية ببرامجهما وفي جميع مظاهرها بالمغرب يومئذ فيما سطره ابن خلدون عن نظام التعليم وطريقة المغاربة في ذلك حيث قال :

«وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذى ادر ~~كنا~~ يجهلون طرق التعليم وفادته ويحضرون المتعلم في اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم يطالبوه باحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مراانا على التعليم وصوابا فيه ، ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويختلطون عليه بما يلقون له من غيارات الفنون في مباديهما وقبل ان يستعد لفهمها ، فان قبول العلم والاستعدادات لفهمها تنشأ تدريجيا ، ويكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقرير

والاجمال وبالامثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا
بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من القريب الى الاستيعاب
الذى فوقه حتى تم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ، ويحيط هو بمسائل الفن ؛
وإذا أقيمت عليه الغايات في البدایات وهو حيئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد
عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل
عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه وإنما اتى ذلك من سوء التعليم «

وكادت ان تنقرض وتختفي صناعة التعليم هذه بالغرب لولا ان ارتحل الى
المشرق من افريقية - يعني تونس - القاضى ابو القاسم بن زيتون لعهد اواسط
المائة السابعة، فأدرك تلميذ الامام ابن الخطيب - الفخر الرازى - فأخذ عنهم ولقن
تعليمهم وحذق في العقليات والنطليات ورجم الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن ...
ثم ارتحل من زواوة في آخر المائة السابعة ابو على ناصر الدين المشداوى
وادرك تلميذ ابى عمرو بن الحاجب واخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرأ مع
شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحذق في العقليات والنطليات ورجم الى
المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل بجایة واتصل سند تعليمه في طلبتها، وربما
انتقل الى تلمسان عمران المشداوى من تلميذه واوطنهما وبث طريقة فيها، وتلميذه
لهذا العهد بجایة وتلمسان قليل او اقل من القليل ؛ وبقيت فاس وسائر اقطار
المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقىروان ، ولم
يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والخذق في العلوم »

وفي بيان سلوك الطلبة في تعلمهم وخطتهم المتبعة المرسومة في تلقيمهم للعلم يقول :

« انك تجد طالب العلم منهم - المغاربة - بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في
ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاضلون ، وعنايتهم بالحفظ اكثرا
من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد
تحصيل من يرى نفسه منهم انه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه ان فاوض

او ناظر او عالم ، وما اتاهم القصور الا من قبل التساعين وانقطاع سندة ، والا فحفظهم ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنایتهم به وظفهم انه المقصود من الملكة العلمية ، وليس كذلك؛ ومما يشهد بذلك في المغرب ان المدة العميقة لسكنى طبعة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة ، وهي بتونس خمس سنين ، وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي اقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية او اليأس من تحسيلها فطال امدها في المغرب لهذه المدة لاجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة لاما سوى ذلك . وان ايسر الطرق للحصول على هذه الملكة العلمية والحق في العلوم هو فتق المساند بالمحاورة والمناقشة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرادها »

ورغم هذا الالتواء والتعقيد في طرق التحصيل يومئذ فانه ينبع بالجزائر في هذا العصر علماء فطاحل اشتهرروا بالزعامة في العلم والرئاسة في الدين كييت العقبياني والمشداوي وابن مرزوق والعبدري وابن قنفود القسنطيني وشقرتون الوهراني شيخ الحافظ الذهبي وغيرهم من اعيان علماء الجزائر

ولقد اشتهر ملوك هذه الدولة المرينية بنصرة العلم والأخذ بيد العلماء فان مجالسهم كانت لا تخليوا من طائفة كبيرة منهم وفيهم من كان لا يستغني عنهم حضرا وسفراء كالسلطان ابي الحسن وولده ابي عنان مثلاً؛ وخزائنهم مملوءة بمحفظات المؤلفات الفنية في شتى انواع الفنون ولم يكن ليشغلهم عن جلب الكتب الى المدارس والمساجد وتوزيعها على المعاهد العلمية شيء بل وحتى في اخرج المواقف واسدها فان عنایتهم دائمة وابدا مصروفة الى العلم، فها انت ترى السلطان ابا يوسف يعقوب المريني كيف اشترط على ملك الاسبان «سانشو الرابع» في معاهدة الصلح التي عقدها معه : ان يعيد اليه جميع المخطوطات العربية التي حازها ايام استيلائه على قرطبة وشبيلية ، فبعث اليه سانشو المذكور بثلاثة عشر حملة من الكتب ، فرقها ابو يوسف وزعها بين خزائن مساجد المغرب؛ وكان رحمة الله يعد ذلك

في نفسه انتصارا عظيما ما يفتخرون به وانه لا يقل عن انتصاراته العظيمة في
الحروب والغزوات

ويعود ابن خلدون فيحدثنا عن سير التعليم الابتدائي بال المغرب ايضا فيقول بعد تقديم الكلام على اختلاف مناهجها وطرقها وتنوع اساليبها عند الامم : « ... فأما اهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ، وأخذهم اثناء المدارسة بالرسم وسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى ان يحذق فيه او ينقطع دونه فيكون انقطاعهم في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة ، وهذا مذهب اهل الامصار بالغرب ومن تبعهم من قرى البربر ام المغرب في ولدانهم الى ان يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيهة وكذا في الكبير اذا رجم مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره ، فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم »

« وأما اهل افريقيا - تونس - فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، الا ان عنایتهم بالقرآن واستظهار الولدان اية ووقوفهم على اختلاف روایاته وقراءته اکثر مما سواه ، وعنایتهم بالخطتبع ذلك ، وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن اقرب الى طريقة اهل الاندلس لان سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الاندلس الذين اجازوا عند تغلب النصارى على شرق الاندلس واستقروا بتونس وعنهـم اخذ ولدانهم بعد ذلك » ويدرك لنا ابن خلدون نتيجة ملاحظته الدقيقة في خصوصية نظام التعليم هذا بتونس والمغرب فيقول :

« فأما اهل افريقيا والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة ؛ وذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما ان البشر مصروفون عن الاتيان بمثله ، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على اساليبها

والاحتذاء بها وليس لهم مملكة في غير اساليبها فلا يحصل اصحابها مملكة في المسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام ، وربما كان اهل افريقيا في ذلك اخف من اهل المغرب لما يخاطرون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه فيقتدرؤن على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بمثل ، الا ان ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان اكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة »

وكما يحدثنَا مؤرخنا العظيم عن حالة الخط العربي بالغرب وسقوط صناعة نسخ الكتب يومئذ بتدحرج الخط وانحطاطه فيقول آسفا :

« صارت الخطوط بافريقيا والمغاربة مائدة الى الرداءة بعيدة عن الجودة ، وصارت الكتب اذا اتسخت فلا فائدة تحصل لتصفيحها منها الا بالعناء والمشقة لكترا ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تقاد تقرأ الا بعد عسر ، ووقد فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول »

اما عن صناعة الطب وفنون الحكمة فانها نقصت كذلك في هذا العصر لوقف العمران وتناقصه؛ واما الغناء وفن الموسيقى فقد بقيت منه صيابة كما يقول ابن خلدون تناقلت عن بلاد الاندلس بعد ذهب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقيا والمغرب، وانقسم على امصارها على تراث عمراها وتناقص دولها (١) والمعروف عن اهل الاندلس انهم اخذوا فن الغناء وورثوه عن زرباب غلام الموصليين فاليه يرجع سند فن الغناء وموسيقى اهل العواصم من الحضن باقطار المغرب الثلاثة

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٥ و ٢١١-٢١٠ و ٢٤٠ و ٢٧٧-٢٧٥ ط بولاق ١٢٧٤ هـ

امضت دولة مرين كل ايامها بالجزائر في عراك ومقاتلة ضد من احبيها من بنى ابي حفص وبنى عبد الواد ، بلـ ما كان يتجاذبها من حوادث الثوار بالغرب الاقصى والاندلس ومحاربتها المتواصلة في رد هجوم القشتاليين والبرتغال والايطاليين عن بوغاز جبل طارق وسواحل المغرب الخ.... فظـ هـر يومـ هـنـ عـجزـ هـاـ عـلـىـ القـبـضـ بـادـارـةـ المـغـرـبـ الـاسـلامـيـ كـاهـ

ولما افضى امر الدولة الى السلطان ابى سالم ابـ زـاهـيمـ بنـ ابـىـ الحـسـنـ نـفـضـ يـدـهـ وـنـ شـرقـ مـمـلكـةـ الـجـزـائـرـ وـكـتبـ فيـ ذـلـكـ اـلـىـ الـمـنـصـورـ بـنـ خـلـوفـ لـيـسـلـهـاـ اـلـىـ اـبـىـ العـبـاسـ الحـفـصـيـ؛ فـتـسلـلـهـاـ بـنـوـ اـبـىـ حـفـصـ فيـ رـمـضـانـ سـنـةـ ٧٦١ـهـ (ـجـوـلـيـطـ ١٣٦٠ـمـ) وـبـقـيـ غـربـ الـجـزـائـرـ مـتـصـلـاـ بـالـمـمـلكـةـ الـمـرـيـنـيـةـ اـلـىـ اـنـ اـنـتـصـرـ السـلـطـانـ اـبـوـ زـيـانـ بـنـ اـبـىـ حـمـوـ الشـانـيـ عـلـىـ عـرـشـ تـلـمـسـانـ سـنـةـ ٧٩٦ـهـ (ـمـ ١٣٩٣ـمـ) فـقـطـ دـعـوـةـ الـمـرـيـنـيـنـ عـنـهـاـ كـاـ كـاـ المـعـنـاـ اـلـىـ ذـلـكـ فـيـمـاـ تـقـدـمـ ، وـكـاـ سـنـوـضـحـهـ فـيـمـاـ يـلـىـ اـنـ شـاءـ اللهـ مـنـ تـارـیـخـ دـوـلـةـ بـنـ زـيـانـ وـيـوـمـئـذـ اـنـحـازـتـ دـوـلـةـ مـرـيـنـ اـلـىـ الـمـغـرـبـ الاـقـصـىـ اـلـىـ اـنـ صـارـ مـلـكـهـاـ اـلـىـ اـبـىـ سـعـیدـ عـثـمانـ فـأـخـذـ الـبـرـغـالـيـوـنـ يـوـمـئـذـ فـيـ بـسـطـ نـفـوذـهـ وـنـشـرـ سـلـاطـتـهـمـ عـلـىـ الشـوـاطـئـ الـمـغـرـيـةـ بـدـافـعـ التـنـافـسـ وـالتـزاـحـمـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ الـإـسـبـانـ فـيـ سـيـلـ الـوـصـولـ اـلـىـ الـهـنـدـ فـسـقـطـتـ بـعـضـ الـمـوـانـيـ الـمـغـرـيـةـ بـيـدـ الـاجـانـبـ وـاحـتـلتـ مـعـظـمـ الـمـرـافـيـءـ وـاهـمـهـاـ ، وـسـاءـتـ يـوـمـئـذـ سـيـاسـةـ السـلـطـانـ عـبـدـ الـحـقـ بـنـ اـبـىـ سـعـیدـ فـاقـتـسـمـ الـوـزـرـاءـ النـفـوذـ بـيـنـهـمـ وـالـسـلـطةـ وـتـسـلـطـ اـلـيـهـ وـدـ عـلـىـ الـادـارـةـ الـعـلـيـاـ فـجـازـوـ اـسـمـيـ منـاصـبـ الـدـوـلـةـ فـكـانـ هـارـونـ وـزـيـراـ وـشـاوـيلـ حـاكـمـ بـفـاسـ ، فـسـقـطـتـ بـذـلـكـ هـيـبةـ السـلـطـانـ مـنـ نـفـوسـ الـرـعـيـةـ وـوـهـتـ الـعـلـائقـ بـيـنـهـمـ وـتـضـعـضـتـ دـعـائـمـ الـمـلـكـ فـاـنـحـلـ تـمـاسـكـهـاـ وـعـمـ الـاضـطـرـابـ وـالـفـشـلـ سـائـرـ اـعـضـاءـ الـدـوـلـةـ وـرـجـالـهـ الـمـسـؤـلـيـنـ فـتـارـتـ الـرـعـيـةـ سـاخـطـةـ عـلـىـ السـلـطـانـ عـبـدـ الـحـقـ فـقـتـلـهـ وـقـتـاتـ مـعـهـ وـلـاتـهـ الـيـهـودـ (ـهـ ٨٦٩ـمـ ١٤٦٥ـمـ) وـبـقـتـلـهـ اـنـتـهـىـ دـوـرـ اـسـرـةـ بـنـيـ عـبـدـ الـحـقـ ، وـاـنـتـصـرـ مـكـانـهـ بـنـوـ طـاسـ وـهـمـ مـنـ بـنـيـ مـرـيـنـ اـيـضاـ ،

فبقي الامر فيهم الى ان تغلب عليهم ابو عبد الله محمد الشيخ القائم بأمر الله السعدي فاحتل مدينة فاس سنة ١٥٥٤ هـ (٩٦١ م) فانقرضت يومئذ دولة بنى مرین بال المغرب الاقصى وحلت محلها الدولة السعدية، وذلك لثلاث وتسعين ومائة سنة قضتها هذه الدولة في حكم المغرب الاسلامي، امضا من منها بالجزائر ١٢٤ سنة، وبashرت الحكم فيها بنفسها نحو ربم قرون ثم تركتها لبني عبد الواد فحكموها طيلة بقية هذه المدة تحت امرها وطاعتها الى ان انقردوا بها

ولاية الجزائر وزعماؤها

اشتهر من ولاية الجزائر على عهد المرinيين يحيى بن سليمان العسكري عقد له السلطان ابو الحسن على فتح القطر الجزائري فسار اليه سنة ١٣٣٥ هـ (٥٧٣٦ م) وفتح امصاره حتى انتهى الى بلدة المدينة؛ وكما عقد هذا السلطان لولديه عبد الله على مدينة الجزائر وابي عنان على تلمسان وسائر المغرب الاوسط ، فتولى ذلك ابو عنان سنة ١٣٤٦ هـ (٥٧٤٧ م) وكانت اليه جيانته ، كما تولى نفس هذه الولاية محمد المهدي على عهد والده ابی عنان ايضا؛ ولما ظهر انتصار بنی زیان على المرinيين وخرج ابو عنان من تلمسان سنة ١٣٤٨ هـ (٥٧٤٩ م) ترك على ولايتها عثمان بن يحيى بن حرار فدعا لنفسه اشهرها الى ان دخل عليه بنو عبد الواد فاستأمن فامنوه بعد ما عزلوه ومات من سنته ، وكثيرا ما تولى مشيخة بنی عبد الواد هذه الولاية تحت طاعة بنی مرین . واشتهر من ولاية الشعالبة بميحة ابو الجملات بن عايد بن ثابت بن محمد بن سباع الشعالبي هلك في طاعون سنة ١٣٤٨ هـ (٥٧٤٩ م) فخلفه ابراهيم بن نصر بن حنيش بن ابی حميد ثابت ، وما هلك اباما ابی عنان تولى مكانه ابنة سالم . وعقد السلطان ابو عنان للحاجب محمد بن ابی عمرو على بجاية وسائر اعمالها وعلى حرب الموحدين بقسطنطينة . وقد جمع له من قبل ما بين الحجابة والقيادة والعلامة والسفارة وديوان الجندي والحساب والقهرمة وسائر القاب وظائف الدولة ، وحتى خصوصيات الدار ، فسار ابن ابی عمرو والى بجاية

سنة ٥٧٥ (١٣٥٣م) وتولى زمامها الى وفاته في المحرم ٥٧٥٦ [جانفي ١٣٥٥] فتولى بعده الوزير عبد الله بن علي بن سعيد الياباني : ثم عزل واعتقل ، فتولى مكانه القائد يحيى بن ميمون بن امصمود فغلب عليه الحفصيون واعتقلوا بتونس سنة ٥٧٦٠ - ١٣٥٩ م كما تولى على بجاية ايضا كل من محمد بن النوار وهو من طبقة الوزراء - وعمر بن علي بن الوزير بن ابي وطاس ؛ وابي عبد الله محمد بن الامير ابي زكرياء ولاة ابو عنان اقليم بجاية ليدفع عنه حملة ملوك تونس يومئذ ، كما انه ولد على قسنطينة يوم ان فتحها ٥٧٥٨ [١٣٥٧] المنصور بن الحاج خلوف الياباني المريني ، ثم امره بالنزول عنها سنة ٥٧٦١ - ١٣٥٩ م وتركها للامير ابي العباس الحفصي ؛ وكان على ولاية بونة الفضل بن يحيى فشار ضد الحكومة المركزية سنة ٩٤٩ (١٣٤٨) وغلب على قسنطينة وبجاية ؛ وكان على ولاية دلس يحياتن بن عمر شيخ بنى ونكاسن المرينيين ، وعلى ولاية الجزائر ابن علان ، وجعلت جيانتها للمسعود بن ابراهيم اليرناني من طبقة الوزراء ؛ وكان على اعمال قسنطينة محمد بن العباس ، وعلى ولاية بسكرة يوسف بن مزني وهو صاحب زمام رياح ، ورأسة مليانة كانت لعلى بن حسون بن ابي على الهماطي - او اليناطي ؟ ... - وهو احد قادة السلطان ومواليه ، اجتمع به ابن خلدون في دار حكمه بمليانة سنة ٥٧٧٤ (١٣٧٢) :

وكان رأسة قبائل احياء العطاف في اولاد يعقوب ، ورأسة بنى عامر الصغير بن علي ، ورأسة كومية لا ابراهيم بن عبد الملك الوهاصي نسبة الى قبيلة ولها صلة بساحل التافرا فاستبدل بهذه الولاية برهة واضر بها على بنى مرین وبنى عبد الواد نصارا تلضى الى ان قضى عليه بنو عبد الواد فكان حاله مثل ابي سعيد عثمان بن جرار حين ولاة ابو عنان تلمسان

وكان رأس سدو~~ي~~كش - البسائط الواقعة بين قسطنطينية وبجاية - لبني علاوة بن سواعق، واشهرهم مهنا بن تازير بن طلحة بن على بن علاوة بن سواعق؛ فقتلهم بنو عمه اولاد يوسف بن حمو بن سواعق، وحيثند تراس عليهم عدون بن عبد العزيز بن زروق بن على بن علاوة، ثم هلك فاقتصر بعده امرهم . وبقيت رأس سدو~~ي~~كش لاولاد يوسف المذكور ؛ قال ابن خلدون «ويرادف اولاد سواعق في الرأسة على بعض احياء سدو~~ي~~كش بنو سكين . ومواطنهم جوار لواتها بجبل بابور وما اليه من نواحي بجاية ، ورأسهم في بنى موسى بن ثاير ادركنا ابنه صخر بن موسى» (١)

وكان على رأسة بنى يزيد بسهل حمزة موسى بن ابي الفضل ، وعلى رأسة وانشريس نصر بن عمر بن عثمان ، وكانت رأسة مسراً له بالقلعة المطلة على البطحاء من نواحي سيق غربى نهر مينة ، لبني عبد العزيز ، ثم انتقلت الى بنى عمهم بنى اسحاق ؛ وكانت رأسة قبليتها وينفذ الهوارية مما يلى نسبة لاولاد سليم بن عبد الواحد بن عسكر بن محمد بن بurga ، وكانت قبلهم لسارية

وكان على ولاية وهران القائد عبوس بن سعيد من ضيائع بنى مرین ، وقطع ابو عناز وزير ابا يعقوب وزمار بن عريف سهل «السرسو» وقلعة ابن سلامة وموطن من بلاد توحين - ما بين قلعة سعيدة غربا الى المدية شرقا -

واما عن امراء البحر فانه لم يحضرني الان من اسمائهم سوى القائد ابي عبد الله محمد الااحمر

ملوك الدولة المرinية

بنو عبد الحق :

تاریخ التولیة

م ١١٩٦	٥٥٩٢	ابو محمد عبد الحق بن ابى خالد حميو
م ١٢١٧	٥٦١٤	ابوسعيد عثمان بن عبد الحق (ادغال)
م ١٢٣٩	٥٦٣٧	محمد (الاول) بن عبد الحق
م ١٢٤٤	٥٦٤٢	ابويحيى ابوبكر بن عبد الحق
م ١٢٥٨	٥٦٥٦	ابويعقوب يعقوب بن عبد الحق
م ١٢٨٦	٥٦٨٥	ابويعقوب يوسف بن يعقوب ، الناصر لدين الله
م ١٣٠٧	٥٧٠٦	ابو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف
م ١٣٠٨	٥٧٠٨	ابوالربيع سليمان بن ابى عامر
م ١٣١٠	٥٧١٠	ابوسعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب
م ١٣٣١	٥٧٣٢	ابوالحسن على بن عثمان
م ١٣٤٨	٥٧٤٩	ابوعنان فارس المتوكل بن على
م ١٣٥٨	٥٧٥٩	ابوزيان محمد بن فارس ابى عنان - ولى ثم عزل في الحال
م ١٣٥٨	٥٧٥٩	محمد السعيد بن ابى عنان
م ١٣٥٩	٥٧٦٠	ابوسالم ابراهيم بن على
م ١٣٦١	٥٧٦٢	ابوعامر تاشفين بن على
م ١٣٦١	٥٧٦٣	عبد الحليم بن ابى على عمر - انفرد بسيجلهاسته منذ ربيع الاول
م ١٣٦٢	٥٧٦٣	ابوزيان محمد (الثاني) المنتصر بن ابى عبد الرحمن
م ١٣٦٦	٥٧٦٨	ابوفارس عبد العزيز المستنصر بن على
م ١٣٧٢	٥٧٧٤	ابوزيان محمد (الثالث) السعيد بن عبد العزيز

م ١٣٧٤ هـ ٦٧٧٦	أبو العباس أحمد المستنصر بن إبراهيم
م ١٣٨٤ هـ ٦٧٨٦	موسى بن أبي عنان
م ١٣٨٦ هـ ٦٧٨٨	أبوزيان محمد (الرابع) المستنصر بالله بن أحمد
م ١٣٨٦ هـ ٦٧٨٨	أبوزيان محمد (الخامس) الواشق بالله بن أبي الفضل المستنصر للمرة الثانية
م ١٣٨٧ هـ ٦٧٨٩	أبو فارس أحمد
م ١٣٩٣ هـ ٦٧٩٦	عبد العزيز بن أحمد
م ١٣٩٦ هـ ٦٧٩٩	عبد الله بن أحمد
م ١٣٩٧ هـ ٦٨٠٠	أبو سعيد عثمان (الثاني) بن أحمد
م ١٣٩٨ هـ ٦٨٠١	أبو مالك عبد الواحد بن موسى
م ١٤٢٧ هـ ٦٨٣١	أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان (الثاني)
م ١٤٢٨ هـ ٦٨٣١	

بنو وطاس:

م ١٤٢٨ هـ ٦٨٣١	أبوزكرياء يحيى بن زيان الوطاسي
م ١٤٤٨ هـ ٦٨٥٢	علي بن أبي الحجاج يوسف بن منصور
م ١٤٥٨ هـ ٦٨٦٣	محمد (الاول) - أبوزكرياء يحيى بن يحيى
م ١٤٧٠ هـ ٦٨٧٥	محمد (الثاني) الشيخ البرتقالي بن محمد (الاول)
م ١٥٢٤ هـ ٦٩٣١	أحمد بن محمد (الثاني)
م ١٥٥٠ هـ ٦٩٥٧	محمد بن أحمد

مشاهد الجزائر

ابو الحسن على الحزاعي التلمساني

٥٧٨٩ - ١٣٨٧

هو الكاتب الكبير والاديب الشاعر المؤرخ العلامه الشيخ ابو الحسن على بن محمد بن احمد بن موسى بن مسعود الحزاعي التلمساني ، يتمى الى اسرة هى من اعيان الاسر الاندلسية المنتقلة الى الجزائر ، المشهورة هنالك بالرئاسة في السياسة والعلم والقضاء ، كان والده فقيها كاتبا بارعا فيحظى عند ملوك وامراء تلمسان وجمع بين خططي السيف والقلم فاشتهر بلقب ذى الوزارتين ، انجب ولده عليا صاحب الترجمة - بتلمسان سنة ١٣١٠ (٥٧١٠ م) فنشأ مقتفيا خطوة آباءه واجداده النبلاء جادا في تحصيل العلم والادب ، وكان من مشائخه ابن مرزوق الخطيب ، والقاضى البليقى

برز رحمه الله في الادب والفقه والحساب والتاريخ ؛ واشتهر باليشار وكرم الاخلاق وحسن السيرة ، فتنافس في مصاحبة ملوك المغاربة : الاوسط والاقصى ، فكتب اولا العلامة للسلطان ابي سالم ابراهيم المريني ، ثم كتب في بلاط بنى زيان بتلمسان واخيرا استقر في بلاط بنى مرين كاتبا للاشغال فجاز لديهم رئاسته قلم الدولة ونال من الخصوة ما يستحقه امثاله النبغاء من العلماء عند الملوك وله من الشعر قوله لما بموسى بن ابي عنان المريني فرسه بالشماعين اثر

صلحة الجمعة

مولاي لا ذنب للشقراء ان عذرت
وهلها ما اعتراها من مهابتكم
تكتبو الحجات ولم تتبوا عزائمها
اعلا النبيين مقدارا وختامها

كبابه فرس ابقي بسقطته
في جنبه خدشة تبدو مراسمها
حتى لصلى صلاة جالسا ثبتت
لنا بها سنة لاحت معالمها
صلى عليه الاله دائمًا ابدا
ازكى صلاة تحييها نواسمها

ولما قف على تأليف له رحمة الله سوى ذلك الكتاب العجيب الذي انفرد به بين علماء
الاسلام بتدوين تاريخ الحضارة الاسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
واعنى به كتاب «تخریج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية» وهو لعمرى كتاب نفيس
فريد في بابه مستوعب لموضوعه، لم يترك فيه خطة او وظيفة او رتبة او صناعة
او حرفة او اي عمل من اعمال المجتمع الاسلامي في ميدان المصالح الادارية
عسكرية كانت او مدنية ، او شرعية او علمية، الخ... الا وثبتت اصلها في الاسلام
ودليلها من السنة وعمل الحلفاء الراشدين فيها مع التعرض الى ذكر اول من
باشر تلك الاعمال بنفسه من الصحابة او كان منن ولاة رسول الله عليهما ؟ فكان
الخزاعي بذلك من اسبق العلماء الى تدوين تاريخ المدينة الاسلامية وتفصيل الحالة
الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في صدر الاسلام فجاء عمله هذا مفخرة من
مفاحر الجزائر التي يحق لها ان تباهر بها وتطاول ! ...

وكان تاريخ وضعه لهذا الكتاب الجليل سنة ٥٧٨٦ھ (١٣٨٤م) اي قبل وفاته
ثلاث سنوات ، الفه برسم السلطان المتوكل على الله ابى فارس المريني ، وكان من
حسن الاتفاق ان عشر الشیخ عبد الحیي الكتانی على نسخة مخطوطه منه بخزانة
جامع الزيستونة المعور في تونس تحت عدد ٧٥٧٢ فادمجها في كتابه الجامع
«التراطیب الادارية....» المطبوع في جزئین برباط الفتتح سنة ٥١٤٦ھ وكانت
وفاة الخزاعي بمدينة فاس بعد عصر يوم الاحد الخامس من ذى القعده سنة
٥٧٨٩ھ (١٧ نوفمبر ١٣٨٧م) ودفن غدا يوم الاثنين تغمده الله برحمته

ابن مرزوق الخطيب

٥٧٨١ - ١٣٧٩ م

هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن مرزوق التلمساني الشهير بلقب الخطيب والجند والرئيس كان رحمه الله آية في فنون العلم والادب والسياسية والدين ومن ابرز الشخصيات الجزائرية التي عرفها العالم في القرن الشامن الهجري ولا سيما بالمغرب والأندلس ومصر والشام ؛ كان موطن اسرته بعجيبة بزاب افريقيا ، فانتقلت الى تلمسان صحبة الشيخ ابي مدین شعيب بن الحسين الاشبيلي في اواخر القرن السادس الهجري ، نزلت ضاحية العياد وسكنت هنالك ملتزمة خدمة ضريح الشيخ وسداته رباطه الى ان علا شأنها بعدها وارتفع كعبها بالعلم فنبه ذكر الكثير من ابنائها وكان من بينهم مترجمنا ابو عبيد الله محمد بن مرزوق

ولد رحمه الله بتلمسان سنة ١٣١٠-٥٧١٠ م وبها نشأ وتربى وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادى العلوم حتى اذا بلغ الثامنة عشرة من عمره ارتحل مع والده الى الحجاز فحج وزار وجاور وهناك اجتمع بالشيخة فأخذ عن كثيرين من اهل الحجاز وغيرهم من قصاد تلك البقاع المطهرة ، ثم سافر منفردا بنفسه عن والده فدخل بلاد الشام ومصر فسمع وروى عن عدد عظيم من علماء المشرق هنالك كما اخذ عن علماء بجاية وفاس وتونس فكان عدد شيوخه يفوق الالفين ، وقد اودعهم كلهم فهرست المسماة «عجالۃ المستوفی المستیجاز » في ذكر من سمع من المشائخ دون من اجاز ، من ائمة المغرب والشام والجاز ، فبرز قدس الله روحه في علوم متعددة كثيرة وخاصة منها الحديث الشريف فانه اشتهر به اکثر من غيره ، والفقیہ اکثر من سواه ؛ وقد كتب من محبسه في احدى نکباته التي نکب بها : انه لا يوجد اليوم من يسنن احادیث الصحاح قراءة وسماعا من باب الاسكندرية الى البرین والأندلس غيره : كما انه ذكر في احدى رسائله التي كتبها من السجن

ايضاً سنة ٥٧٦٢ - ١٣٦٠ م انه خطب على ثمانية واربعين منبراً في بلاد الاسلام
شرقاً وغرباً واندلساً

وبعد ان ملا وطابه بالعلم امرة والده بالعوده الى بلده لتناسيس عمّه محمد
بن مرزوق خطيب جامع السلطان ابي الحسن بالعباد ، فانكفا راجعاً الى وطنه ،
وصادف ان كان يومئذ السلطان ابو الحسن المرئي محاصراً لتمسان سنة ٥٧٣٣ -
١٣٣٢ م فنزل الشاب العالم على عمّه ولم يلبث عمّه هذا ان توفي الى رحمة الله فقام
السلطان مقام عمّه المرحوم ، فبان الشاب الخطيب يومئذ عن علم واسع وادب جم ،
وسياسة فائقة وحصافة نادرة وحكمة باهرة ، منقطع النظير في ذلك بين اقرانه
من العلماء فاستخلصه السلطان لنفسه واصطفاه لحضرته فكان لا يفارقه حضرة
وسفراً حرباً وسليماً ، وغدا معه الى الحرب في وقعة طريف ٥٧٤٠ - ١٣٤٠ م
وبعث به سفيراً الى صاحب قشتالة النصراني فغدا اليه سنة ٥٧٤٨ - ١٣٤٧ م
وعقد معه الصلح وفك منه الاسرى

ولما عاد بن مرزوق من سفارته الى قشتالة طلب من السلطان ابي عنان المرئي
اعفاءه من الخدمة وتسریحه فاعفاء ، وعاد يومئذ الى بلده تمسان ، وقد تملکها
يومئذ بنوزيان فاوفرده الملك ابو سعيد الى دولة بنى مرين في مهمة سياسية ، وما كاد
يتصل بالبلاط المرئي حتى لحق به خصوم ابي سعيد ومنافسوه في الملك فاسروه
ونكبوه واودعوه السجن الى ان تداركه الله بطشه فأحيى ز الى الاندلس
ودخل غر ناطه سنة ٥٧٥٢ - ١٣٥١ م فنزل على سلطانها ابي الحجاج بن الاحمر
فقربه منه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء فبقى عليها مدة سنتين الى ان استدعاه
ابو عنان بعد مهلك ابيه واستلامه على تمسان واعمالها فنظمه في اكبر اهل مجلسه
ثم بعثه الى تونس عام ٥٧٥٨ - ١٣٥٧ م ليخطب لها بنت السلطان ابي يحيى ابي
بكر الحفصي فرددت الخطبة : ويومئذ وشى بابن مرزوق فاودعه ابو عنان
السجن فكانت هذه نكبةه الثانية ثم اطلقه السلطان بين يدي موته

ولما تولى السلطان ابو سالم مالك مرین اعاد للشيخ مكانته وحرمه العلمية
وعلت منزلة عنده وعند رجال كامل البلاط حتى صار زمام الدولة بيده ، ثم كانت
حوادث الانقلاب الحكومي سنة ١٣٩٠ هـ - ١٧٦٢ م فذهب الشيخ ضحبيتها فسجين
للمرة الثالثة ، ثم اطلق عقاله فالتحق يومئذ بتونس سنة ١٣٩٤ هـ - ١٧٧٤ م فاكرمه
سلطانها ابو اسحاق وصاحب دولته ابو محمد بن تافراين ولوليه خطابة جامع
الموحدين فأقام الشيخ بتونس سنوات الى ان دفعته السياسة وحملته على مفارقتها فركب
البحر في شهر ربيع الاول ١٧٧٣ هـ - سبتمبر ١٣٧١ م ملتحقا بالبلاد المصرية فنزل
الاسكندرية ومنها ذهب الى القاهرة فلتقاء هناك الاعلاماء واكابر اعيان الدولة
والامراء فأوصلوه الى السلطان الاشرف شعبان بن حسين فأجري عليه الملك
من الخيرات والمرات ما يليق بمقامه وولاة الوظائف العلمية فخطب ودرس في
اكبر المدارس واشهرها كالشيخوخية والضرغاشية والنجمية الخ ... ولم يزل موفور
الكرامة محترما مرحبا للقضاء الى ان وافاه رحمه الله في شهر ربيع الاول
سنة ١٧٨١ هـ (جوان ١٣٧٩ م) ودفن بمقبرة القرافة الصغرى بين الامامين ابي
القاسم واشہب رحم الله الجميع

ولقد ترك رحمه الله ثروة علمية اودعها بطون مؤلفاته الجليلة التي
أشف كثيرا من الذهاب اكتشافها فلم يبق لنا اليوم منها سوى قائمة اسمائها؛ منها كتابه
النفيسي - المسند الصحيح الحسن في محسان مولانا ابي الحسن - وضعه في توريخ
سيرة مخدومه السلطان ابي الحسن على بن عثمان المریني، توجد منه نسخة بمكتبة
الاسکوريال قرب عاصمة مادرید تحت عدد (١٦١٦). ومنها فهرسته المستوفز،
المقدمة الذكر ... وشرحه على كتاب الشفاء للقاضي عياض لم يكمل ، وشرح عمدة
الاحكام في اسفار خمسة، جمع فيه بين الفاكهاني وابن دقيق العيد مع زوائد كثيرة؛
وشرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي ، وازالة الحاجب عن فروع ابن
ال حاجب ، وكتاب تحفة الطرف ، الى الملك الاشرف ؛ والاربعين المسندة في

الخلافة والخلفاء ، وكتاب الامامة ، وديوان خطب وقصائد ، واياضح المرشد ، فيها تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد ، وشرح ل الصحيح البخاري ، وكتاب جمع فيه ما قيل في الصبر واربعون حديثا خرجها من مرويات السلطان ابي الحسن ، وكتاب في التنجيم وكتاب ضاهى به كتاب العفو والاعتذار ، وجنى الجنتين في فضل الليلتين : ليلة القدر وليلة المولد ؛ توجد منه نسخة بمكتبة خاصة في مدينة فاس

ومن شعره برد الله ضريحه قوله لما ركب مع السلطان ابي الحجاج بن الاحمر
خارج المجراء في ايام الربيع مو تجلأ :

يحكى النجوم اذ تبدت في الظلمك	انظر الى النوار في اغصانه
عميت بصيرة من بغيرك مثلك	حيي امير المؤمنين وقال قد
فمحاسن الايام توهى هيتك	يا يوسف حزت الجمال بأسره
فيقال فيه ذا ملوك او ملوك	انت الذي صعدت به او صافه

وله في اغراض الشعر وفنون النثر كثير من القطع والالفصول الجليلة التي
تكلفت بها كتب الترجم والادب فلم تترجم هنالك

احمد المغراوی

١٤١٧ - ٥٨٢٠

هو شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الله المغراوی (نسبة الى قبيلة مغراوة الجزائرية) ، كان رحمة الله عالما فقيها اصوليا نحويا ، برع على كثيرون من كبار علماء المشرق فـ كانوا يحتسرون منه كثيرا حتى قال التقى بن قاضى شهبة « ما تركت بمصر والشام في المالكية مثله » ، كان يناظر ابن خلدون ويقتى عليه ، وكان العز بن جماعة يعظمه كثيرا ، واما هو فيقول : متى كان العز ؟ انما اشتغل على كبر وكان جنديا ، وانا اشتغلت قبلها بزمان ، وروى على الشرف عيسى المالكي القاضى قال : ان المغراوی بحث مع البساطى يوما في مسألة ، فقال له اعرفها وانت في مغراوة خلف البقر ! ... فأجابه المغراوی بقوله : يا جاهل ، يا ولد (كذا) مغراوة ما فيها بقر فقط ، اوئلئك عرب اصحاب ابل ترحل وتنزل ، واما انا فوالله العظيم هو ذاك الذي اعرفها وانت في بساط ترعى البقر !

ومم فضله كما يقول السيخاوي في ضوئه : كان حاملا جدا لامور ، منها انه كان من صاحب السالمي وتمكن منه وعادى بسيبه اكبر الدولة ، فلما ذهب السالمي آذوه سيمما مع عدم تردد للاكبر وتحامقهم عليهم ، وقدم دمشق سنة ١٤١١ هـ ٨١٤ ونزل بالمدرسة الزنجية واخذ عنه الطلبة وعين مدة للقضاء فلم يتم ذلك ثم عاد الى بلده وترك الاشتغال بحيث قلل استحضاره ، وتوفي رحمة الله في شوال سنة

٥٨٢٠ - نوفمبر ١٤١٧

ابراهيم بن فائد الزواوى

١٤٥٣-٥٨٥٧

هو العالم المتفنن ابو اسحاق ابراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد بن علال بن سعيد النبرولى الزواوى ، ولد بجبل جرجة سنة ٥٧٩٦-١٣٩٤ م وانتقل الى بجاية وبها قرأ القرآن الكريم ، واشتغل بها في الفقه على أبي الحسن علي بن عثمان المنجلاتي فقيه بجاية ، ثم ارتحل الى تونس فأخذ الفقه والمنطق عن أبي عبد الله الابى ، والفقه ايضاً عن يعقوب الزغبي ، كما انه اخذ التفسير والفقه كذلك عن القاضى القلاشانى ، والاصول عن عبد الواحد الغريانى ، ثم عاد الى جبال بجاية فأخذ علوم اللغة عن عبد العالى بن فراج ، ثم دخل قسنطينة فسكن بها ، وفيها اخذ الاصلين والمنطق عن حافظ المذهب ابى زيد عبد الرحمن الباز ، وعلم المعانى والبيان عن ابى عبد الله محمد القىسى الحكيم الاندلسى ورد عليهم حاجاً ؛ والاصلين والمنطق والبيان كذلك والفقه وغالب العلوم المتداولة يومئذ بين علماء الاسلام عن ابى عبد الله بن مرزوق عالم المغرب لما قدم عليهم قسنطينة فأقام بها نحو ثمانية أشهر

ولم ينفك المترجم رحمه الله عن مزاولة العلم تعلماً وتعلماً حتى برع في جميع هذه الفنون المؤمی إليها لا سيما الفقه ، وalf تفسيراً للقرآن الحكيم ، وشرحاً مختصراً خليلاً في ثان أو ثلاثة مجلدات ؟ ... سماه : تسهيل السبيل ، لمقتضف ازهار روض خليل ، وشرحه آخر في جزئين ، سماه فيض النيل ؛ وله شرح على الفية ابن مالك في مجلد واحد ، وشرح على تلخيص المفتاح سماه تلخيص التلخيص في مجلد ؛ وحج رحمه الله مراراً وجبار ، ولقيه البقاعي في سنة ٥٨٥٣ حين حج اياضاً وقال انه رجل صالح من المشهورين بين المغاربة بالدين وعليه سمت الزهاد وسكنوهم ؛ وتوفي رحمه الله فيما قال ابن عزم سنة ٥٨٥٧-١٤٥٣ م

سالم بن ابراهيم الصنهاجى
اواسط القرن التاسع الهجري ؟ . . .

هو العالم النظار الامام القاضى سالم بن ابراهيم بن عيسى الصنهاجى المغربي ،
ولد كما ذكره السخاوى بمشدالله بعد السبعين وسبعيناته تقريراً ونشأ بيجاية واشتعل
بتونس الى ان تصلع في العلم وفضل فارتحل عنها سنة ٨٣٤ هـ فوقد في اسر الكفار
وناظر الاساقفة ببلادهم فاقبدهم ودام عندهم مدة ثم اخر جوحاً ، وسمع بالحجاج
ومصر ودمشق ، قال السخاوى : وقد رأيته فيمن عرض عليه ابن ابي اليمن
بمكة ، وحدث ودرس وافتى وكان من حفظاته كتاب الشفاء رواه
بالسماع عن الجليلين المحمدين ابن على النويرى وابن ابي بكر المرشدى
رحمهما الله

تولى رحمة الله قضاء المالكية بدمشق ثم قضاء القدس ثم عاد الى الشام ، ولقد
شهد له التاريخ بحسن السيرة والصرامة والحرمة وثقوذ الكلمة في القضاء من عنة
ونزاهة ؛ ولم اقف على زمان ولا مكان وفاته بالضبط رحمة الله

محمد بن عمر المليكشى

١٣٣٩ - ٥٧٤٠

الاديب الكبير والشاعر الناشر ابو عبد الله محمد بن عمر بن على بن محمد بن ابراهيم بن عمر المليكشى البيجائى ثم التونسي الجزائري ، هكذا كتب نسبه بخطه رسمه الله

اخذ عليه وادبه بالجزائر وله رحلة الى المشرق فحج وروى عن جماعة بالحجاز ومصر والاسكندرية كالرضي الطبرى سمع عليه الكتب الخمسة ، والسراج محمد بن طراد قاضى المدينة وخطيبها ، وابي محمد الدلاوى والنجم الطبرى وغيرهم ذكره الحضرمي في مسيحيته فقال : كان صدرا في الطلبة والكتاب فقيها كاتبا اديسا حاجا راوية متصرفًا فاضلا صاحب خطة الانشاء بتونس ذات تواضع وايشار وقبول حسن ، له شعر رائق ، وشعر فائق ، وكتابة بلية ، وتأليف مستظرفة ، وعرفه المقرى في نفحه نفلا عن كتاب الاكيليل الزاهر لابن الخطيب فقال بعد ما ذكر اصله ونسبه حسب ما تقدم ... « كاتب الخلافة ، ومشعشع الادب الذى يزرى بالسلافة . كان بطل مجال ، ورب راوية وارتحال ، قدم على هذه البلاد وقد نسا به وطنه ، وضاق بعض الحوادث عطنه ؛ فتلوى به تلوم النسيم بين الحمائ ، وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائى ، ولبث مدة اقامته تحت جرابة واسعة ، وببرة يانعة ، ثم آثر قطرة ، فولادة وجهه وشطره ، واستقبله دهره بالانابة ، وقلد خطة الكتابة ، فاستقامت حاله ، وحطت رحاله ، وله شعر انيق ، وتصوف وتحقيق ، ورحله الى الحجاز سعيها في الخير وثيق ، ونسبها في الصالحات عريق .. « حدث بعض من عنى بأخباره ، ایام مقامه بملاقه واستقراره ، انه لقي بباب الملعب من ابوابها ظبية من ظبيات الانس ، وقينة من قينات هذا الجنس ، فيخطب وصالها ، واتقى بقواده نصالها ، حتى همت بالانقياد ، وانعطفت انعطاف الغصن المياد ، فأبقى على نفسه وامسك ، وانف من خلع العذار بعد ما تنسك وقال :

بين الرجال واليأس من متجنب
 بأذل وقفـة خائف متـقرب
 يأتي الغرام بكل امر معجب
 ما شئت من خد شرقي مذهب
 فـكـاد تحسـبـها مهـاة الرـبـبـ
 انـفـى وامـضـى من حـسـامـ المـضـرـبـ
 فـسبـتـ وـحقـ لـثـلـهاـ انـ تـسـتـبـىـ
 لـمعـانـ نـورـ ضـيـاءـ بـرقـ خـلـبـ
 عنـ شـبـهـ نـورـ الـاقـحـوانـ الاـشـبـ
 رـيـانـ منـ مـاءـ الشـبـيـةـ مـخـصـبـ
 فـقـرـاـهـ بـيـنـ مـشـرـقـ وـمـغـربـ
 فـرـسـتـ وـجـالـ كـأـنـهـ فـيـ اـوـلـ
 حـلـلـ السـحـابـ طـاحـبـ وـمـحـبـ
 لـمـ يـنـقـلـبـ الاـ بـقـلـبـ قـلـبـ
 تـدـنـيـهـ مـنـ نـيـلـ المـنـىـ وـالـمـطـلـبـ
 فـيـ القـلـبـ نـارـ تـشـوقـ وـتـلـهـبـ
 وـكـذـاـ بـسـيـطـ يـكـونـ قـبـلـ مـرـكـبـ

لم انس وـقـفـتـناـ بـسـابـ المـلـعـبـ
 وـعـدـتـ فـكـنـتـ مـراـقاـ لـحـدـيـثـهاـ
 وـتـدـلـلـاتـ فـذـلـلـاتـ بـعـدـ تـعـزـزـ
 بـدـوـيـةـ اـبـدـىـ اـلـجـالـ بـوـجـهـهاـ
 تـدـنـوـ وـتـبـعـدـ نـفـرـةـ وـتـجـنـبـهاـ
 وـدـنـتـ بـلـيـحـظـ فـاتـنـ لـكـ فـاتـرـ
 وـارـتـكـ بـاـبـلـ سـيـحـرـهاـ بـجـفـونـهاـ
 وـتـضـاحـكـتـ فـيـحـكـتـ بـنـيـرـ ثـغـرـهاـ
 بـمـنـظـمـ فـيـ عـقـدـ سـمـطـيـ جـوـهـرـ
 وـتـمـايـلـتـ كـالـخـصـنـ اـخـضـلـهـ النـدىـ
 تـشـيـهـ اـرـوـاحـ الصـبـاـبـةـ وـالـصـباـ
 اـبـتـ الرـوـادـفـ اـنـ تـمـيـلـ بـعـيـلـهـ
 مـقـتـوـجاـ بـهـلـالـ وـجـهـ لـاحـ فـيـ
 يـاـ مـنـ رـايـ فـيـهـ مـحـبـاـ مـغـرـماـ
 مـاـ زـالـ مـذـولـ يـحـاـوـلـ حـيلـةـ
 فـأـجـالـ نـارـ الـفـكـرـ حـتـىـ أـوـقـدـتـ
 فـتـلـاقـتـ الـأـرـوـاحـ قـبـلـ جـسـومـهـاـ

وتوفي رحمه الله بتونس غرة المحرم سنة ١٣٣٩ هـ (٩ جويليه ١٩١٧ م)

جدول تاريخى

٥٩٦١-٦٦٨

م ١٥٥٤-١٢٦٩

ام الحوادث

تاريخ الحوادث

تأسيس الدولة المرinية وتملكها المغرب	م ١٢٦٩٥٦٦٨
وقعة ايسلي الشهيرية	م ١٢٧٢٥٦٧٠
انتصار مرين بوقعة وادي التافنة	م ١٢٨٠٥٦٧٨
انهزام بنى عبد الواد في وقعة الملعب	م ١٢٨١٥٦٨٠
فتح اعمال الجزائر	م ١٢٩٨٥٦٩٧
إنشاء حاضرة المنصورة ومعركة مرسى الرؤوس	م ١٢٩٩٥٦٩٨
تنازل مرين عن مملكتة تلمسان	م ١٣٠٦٥٧٠٦
ابتداء الزحف على مملكتة تلمسان	م ١٣١٤٥٧١٤
تحالف بنى مرين وبني ابي حفص ضد امراء تلمسان	م ١٣٢٩٥١٣٠
فتح عمالتي الجزائر ووهران	م ١٣٣٥٥٧٣٦
القضاء على امارة بنى زيان	م ١٣٣٧٥٧٣٧
فتح اعمال قسطنطينية وبجاية	م ١٣٤٧٥٧٤٨
ثورة بنى عبد الواد	م ١٣٤٨٥٧٤٩
عودة الجزائر لبني عبد الواد	م ١٣٥٠٥٧٥١
استلاء السلطان ابي عنان على اعمال تلمسان	م ١٣٥١٥٧٥٢
امتلاك بجاية وثورة اهلها	م ١٣٥٢٥٧٥٣
انقسام دولة مرين بين حكومته فاس ومراش	م ١٣٧٤٥٧٧٦
نهاية حكومة مرين بالجزائر	م ١٣٩٣٥٧٩٦
سقوط الدولة المرinية في قبضة السعديين	م ١٥٥٤٥٩٦١

الدـوـلـةـ العـبـدـ الـوـادـيـةـ الـزـيـانـيـةـ

٦٣٣-٩٦٢ هـ

١٢٣٥-١٥٥٤ م

منشأها ونشأتها

متشعى هذه الدولة الى قبيل بنى عبد الواد (١) احد بطون القبيلة الجزائرية العتيدة - زناتة - (٢) كانت مواطنهم ما بين جبال سعيدة شرقاً ووادي ملوية غرباً؛ ومنهم فصيلة متوطنة بجبل اوراس، وهم من اهل الوبى يعيشون معيشة التجمعية يرتدون صحراء المغرب الاوسط ما بين مصاب - مزاب - الى ملوية وفيجيج ثم الى سجلاءسة - تافيلالت - ومنها كذلك الى ارض الزاب، وهم تلو بنى مرين في الكثرة والقوة، ولم يزالوا كذلك الى ان فتح الموحدون المغرب الاوسط فكانوا عونا لهم على ذلك، واستقرروا منذ ذلك العهد بأحواز تلمسان (٣) فامتنعوا هناك ببطولتهم الحربية وشجاعتهم الادبية وحنكتهم السياسية فأحرزوا يومئذ على ثقة الموحدين، ومنهم ملوك هذه الدولة - بنى زيان -، واولهم يغمرا سن بن زيان بن ثابت ولا مستند لمن عزاهم الى آل البيت ، فان يغمرا سن نفسه لما ذكر له ذلك ورفع نسبه الى ادريس بن عبد الله الكامل، قال برطاتهـمـ ما معناه : «ان كان هذا صحيحـاـ فـيـقـعـنـاـ عـنـدـ اللهـ ،ـ وـاماـ الدـنـيـاـ فـإـنـماـ نـلـنـاـهـاـ بـسـيـوـ فـنـاـ» (٤)

(١) أصله عبد الوادى صفة لجده المتبتل بoward هناك

(٢) انظر الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٥١ ١٩٦٦

(٣) اسم بربى مركب من كلمتين انتين، اولاها : تلم، بكسر التاء ومعناها تجم، والثانية : سات ، ومعناها اثنين ، فهو كا ترى اسم وصفى لمدينة بالنظر الى موقعها الطبيعى حيث كانت جامعة بين الصحراء والتل

(٤) ابن خلدون ج ٧ ص ٧٢

اشهر هذا القبيل في اول امرة بمقاؤمته لانتشار نفوذ الموحدين ، ولما ظهر عجزه امام تيار قوات بنى عبد المؤمن ووجد نفسه كناظح صخرة اذعن في النهاية واخلص في طاعته للموحدين واستعمل في ذلك براعته السياسية فأذهب عنه السخائم وnal حظوة عظيمة لدى ملوك هذه الدولة فاقطعه بلاد بنى «واما تو» وبنى «يلومي» بنواحي «وادي ميناس» واحواز غيليزان ، فتمكن بذلك يومئذ من تثبيت قدمه بتلك الجهات فمكث بها محافظا على مكانه ووحدته الذاتية والسياسية؛ وهكذا بقي يعمل لصالحه الى ان استأنس من الحكومة ضعفا حيث اخذت ايامها في التدهور واشرفت الدولة على النهاية كما تقدم تفصيله في الجزء الاول . فتطلع بنو عبد الواد يومئذ الى التملك على المغرب الاوسط ، وعملوا على حمل الدولة الموحدية على التنازل لهم عن اماراة تلمسان ، وقد نالوا ذلك بعقد الامارة لشيخ قبيلهم عهديذ جابر بن يوسف بن ١٢٣٠-٥٦٢٧ فاتضب للحكم وادارة شؤون البلاد بنفسه وبادر الى الاشغال بجمع فصائل بنى عبد الواد وفروعهم فأدخلهم تحت رايته فبايعه جمعهم منضوي تحت حكمه وسلطته ولم يفلت عنده يومئذ الا مدينة ندرومة فتووجه اليها سنة ١٢٣٢-٥٦٢٩ مشددا عليها الحصار فرماه من سورها يوسف الغفارى التلمسانى بسهم فقتله ، فجلس ولده الحسن مكان ابيه محنيما في الظاهر بدولة الموحدين ثم بعد ستة اشهر من ولادته تخلى عنها لعمه عثمان بن يوسف فمكث بها نحو سنة ونصف ظهر منه زبغ في سياسته فعزله قوله قوله وولو مكانه ابا عزة زيدان بن زيان ، فأطاعه قوله ولم يخرج عن مبايعته يومئذ سوى بنى مطهر من بنى عبد الواد فذهب لمقاتلتهم فقتلواه خارج تلمسان سنة ١٢٣٥(٥٦٣٣)

فكانت ايامه نحو ثلاثة سنوات ، وبموته اقطع نفوذ الموحدين تماما من تلمسان وبويم لاخيه يغرس اسن

تملك يغرسن بعد اخيه ابي عزة والظاهر شارة الملك والسلطان واعلن استبداده واستقلاله بهذه الامارة (٥٦٣٣) ١٢٣٥ ولم يبق للموحدين بها سوى

الخطبة ؛ فاستاء لذلك خليفة الموحدين ابو الحسن السعید الملقب بالمعتصم وكان اهل المغرب يومئذ في ثورة عامة ضد حکومة المعتصم هذا : بنوا بني حفص شرقا وبنوا مرين غربا ، فيخرج المعتصم من مراكش (١٢٤٥ هـ) حاشدا جموعه الكثيرة فقصد اولا مكناستة الزينيون وبلغ الى تازا في المحرم (١٢٤٦ هـ) (افریل ١٢٤٨) فأطاعته مرين ، ثم تقدم الى تلمسان فيخرج اليه يغمر اسن في قومه واهامه معتصما بقلعة تامزدكت - تامر جديية - بجنوب وجدة وعلى مقربة منها ، ومن هناك بعث يغمر اسن في طلب الصفح من الخليفة معتذرا اليه عما فعل فرفض المعتصم اعتذاره سجينا للانتقام منه واسرع الى القلعة فحاصرها ثلاثة اشام ، وفي الرابع : الثلاثاء ١٠ صفر ١٢٤٦ هـ (٤ جوان ١٢٤٨) امتطى الخليفة بنفسه ظهر فرس له وخرج في وقت الظهيرة مستكشفا عورة يتوصل منها الى الاستيلاء على القلعة المذكورة ، فسلق الجبل واحدا يبحث ويتجسس خلال الديار ، وبينما هو كذلك اذ رأى يوسف الشيطان احد فرسان بنى عبد الواد المنيخين بساحة القلعة لحراسة ، واتفق ان كان يغمر اسن بن زييان وابن عممه يعقوب بن جابر قريبيين منه فعرفوا الخليفة فانقضوا عليه امثال العقبان وطعنه يوسف فيكب عن فرسه ثم قضى من جراحه فدفن هناك بالعيادة ، واستلحتم القوم مواليه وبعض اولاده واضطرب يومئذ جيش الموحدين وانتشرت الفوضى بينهم وعمهم القلق فتفرقوا شدر مذر فاستولى بنو عبد الواد يومئذ على ما كان هناك من الاسلاك والغضائيم والاثاث ، واحتضن يغمر اسن بفسطاط الخليفة فكان له خاصة دون قومه ، واستولى على الذخيرة التي كانت فيه ومنها المصحف الشريف (١) الذي يقال انه احد المصايف الاربعة التي نسخت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث بها الى الامصار ؛ ولم يثبت انها منسوحة بخط يده

(١) كان اول ما ظهر هذا المصحف الشريف بالغرب ان وجد بخزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ، ثم صار في خزائن دولة المرابطين فيما صار اليها من دخائر ملوك الطوائف بالأندلس ، ثم صار الى خزائن الموحدين من يد متوته ، فانتقل في حادثة قلعة ، « تامزدكت »

المذكورة اعلاه الى يغمراسن بن زيان وبنى عبد الواد من ملوك تلمسان ثم صار الى ملوك بني مرین فيما استولوا عليه من دخاير آل زيان، وذلك عند ما تغلب السلطان ابوالحسن المریني على تلمسان سنة ٥٧٣٧ هـ - ١٣٣٦ مـ فحصل المصحف الشريف عنده فكان يتبرک به ويحمله في اسفاره على العادة الى سنة ٥٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ مـ حيث ركب السلطان ابوالحسن البحر من تونس قافلا الى المغرب بعد استيلائه على افريقيا وكان ذلك في ابان ثورة البحر وهیچانه ففرقته مراکيه وهلکت نفوس كثيرة وفقدت نفائس يعز وجود مثلها، ومن ضمنها هذا المصحف الكريمه فاستأثر البحرب به، وكان ذلك آخر عهد المغرب بيركته، واليك تفاصيل ملخصة مما ذكره المغربي في الفتح تقلا عن رحله ابن رشید فيما وصف به شکل هذا المصحف الجليل وما ابده في صفتة وخدمته اهل الفنون الجميله وارباب الصناعات المليکانيکية والهندسيه مما يدلک على مبلغ اوج الحضارة والمدنیة الباھرة يومئذ بالغرب، قال :

« تم انهما — اي بنى عبد المؤمن الموحدين — لما أرادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور واستخدام المواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزيز ، شرعوا في انتخاب لسوته ، واخذدوا في اختيار حليته ، وتألقوا في استعمال احفظته ، وبالغوا في استجادة أصواته ، فشرروا له الصناع التقنيين ، والمهنر المتقنيين ، ممن كان بحضورتهم العلمية ، وسائر بلادهم القرية والقصبة ، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة ، من المهندسين والصواغين والنظامين والخالقين والنقاشيين والمرصعين ، والنجارين والزاوقيين والرسامين والخالقين ، وعرفاء البنائيين ، ولم يبق من يوصف ببراعة ، او ينسب الى الحذق في صناعة ، الا أحضر للعمل فيه ، والاستغال بمعنى من معانيه ، فاشتغل أهل الخيل الهندسية بعمل أمثله مختبرة ، وأشكال مبتدعة ، ونظموها من غرائب الحركات ، وخفي امداد الاسباب للمسببات ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم ، واستفرغوا فيه جهد قوتهم »

« فکسى المصحف كله بصوان واحد من الذهب والفضة ذى صنائم غريبة من ظاهره وباطنه لا يشبه ببعضها بعضا ، قد أجرى فيه من الوات الزجاج الرومى ما لم يعهد له في العصر الاول مثال ، ولا عمر قبله بشبهه خاطر ولا بال ، وله مفاصل تجتمع اليها أجزاءه وتلتئم ، وتناسق عندها مجاءه وتنظم ، قد أسلست للتحرك اعطافها ، واحكم انشاؤها على البغية وانعطافها ، ونظم على صفحاته وجوانبه من فاخر الياقوت ونقيس الدر وعظمي الزمرد فانتظم عليه منها ما شاكله زهر الكواكب في تلاؤه وانقاده ، ويشبهه الروض المزخرف غب سماء اقامته عن امداده ، واتى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر ، آخذًا بمجامع القلب والبصر ، مستوليًا بصورته الغريبة على جميع الصور ، يدهش العقول بهاء ويحير الالباب رواه ، ويکاد يغشى الناظر تألقاً وضياء وتلطف القوم في وجه يكون به هذا الصوان المذكور طوراً متصلًا وطوراً منفصلًا؛ ويتأنى به للمصحف الشريف العظيم ان يبرز تارة للخصوص متبدلًا وتارة للعموم متجملاً اذ معارج الناس

ف الاستبصار تختلف ، وكل له مقام اليه ينتهي وعندما يقف فعمل فيه على مشاكاة هذا القصد وتلطف في تتميم هذا الغرض المعمد

وكسي المصحف العزيز بصوان لطيف من السنديس الاخضر ذي حلية عظيمة خفيفة تلازمه في الغيب والحضر ، ورتب ترتيبا ينأى معه ان يكسي بالصوان الابكر ، فإذا تم به المثاما يغطي على العين من هذا الانز ، وكميل ذلك كله على اجل الصفات واحسنها ، وابعد المذهب واقنها

وصنع له محل غريب الصنعة ، بديع الشكل والصبغة ، ذو مفاصل ينبع عن دقتها الادراك ، ويشتند بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك ، مغضي كله بضروب من الترصيم ، وفنون من النقش البديع ، في قطم من الآنسوس والخشب الرفيع ، لم تعمل فقط في زمان من الازمان ، ولا انتهت قط الى ايسرة نوافذ الاذهان ، مدار بصنعة قد اجريت في صفائح الذهب ، وامتدت امتداد ذواب الشهب ، وصمم لذلك الحمل كرسى يحمله عند الانتقال ، ويشاركه في اكثر الاحوال ، مرصن مثل تصميم الغريب ومشاكل له في جودة التقسيم وحسن الترتيب

وصنم لذلك كله تابوت يحتوى عليه احتواه المشكاة على انوارها ، والصدر على محفوظ افكارها ، مکعب الشكل سام في الطول ، حسن الجملة والتفصيل ، بالغ ما شاء من التتميم في اوصاله والتكميل جار محجرى الحمل في التزيين والتجميل ، وله في احد غواريه باب ركب عليه دفتان قد احڪم ارتفاعهما ، ويسرا بعد الابهام انفراجهما ، ولانفتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسى من تلقائهما وتركب الحمل عليه ما دبرت الحركات الهندسية ، وتلقيت التنبيهات القدسية ، وانتظمت العجائب المعنوية والحسية ، وتأتى الدخادر النفيسة والنفسيّة ، وذلك ان بأسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد اعد له مفتاح لطيف يدخل فيه ، فإذا دخل ذلك المفتاح فيه وادبرت به المد انفتح الباب بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما وخرج الكرسى من ذاته بما عليه الى اقصى غایته ، وفي خلال خروج الكرسى يتحرّك عليه المحمل حرفة منتظمة مقرنة بحرفة ، يأتى بها من مؤخر الكرسى زحفا الى مقدمه ، فإذا كمل الكرسى بالخروج وكل الحمل بالتقدم عليه انفاق الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يمسهما احد ، وترتيب هذه الحركات الأربع على حركة المفتاح فقط دون تكالب شيء آخر ، فإذا ادبر المفتاح الى خلاف الجهة التي ادبر اليها اولا انفتح اولا الباب ، واخذ الكرسى في الدخول والحمل في التأخير عن مقدم الكرسى الى مؤخره ، فإذا عاد كل الى مكانه انسد الباب بالدفتين ايضا من تلقائهما ، كل ذلك يترتب على حرفة المفتاح كالذى كان في حال خروجه ، وصحت هذه الحركات المطلقة على اسباب ومبنيات غائية عن الحس في باطن الكرسى ، وهي مما يدق وصفها ، ويصعب ذكرها

نظامها الحكومي

اشتهرت هذه الحكومة الجزائرية في اول نشأتها باسم «دولة بنى عبد الواد» الى ان كان عصر الاستيلاء المریني على تلمسان سنة ٥٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) فعرفت بعد ذلك في عصر الانبعاث على عهد السلطان ابى حمو الثاني باسم «الدولة الزيانية» نسبة الى والد يغمراسن بن زيان اول ملوك هذه الدولة

عاشت هذه الدولة مستقلة بالحكم بعيدة عن سيطرة الغير ، وعاصمتها دائمًا «تلمسان»، والنفوذ الادارى فيها يعود الى السلطان الملقب بأمير المسلمين وهو دائمًا من بيت آل زيان ، وولايته تكون غالباً بالعهد من الملك السابق وقد تكون بالغلبة والقهر والسطوة او العصبية القبلية ، ولم يثبت عن ملوك هذه الدولة دعوى الخلافة الا في ايام قلائل دعت اليها الظروف وحملتهم عليها تقلبات السياسة

واشهر الموظفين في هذه الحكومة هم الوزراء والقادة والكتاب والمحجب واصحاب الاشغال والقضاة والعمال والمحاسبون وشيخ المدن والمحافظون ورؤساء المحاميات والشرطة؛ ولكل من هذه المناصب ديوان - او ادارة - خاصة بهذه المصلحة، واعلاها عندهم وظيفة الحجابة؛ فلما حاول الاتصال بشخص السلطان نفسه متى شاء وهو الذى ينوب عن الملك في غيبته حرباً او سلاماً ، ويسمى صاحب هذه الوظيفة «المزوار»

واما الجيش فانه يتألف من اربعة اصناف : الاعيان وهم الرؤساء والقواد ، والقبيل وهم من مطلق رعایا بنى عبد الواد ورئيسهم يعرف باسم «الشيخ» ، والانصار وهم نخبة الجيش وخلاصته ، ومكانتهم في الزحف دائمًا حول السلطان محقدين به؛ والرابم المماليك وهم خليط من العرب والبربر والزنوج وغيرهم ؛ ولقد بلغ عدد الجنود من قبيلة بنى راشد فقط ما يفوق الخمسة والعشرين الف نسمة ؛ وكان للنصارى العملاج في اول نشأة الدولة مشاركته في الجندية وذلك ما يشبه

الفرقة الاجنبية المختلطة في الجيش الفرنسي اليوم ؛ وقد بلغ عددهم يومئذ نحو الالفي فارس ، واستمرت هذه الفرقـة تعمل في الجيش الزیانی الى ان افتقضـت وظہرت خیانتها بقتل الامیر محمد اخ السلطان يغمراـن ، فيحذفت اذ ذاك من سلک الجيش الزیانی سنة ٥٦٥٢ هـ (١٢٥٤)

وكان جمیع فرق الجيش هذه جرایة يتسللـها الجنـد من خزینـة الدولة كل بحسب مقامـه ورتبـته ، فـان اقل ما كان يعطـى الجنـدي الزـیانـی : ثلاثة دينـار شـهـرياـ ، وـكان لـلفـارـس على عـهـد اـبـي حـمـو الثـانـي ثـلـاثـة مـن الـذـهـب ؟ ... وـعشـرون بـرـشـالة مـن القـمـح ، وـثـلـاثـون مـن الشـعـير ؟ وـيعـطـى لـه فـرس وـمـهـماـز وـسـيف وـرـمح ، وـكان عـدـد هـؤـلـاء الفـرـسان يـوـمـئـذ يـفـوقـ الـجـمـسـة عـشـر الفـ فـارـس

وـجمـیـع هـذـه الفـرـقـ وـالـکـتاـبـ رـایـات خـاصـة تـمـیـز بـهـا عـن سـواـهـا وـتـعـرـف بـهـا فـی يـوـم العـرـض العـاـم بـین يـدـی الـمـلـک فـی اـیـام مـعـلـومـة مـن السـنـة ؟ وـفـیـها يـمـنـحـ الجنـد درـجـاتـه وـتـرـقـیـاتـه فـی مـرـاتـبـ الجنـدـیـة وـفـیـها يـدـی السـلـطـان مـلاـحظـاتـه العـسـکـرـیـة عـلـی الجنـدـ فـیـأـخـذـ بـأـحـسـنـها

وـاما التـعـبـةـ الـحـرـیـةـ فـهـی يـوـمـئـذـ عـلـی ما تـعـارـفـهـ النـاسـ بـینـهـمـ مـنـ التـرـاتـیـبـ العـسـکـرـیـةـ المـعـهـودـةـ فـیـ الجـیـشـ العـرـبـیـ : المـقـدـمةـ ، وـمـکـانـهـ فـیـ الـحـرـبـ دـائـمـاـ اـمـامـ الـمـلـکـ اوـ نـائـبـهـ ، وـالـمـیـمـنـةـ عـنـ يـمـینـهـ ، وـالـمـیـسـرـةـ عـنـ يـسـارـهـ ، وـالـقـلـبـ وـفـیـهـ يـکـونـ القـائـدـ الـاعـلـیـ ، وـوـرـاءـهـ السـاقـةـ ، وـبـهـذا سـمـیـ الـجـیـشـ خـمـیـساـ

وـاما الخـزـینـةـ الـمـالـیـةـ فـانـها مـتـكـوـنةـ مـنـ الـجـبـایـةـ وـالـغـنـامـ وـالـمـکـوسـ وـالـاحـلـابـ ، وـلـلـدـوـلـةـ عـمـلـتـهاـ الـخـاصـةـ الـمـضـرـوبـةـ بـتـلـیـسـانـ وـعـلـیـهـاـ اـسـمـ مـلـوـکـهاـ وـلـلـحـکـومـةـ عـلـاقـاتـ وـمـعـاهـدـاتـ سـیـاسـیـةـ وـاـقـتصـادـیـةـ مـعـ غـیرـهـاـ مـنـ دـوـلـ الشـرـقـ وـالـغـربـ حـسـبـماـ دـلـتـ عـلـیـ ذـلـكـ الـوـثـائقـ الـدـیـبلـومـاـسـیـةـ

حدود الجزائر الزيانية

تمتد مملكة الجزائر الزيانية غرباً إلى مدينة وجدة وتبلغ في بعض الأحيان شرقاً إلى أعمال قسنطينة ودلس وبجاية وهي في ذلك تسير حسب تقدم الدولة وانتصاراتها على من أفسسها ومزاحمتها من بنى أبي حفص وبنى مرین ، وبلغت حدودها الجنوبية الغربية إلى سجلماسة - تافيلالت -



ولادة السلطان يغمر اسن

هو أبو يحيى يغمر اسن بن ثابت من بنى «اطاع الله»، العبد الوادى راس الأسرة المالكية الزيانية، ولد سنة ٥٦٠٣ (١٢٠٦م) وبوبع بالملك يوم ان توفي اخوه الامير ابو عزة زيدان : الاحد ٤ ذى القعدة ٥٦٣٣ (١٢٣٦جولييط)

وكان معروفاً بين قومه بالدهاء السياسي والشجاعة والخزم وجزالة الرأى ومكارم الأخلاق واشار ذوى الفضل والعلم

تولى الملك وامر الرعية في اضطراب وقلق من ظلم الرؤساء المستبدین ، وجور الولاة والحكام المتعسفين ، فساس الشعب الجزائري بحكمة وجدارة حتى اطمأن اليه الناس وخضعوا لحكمه العادل فبايعوه البيعة العامة وادعن اليه القاصي والدان ، ولم يمنعه يومئذ حداثة دولته الناشئة ولا ضعفها المادى من القبض على ايدي الاعداء والخصوم والإعلان بتأسيس الدولة العبد الوادية واستقلالها بالحكم رغم ما كان يحيط بها من الخطر المهدد لها من طرف الامارات المحدقة بها شرقاً وغرباً، فأظهر بذلك مقدرة عظيمة وسياسة صائبة في تسيير دفة المملكة الجزائرية وسط تلك العوائق والعرقائل وقادها إلى النصر

اغارة الحفصيين على تلمسان

كان من دهاء يغمر اسن وحسن سياسته ان عمل على توثيق عرى الصداقة واحكام اسباب الولاء بينه وبين سلطان الموحدين سنة (٥٦٣٩ م ١٢٤١) فحصلت المؤانسة بين العاهلين وصفا بينهما الجبو؛ فاستشعر سلطان الحفصيين يومئذ ابو زكرياء بمؤامرة دبرت ضد مملكته الشرقيه فكتم شعوره وعواطفه نحو يغمر اسن واخذ في الاستعداد الى مهاجمة النواحي الغربية؛ ولما استكمل استعداده خرج بجيشه بغنة فنازل تلمسان يوم الاربعاء ٢٩ المحرم (٥٦٤٠ م ١٢٤٢) واحتاطها باشتى عشر الف رام متوجلاً من غير ما كان معه يومئذ من عدد الفرسان والركبان، فانحاز بنو عبد الواد عنها الى جبال بنى يزناسن، ويقال انهم وقفوا لصق البلد بجبل ترني من بنى ورنيد، واحتل الحفصيون تلمسان، ثم كانت الهدنة ووقعت المفاوضة في عقد الصلح بانتداب والدة يغمر اسن - سوط النساء - فقادت بذلك كنائبة عن دولة بنى زيان احسن قيام؛ وكان فيما اشترطه الحفصيون على هذه الدولة: سهام عائلة الف دينار سنوياً، وان يذكروا بالدعاء لهم على منابر الجمعة؛ فرضي بغمر اسن بذلك وقال: تلك اعوادهم يذكرؤن، عليهما من شاؤوا، واستمر على ولايته (١)

اخفاق الموحدين في حملتهم على تلمسان

اثار هذا التعاقد او الحلف الواقع بين دولة بنى زيان الناشئة ودولة بنى ابي حفص سيخاً واحقاداً في صدور رؤساء الدولة الموحدية وساعدهما اقرادهما دونها بذلك؛ فيخشيت من اتحادهـما ضدها واحفـظ ذلك الخليفة ابا الحسن السعيد بمراكيش، فتتحرك من هنالك بجيشه سنة (٥٦٤٥ م ١٢٤٧) بقصد الاقياع بالدولتين المتعاقدين فكانت يومئذ بينه وبين يغمر اسن الواقعة المشهورة حول قلعة «تمززدكت» فانهزم فيها الموحدون كما ذكرناه قريباً

(١) راجم ص ١٥ من هذا الجزء

منشاً للخلاف بين بنى عبد الواد وبنى مرين

لا يخفى وان المغرب الاوسط - الجزائر. كان في ايام نشأة اماراة بنى عبد الواد الزيانية ملحقاً بالدولة الحفصية، وان هذه الامارة الجزائرية كانت تابعة للحفصيين؛ وكان المرينيون يومئذ يحاولون التوسيع شرق مملكتهم المغربية ، فوقف في وجههم هؤلاء بنو عبد الواد الذين استشرفوا حكم هذه الاوطان منذ ان نزل بها سلفهم صدر دولة الموحدين ؛ فكان لذلك نزى استمرار الحروب والفتنة بين هذين القبليين طيلة مجاورتهم حسبما توجه السنتـة الطبيعية في تنـازع البقاء ؛ وكثيراً ما انتصرت مرين على عدوتها المزاحمة غير انها لم تستطع القضاء عليها نهائياً بسبب احتتمائها بقبائل من زناته كمغراوة وبنى توجـن

طموح يغمر اسن نحو المغرب الاقصى وخليفة

استمر النزاع والخلاف بين دولة الموحدين المدبرة ودولة بنو مرين المقبلة واشتـد ذلك بينهما سنة ٥٦٤٦ (١٢٤٨م) فتوترت العلاقة وحمى الوطيس الى ان افضى الامر بينهما الى ايقاد نار الحرب ، فاستجاش الموحدون جيوش بنـي زيان ، وكان ليغـمر اسن يومئذ غرضـ في مناهضة دولة بنـي مـرين والقضاء عليهـا فـمدـ يـدهـ الى الموحدـين ، وكانت الملاحـمة عظـيمة بـوادي اـسـلي - من بـسيـط وجـدة - انهـزمـ فيها يـغـمر اـسن وـتركـ محلـتهـ للنهـب والـسلـب ؛ ثمـ كانـ استـيلـاءـ محمدـ بنـ عبدـ القـوىـ سنـةـ ٥٦٤٧ـ (١٢٤٩ـم) عـلـىـ جـبالـ وـنـشـرـيـسـ وـبـرـشـكـ وـشـرـشـالـ ؛ وـفـيهـاـ تـمـلكـ ايـضاـ محمدـ بنـ منـديـلـ المـغـراـوىـ بمـدـيـنـةـ مـلـيـانـةـ وـغـيرـهـاـ مـنـ الـاعـمـالـ الشـرـقـيـةـ الـىـ سنـةـ ٥٦٦٨ـ

ـ فـاسـتـرـدـهـاـ مـنـهـ يـغـمرـ اـسنـ قـهـراـ

ـ وـفـيـ سنـةـ ٥٦٥٥ـ (١٢٥٧ـم) نـهـضـتـ مـرـينـ مـنـقـمـةـ مـنـ بـنـيـ زـيانـ لـانـ حـيـازـهـمـ الـىـ خـصـمـائـهـمـ الـموـحدـينـ ، وـكـانـ الـمـعـرـكـةـ بـيـنـهـمـ بـأـبـيـ سـلـيـطـ ، فـانـهـزمـ يـغـمرـ اـسنـ بـهـاـ وـتـكـرـرـتـ عـلـيـهـ الـهـزـائـمـ فـيـمـ نـحـوـ سـجـلـهـاـسـةـ وـدـرـعـةـ عـلـهـ يـعـوـضـ بـفـتـحـهـمـ ماـ فـاتـهـ

من النصر هناك؛ وما كاد يبلغ مقصدته حتى كانت مرين قد سبقته إلى تملك النواحي يوم قبله، فسقط في يدها وحاول التغلب عليهم بسلاحه فلم يفاجئ

ويوم ان توفي السلطان ابو بكر او ابو حبيبي المريني ١٢٥٨-٥٦٥٦ حاول يغمر اسن الاستيلاء على عرش المغرب الاقصى فقتال بنى مرين ، فرده السلطان يعقوب منهزمًا على اعقابه، ثم تكررت الوقائع والمحروب بينهم واشهارها وقعة وادي تلاغ سنة ٥٦٦٦ (١٢٦٧م)، وقعة ايسلي قرب وجدة ٥٦٧٠ (١٢٧١م)، ووادي التافنا، وتماسونت، وبني بهلول.... ولقد كان النصر في جميعها لبني مرين

المنافسة وحب الاستئثار

لقد أثار تتبع انتصارات السلطان ابي يوسف يعقوب المريني بالاندلاس امتعاضا شديدا وحسدا في قلوب ملوك غرب ناطة من بنى الاحمر حيث توهموا بذلك القضاء على مملكتهم الاندلسية ، فسعوا حيئذ في مشاغبته وعملوا على إقصائه بربط صلتهم بملك الاسبان، واعزوا الى يغمر اسن باشغال مرين عنهم وترددت بذلك الرسل والسفراء بين تامسان والاندلس ، فارتاح لذلك يغمر اسن حاجة في نفس يعقوب، ووجد فيها شفاء نفسه فسعى يومئذ بكل جهوده في انزال العرقل والعوائق ببني مرين وشغلهم عن الجهاد بمشاغباته ومناوآته ، فالوحى عليه يومئذ السلطان ابو يوسف المريني في الكشف عن غيه فأبى ، وحيئذ نهضت مرين فاوافت ببني زيان في معركة خرزونة سنة ٥٦٧٩ (١٢٨٠م) ثم توالى بعدها هجمات أخرى

حزم يغمر اسن ونشاطه

قضى موقع دولة بنى زيان ووضعيتها الطبيعية بين مماليك^١ مرين غرباً والحفصيين شرقاً لأن تكون مسرحاً وميداناً فسيحاً للمبارات بين هاتين الدولتين في جمع أقطار المغرب الإسلامي والاستيلاء على طرفيه؛ وكانت هذه الواقف المترورة بين دول المغرب والحوادث السياسية المتتجدة هناك درساً عملياً ليغمر اسن، فأخذ حيئذ في تحصين بلاده واحتاط بها بما يدرأ عنها العيدو، فجاء بقبيلة بنى عامر العربية من صحراء بنى يزيد واقطعها نواحي وهران وتلمسان، وكانت لهنالك خير وقایة احتى بها عن مهاجمة خصومه المعاقيل المقيمين بسهل متيبة؛ وجاء كذلك بقبيلة حميان الهمالية فاقامها بصحراء تلمسان فكانت له حصناً منيعاً من بنى مرين، وأسكن فريقاً من عكرمة بجبل « كركرة » قبلة « السرسو » وعمل كذلك على ربط صلاته بالسلطان أبي اسحاق ابراهيم الحفصي، وأكدهـذـةـالـصلةـ بالمحاشرة فخطب كريمته لولده وولي عهده أبي سعيد عثمان ثم تفرغ يغمر اسن بعد ذلك لاحتضان القبائل المنشقة والمخالفـةـ عنهـ ومن مغراوة وتحـيـنـ (١) فناهضـهاـ عـدـةـ مـرـاتـ حتـىـ استـقـامـتـ لـهـ ونجـحتـ إـلـىـ السـلـامـ فـكـفـ عـنـهاـ بـأـسـهـ ،ـ وـنـزـلـ لـهـ يـوـمـئـذـ عـمـرـ بنـ منـديـلـ المـغـراـويـ عـنـ مـدـيـنـةـ مـلـيـانـةـ عـاصـمـةـ مـغـراـوةـ -ـ فـاحـتـالـهاـ يـغـمـرـ اـسـنـ سـنـةـ ٥٦٦٨ـ (١٢٧٠ـ)

وكانت مبايعة اهل سجلاتـةـ سنة ٥٦٦٢ـ (١٢٦٣ـ) ثم خرجوا عن الطاعة من سلاح صفر سنة ٥٦٧٣ـ (٦ـسبتمبرـ ١٢٧٤ـ) واحتلتها يومئذ مرين عنوة، وفي سنة ٥٦٧٢ـ (١٢٧٣ـ) نزل عائد بن منديل وأخوه ثابت أميراً مغراوة عن مدينة تنس وأحوالـهاـ لـيـغـمـرـ اـسـنـ فـضـمـهـاـ إـلـىـ مـلـكـهـ

(١) مواطن مغراوة هي بشمال وانشريس ووادي شاف الى البحر، وتنتهي شرقاً الى وادي السبت قرب متيجة وغرباً الى البطحاء بناحية نهر مينة. أما مواطن توجين فشرقى بنى عبد الواد وجنوب مغراوة فيما بين سعيدة والمدينة؛ ولقد بقى هاتان القبيلتان على ثورتهم طيلة ملك بنى زيان

غدر الفرقة الافرنجية بالسلطان

كان من بين الجيش الزياني فرقة من علوج النصارى تعمل مع الجندي فحازت بطول مرانها ثقة السلطان وتقديره فكان يباهي بها بين جموعه في جميع موافقه الحربية وفي السلام ايضاً، وهي مع ذلك تعمل في الحفقاء لقلب نظام الحكومة والقضاء على السلطان فتر بصرت به الدوائر حتى اذا كان يوم استعراض الجنود على السلطان ضحى يوم الاربعاء ٢٤ ربيع الثاني (٥٦٦٢ هـ / ١٢٨٤ م) وكان يغمر اسن يومئذ قائماً بباب القرمادين بعاصمة تلمسان فاعتدى عليه رئيس هذه الفرقة الاجنبية وحمل عليه السلاح وبادرت الفرقة المذكورة الى محمد بن زيان اخ يغمر اسن فقتلته غدراً ونجا السلطان، وكان هنالك فزع واضطراب عظيم في الجيش فاندفع الناس حين ذاك الى القضاء على هذه الفرقة المشتملة على نحو الفي فارس ، فكان ذلك آخر العهد بهذه الفرقة الافرنجية ولم يستخدم بعدها أحد من نصارى الافرنج بالجندي في دول المغرب

وفاة يغمر اسن

تقدّم ان ذكرنا اصهار يغمر اسن الى السلطان المفصى في ابيته لولي عهد المملكة الزيانية اي سعيد عثمان ولد يغمر اسن ، وكان موعد الزفاف في ذي القعدة سنة ٥٦٨١ (مارس ١٢٨٣ م) فخرج موكب العروس من تونس برئاسة الامير أبي عامر بن يغمر اسن ، وما كاد ليقترب الموكب من الحدود حتى خرج السلطان نفسه لاقبته وحماته من غمارات توجين وزنوات مغراوة ، فاتصل بالقافلة في مليانة وفي منصرفه الى تلمسان ادركه حمامه فمات بوادي «رهيو» بشفل ، وذلك يوم الاثنين ٢٩ ذى القعدة سنة ٥٦٨١ (٢٨ مارس ١٢٨٣ م) فكثمت الحاصة وفاته حتى باعثت به تلمسان فاعلن وفاته واستغاثت حيئتبا بدفنه ، فكان عمره يومئذ ٧٦ سنة ، ومدة حكمه ٤٤ سنة وخمسة اشهر واثنتا عشر يوماً ، فبایع الناس يومئذ لولده اي سعيد عثمان .



ولاية السلطان أبي سعيد عثمان

ولد السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة ٥٦٣٩ هـ (١٢٤١ م) وكانت مبايعته بالملك بعد وفاة والده في أوائل شهر ذي الحجة سنة ٥٦٨١ هـ (مارس ١٢٨٣ م) وكان ملكاً شهماً حسناً السياسة والتديير مقداماً صبوراً على حوادث الدهر وضرباته

أشهر فتوحاته ووقائعه

وفق أبو سعيد في سلوكه السياسي إلى جمع كلمة قومه واكتساب قلوب الرعية؛ وذلك بحسن التدبير ومعرفته للأساليب الناجحة والطرق المجدية، فانتشر بذلك سلطانه على نواحٍ كثيرة كانت متفردة عليه بالقطر الجزائري، وكان من غزواته الموفقة حملته على مازونة وانتزاعها من مغراوة وفتحها في منتصف رمضان ٥٦٨٦ [أكتوبر ١٢٨٧ م] واستيلاؤه أيضاً على «تفرجيت» التي كانت لتوحين؛ وanax في هذه السنة بعساكرة على بجاية ثم افوج عنها، واستولى على وانشريين وأخرج منها ملوكها التوحيني، واحتل مدينة تنس والمدية يوم ٢٦ ربيع الشانى ٥٦٨٨ (٢٠ ماي ١٢٨٩ م)، ثم تقدم في السنة بعدها إلى تدوين بلاد مغراوة فاخضعاها كلها، وحاصر مدينة برشك - بين تنس وشرشال - مدة أربعين يوماً ففتحت عليه سنة ٥٦٩٣ هـ (١٢٩٤ م) وفر عنها صاحبها ثابت بن منديل المغراوي فابحر إلى حيث لا يعلم مكانه

ولهذا السلطان أيام وواقع كثيرة ومواقف حازمة وقفها ضد توحين لتحالفها وتألفها مع خصوصه بنى مرین.

محاصرة تلمسان ووفاة أبي سعيد

لقد بلغ من امر العداوة المستمرة بين بني عبد الواد وبين بني مرین انه كاما سنت فرصة لاحد الطرفين للالقاء بصاحب الا واتهماه أخذها بشاره واحمادا لغاته ، فتعددت الواقعه والحروب بين القبيلتين ، وكان منها هذا الحصار الطويل الذي ضربه ابو يعقوب يوسف المریني على تلمسان بسبب ما قامت به هذه الدولة من ربط صلتها بملوک بنی الاحمر ومشاغبتها على بنی مرین .

تحرک ابو يعقوب من مدينة فاس في جمادی الثانية ٥٦٨٩ [جوان ١٢٩٠] فنزل بذراع الصابون من ظهر تلمسان يوم الثلاثاء ٢٥ جمادی الثانية - ٦ جولیت - ومحکث محاصرالمدينة نحو ثلاثة أشهر ، فكانت هناك حروب طاحنة اشتد فيها الامر على الفريقين فانكسر فيها او لا ابو يعقوب فاقلع عن الحصار مدبرا الى مركزه بالغرب الاقصى ، ثم تکرر منه الهجوم على تلمسان اربع مرات ، ثم كانت الخامسة بعد اتقاض زکرياء بن يخلف المطغری (١) قائد ندرومة في هذه المرة شرع ابو يعقوب في بناء المحلة المنصورة ٥٦٩٩ (١٢٩٩) فاشتد يومئذ الكرب بين عبد الواد الزبانيين ونال منهم الجيد والعناه بما لا نظير له في تاريخ المغرب قبله ولا بعده ، بل ولافي تاريخ غيره من الامم فيما علمناه ، وناهيك انه قد طال بهم ذلك الحصار الشديد شمائية سنين وثلاثة أشهر ... ، اضطروا فيها الى اكل الجيف والقططة والفيران حتى قيل انهم اکوا اشاء الموتى من الناس ! وخرموا السقف للوقود وغلت اسعار الاقوات والحبوب وسائل المرافق بما تجاوز حدود

(١) كثیرا ما يشتبه على الكتاب كتابة هذه الكلمة ويختلطون في رسمها، فيكتبهما بعضهم كيما اتفق : تارة بالطاء وتارة بالدال بدون ترو ولا تنتت ، وال الصحيح انها اسمان مختلفان لفطا وخطا لاماکن ثلاثة مختلفة ، فاما بالدال فهو اسم مكان باعمال سجلائية يقال له « مدغرة » واما بالطاء فهو اسم يقع على موضعين مختلفين ؛ احدهما بعمل تلمسان والآخر بعمل تازا وكلاهما يقال له « مطغرة »

العوايد وعجز وجدهم عنه ، فكان ثمن مكيل القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبعون به مقداره اثنا عشر رطلاً ونصف مثقالين ونصفاً من الذهب العين ، وثمان شحنة الواحد من البقر ستون مثقالاً ، ومن الصأن سبعة مثاقيل ونصف وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال واللمر بثمن المثقال ، ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم تكون عشرة المثقال ، والرطل من الجلد البقرى ميئية او مذكي بثلاثين درهما ، والهر الداجن بمثقال ونصف ، والكلب بمثله ، والفار بعشرة دراهم والحيبة مثله!!! . والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك والأوقية من الزيت باثني عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشحوم بعشرين ومن الفول بمثلها ومن الملح بعشرة ومن الحطب كذلك ؛ والاسفل الواحد من الكرنب بثلاثة اثمان المثقال ، ومن الحس بعشرين درهما ، ومن اللفت بخمسة عشر درهما ، والواحدة من القثاء والفقوس بأربعين درهما ، واختيار بثلاثة اثمان الدينار ، والبطيخ بثلاثين درهما ، والحبة من التين والاجاص بدرهمين ، واستهلك الناس اموالهم و موجودهم وضاقت احوالهم واستفحلا ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارها واتسعت خطوة مدينة المنصورة المشيدة عليها ورحل اليها التجار بالبضائع من الآفاق واستبحرت في العمran بما لم تبلغه مدينة (١) وقد هلك في هذا الحصار من بنى عبد الواد نحو العشرين ومائة الف شخص

ورغم كل هذه الشدائيد فقد ثبت بنو عبد الواد تجاه بنى مرین ثبوت الجبال الراسيات مدافعين عن حرمهم بالمهج الى ان جاءهم الفرج؛ وفي اثناء ذلك هلك السلطان ابو سعيد عثمان الزياني وذلك تحسس سنين من الحصار ، وقد قيل انه داف السم في شرابه تفاديها من معركة الهزيمة والانكسار ، وكانت وفاته يوم السبت غرة ذى القعدة سنة ٥٧٠ هـ (٤ جوان ١٣٠٤) فبؤم لولده اي زيان الاول

(١) ابن خلدون ج ٧ ص ٩٥-٩٦

ولاية السلطان أبي زيان الأول

هو ولد السلطان أبي سعيد عثمان ، واسمه محمد ، ولد سنة ٥٦٥٩ (١٢٦١) وكانت مبايعته اثر وفاة والده يوم الاحد ثانى شهر ذى القعدة سنة ٥٧٠٣ (٦ جوان ١٣٠٤) وكان مشهرا بالنشاط والحزم ورقة الحاشية ودمائة الطبع فاضلا حسن التدبير

تولى الملك في اخرج الظروف واعسر الاوقات : فلقد ولى عرش بنى زيان وعاصمتهم مهددة بالانقراض ودولتهم بالانهيار وحياتهم بالاضمحلال وذلك لما نزل بهم من الحصار المرننى وما نكبهم من الرزايا والفيجائع والآلام : فتحمل عبء كل ذلك ابوزيان وحده وتزعم قومه بجمع رايه على الكفاح والمقاومة الى النهاية فاما ملك واما هلك !.... وصرخ في قومه اثر مبايعته بكلمته الخالدة : تعالوا نخرج في قومنا فستعميت !.... وبينما هو كذلك مزمعا على الحرب اذا بصوت الناعي ينعي سلطان بنى مرین ابا يعقوب يوسف صاحب الحصار !....

قال ابن خلدون : «وحدثني شيخنا محمد بن ابراهيم الآبلى قال جاس السلطان ابوزيان صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء في خلوة زوايا قصرة واستدعى ابن حيگاف حازن الزرع فسألة كم بي من الاهراء والمطامير المختومة ؟ ... فقال له انما بي عولة اليوم وغد !! ... فاستوصاه بكتمانها ، وبينما هم في ذلك دخل عليه اخوه ابو حمو فأخبروه فوجم لها وجلسوا سكتا لا ينطقون !... وادا بالخدم «دعد» قهر مانة القصر من وصائف بنت السلطان ابى اسحاق وحظية ابיהם خرجت من القصر اليهم وحيتهم تحيتها وقالت : تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرركم مالنا وللبقاء ؟!... وقد احيط بكم واسف عدوكم لاتهامكم ولم يبق الا فوائق بكية لمصارعكم ، فأريحونا من معرة السبى واريحوها فيما انفسكم وقربونا الى مهالكنا ، فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم !... فالتفت ابو حمو الى اخيه وكان من الشفقة بمكان ، وقال قد صدقتك الخبر فما تنتظر بهن ؟!

فقال يا موسى ارجئني ثلاثة لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ! .. ولا تشاورنـى بعدها فيـهنـ، بل سرـحـ اليـهـودـ والـنـصـارـىـ الىـ قـتـلـهـنـ! .. وـتـعـالـىـ إـلـيـ خـرـجـ مـعـ قـوـمـنـاـ إـلـىـ عـدـوـنـ فـسـتـمـيـتـ وـيـقـضـيـ اللـهـ مـاـ يـشـاءـ؛ فـغـضـبـ اـبـوـ حـمـوـ وـانـكـرـ الـأـرـجـاءـ فـيـ ذـالـكـ، وـقـالـ انـماـ نـحـنـ وـالـلـهـ نـتـرـبـصـ الـمـعـرـةـ بـهـنـ وـبـأـنـفـسـنـاـ، وـقـامـ عـنـهـ مـغـضـبـاـ وـجـهـشـ السـلـطـانـ اـبـوـ زـيـانـ بـالـبـكـاءـ! .. قـالـ اـبـنـ حـيـجـافـ - خـازـنـ الزـرـعـ - وـاـنـاـ بـعـكـانـيـ بـيـنـ يـدـيـهـ لـاـ اـمـلـكـ مـتـأـخـراـ وـلـاـ مـتـقـدـمـاـ إـلـىـ اـنـ غـلـبـ عـلـيـهـ النـوـمـ، فـعـمـاـ رـاعـنـىـ الـاحـرـسـىـ الـبـابـ يـشـيرـ إـلـىـ اـنـ اـذـنـ السـلـطـانـ بـعـكـانـ رـسـوـلـ مـنـ مـعـسـكـرـ بـنـيـ مـرـيـنـ لـسـدـةـ القـصـرـ، فـلـامـ اـطـقـ رـجـمـ جـوـابـهـ الـاـبـاشـارـةـ، وـاتـبـعـهـ السـلـطـانـ مـنـ خـفـيفـ اـشـارـتـنـاـ فـزـعـاـ فـأـذـتـهـ وـاسـتـدـعـاـهـ فـلـمـاـ وـقـفـ بـيـنـ يـدـيـهـ قـالـ لـهـ : اـنـ يـوـسـفـ بـنـ يـعـقـوبـ هـلـكـ السـاعـةـ! .. وـاـنـاـ رـسـوـلـ حـافـدـهـ اـبـىـ ثـابـتـ الـيـكـمـ؛ فـاسـتـبـشـ السـلـطـانـ وـاسـتـدـعـىـ اـخـاهـ وـقـومـهـ حـتـىـ اـبـلـغـ الرـسـوـلـ رـسـالـتـهـ بـعـسـمـعـمـنـهـمـ ، وـكـانـ اـحـدـىـ الـمـغـرـبـاتـ فـيـ الـاـيـامـ» (١)

كان اغتيال السلطان ابى يعقوب المرینى على يد خصى من العبيد اسيخطته بعض النزغات الملوکية فاعتمدة في كسر بيته وخدع نومه وطعنـهـ بـخـنـجرـ قـطـعـ امعـاءـ؛ وـقـدـ وـقـعـ ذـلـكـ يـوـمـ الـاـرـبـعـاءـ ٧ـ ذـيـ الـقـعـدـةـ (٥٧٠٦ـ مـاـيـ ١٣٠٧ـ) فـاـخـتـلـفـتـ بـعـدـهـ كـلـمـةـ اـصـحـابـهـ وـتـشـتـتـ قـوـمـهـ حـسـبـ تـشـتـتـ اـغـرـاضـ رـؤـسـائـهـمـ فـكـانـ مـنـهـمـ مـنـ اـعـتـصـمـ بـالـفـرـارـ، وـمـنـهـمـ غـيـرـ ذـلـكـ، فـذـهـبـ يـوـمـئـذـ العنـاءـ عـنـ آـلـ زـيـانـ وـقـومـهـ وـجـمـيعـ سـكـانـ عـاصـمـتـهـمـ فـكـانـمـاـ نـشـرـواـ مـنـ اـجـدـاثـ ، وـكـتـبـواـ لـهـاـ فـيـ سـكـتـهـمـ «ـ مـاـ اـقـرـبـ فـرـجـ اللـهـ» استـغـرـابـاـ حـادـثـهـا

نمـ كانـ الصـالـحـ بـيـنـ الدـوـلـتـيـنـ، وـاعـيـدـتـ لـبـنـىـ عـبـدـ الـوـادـ جـمـيمـ الـبـلـادـ وـالـشـغـورـ التـىـ اـحـتـلـهـاـ الـمـرـيـسـيـونـ بـالـجـزـائـرـ؛ وـاوـصـىـ اـبـوـ ثـابـتـ الـمـرـيـنـىـ بـعـدـ التـعرـضـ لـمـدـيـنـةـ الـمـنـصـورـةـ بـسـوـءـ؛ غـيـرـ اـنـ بـنـىـ عـبـدـ الـوـادـ لـمـ يـكـنـ لـيـسـتـطـيـعـوـ تـحـمـلـ رـؤـيـةـ شـبـحـهـاـ الـمـشـؤـومـ فـحـطـمـوـهـاـ تـحـطـيـمـاـ

مقاومة القبائل المشاهدة

نشط السلطان ابوزيان الاول ببرقة أخيه ابى حمو الى بسط نفوذه الدوالة العبد الوادية على كامل الوطن الجزائري بدون استثناء؛ وكان اندفاعهما من تلمسان يوم الخميس ٢٠ ذى الحجۃ ١٣٠٧-٥٧٠٦ جوان ١٣٠٧ فحلاماً بمواطن مغراوة من نواحي القطر الجزائري الغربي؛ فأغفلت بطون مغراوة يومئذ الى الصحراء؛ فاستولى ابوزيان على ارجاء «شلف» وذلل قبائل توحين فانضمت بأجمعها تحت طاعته؛ وأستمرت الحروب بين بنى عبد الواد وبنى راشد، وما كانت لتنهي الا لستكرر وتتسوء العلاقة بينهما من جديد (١)

وعاد السلطان الى عاصمته في رمضان ١٣٠٧-٥٧٠٧ فيفري ١٣٠٧ وفي نفس هذه السنة كان القضاء على حاضرة المنصورة التي اشادها المرينيون قرب تلمسان، فطمسها بنو زيان ومحوا آثارها تفادياً منبقاء معالم العدو بينهم قائمة مرئية وفي شهر شوال - مارس - من هذه السنة توفي السلطان ابوزيان الاول اثر مرض لم يمهله اكشن من أسبوع فقط؛ فدفن صبيحة يوم الاحد ٢١ شوال ١٣٠٧ - افريل - وبويع لأخيه ابى حمو الاول



(١) راجم تفاصيل هذه الحوادث في تاريخ ابن خلدون ج ٧ ص ١٣٣ و ٣٣١-٣٣٠

ولاية السلطان ابى حمو الاول

هو السلطان ابى حمو بن السلطان ابى سعيد عثمان بن السلطان يغمدراسن بن زيان، ولد سنة ٥٦٦٥-١٢٦٦م وبويم بتيسان يوم وفاة اخيه السلطان ابى زيان الاول: الاحد ٢١ شوال ١٣٠٧-٥٧٠٦م - وكان شجاعاً شديداً في غير قساوة: لينا في غير ضعف؟ حازماً صارماً؛ وهو اول من احدث في هذه الدولة مراسيم الملك ومصطلحات تنظيمات القصر وتشريفاته Protocol

غارات ابى حمو وفتحها

كان اول ما افتتح به ابى حمو اعماله الادارية ان سعى في مسالمة بنى مرین ومهادنتهم: ثم لما اطمأن على ملکه من الناحية الغریبة اشتمل بتطهير الحواشی والحوابن المحيطة به فأخذ في تذليل القبائل المنشقة عنه كـمغراوة وتوجین ، فانتصر عليهم ولكن لم يظفر بالامیر المغراوى راشد بن محمد افسراه ، ثم التفت نحو الشرق ، فبعث بجنوده اولاً الى الزاب الجزائري فاستولى عليه سنة ٥٧١٠-١٣١٠م واذعنـت لطاعته بلاد الجزائر الشرقية، فتقاضى عنها ضل بنى ابى حفص ثم بعد ستين خرج السلطان ابى حمو بنفسه متوجهـاً نحو مدينة الجزائر ، فاحتـل بلدة تدلـس - دلس - وخضع له اميرها ابن خلوف؛ ثم تمكـن من مدينة الجزائر فاقصـى عنها حاكـمها ابن علان بعد ما استـبد بها مـدة اربع عشرة سنة: ودخلـ خـيل ابى ثابت واشـاد قـصر «اصفـون» في مـدة لا تـتجاوز اربعـين يومـاً، وهو نفس مـكان المـدينة المعروـفة اليـوم بالـساحـل الشرـقي الجزائـري باسم - ازـفـون - واقـامـ به الخامـمية ثم تركـه منـصرـاً الى غـزوـاته

القضاء على أمارة الشعالية بمتيجة

يذكر المؤرخون انه كان بسهول متيجة نحو الثلاثين مدينة وكلها كانت للشعالية الذين هم من عرب المعقل؛ وكان موقف هؤلاء السياسي دائمًا في جانب المربيين ضد بنى عبد الواد، ولا سيما أيام الحصار الشديد الذي ضربه السلطان ابو يوسف يعقوب على تلمسان، وقد لاحظ ذلك منهم بنو عبد الواد فكانت لهم العداوة مصانعة إلى ان حانت لهم الفرصة في هذه المرة وطعن سلطان مرين وارتفع الحصار واسترد الزينيون مملكتهم الجزائرية فجهز يومئذ السلطان ابو تميم الاول عساكره بقيادة ابن عم محمد بن يوسف بن يغمراسن ووجههم إلى متيجة فانقضوا على الشعالية فخرموا قصورهم وحطموا ديارهم وقضوا على اكشريتهم ، ولم ينجو منهم يومئذ في هذه الواقعة سوى نفر قليل التيجا إلى احلاقه بنى مرين بالغرب الاقصى ، ومنهم من ذهب إلى الصحراء ومنهم من اقام بجبل وانشريس؛ ثم حاصر الجيش العبد الوادى مدينة بجاية وضيق على صاحبها يومئذ اي زكياء الاوسط حليف مرين

اغارة بنى مرين وثورة الاعراب

اشتعل المغرب الأوسط في هذه الآونة ناراً سبب مهاجمة مرين على مراكز اعدائهم وخصومهم الملتجئين إلى تلمسان المحتملين بملوكها ، فنزل السلطان ابو سعيد المربي مدينة وجدة واكتسح بسائقه تلمسان ، فالتجأ بنو زيان يومئذ في صرفه عنهم إلى استعمال الحيلة والدهاء، ثم كان اندلاع الثورة من البربر والاعراب فعمت الفتنة جميع اعمال وهران ، فانبرى لاطفائها يومئذ السلطان ابو تميم الاول ونزل بوادي «نهل» من شلف وهناك ابتنى قصره المعروف إلى اليوم باسمه «حو موسى» قبل ان تحرر فيه العامة إلى -عمى موسى- وهو بالجنوب الشرقي من موقع «عين كرمان» ، ويومئذ فر امامه رأس الثوار راشد بن محمد المغراوي فذهب إلى بلاد القبائل ؛ فأمر ابو حمو بغزوها ايضا ، فاحتلتتها حمودة ودخلت بجاية فجاست هنالك خلال الديار ،

واشيدت هنالك يومئذ مدينة «آقبو» الباقية الى اليوم وادعنت جميع تلك النواحي لبني زيان ، ثم وقعت بقبضتهم مدينة المدينة ومليانة سنة ٥٧١٧ (١٣١٧) وفي هذا العهد اخذ الضعف يسرى في عروق القبيلة الجزائرية العتيدة : زنانة ، فابتدرها الهرم الذي هو سنة الكون في الكائنات افرادا وجماعات ، وحلت محلها الجاليات العربية المهاجرة

مصرع السلطان أبي حمو الأول

لقد عملت عوامل الغيرة والافقة اعمالها في الامير أبي تاشفين بسبب ما كان عليه والده أبو حمومن تقديم ابن أخيه أبي السرحان عليه وتدنية مجلسه منه ، بل وكثيرا ما كان يظهر ذلك امام ولده أبي تاشفين فيستشير أبا السرحان ويحادثه في شؤون الدولة واعمالها وأبو تاشفين جالس بدون ان يلتقط اليه ؛ فاستنكف أبو تاشفين لهذه الإهانة واغتناط لذلك فسيخطط على والده ودبر له مكيدة ذهب السلطان ضحيتها فاغتاله بعض العلوج بقصره يوم الأربعاء ٢٢ جمادي الاولى سنة ٥٧١٨ (٢٢ جوان ١٣١٨) وتملك بعده ولده أبو شفين



ولادة السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن الأول

هو السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن السلطان أبي حمو الأول ؛ ولد سنة ٥٦٩٢ (١٢٩٣) وبوضع صحيحة الغمد من يوم اغتيال والده : الخميس ٢٣ جمادي الاولى (٥٧١٨ جوان ١٣١٨)

عرف أبو تاشفين بين ملوك هذه الدولة بميليه الشديد وتعلقه بالفنون الجميلة ولا سيما فن المعمار فان له به شغفا كبيرا فأشاد الدور والقصور ، مع ما كان عليه من الامعان في الهو والقصف ؛ ولم يكن هذا كله ليمنعه من التحمل بأعباء الدولة والقيام بمهامها احسن قيام

ولما كان تولیه الملك على الصفة المرعية المتقدمة، اشتد به الحذرو خشى من الفتك به فأسرع بابعاد جميع قرابةه وذويه من ابناء يغمرا سن عن حاضرة ملکه وبعث بهم الى الاندلس ، واعتقل عممه السعيد بن عثمان عنده لهذا الغرض نفسه فأبقياه بالسجن الى ان هلك فيه

القضاء على سلطة مغراوة

كان كلما تولى احد من ملوك بنى زيان الا وجعل همه الوحيد القضاء على سلطة مغراوة ، تلك القبيلة المناهضة لسلطان بنى عبد الواد ، وسار ابو تاشفين الاول على خطته اسلامه من ملوك بنى زيان ، فكان اول ما قام به من الاعمال ان اغار على هذه القبيلة المنشقة سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) وحاصرها في ربوة «تاوكال» من جبل وانشريس وشدد عليها الحناق فانقطعت عنها جميع المواصلات ونفت الميرة حتى لم يبق هنالك عندهم ما يسد به الرمق فانتشرت المجاعة بتلك الارجاء ثمانيه ايام وفر زعماء مغراوة من الميدان فاقتصرهم ابو تاشفين البلاد واخذ رئيسهم محمد بن يوسف المغراوى فقتله ، ثم نازل بجاية ومنها عاد الى مرکزة

فتح اعمال قسنطينة وبجاية

ما كان ليغفل بنو عبد الواد او يتناسوا تلك الحملة الشنعاء التي شنها عليهم المحفصيون على عهد ابي زكرياء الاول سنة ٥٦٣ هـ (١٢٤٢ م) ، وما كانوا كذلك لتجاوزوا عن انكسار دولتهم السلطان يغمرا سن وانهزامه امام هذه الغارة الحفصية ، فمكثوا في انتظار الفرصة لیشاروا من خصمهم حتى ایام ابی تاشفين الاول . هذا حيث حدث اضطراب بين سكان اعمال قسنطينة تقوضت منه اركان الدولة الحفصية ، فيخف لذلك سلطان بنى زيان وبعث بطائفة من الجندي لاستطلاع احوال التحوم الشرقية وهو بذلك - في آن واحد - يختبر قوات الخصم الحربية المقيمة بالحدود ، فذهبت الطبيعة الزينية الى غرضها ثم عادت بالظفر والغنية

ويومئذ نهض ابو تاشفين ٥٧٢٠ (١٣٢٠ م) فأوقع بأهل قسنطينة وحاصر بجایة مرتين ؛ ثم تعددت الواقع بين بنى ابى حفص والزيانيين الى ان كان النصر فيها لبني زيان سنة ٥٧٢٩ (١٣٢٨ م) ، فأقاموا لذلك «قصر بكر» بجایة كذكرى لهذا الانتصار الباهر الذى عم القطر الجزائرى ، وخلص يومئذ ابو يحيى ابو بكر الثانى الحفصى الى مدينة بوتة جريحا ؛ ثم كان بعد ذلك بستة الدولة استيلاء العبد الوادية على تونس

ظهور الدعوة الموحدية بوهران

نهض ابراهيم بن عبد الملك الکوفي الشائز بجيال «ترارة» من مرکزة سنة ٥٧٤٤ (١٣٤٤ م) متظاهرا باعادة عودة الموحدين واقامتها بالغرب الاوسط ، فاستولى على الساحل الوهرانى واحتل فرضة هنین وندرومة وحاصر مدينة وهران وكان بها يومئذ عبو بن سعيد بن احانا وليا عليها من قبل الدولة الزيانية، وجاءت الحامية من تلمسان لرد حملة الشائز ابراهيم فاختفت وسقطت وهران بيده، فأقام بها الدعوة الموحدية الى ان اغار عليها الزعيم ابو ثابت وفتحها عنوة في جمادى الاولى سنة ٥٧٥ (جولييط ١٣٤٩ م) وقضى على دعوة الکوفي بها وعفا عن اهلها ثم عاد الى مرکزة

نهاية الدور الزيانى الاول

لقد كان لانهزام الدولة الحفصية امام قوات الزيانيين سنة ٥٧٢٩ (١٣٢٨ م) اثر شديد ووقم كبير في نفوس الحفصيين فاستظهرروا يومئذ بالسلطان ابى سعيد المرينى وتوسلوا به لاسترجاع مملكتهم من بنى عبد الواد فاستشفع لهم هذا السلطان في ذلك لدى بلاط بنى زيان فلم ينجح؛ ثم لما تولى ولده من بعده ابو الحسن - صهر بنى ابى حفص - اعاد عليه الحفصيون اقتراحهم في التوسط لدى ملوك بنى زيان في التخلى لهم عن المملكة الشرقية ففعل ابو الحسن مثل والده وقام بعرض القضية على ملوك تلمسان فافقق في وساطته هذه ايضا؛ ويومئذ نشأت - او قل تجددت - العداوة

والبغضاء بين بنی مرین وبنی عبد الواد ، واخذ ابوالحسن في الاستعداد للغزو ، وجاء الاسطول المریني غازيا سواحل تلمسان ومدافعا عن احواض بجاية ؛ ونهض ابوالحسن اواسط سنة ١٣٣٥هـ (١٢٣٥م) مغيرا على المغرب الاوسط فاحتل ندرومة وهنین - فرضة تلمسان - ونزل اتسالة - بالقرب من سیدی بلعباس - وفتح وهران وملیانة وتنس والجزائر ومثلها النواحی الشرقیة ، ثم نزل بالمنصورة يوم ١١ شوال - جوان - من هذه السنة ، وادار نطاق الحصار على تلمسان فاحتلها يوم الاربعاء ٢٧ رمضان ١٣٣٧هـ (٢٩ افریل ١٢٣٧م) وخرج منها يومئذ ابوتاشفین في حاشیته وابنائه مدافعا بنقشه عن حرمه ؛ ولزم الجمیع مكانهم في الدفاع الى ان استشهد جميعهم في المیدان وبقي ابوتاشفین منفردًا فألقى عليه القبض ثم قتل يوم ٣٠ رمضان - ٢ ماي - بأمر الامیر عبد الرحمن بن السلطان ابی الحسن المرینی ؛ فـكان ذلك آخر العهد بالدور الاول من ملك بنی زیان ، وعادت الجزائر الى سيادة بنی مرین وطاعتهم

ملوك الدولة الزيانية

- في الدور الاول -

تاریخ التولیة

م ١٢٣٦ هـ ٥٦٣٣

أبو يحيى يغمرا سن بن زيان

م ١٢٨٣ هـ ٥٦٨١

أبو سعيد عثمان بن يغمرا سن

م ١٣٠٤ هـ ٥٧٠٣

أبوزيان محمد (الاول) بن عثمان

م ١٣٠٨ هـ ٥٧٠٧

أبو حمو موسى (الاول) بن عثمان

م ١٣١٨ هـ ٥٧١٨

أبو تاشفين عبد الرحمن (الاول) بن موسى

مشاهير الجزائريين

ابو زيد عبد الرحمن بن ابراهيم	}	الاخوان ابناء الامام
ابو موسى عيسى		م ١٣٤٩ هـ ٧٤٩

اللامام محمد بن عبد الله التمسانى ابنان ، هما ابو زيد عبد الرحمن وابوموسى عيسى ، اجمع علماء التاريخ والسير والتراث بالغرب العربى بأنه لم يكن في زمنهما اعظم رتبة ولا اعلم منهما ، واكبرهما ابو زيد عبد الرحمن ، كلاهما اشتهر بالامامة والرئاسة في العلم ورسوخ القدم فيه وكلاهما نشأ بمدينة برشك (١) بالساحل الغربى الجزائري ما بين مدينة شرشال وتونس ، حيث كان والدهما اماماً واحداً مساجد هذه المدينة فاشتهرا يومئذ بهذه النسبة وعرفا بها

ولما استولى زيري بن حماد المكلاتي المعروف بزيرم على مدينة برشك واستبد بها سنة ٥٦٨٣ هـ ١٢٨٤ مـ رمى امام المدينة وهو والد الاخرين العالمين بتهمة احتواهه على وديعة مالية لبعض اعداء زيرم وطالبه بها فامتنع الامام فقتله زيرم غيلة ، ويومئذ تقدر الجبو واكتفهرت الدنيا بعين الاخرين فحزن نا لذلك وارتاحلا في اواخر القرن السابع الهجري الى تونس حيث لقيا هناك الاجلة من علمائهما كابن القطبان وابن جماعة والمرجاني الخ ... كما اجتمعوا بفاس بالشيخ السطى والطنجى واليفرنى وتلاميذه ابن زيتون واصحاب ابى عبد الله بن شعيب الدكالى وغيرهم

وبعد ان انهى الاخوان رحلتهما العلمية بالغرب العربى وانتهيا من الطواف بمجامع العلم واندية الادباء توجها الى بلدهما ومسقط راسهما برشك ، فلما

(١) ضبطها ابن خلدون بقلمه بفتح الباء الموحدة وكسر الراء وسكون الشين

بلغا اليها امتنعت عليهما حلول زيرم المستبد بها، فانصرفا عنها الى مدينة الجزائر فأقاما فيها يبيان العلم وينشران ما طوى بها من معامله، وكان السلطان ابويعقوب يوسف المريني يومئذ محاصرًا بتلمسان ذلك الحصار الطويل الشهير، وانتشرت جنوده مستحوذة على اكثرب عواصم القطر الجزائري وامصاره، فارتاحل الاخوان من مدينة الجزائر الى مليانة عاصمة مغراوة وكان بها الكاتب منديل بن محمد الكناني ضابط جباية مرين ، فعرف منزلتهما وعلو كعبهما في العلم فاصطفاهما وقربهما منه واتخذهما لتعليم ولده محمد ، ثم استعملهما على خطة القضاء بمليانة وبعد مهلك السلطان ابي يعقوب المريني وتأكد الصلح بين بني مرين وبين عبد الواد وارتفع الحصار عن تلمسان انتقل الاخوان صحبة الكناني المذكور وحال بتلمسان فاتصالا بالسلطان ابي حمو موسى الاول فاغتبط بهما وابتلا لهما مدرستة بناحية المطهر كما يقول ابن خلدون، او داخل باب كشوط كما عند ابن ابي مريم - وجعل لهمما فيها ايوانين معددين للتدريس ، وابتلى لهمما بجانب المدرسة دارين للسكنى ، واحتضنهما بالفتوى والشورى وضمهما الى خاصته واعيان مجلسه ، فاقاما هنالك ملحوظين ممتازين بين اهل العلم والفضل ولما انتصر ابوحمو على بلاد مغراوة وتجاوزت طاعتهما الآفاق توحس من خففة زيرم المكلاطي فيخطب موادته وامل منه الامان لنفسه ونزل لم عن ولاته ، وكان ابو زيد عبد الرحمن بن الامام هو سفير السلطان الى زيرم برشك، وكانت بينهما طائلة كما ذكرناه فاستأذن السلطان في اخذ ثأره منه فأذن له، واحد ابو زيد يومئذ في التردد على زيرم برشك حتى تمكّن منه قتله بأبيه القتيل ، وكان ذلك سنة ٨٧٠ هـ (١٣٠٨) وصار امر برشك يومئذ لبني زيان

استمر الاخوان العلما على صحبتهما لا بـ حمو الاول بتلمسان الى وفاته فقر بهما اليه يومئذ ولده السلطان ابو تاشفين الاول فلازما مجلسه مدة سنتين ثم غادراه

إلى المشرق ، سنة ٥٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) وهناك اجتمعنا بأكابر العلماء كالشيخ علاء الدين القويني الذي كان يقال عنه إنه لا نظير له في العلم في عصره ، وأخذنا عن الجلال الفزويني صاحب التلخيص في البلاغة ، وسمعوا صحيح البخاري عن الشيخ الحجjar ، واجتمعوا هناك بشيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية فناظرناه وظهرنا عليه ، فكان ذلك مما زاد في محنة الشيخ

عاد إلينا الإمام من المشرق وقد طار صيتهما في الآفاق واشتهر بالتبصر في العلم حتى صارا يعرفان بالإمامية والاجتهاد المطلق والتفرد بالرأي، فانهال يومئذ عليهمما الطلبة من كل حدب وصوب ، وكثُر المتسبون إليهما واللائذون بهما والآخذون عنهما حتى غصت رحاب مجالسهما العلمية بالطلبة ، فتخرج عليهما اعلام منهم العلامة الشريف التلمساني والعلامة الخطيب ابن مرزوق - الجد - والأمام المقرى جد صاحب النفع ، وأبوعنان العقbanى ، وأبوعبد الله اليحيصى في جماعة كثيرة ممن اخترق شهرتهم الآفاق

عاش إلينا الإمام يومئذ في كنف السلطان أبي تاشفين الأول وبالغا في أكرامهما وتقديرهما فلازمه في قصره إلى آخر نفس حيث استشهد في وقعة سقوط تلمسان بيد المرinين سنة ٥٧٣٧ هـ - ١٣٣٧ م

وبعد أن استولى السلطان أبوالحسن المرini على تلمسان جاء ببابى الإمام إلى قصره وازدادت حضورهما عنده حتى كاد لا يفارقهما بيته، وأحضرهما معه وقعة طريف بالandalus آخر سنة ٥٧٤٠ هـ - ١٣٤٠ م

ورغم كل هذا التفوق العلمي وبعد الصيت ، فإنه لم يبلغنا عن مؤلفاتهما شيء سوى ما أشار إليه أصحاب التراجم من شرح أبي زيد عبد الرحمن على مختصر ابن الحاجب الفرعى ، ويقول ابن فردون أن لهما تصانيف المفيدة ؛ ولعلها ضاعت وسط تلك الحوادث والاضطرابات التي مني بها المغرب العربي يومئذ ...

ويذكر أهل السير ان ابا زيد عبد الرحمن اورع من أخيه موسى وانه كان يمتاز عليه بالخشية ، فقد حكي عنه ابو الفضل بن ابي مدين الكاتب وقد رأه يوماً بباب السلطان يتضرر خروجه فسألة عن حاله ، فأجابه بقوله : اما الآن فأنا مشرك ! فقال الكاتب : اعيذك من ذلك ! ... فقال الشيخ : لم ارد الشرك في التوحيد ، لكن في التعظيم والمراقبة ، والا فأى شيء جلوسى هاهنا ؟ ...

وكانت وفاة ابى زيد في العشر الاوسط من رمضان سنة ٧٤١هـ- اوائل مارس ١٣٤٠م ودفن ببلدته برشك ، وبفقدة ازداد مقام أخيه رفعه عند السلطان ابى الحسن ، فعاش في اكتنافه عزيز الجانب مكرما الى ان شغل السلطان بحوادث تونس والقيروان فسرحه الى بلده فذهب اليها واقام بها قليلاً فوافاه اجله في الطاعون الجارف سنة ٥٧٤٩هـ - ١٣٤٩م رحمهما الله ، ويذكر ابن خلدون ان الشيختين اعقابا بقوافي تمسان دارجين في مسالك الكرامة ومتوقلين قللها طبقاً عن طبق الى هذا العهد .

محمد بن ابراهيم الآبلي

٥٧٥٧ - ١٣٥٦

هو ابو عبد الله محمد ابراهيم بن احمد الآبلي ، اصله من مدينة آبلاة بالشمال الغربي لمقاطعة مجريط من بلاد الاندلس ، اجاز ابوه وعمه احمد الى تلمسان فاستخدمهما السلطان ابو يحيى يغمر اسن بن زيان في الجندية فكان ابوه قائدا بهنین - مرفاً تلمسان -

اصهر والده ابراهيم الى ابي الحسن محمد بن غلبون المرسي قاضي تلمسان في
بناته فأنجبت له مترجمنا محمد

ولد المترجم بتلمسان سنة ٥٦٨١-١٢٨٢م وبها نشأ في كفالة جده القاضي فيحب اليه العلم ورغم فيه معرض عن الجندية التي كان عليها والده ، فسرع في فنون الحكم والتعليم واشتغل بالمعقولات فكان فيها احد زمانه وعالم عصره واوانه وعكف الناس عليه في تعلمها وهو لا يزال في سن المراهقة

أخذ الاصلين والمنطق عن ابي موسى ابن الامام وعن جده القاضي وقرأ على ابي الحسن التتسى . ولما امتلك يوسف بن يعقوب تلمسان استخدمه فكره ذلك وسافر الى الحج آخر القرن السابع الهجري فدخل مصر والعراق ولم يتع له القدر الاتفاع بعلماء المشرق لمرض لازمه في سفره فعاد الى بلده تلمسان ، وكان السلطان ابو حمو الاول قد استفحى ملكه وقد بلغه عن الآبلي تقدمه في علم الحساب فدفعه الى ضبط امواله ومشارفته عماليه ، فتفادى منها الشیوخ ، فأكرهه السلطان على العمل في قيادة بنی راشد من كور بلده فشمخ الآبلي بأనهی ورباً بنفسه من ان يسخر عليه في خدمة الحكومة والمشی في رکابها ، فأعمل الحيلة في الفرار ولحق بفاس في حدود سنة عشر وسبعيناً للهجرة مختفياً عند شیخ التعالیم بها خلوف المغيلي اليهودي فاستكمل عليه فنونه الحکمية ، ثم دخل مراكش فلازم العلامة الامام

ابا العباس احمد بن البناء ، فكرع يومئذ من علومه على اختلاف انواعها ، واستدعاه شيخ المهاскаرة على بن محمد بن ترميٰت ل القراءة عليه فقصد اليه الشیخ واقام عنده مدة اتفق فيها ونفع وكثیر حوله الطلبة واجمع الناس على محبته وتعظيمه وامتثال امره واطاعته

ثم نزل الشيخ مدينة فاس وبها انتشر ذکرہ وذاع صيته وفضلہ وصار يعرف بعالم الدنيا وينعت بأعلم خلق الله في فنون المعقول ويدکره اهل التراجم بقولهم : المجمع على امامته الخ ... ويومئذ انشال عليه طبیة العلم من كل جهة وصوب كثیر الاتفاص به وعم نفعه البلاد

وابما فتح السلطان ابوالحسن المرینی مدينة تلمسان ولقي بها العلامة موسى بن الامام ذکرہ له الآبی وائنسی على علمی وفضله ووصفه بالتقدم على اقرانه في العلوم وذکرہ بأطيب الذکر فظمیم يومئذ ابوالحسن الى مجلسه ونظمیم في سلك طبقة العلماء ، وعکف الشيخ حیثیت علی التدریس ومصاحبة السلطان وحضر معه وقعتی طریف والقیروان ، وفي هذه المرة كان اتصال اهل تونس بالشيخ ویسر لهم الاتفاص به

ثم طلبیم السلطان ابوعنان من صاحب تونس فجاء الشيخ الى بجاية مکث بها نحو شهر أخذ عليه طلبیم کتاب مختصر ابن الحاجب في الاصول ثم التحق بابی عنان في تلمسان فنظمیم في طبقة العلماء وجعله من اشیاخه

وكثرة تلامیذه قال یحیی بن خلدون وهو احدهم : انی لا اعرف بالغرب وافریقیة فقیھا کسیرا الا وله علیه مشیخة . ومن اشهر تلامیذه السلطان ابوعنان - والمؤرخ الكبير ابن خلدون - واخوه یحیی - وابن الصباغ المکناسی - والشریف التلمسانی - والشریف الرهوی - وابن مرزوق الجد - وابو عثمان العقیانی - وابن عرقه - والولی بن عباد في آخرين لا يعدون کثرة ، اما تألیفه فلم یبر و لنا التاریخ عنها شيئاً .. الا انه كان یقول : انما افسد العلم کثرة التألیف واذهبے بنبیان المدارس

ومن كلامه المأثور قوله رحمة الله : لو لا انقطاع الوحي لنزل فيينا اكثرا مما نزل في بني اسرائيل ، لأننا اتينا اكثرا مما أتوا .
وكانت وفاته رحمة الله بمدينة فاس في ذي القعدة سنة ٧٥٧ هـ (اكتوبر ١٣٥٦)

محمد بن خميس

(١٣٠٩ هـ ١٩٠٩ م)

هو ابو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني ، منتسبا الى حجر ذى رعين ابى قبيلة من اليمن ولد رحمة الله سنة ٥٦٥ هـ ١٢٥٢ م ولم يلبث ان نبغ واشتهر بين قومه بالعلم والادب والزهد وبعد الهمة ، فكان اوحد زمانه وعالم قطره واوانه ، عارفا بفنون الفلسفة والحكمة والنجامة والسيمياء مؤرخا مطلعها على اخبار الفرق والطوائف علي اختلاف مللها ونحلها ، كاتبا بليغا وشاعرا مفلقا وكان لغزارة علمه يوصف بين اهل العلم بشيخ الادباء

قال عنه ابن خلدون «كان لا يجارى في البلاغة والشعر» وقال ابن الخطيب في «عائد الصلة» : كان رحمة الله نسيج وحدة زهدا وانقباضا وادبا وهمة ، حسن الشبيهة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيدا عن الرياء والهوى ، عاملا على السياحة والعزلة ، عارفا بالمعارف القديمة ، مضطلاعا بتفاريق النحل ، قائما على العربية والاصلين ، طبقته الوقت في الشعر ، وفحل الاوان في المطول ، اقدر الناس على احتلال الغريب . وقال ابن خاتمة : «كان رحمة الله من فحول الشعراء واعلام البلغاء ؛ يصرف العويس ويرتكب مستصعبات القوافي ويطير في القرىض مطار ذوى القوادم الباسقة والخوافي . وقيل في مدحه ابو بكر بن خطاب من ايات

لث في البلاغة والفصاحة بعض ما تحويه من اثر محل رسيس
نظم وشر لاتجاري فيهما عزرت ذاك وذا بعلم الطوسى

ويعنى الشاعر بالطوسى هنا الامام ابا حامد الغزالى ، وذلك لملكانة ابن خميس
وتضلعه من الفلسفة والتصوف

حدث عنه ابن خاتمة فى كتابه «مزية المريعة على غيرها من البلاد الاندلسية»
فقال انه علاوة على علوه وفضله : كان صنع اليدين حاذقا ماهرا فيما يصنعه بيده ،
فلقد صنع قدحا من الشمع ابده في شكله ولطافة جوهره واتقان صنعته ، وكتب
بدائئر شفته ما يلى حاكيا لسان حال القدر :

وما كنت الا زهرة في حديقة
تبسم عنى ضاحكات الكمام
تنقلت من طور لطور فها انا
اقبل افواه الملوك الاعاظم

قال واهداه الى صديقه ابى عبد الله بن الحكيم وزير ملك غرنطة محمد الثالث
وذلك اقامه ابن خميس عنده في آخر حياته

ولقد حل ابن خميس بغرنطة او اخر سنتها ٥٧٠٣ (١٣٠٤ م) بعد ما تجول
وطاف اقطار المغرب وجلس فيها لقراء العربية فارتفع بها صيته ، وبنبه ذكره ،
فضمه الوزير المذكور الى مجلسه وخصه بكرمه واحسانه
ومن شعره قوله رحمة الله مفتخر اعروبه واسلاميته

ر غيات ملهموف ومنعة لاحي	انا بني قحيطان لم نخلق لغيم
اللاواء (تقريهم على منهاج)	نهرى طلا الاعراب فى الهمجاوى
طبعت لحز غلامص ووداج	بسىوفنا البيض اليمانية التى
يوم اللقاء طهارة الاشاج	تابى لنا الاحيام من اعدائنا
وحماته فى الجحفل الرجراج	انصار دين الهاشمى وحزبه
من غدر مغتال وسوره هاج	وحماته بتفوسهم ونفيسيهم
وسواهم همج من الاهماج	هم صفوه الخلق التى اختيرت له
وبركتنا من كعبه الحجاج	وكفى بحكمتنا اقامه حجه

كانت تتبیخ حیاة كل خراج
دنسا بلا جسر ولا اخراج
في الجبود واريته بلا اخراج
ابدا بلا قفل ولا مزلاج
منا التبادلة الذين ببابهم
ولامرهم كانت تدين ممالك الا
من يقتدح زندا فان زناهـم
ابوابهم مفتوحة لضيوفهم

وكان السلطان ابوعنان المرینی ~~شیر العناية~~ بحفظ شعرة ورواية اخباره ،
وحدث عنه يوما فقال :

اخبرنى شيخنا الامام العالم العلامة وحيد زمانه ابوعبدالله محمد بن ابراهيم الآبلى
التلمساني فقال : لما توجه الشيخ الصالح الشريف ابواسحاق التلمساني الى
بلاد المشرق ، اجتمع هناك بقاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد ، فكان من
قوله له : كيف حال الشيخ العالم ابى عبد الله بن حميس ؟ ... وجعل يحلمه
بأحسن الاوصاف ويطنب في ذكر فضله ، فبقي الشيخ ابواسحاق متعجبها ! ...
وقال : من يكون هذا الذى حايته بهذا الحالى ولا اعرفه بيده ؟ .. فقال له
ابن دقيق العيد هو القائل :

عجبنا لها ايندوق طعم وصالها من ليس يأمل ان يمر ببابها

وتلا عليه القصيدة بظواها ، وهى تحتوى على ست واربعين بيتا ؛ قال فقالت
له ان هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التى وصفتم ، انما هو عندنا شاعر فقط ؛
قال له : انكم لم تتصفوه ، وانه لحقيقة بما وصفنا به . قال ابو عنان واخرين
شيخنا الآبلى المذكور ان ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة
كانت له تعلو موضع جلوسه للمطالعة ، وكان يخرجها من تملك الخزانة ويكسر
تأملها والنظر فيها ، ولقد تعرفت انه لما وصلت هذه القصيدة اليه لم يقرأها حتى
قام اجلالا لها ! ...

قال ابن خاتمة : وقد جمع شعرة ودونه صاحبنا القاضي ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي في جزء سماه «الدر النفيس» في شعر ابن حميس وعرف به صدر الجزء

وكانت وفاته رجمه الله اغتيالا بغر ناطة ضحوبة يوم عيد الفطر سنة ٦٧٠ هـ (١٤ مارس ١٣٠٩) طعنه الرئيس على بن نصر الشهير بالابكم فأصمه ولذلك اثر الانقلاب الحكومى الذى اودى بصديق ابن حميس الوزير ابن الحكيم ومن غريب الاتفاق وعجب الصدف ما يقال ان الوزير المذكور كان قد اقترح على ابن حميس نظم قصيدة هائية ، فنظم مطاعها

من المنازل لا يحبب هوها محيت معالها وصم صداتها ! ...

وكان ذلك آخر شهر رمضان ، وما كادت شمس يوم العيد تذکو وتحسن قناعها الا وهمما مقتولين رحمهما الله ؛ فلكان هذا البيت آخر ما صدر عنه من الشعر ، وقد اشار معناه الى منعه

جدول تاريخي

٦٣٣-٥٧٣٧

م ١٢٣٧-١٢٣٦

تاریخ الحوادث	ام الحوادث
م ١٢٣٦٥٦٣٣	تأسيس دولة بنى عبد الواد الزيانية
م ١٢٤٢٥٦٤٠	اغارة الحفصيين على تلمسان ومصالحتهم لبني زيان
م ١٢٤٧٥٦٤٥	انهزام الموحدين في زحفهم إلى تلمسان
م ١٢٥٧٥٦٥٥	انهزام يغمراسن بن زيان في وقعة أبي سليط
م ١٢٥٨٥٦٥٦	خيبة يغمراسن في نهضته إلى المغرب الأقصى
م ١٢٦٤٥٦٦٢	حادثة غدر فرقة الجيش الأفرينجي بالسلطان ومباعدة أهل سيجيلاسة
م ١٢٦٧٥٦٦٦	انهزام بنى عبد الواد في وقعة وادي تلاغ
م ١٢٧٠٥٦٦٨	فتح مدينة مليانة عاصمة مغراوة
م ١٢٧١٥٦٧٠	هزيمة وادي اسل
م ١٢٨٣٥٦٨١	وفاة السلطان يغمراسن وولاية ابنه أبي سعيد عثمان
م ١٢٨٧٥٦٨٦	غزو بجاية وفتح مازونة وتفر حبيب
م ١٢٨٨٥٦٨٧	الاستيلاء على جبال وانشريس
م ١٢٨٩٥٦٨٨	فتح مدينة تنس والمدية
م ١٢٩٠٥٦٨٩	ابتداء حصار المرينيين لتلمسان
م ١٢٩٤٥٦٩٣	حصار الزيانيين لمدينة برشك وفتحها
م ١٢٩٩٥٦٩٨	محاصرة بنى مرین لتلمسان واشادة «المنصورة»
م ١٣٠٤٥٧٠٣	وفاة السلطان أبي سعيد عثمان ولاية ولدة أبي زيان محمد الأول

اغتيال السلطان ابي بعروب المريني، وارتفاع الحصار عن مدينة تلمسان؛ ومناهضة القبائل المنشقة؛ ووفاة السلطان ابي زيان محمد الاول وولايته أخيه ابي حمو الاول	١٣٠٧٥٨٠٦
طمس معالم مدينة «النصرة»	١٣٠٨٥٧٠٧
فتح اعمال الزاب وتخطيط مدينة اصفون - ازفون - بالساحل الشرقي من مدينة دلس	١٣١٠٥٧١٠
امتلاك تدليس - دلس - ومدينة الجزائر وسهل شلف	١٣١٢٥٧١٢
رد هجمات بني مرین عن الجزائر وبناء قصر حمو موسى - عمي موسى - بالجنوب الشرقي من عين كرمان؛ وانشاء مدينة آقبو	١٣١٤٥٧١٤
امتلاك مدیستی المديمة ومليانة	١٣١٧٥٧١٧
مصرع السلطان ابي حمو الاول وولایة ولده ابي تاشفين الاول	١٣١٨٥٧١٨
القضاء على قبيلة مغراوة	١٣١٩٥٧١٩
طلائع بني زيان بأعمال قسنطينة	١٣٢٠٥٧٢٠
الاستيلاء على شرق القطر الجزائري وتونس	١٣٢٨٥٧٢٩
انتهاء الدور الزياني الاول باستيلاء السلطان ابي الحسن المريني على تلمسان	١٣٣٧٥٧٣٧

سيادة بنی مرين

٥٧٦٠ - ٧٣٧

م١٣٥٩ - ١٣٣٧

اعاد المرinيون في هذه المرة كرتهم على شرق المغرب الاسلامي كله، واستولوا عليه ببرهه من الزمن ولم تطل ايامهم بالغرب الاوسط اكثـر من ثلاثة وعشرين سنة؛ ولقد حقق المؤرخون ان استيلاءهم في هذه المرة كان في صالح الوطن الجزائري مادياً وادياً وانهم لم يعمدوا يومئذ على تقويض ديان الشخصية الجزائرية كما فعلوا اول مرة بل حافظوا على جميع مظاهرها ونظمها ومقوماتها وسائر مراسيم الدولة الناشئة بها مع مسيرة رؤساء القبائل والمشيخة غير ان ذلك كله لم يكن ليمرضى دولة بنـي عبد الواد الجزائرية الحرة الابية، فسكنـت مرغـمة وكـلما سـاحت لها فرصة المقاومة نـشـطـت لها

نهضة بنـي عبد الواد

ولما استقر شأن المغارـين الاـوسط والـاقصـى لـبنـي مـرين حـاولـوا فـتحـ القـاطـرـ التـونـسـي لـيـتمـ لـهـمـ الـاستـيلـاءـ عـلـىـ الـمـغـرـبـ الـعـرـبـيـ بـتـمامـهـ ؟ فـنـهـضـ لـذـلـكـ سـلـطـانـهـمـ اـبـوـالـحـسـنـ المـرـيـنـيـ فـيـ صـفـرـ سـنـةـ ٥٧٤٨ـ هـ (مـاـيـ ١٣٤٧ـ) وـاتـخـذـ مـعـهـ جـنـودـاـ مـنـ بـنـيـ عـبـدـ الـوـادـ وـمـغـرـاوـةـ وـتـوـحـيـنـ، فـاحـتـلـ بـهـمـ قـسـنـطـيـنـةـ وـاعـمـالـهـاـ، وـيـنـمـاـ هوـ سـائـرـ فـيـ طـرـيقـهـ إـلـىـ تـونـسـ إـذـ اـنـزـلـتـ عـنـهـ جـيـوشـ الـمـغـرـبـ الـاـوـسـطـ وـتـرـكـتـهـ فـيـ قـوـمـهـ ذـاهـبـاـ إـلـىـ الـحـرـبـ فـانـهـ زـمـ فـيـ وـقـعـةـ الـقـيـرـ وـانـ الـمـشـهـورـةـ فـيـ الـمـحـرـمـ ٥٧٤٩ـ (أـفـرـيـلـ ١٣٤٨ـ) فـاـسـتـشـمـرـ بـنـوـعـبـدـ الـوـادـ يـوـمـئـذـ اـنـهـزـامـ اـعـدـائـهـمـ بـنـيـ مـرـيـنـ وـبـادـرـواـ بـمـبـاـيـعـةـ اـبـيـ سـعـيدـ عـثـمـانـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ يـحـيـيـ بـنـ يـعـمـرـ اـسـنـ، وـاهـدـرـواـ كـلـ ماـ كـانـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ مـغـرـاوـةـ وـتـوـحـيـنـ مـنـ دـفـائـنـ الضـغـائـنـ وـالـاحـقـادـ وـارـتـحلـواـ بـاجـمـعـهـمـ نحوـ اوـطـانـهـمـ بـالـمـغـرـبـ الـاـوـسـطـ، وـكـانـواـ يـوـمـئـذـ فـيـ نـحـوـ الـجـمـسـمـائـةـ فـارـسـ،

ولقد انضم اليهم في مهرهم على بيجاية نحو هذا العدد نفسم من الناقمين على سياسة مرين؛ ورغم كل ما بذله يومئذ المرينيون في رد هؤلاء المنشقين إلى الطاعة فإنهم لم ينجحوا في ذلك، واستمرت الجملة الجزائرية سائرة في طريقها موقفة متصرة إلى أن بلغت سهول شلف فذهب المغاروبون إلى أوطانهم، وانسلت عنهم توجين كذلك منحازة إلى مراكزها، وانفرد بنوع عبد الواد بحمل راية المقاومة فشنوا غاراتهم الشعواء على تلمسان المحتلة ففتحوها عشية يوم الأربعاء ٢٢ جمادي الثانية ١٨٠ سبتمبر. من نفس هذه السنة، وقضوا على عاملها المريني ابن الجبار، وتوزع عندئذ الآخوان: أبو سعيد وأبو ثابت السلطة بينهما واقتسموا إدارة الحكومة العليا، فاستقل أبو سعيد بالإدارة المدنية، وجعل لأخيه النفوذ المطلق في إدارته العسكرية وسرعان ما نهض أبو ثابت مضطلاً بمتحاربة الثوار ومقاومة المنشقين عن الدولة من فصائل مغراوة وغيرها، فاستعاد بذلك إلى حكومته كلاً من مدينة وهران وندرومة ومسازونة ومواطن مغراوة وعاصمتهم مليانة، والمدية وتنس وبرشك وشرشال والجزائر وتدلس - دلس -. وكانت هنالك حروب طاحنة بنواحي وادي شلف ووادي ريهيو والعطاف وفحص حمزه، وطالما حاولت حكومة مرين اعتراض بنى عبد الواد ملحة في دفع صولتهم عن مغراوة فلم تنجح

وما كاد يطمئن بنوع عبد الواد إلى هذا النصر الباهر حتى فاجأهم السلطان أبو عنان فارس المريني آخر شهر ربيع الثاني ٥٧٥٣ (٤ جوان ١٣٥٢) بحملة عنيفة كان النصر فيها لبني مرين بوقعة وادي القصب المشهورة وظفر القوم يومئذ بالامير أبي سعيد الزيانى فاعتلقوه ثم بعد أسبوع قتلواه، وحيثئذ انتقل الميدان الحربي إلى سهول متيجة واحواز الجزائر، ثم عادت الحرب إلى سهل شلف، وهنالك انكسرت جيوش الامير أبي ثابت الزيانى فيخرج متذمراً إلى مدينة الجزائر ثم حل ببيجاية، وكان بصحبته يومئذ جماعة منهم أبو زيان ولد أخيه أبي سعيد، وموسى بن يوسف وزيرهم يحيى بن داود، فاعتبر ضدهم قوم من زواوة فائز لهم

عن خيلهم واتهبو اسلابهم وتركوهم حفاة عراة يسعون على الاقدام ، ويومئذ ظفر بهم اشیاع بنى مرین ، فاعتقلوهم وجاؤا بالامیر ابی ثابت وزیره يحيی فأسلموهما الى سلطان بنى مرین وكان وقشذ حالا بالمدينة فنقلهما الى تلمسان حيث قتلما معا هنالك ، وبقي ابو زیان في السجن

انبعاث الدولة الزیانیة

رغم كل ما تقدم ذكره من الحروب والوقائع والانهزامات التي تولالت على هذه الدولة الجزائرية فإنه لم يقم خور ولا فشل في صفوف ابنائها البررة الذين قد وطدوا عزهم على استرجاع سعادتهم بهذه البلاد وفكها من ايدي مرین ؛ وكان استرجاع هذا المجد على يد احد افراد الاسرة الزیانیة ، وهو البطل المغوار ابو تمو موسى بن يوسف «الثانی»

كان ابو حمو هذا ملتحقاً في تونس منذ ایام حرب ١٣٥٣ هـ (٥٧٥٣ م) مستجيراً بالوزير الحاج محمد بن تافراکین ؛ ولقد بعث ابو عنان المریني الى هذا الوزير في طلب ابی حمو فيمن معه من بطانته فأبی الوزير تسلیمهم اليه وجاهر باجارتهم ، ولما وقعت تونس بيد الدولة المرینية في اواخر شعبان سنة ١٣٥٧ هـ (او ط ١٣٥٧ م) خرج منها ابو حمو في زمرة سلطانها ابی اسحاق ابراهیم الشانی الملقب بالمستنصر الى ناحية الجريدة ، ثم حل بكورة تبسة ، ومنها تحرک في طائفة من الدواودة وبنی عامر الى انقاد قسنطينة من الاحتلال المریني ؛ فامتنعت عنه ، فاحتل مدينة ميلة في شوال -سبتمبر - ثم قرية «بني ورا» من كور بجاية ، ومن هنالك دعى ابو حمو من طرف قومه لانقاد تلمسان والجلوس على عرش آبائه الزیانیين ، فتجهز لذلك مستعيناً بالمحفظین مؤيداً بكل ما تدعو اليه الحرب من عتاد واسلحة وجند ، فسار اذ ذاك ابو حمو بين جبل عیاض او راس مصحرراً فنزل الزاب ثم ریغ ووارجلان ، ثم غرب الى جبل مصاب ثم الى وادی زرقون فنزل وادی یسر ثم سلك قنطرة وهران

وهو في ذلك كله يشن غاراته على بنى مرين وانصارهم، وكانت له يومئذ وقائع مشهورة انتصر فيها على خصومه فبایعه العرب واذعنوا له ، واستولى حيئتہ على نواحي تلمسان واطرافها، وبعد ما نازل العاصمة الزيانة مدة ثلاثة أيام اقتحمها في جموعه صبيحة اليوم الرابع : الحميس ٨ ربیع الاول سنة ٥٧٦٠ (٧ فیفربی ١٣٥٩) وكان دخوله الى المدينة من باب کشوط ، فتلقاء الولاة والرؤساء بالبيعة والتسلیم عليهم بالامارة؛ وفي وصف هذه الحرب يقول السلطان ابو حمو في قصیدته التي طالعها :

لما شحيطتها من هبوب الرواسم
وأی خطاب للصلاد الصладم
جرت ادمعی بين الرسوم الطواسم
وقفت بها مستفهمًا بخطابها
ومنها :

تجاب الفلى بالخف او بالمناسم
تسابق في البیدا ظليم النعائم
مهملجنة الاطراف سود المباسم
يرون المنيا بعض تملک الغنائم
لنيل العلي والصبر اذ ذاك لازمى
نراقب نجم الصبح في ليل عاتم
مدید الخطى لم يخش صعب الصلام
ومن آل ادریس الشریف بن قاسم
اسود الوغى من كل ليث ضبارم
وطوعت فيها كل باع وباغم
لتذکار اطلال الربوع الطواسم
بها مخبرا غیر الرئی والمعلم
رقاق الهوادی عاليات القوائم
ببلقعة قفر قفتها عزائیم

قطعت الفیافي بالقلاص وانما
وقد خلتھا بين الرياح زوابعا
مكحولة الاحداد فيها هشاشة
ومعها اسود الحرب تطوى بها الفلى
وحضرت الفیافي فدفدا بعد فدفة
وكم ليلة بتنا على الجدب والطوى
على متن سھال اغر محجل
تسربلت کردو سین من آل عامر
رجال اذا جاش الوطیس تراهم
وحيثت الفیافي بلدة بعد بلدة
وحجت لارض الزراب تذرف ادمعی
وشبتت عشری فوق راسی فلم اجد
وحاوزتها ما بين هوج هجائن
وجزت بأرض ریغ راغت بأهلها

والقصيدة طویلة تحتوى على اثنين وسبعين بيتاً (١) !

ثم انه ليس عندنا ما نسجله من حوادث هذه السنة مما يستحق الذكر سوى ذلك الزلزال الهائل الذى حطم مدينة الجزائر في اليوم الثالث من شهر ربيع الثاني هـ ٧٦٠ (٤ مارس ١٣٥٩)

ولالية السلطان أبي حمو موسى «الثاني»

هو ابو حمو موسى «الثاني» بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمرا سن بن زيان، ولد بالأندلس سنة ٥٧٢٣ هـ (١٣٢٢ م) وكانت نشأته بتلمسان آخذًا بحفظ وافر من علم وادب وسياسة وحزن وسداد فروسيّة، وكان شاعر امقلقا له القصائد الغراء الطويلة، فما كانت تمر ليلة من ليالي المولد النبوى الشريف الا ونظم فيها قصيدة حيدا في الموضوع؛ وهو مؤلف كتاب «واسطة السلوك في سياسة الملوك» لخص فيه كتاب «سلوان المطالع» لابن ظفر وألحق به فوائد كثيرة من عنده واورد فيه من نظمه وما جرى له من الحوادث مع معاصريه من ملوك بنى مررين وغيرهم من مشائخ العرب وزعماء المغرب الخ... صنفه برسم ولده وولي عهده أبي تاشفين عبد الرحمن. والكتاب مطبوع بتونس سنة ٥١٢٧٩ هـ

وكان رحمة الله شهما غيرا وبطلا بأسلا ذا كرم ومروءة، لين العريكة كريم الأخلاق؛ يتبرع في كل سنة على اهل الاندلس بالمال والليل والزرع الكثير، ويرى ذلك كله من الجهد في سبيل الله تحريرا لارض الاندلس من ازمة الاسبان وكانت له مواقف شريفة في انقاد اهل الاندلس من الهلاك؛ قال يحيى بن خلدون: «وفي هذه السنة - يعني سنة ٥٧٦٣ هـ (١٣٦١) - وصل الى الباب العلى الفقيه الساكت ابراهيم بن الحاج رسولا من الاندلس يطلب من امير المسلمين ایده الله اوفاد المسلمين بالأندلس واعاتهم على مجاورة عدو الله ورسوله حسبما جرت

(١) راجع بغية الرواد، ج ٢ ص ٣٠ - ٣٦

عادته بذلك، فوجه اليهم خمسين ألف قدر من الزرع، وثلاثة آلاف من الذهب للكراء عليهم في البحر، وكان معن وصل معه الفقيه ابو محمد عبد العزيز بن على بن يشت فرفع مولانا امير المسلمين ايده الله قصيدين غراوين (١) والسلطان ابو حمو «الثاني» هذا هو الذى امر باطلاق اقب «الدولة الزيانية» بعد انبعاثها بدل النسبة العبد الوادية ، التى كانت اشتهرت بها قبل ذلك ، واظهر ابهة الملك وصوله للسلطان ، فاستعادت الدولة يومئذ شبابها ومجدها المفقود

فتح مدينة وهران

كان من اوليات اعمال الفتح التى قام بها ابو حمو الثاني، ان بعث بوزيره الحاج موسى بن على بن برغوث الى فتح مدينة وهران وافتتاحها من بنى مرین، فغزاها الوزير المذكور يوم ٢٨ ربيع الاول ٥٧٦٠ (١٣٥٩ فيفري) فانهزم ووقع اسيرا في قبضة قائد حامية مرین عامر بن ابراهيم بن ماسا ، بعث به «حرا» الى المغرب الاقصى؛ وفي يوم الاثنين ١٣ شوال ٥٧٦٣ (٧ سبتمبر ١٣٦١) اغار ابو حمو بنفسه على وهران فهدم اسوارها وأستولى عليها

مطاعمات ومشاغبات بنى مرین

ولما استوثق الامر للسلطان ابى حمو الثاني انضم اليه الزرد الى المریني عامل درعة وجاءه بقوه وثروته واحلافه العرب طائعا ، فسيطرت لذلك دولة مرین واخذت فيشن غاراتها المتكررة على مملكته بنى زيان الجزائرية وأشارت العرب والبربر على سياسة ابى حمو وبالغت في مقاومته فأوزعت الى من نازعه الملك من اسرته فانتصر عليه ابو حمو اولا ثم قهرته مرین وهزمته متصف سنة ٥٧٦١ (١٣٦٠) واحتلت تلمسان يوم ثالث رجب - ٢٠ ماي - وخرج منها يومئذ ابو حمو متقدما لدولته وشرفه فخرب مواطن كثيرة وحطمت امصارا من بلاد المغرب الاقصى ، فاحفظ

١) انظر بغية الرواد ج ٢ ص ١١٤

ذلك السلطان ابا سالم المریني فأسرع بتویلة ابن زیان محمد الفتى بن ابی سعید عثمان بن ابی تاشفین الاول على تلمسان بعد ما امده بالاموال والعساکر واقامه هنالك حاجزا لابی حمو عن دخول تلمسان واغذ ابو سالم السیر الى المغرب فأجفل امامه ابو حمو متفلتا الى تلمسان فاحتلها ويومئذ جاءته بيعة اهل الآفاق ، كأهل ندرومة ووجدة وهنین ومستغانم وتمزغران الخ ... وبعث من هنالك في فتح وهران وتونس والمدية ومليانة ومتیجة ؛ وحوصرت الجزائر مرین، وفي الثالثة تنازل عنها بنو مرین فاحتلها ابو حمو في اليوم الثامن من ذى القعدة ٥٧٦٢ (سبتمبر ١٣٦١) ثم تصالح الفريقان ، وفي السنة بعدها استولى ابو حمو على بلاد زواوة وقبض على ولاتها ورؤسائهم الحفصيين ، ثم قاطعته مرین في وقعة وادي سيق في ذى الحجة ٥٧٦٥ (اوپت ١٣٦٤) فهزمهما

التنافس على العرش

كان ابو زیان الفتى بن السلطان ابی سعید عثمان الزیانی في قبضة بنی مرین منذ انتصارهم على بنی عبد الواد في وقعة وادی القصب سنة ٥٧٥٣ (١٣٥٢) المتقدمة الذکر ، وفي هذه اللحظة ظهرت حاجتهم اليه ، فزینوا له منافسة ابی حمو و مزاحمه في الاستيلاء على العرش الزیانی وامدوه بالجنديه واسباب الحرب ، فاندفع ابو زیان من المغرب الاقصى سنة ٥٧٦٥ (١٣٦٤) مغيرا على احواله ملوية ، ثم حل بنواحی تلمسان وانحاء البطحاء وتعددت المعارك والواقع هنالك بين الطرفین كان الظفر فيها لابی حمو وخاب ابو زیان وخابت معه آمال بنی مرین ثم عقب ابو حمو على خيبة خصومة هؤلاء بالاغارة على المغرب الاقصى فأضخم في اعدائه هنالك قتلا واسرا وعظمت نکایته في التخوم ونقلت وطأته على اهلها فصالحوه وانعقدت الهدنة بين الجانبيین ؛ ثم كانت بعد ذلك حوادث وفتن اثارها ابو زیان على ابی حمو بدون طائل

وفي ربيع الثاني سنة ٧٦٦هـ (جانفي ١٣٦٥م) كان حادث الزلزال الهائل بمدينة الجزائر فسقط من وقعة كثيرة من دور المدينة وقصورها ووقد من جرائه خراب عظيم ورض وتحطيم مات به عدد عظيم

وقدمة بجایة وتبعاتها

بینما السلطان ابو حمو الثاني في يوم من ايام مسرته لاد باستعراض الجيش الزيانى اذ وفاة الخبر بموت صهره الامير ابى عبد الله محمد بن يحيى الحفصى المقتول بيد ابن عممه ابى العباس احمد المتغلب على بجایة في تاسع عشر شعبان ٧٦٧هـ (فاتح مای ١٣٦٦م)؛ فظهور ابو حمو بامتعاضه من ذلك - مسرا حسوا في ارتقاء - وجم حوله طوائف من زغبة العامرين والعطاف الخ... فزحف بهم في ذى الحجة اوط - الى بجایة فنازلها اياما مشددا عليهما الحصار، وهنالك اتصلت به وفود بسكرة والزاب فبايعوه، ويومئذ استنهض ابو العباس الحفصى ابا زيان بن عثمان مقاومة ابى حمو الثاني، وجعل معه قائد العسکر الحفصى بشيرا ، وسرعان ما احتدمت الحرب واشتبكت المعارك واتسعت الارجاف في معسكر ابى حمو بموت السلطان فأحفلت جنوده وذعر لذلك ابو حمو الثاني ونجا بنفسه ملتجئا الى مدينة الجزائر ومنها لحق بتلمسان، وخسر من الانقال واحمال والعياں والكراع والسلاح ما لا يحيط به الوصف ، وفي اثناء ذلك كان استيلاء ابى زيان على المدينة ومليانة والجزائر ، ومنحه يومئذ سالم بن ابراهيم رئيس الثعالبة سهول متيحة؛ وذلك لوحشة كانت بينه وبين ابى حمو الثاني ، وتألب يومئذ كل من اهالى هذه البلاد ضد ابى حمو واشترك في هذه الحرب يومئذ اغلب القبائل والبطون الجزائرية، وكانوا في ذلك فريقان : فريق مع ابى زيان وفريق مع ابى حمو، وكانت الحرب بينهما سجالا

اعتداء قراصنة الافرنج

كانت القرصنة العالمية يومئذ منتشرة بكامل طول هذا البحر وعرضه كما هي كذلك في غيره من البحار كما هو معروف، وكان من أشهر الأمم يومئذ في ذلك وأسبقهم إلى هذا الميدان هم الإسبان والبرتغال والإنكليز والفرنسيون؛ فاتفق أن هنالك مركباً إندلسياً كان يحمل هدايا وتحفها نفسية بعث بها أحد ملوك بنى الاتمر النصريين إلى أبي حمو الثاني؛ كما هي العادة جارية بين ملوك الجزائر والأندلس. وبينما المركب سائراً في طريقه إلى مرسي هنفيين أذ انقض عليه قراصنة الافرنج في الثامن من شهر ربيع الثاني (٥٧٦٨ هـ / ١٦ سبتمبر ١٣٦٦ م) فأسروه ولم يتمسحوا بمضييه إلى هدفه حتى اقتداء منهم السلطان أبو حمو بأمواله الخاصة نقداً

حصار مدينة الجزائر

نهض السلطان أبو حمو في أحلافه من العرب والبربر لمبالغة الشعالية حلفاء مريين بالجزائر فدحرهم وأخذ بمحيق مدينة الجزائر فامتنعت عليه، فعاد ومعه الشعالية آخذنا بهم طريق برشك وشرشال حتى بلغ بهم وادي شلف وهناك ألقوا نزمهم باستخلاص ما تخلقوه عنهم في السينين الماضية من المغنم، ثم اتصل بحاضرة تلمسان وأمر الجيش بالعودة إلى غزو الجزائر وحصارها من جديد براً وبحراً

الزحف المريني على تلمسان

كنا المعنا فيما تقدم قريباً إلى التيجاء الzerدالي مع عرب المعقل من سكان المغرب الأقصى إلى حاضرة تلمسان، متحمرين بسلطانها أبي حمو، فأعطاهم عهده وذلت لما وجد فيهم من العون والاستظهار بهم على أعدائه وخصومه المرينيين، فكان ذلك مما اسخط حكومة فاس؛ وكان مما زاد في اثارة غضبها على هذه الدولة هو ما قام به أبو حمو الثاني من اجلاء القبائل المخالفة عليه كسويد وبني يعقوب من تلمسان إلى المغرب الأقصى؛ فنهض حيئش السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني مطالبًا حكومة تلمسان بارجاع عرب المعقل وردهم إليه، فامتنع أبو حمو الثاني ورفض طلبه، فتجرأ أبو فارس من فاس مستنحضاً معه جميم أهل المغرب الأقصى من سوس إلى صحراء درعة والى سبتة، وجاء في جيحفل جرار فاحتل تلمسان يوم الأحد ٢٥ المحرم ١٣٧٢هـ (أو ١٣٧٠م) وخرج منها أبو حمو في قومه مستجيحاً أهلاً في تقرى المدن والقرى الجزائرية؛ وعمت الفتنة يومئذ جميع بلاد المغرب الأوسط - الجزائر - واستمرت الحرب متأججةً أكثر من عامين وضل أبو حمو منتقلًا متشارداً في البلاد إلى وفاة أبي فارس المريني يوم ٢٤ ربیع الثانی ١٣٧٤هـ (اكتوبر ١٣٧٢م) فاحتل أهل تلمسان هذه الفرصة السانحة وانتصروا على بنى مرين وخفوا إلى الانقضاض على السلطة المرينية المحتلة، وكان قائدهم في ذلك عطية بن موسى الركاب مولى أبي حمو، فبادر السلطان يومئذ إلى العودة إلى عاصمةه تلمسان فدخلها يوم ٢٤ جمادى الأولى - نوفمبر - من هذه السنة وشرع في القضاء على رؤوس الفتنة والمشاغبين عليه من عصاة القبائل فقضى وطرد منهم؛ ويومئذ اشترك معه ولده أبا تاشفين في الحكم وجعل إليه النظر في كلتا ناحيتي الدولة السياسية والحربيّة وعقد له بولاية العهد بعده، وذلك في منتصف شهر شعبان

١٣٧٥هـ (في فربيع ١٣٧٥م)

مبايعة قدس و المجاعة العامة

استمرت مدينة تدلس - داس - طيلة هذه المدة المتقدمة خاضعة لحكم الحصين الى ان استتب الامر الى ابي حمو الثاني وقويت شوكته فغزاها وفتحها عنوة يوم ٢٦ شعبان هـ ١٣٧٥ (٣١ جانفي ١٩٥٧) فبایعه اهلها بالبيعة العامة في تاسع رمضان - ١١ فيفري - ففعا عنهم يومئذ واصفح

ويذكر المؤرخون ان هناك ريجا عاصفا هجوما عigit في هذه السنة على المغرب الاوسط فأهللت الحرج والنسل واقتصرت كل شيء فانتشرت المجاعة بالجزائر حتى أكل الناس بعضهم بعضا ... و يومئذ تصدق السلطان بنصف جباه خزينة الدولة على الرعية وفتح ابواب خزائنه الخاصة للمحتاجين ؛ وامر بجمع الفقراء والمساكين ومن لا مأوى لهم من الناس بالمارستانات والمحلات العمومية وقدر لهم فيها ارزاقهم حتى انقروج عنهم الكرب وارتقت المسغبة

عصياني ابي تاشفين واستشهاد ابي حمو «الثاني»

لم تفتر مرين عن العمل باجتهاد في تفريقي كلمة آل زيان وتشتيت مملكتهم الجزائرية وذلك ببث بنور الشقاوة والنزاع بين رؤساء الدولة وزعمائها وبالغت في التدخل في شؤون المملكة حتى كادت ان تحول بين المرء وقلبه وسعت في فصل ولی عهد المملكة ابی تاشفين عن والده السلطان ابی حمو يومئذ الى مغادرة عاصمتة تلمسان والانتقال بعرشه الى مدينة الجزائر فاعتبره ولده ولی عده ابی تاشفين والقى به في سجن وهران ؛ وخرج في طلب اخوته فامتنع عنه بعضهم متخصصين بجبل تيطري وبقي آخرون بتلمسان : فبعث من مقره هناك الى من كفاح قتلهم ؛ واستمر على سيره مجددا في البحث عن اخوته ومحاربتة من عاده

وينما ابو تاشفين منهمكا في استقصاء اثر خصومه من اخوته وغيره اذا
بوالده السلطان ابي حمو ينجو من معتقاه بحيلة ويهلاك من سجنه فيتدى منه
بعمامته ، فاجتمعت الامة عليه يومئذ واحاط به انصاره فهو اولاً عرش المغصوب ،
وهناك ادركه حفيده ابوزيان بن ابي تاشفين ثم اجفل امامه ملتحقاً بأبيه ، وما
قاد ابو حمو يتصل بعاصمة ملكه حتى كانت خراباً يباباً

واسرع ابو تاشفين من مقامه بيطرى واغذر سيره الى تلمسان فاقبضها
والتجأ والده الى مأذنة المسجد معتصما بها ، فاستنزله ولده المذكور متجرفاً
عن قتله ، فأظهر السلطان ابو حمو يومئذ رغبته في الحج فأسعفه ولده ابو تاشفين
تفادياً منه واركب السفين مع بعض تجار النصارى المسافرين الى الاسكندرية
واوصاهم به ، فلما حاذى المركب مرسي بجاية لاطف ابو حمو اوشك النصارى في
نزوله بفرضة المدينة فاستأنوا له امير بجاية في ذلك فأذن لهم فنزل بها ومنها
سار الى الجزائر آخردا في تعبئة الحيوش والاستعداد لمنازلة تلمسان؛ ويومئذ خرج
ابو تاشفين من تلمسان ملتحقاً بفاس مستحيشاً دولة بنى مرین فانطلقت معه
الجنود وكان اللقاء بينه وبين والده ابي حمو في ناحية «الغیران» بجبل بنی ورنید
وراء جبل بنی راشد - وهناك ذهب ابو حمو ضحية كبوة فرسه فسقط
صريعاً غرة شهر ذي الحجة ٥٧٩١ (٢١ نوفمبر ١٣٨٩م) وعمره يومئذ ٦٨ سنة
وكانت ایام ملکه منها ٣١ سنة



ولاية السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن «الثاني»

هو السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن «الثاني» بن أبي حمو موسى «الثاني» ولد بندر ومة سنة ٥٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) تولى ولاية عهد المملكة آخر شعبان ٥٧٧٦ (في فريبي ١٣٧٢ م) وأمضى غالباً أيامه الأولى في خدمته دولتبني مرین إلى أن قضى على والده غرة ذي الحجة ٥٧٩١ هـ (٢١ نوفمبر ١٣٨٩ م) فتولى مكانه، وضرب السكّة باسمه تحت رعاية بنى مرین وحمايتهم؛ وكان يذيع وليهم ويخطب باسمهم ويدفع لهم الاتواة

محاربة الأخوين أبي زيان وابن تاشفين

كان أبو زيان والياً من قبل والده أبي حمو الثاني على مدينة الجزائر فلما سقط والده في وقعة «الغیران» نهض متنقلاً من أخيه مستصراً على أخيه العرب فأجابه منهم طوائف تقدم بها إلى حصار تلمسان في رجب ٥٧٩٢ هـ (جوان ١٣٩٠ م) وما كادت تبلغ جموع أبي زيان من العرب إلى تلمسان حتى عمرها أبو تاشفين بأمواله فتفرق ت يومئذ عن أبي زيان وتركته في قئة قليلة فخرج إليه حيئه أبو تاشفين فهزمه في شعبان - جوليط - من سننته، فالتجأ أبو زيان عنئذ إلى الصحراء مستألاً لفاس أحياء المعقل من العرب؛ ثم عاد إلى حصار تلمسان في شوال - سبتمبر - فرددته عنها جنود مرین فاجفل إلى الصحراء للمرة الثانية ثم اجمع راييه على استصراخ مرین أيضاً فوقد على ملك فاس فتلقاءه بكل تقديره ووعده بالمؤازرة والاتصال له من أخيه، فأقام أبو زيان هنالك ينتظر الوفاء من حكومة بنى مرین إلى مهمله أخيه

أبي تاشفين

تکر صربن لابی تاشفین

استمر ابو زيان مقیما بفاس متظرًا من حکومتها تنفیذ وعودها في نصرة على أخيه ابی تاشفین ، وطال صبره بقدر ما طالت هنالك اقامته . ولم يلبث ان حدث ما غير نظره حکومة فاس في ابی تاشفین فانقلبت عليه واظهرت سخطها بتجهيز حملة عنيفة وجهتها الى تلمسان وجعلت قيادتها لابی زيان ، وما كادت تبلغ هذه الى تازا حتى توفي السلطان ابو تاشفین اثر مرضه في اليوم السابع عشر من شهر ربیع الثاني ٧٩٥ھ (آخر فیفری ١٣٩٣) فبادر يومئذ وزيره احمد بن العزالی بمبایعه صبی من ابناء السلطان الهاںك وقدم نفسه کوصی على العرش واخذفي تدیری شؤون الدولة والتصرف في مهام السلطنة الزيانية مباشرة ، فغضب لذلك والى الجزائر يوسف بن ابی حمو المشهور بابن الزاییة فنهض الى تلمسان فاقتحمهما وقتل الوزیر المذکور والصبی المکفول وكان لهذا الحادث اضطراب وقلق عظيم في الرعية

تفوض عرش بنی زیان

ويومئذ خرج المستنصر سلطان بنی مرین الى ابی زیان فرده عن تازا واحذله معه معتقلًا الى فاس ، ومن هناك بعث بولده ابی فارس في جنوده الى تلمسان فامتلکها واقام بها دعوة ابیه ، ثم اندفع الجند المرینی متوجهها نحو الشرق من بلاد المغرب الاوسط فاستولى على عواصمها مثل مليانة والجزائر وتدلس الى حدود بجاية ، فاتى بذلك على دولته بنی زیان من المغرب الاوسط

وفي هذه الاثناء نهض ابو ثابت بن ابی تاشفین الثاني محاولا الاستيلاء على عرش اسلامه الزيانین فلم يلبث في ملکه اکثر من اربعين يوما اذ فاجأه عممه ابو الحجاج يوسف بن ابی حمو الثاني فخلعه عن ولايته وقتلہ في جمادی الاولى ٧٩٦ھ (مارس ١٣٩٤) وتزعم المملكة عشرة اشهر ثم زحزحه المرینيون بتولیة أخيه ابی زیان بن ابی حمو «الثاني»



ولاية السلطان ابی زیان محمد «الثانی»

هو السلطان ابوزیان محمد «الثانی» بن السلطان ابی حمو موسى «الثانی» كان معتملاً بمدینة فاس الى ان توفی السلطان ابوالعباس احمد المرینی سنة ٥٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) وتولی مكانه ولده ابوفارس واتقل من تلمسان التي كان والیاً عليها الى فاس فأطلق يومئذ وثاق ابی زیان ومکنه من امارة تلمسان ليقوم فيها بدعوة مرین ، فسار اليها ابوزیان وجلس على عرشها منفرد بحکمها غرة ریبع الثانی ٥٧٩٦ هـ (٣ فیفري ١٣٩٤ م) وقاتل ابا الحجاج فخرج منهزماً الى قبیلة بنی عامر (١) وبقی هنالك يعمل على تأليب الرعیة وایقاد نار الشورۃ ضد ابی زیان الى ان اغتاله العرب في ریبع الاول سنة ٥٧٩٧ هـ (ديسمبر ١٣٩٤ م) وحملوا راسه الى السلطان

(١) ويقال لهم العوامر ايضان نسبة الى جدهم عامر بن ابراهيم بن يعقوب المنحدر نسبه من عامر بن زغبة الهمالی ؛ وهم اخوة بنی سعد بن بکر بن هوازن الذين استرضم منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كانت مواطنهم الاولی عند الطائف بجبل زغوان ؛ ويقول الاوسی في تاریخ نجد : «ان في قرى الوادی بنجد بقعة تسمی الهمالیة» فعللهم مما بقی من آثارهم هناك؟ ... وبعد افتتنقلوا في ازمنة مختلفة باطراف العراق والشام والبحرين وارض الصعيد المصري وتغلبوا على ملوك صنهاجة بالغرب في اواخر القرن الخامس الهجري كا قدمنا في الجزء الاول من تاریخنا هذا صفححة (٥٧٢٩٦) انتقل بنو عامر من طرابلس وقبس وشرق افریقیة - تونس - الى جنوب المغرب الاوسط - الجزائر - فسكنوا اماین ارض مصاپ (اوزاب) وجبل راشد وهو جبل العمورو تجاوروا مع بنی بادین وتعاقدوا على امر واحد فسكن بنو بادین بالتلول والضواحی وسكن زغبة بنی معهم في القفار ، الى ان ملك يغمرا سن بن زیافت تلمسان ونواحيها ودخلت زناتة للتلول والارياف وظهر عبد المعلم الجاورین لهم وهم اهل «انکاد» فنزلهم من محراه بنی بیزید وائز لهم بینه وبين المعلم وقاية له ، فصاروا بصحبته تلمسان بعد ان كانوا ما بين المسیلة شرقاً الى جنوب تلمسان غرباً ویقوا مستمرین على اقامتهم هنالك الى ان کادت حروب ابی عنان المرینی ان تفتک وتقضی على بنی زیان ، فنزلهم السلطان ابوحمو موسى بن يوسف الزیانی في حدود سنة نیف وستین من القرن الثامن الهجری من ضواحی تلمسان الجنوبيۃ الى بلاد تاسالة واتصلت مجالاتهم بها الى حدود سنة ٥١٦٠ هـ [١٧٤٧ م] فانتقلوا الى سهول ملاتھ وجبلها وذلك أيام ولاية الحاج عثمان باي وهران فسكنوا بها الى الآن ؛ (انظر بهجة الناظر للشيخ عبد القادر المشرف ، طبع الجزائر ١٩٢٤ م)

ابي زيان فسكن يومئذ روعه

ويذكر لنا التاریخ من صفات هذا السلطان انه كان عالما اديبا شاعرا ناثرا متألقا في شعره بلیغا في ترسليه ، ومن شعرة قصیدته الرنانة التي نظمها مادحه سلطان مصر الملك الظاهر برقوق وارفقها بهدية ثمینة اليه (١) فقال :

والمصبر - الابعدهن - جمیل
ظعن یمیل القلب حيث تمیل
فالحسن فوق ظهورها محول
تنیحاب عنها للظلم سدول
ولهـا باستار الجدول افول
ترزع الدجى بجینها فيحول
متمنی کثیب والکثیب مهیل
واعتماد قلبي زفرا وغدیل
نظر تخلسه العيون کلیل
طورا ويغلبـی الاسـی فیـسـیـل
فيـکـأنـهـاـ قالـ عـلـیـهـ وـقـیـلـ
لمـصـونـ جـوـهـرـ دـمـعـهـنـ تـذـیـلـ
وـیرـوعـهـ ظـبـیـ الحـمـیـ المـکـحـولـ
فـالـحـرـ عبدـ والعـزـیـزـ ذـلـیـلـ
هلـ ساعـةـ تصـغـیـنـ لـیـ فـأـقـولـ

ملـنـ الرـکـائـبـ سـیـرـ هـنـ ذـمـیـلـ
یـاـ اـیـهـاـ الحـادـیـ روـیدـکـ انـهـاـ
رـفـقاـ بنـ حـملـتـهـ فـوـقـ ظـهـورـهـاـ
الـلـهـ آـیـةـ أـنـجـمـ شـفـافـةـ
شـهـبـ بـآـفـاقـ الصـدـورـ طـلـوـعـهـاـ
فـیـ الـهـوـجـ المـزـرـورـ مـنـهـاـ غـادـةـ
فـکـانـهـاـ قـمـرـ عـلـیـ غـصـنـ عـلـیـ
ثـارـتـ مـطـایـاـهـاـ قـشـارـ بـیـ الـهـوـیـ
اوـمـتـ لـتوـدـیـعـیـ فـغـالـبـ عـبـرـتـیـ
دـمـعـ اـغـیـضـ مـنـهـ خـوـفـ رـقـیـبـهـاـ
وـیـحـ المـحـبـ وـشـتـ بـهـ عـبـرـاتـهـ
صـانـ الـهـوـیـ وـجـفـونـهـ يـوـمـ النـوـیـ
وـتـهـابـهـ اـسـدـ الشـرـیـ فـیـ خـیـسـهـاـ
تـأـبـیـ النـفـوـسـ الضـیـمـ الـاـ فـیـ الـهـوـیـ
یـاـ بـانـةـ الـوـادـیـ وـیـاـ اـهـلـ الـحـمـیـ

١) تشتمل هذه الهدية على ثلاثة من المجلدات بمراكبها المموهة واحمال من الاقمشة الراقية، انظر تفاصيل المدادات وعقد الصلات بين ملوك المشرق والمغرب في كتاب العبرج ٧ ص ٢٢٦ و٢٦٤ وارجم الى صفحة ٨٨-٨٧ من هذا الجزء — تاريخ الجزائر العام — والتعریف بابن خلدون ص ٣٤٦-٣٣٥ ط القاهرة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١م)

ارتاح شوقا للحمى واميـل
ان الصبا لصباتى تعليـل
وأذاد عنـه وورده منهـول
والباب ليس بمرتجـع عن مرجـع
ومنها بعد ما يبدى اشوـاقـه ، وحيـنه الى زيـارة الـبـقـاع المقدـسـة في خـمسـة
عـشر بيـتاـيـخلـص لـذـكـرـ مـمـدوـحـهـ فيـقـولـ :

فـلـكـمـ لـهـ نـحـوـ الرـسـوـلـ رـسـوـلـ
يـاـ جـبـذاـكـ الـمـحـمـلـ الـمـحـمـولـ
سيـفـ عـلـىـ اـعـدـائـهـ مـسـلـولـ
فـلـهـمـ بـهـ نـحـوـ الرـسـوـلـ وـصـوـلـ
سـبـيلـ الـمـخـافـ فـلـاـ يـخـافـ سـبـيلـ
وـالـفـضـلـ جـمـ وـالـعـطـاءـ جـزـيلـ
وـالـمـجـدـ اـكـمـلـ وـالـوـفـاءـ اـصـيلـ
قـدـ عـادـ مـصـرـ عـلـىـ الـعـرـاقـ يـصـوـلـ
فـعـلـيـكـ مـنـ رـوـحـ الـاـلـهـ قـبـولـ
سـلـسـالـةـ يـزـهـىـ بـهـاـ التـرـسـيلـ
غـيـرـىـ، وـاـنـ كـثـرـ الـرـجـالـ؛ كـفـيلـ
حـتـىـ اـضـمـحـلـ عـبـوـسـهـ الـمـجـبـولـ
جـمـعـتـ بـشـيـنةـ فـيـ الـهـوـىـ وـجـبـيلـ
هـىـ لـلـاخـاءـ المـرـتضـىـ تـكـمـيلـ
يـرـتـدـ عـنـهـاـ الـطـرفـ وـهـوـ كـلـيلـ
راـقـ الـعـيـونـ فـرـيـدـهـ الـمـعـسـولـ
فـبـهـ تـصـوـلـ عـلـىـ الـعـدـاـ وـتـطـولـ

ماـلـىـ اـذـاـ هـبـ النـسـيمـ مـنـ الـتـمـىـ
خـلـوـ الصـباـ يـخـلـصـ اـلـىـ نـسـيمـهـاـ
ماـلـىـ اـحـلـاـ عنـ وـرـودـ مـحـلـهـ
وـالـبـابـ لـيـسـ بـمـرـتجـعـ عنـ مـرـجـعـ
وـمـنـهـاـ بـعـدـ ماـ يـبـدـىـ اـشـوـاقـهـ ، وـحـيـنهـ اـلـىـ زـيـارةـ الـبـقـاعـ المـقـدـسـةـ فيـ خـمـسـةـ

وـعـنـ الـمـلـيـكـ اـبـىـ سـعـيدـ فـلـتـبـ
مـتـحـمـلـ لـلـهـ كـسـوـةـ بـيـتـهـ
سـعـدـ الـمـلـيـكـ اـبـىـ سـعـيدـ اـنـهـ
مـلـكـ يـحـيـجـ الـمـغـرـبـ الـاـقـصـىـ بـهـ
مـلـكـ بـهـ نـامـ الـاـنـامـ وـاـمـنـتـ
فـالـمـلـكـ ضـخـمـ وـالـجـنـابـ مـؤـمـلـ
وـالـصـنـعـ اـجـلـ وـالـفـخـارـ مـؤـثـلـ
يـاـ مـالـكـ الـبـحـرـيـنـ بـلـغـتـ الـنـيـ
يـاـ خـادـمـ الـحـرـمـيـنـ حـقـ لـكـ الـهـنـاـ
يـاـ مـتـحـفـيـ وـمـفـاتـحـيـ بـرـسـالـةـ
اهـدـيـتـهـاـ حـسـنـاءـ بـكـرـاـ مـاـ لـهـاـ
ضـاءـ الـمـدـادـ مـنـ الـوـدـادـ بـصـفـهـاـ
جـمـعـتـ وـحـامـلـهـاـ بـحـضـرـ تـنـاـ كـاـ
وـتـأـكـدـتـ بـهـدـيـةـ وـدـيـةـ
اطـلـعـتـ فـيـهـاـ لـلـقـسـىـ اـهـلـةـ
وـحـسـامـ نـصـرـ زـاهـيـاـ بـنـضـارـهـ
ماـضـىـ الشـبـاـ لـمـصـابـهـ تـعـنـوـ الـظـبـاـ

روى معاطفها بمصر النيل
تحفا يحول الحسن حيث تجول
بفم القبول اللش والمقبل
ومن القلوب الى هواه تميل
بالسر وهو بذيله موصول
بمعارض وهم ولا تخيل
و«الخالد» يخلود تذليل
صح الدليل ووافق المدلول
فلديك اقبال لها وقبول
بين القلوب وحبه موصول
وعليك يضفو ظلها المسدول

وبدائئ الحال اليمانية التي
فأجلت فيها ناظري فرأيتها
جات محسنها فأهوى نحوها
يامسعدى واخى «الزبر» منجدى
ان كان رسم الود منك مذيلا
فقطيرة عندي وليس يضمire
ود «يزيد» و«ثابت» شهدنا به
واليكها تتبيل صدق موذنى
فاذذا بذلك المجلس السامى سمت
دام الوداد على السعاد موصلا
وبقيت في نعم لديك من يدها

والسلطان الشاعر هذا عنية بالتأليف ايضاً؛ فله كتاب في علم النفس سماه
«الإشارة، في الحكم بين النفس المطمئنة والنفس الamarة»؛ ومن الاسف اتنا لا
نعلم عنه اليوم سوى اسمه ! ... وقد يكون له غيره ؟

ويمتاز عصر ابى زيان بنشاط العلماء الى التأليف ورواج سوق العلم والأدب العربى فيه
ووضع المصنفات الكثيرة التي نرى اسماءها مبثوثة في الفهارس وكتب التراجم والطبقات
واستمر ابو زيان على ولائته الى ان تذكرت له مرين واغرت به اخاه ابا محمد
عبد الله بن ابى حمو - كما هو شأنها مع ملوك بنى زيان دائمًا - فغزا لميسان واحتلها
- مساعدة ملوك فاس طبعاً - وذلك غرة القرن التاسع الهجرى (١٣٩٨م) وخرج
منها ابو زيان مشرداً في البلاد مهزموم القوى فبقي منتقلًا بين احياء العرب
الى ان قتل سنة ٥٨٠ هـ (١٤٠٢م)

ولایة السلطان ابی محمد عبد الله «الاول»

هو السلطان ابو محمد عبد الله بن السلطان ابی حمو موسى الثاني؛ انتصب لليحكم سنة ٥٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) واظهر من النشاط والحزم وحسن التدبير والصرامة في الحق والعدل في الحكم بين الناس ما خشي عقباه اوئلئك المماذقون المخادعون من بطن انة السوء ورجال البلاط اهلا كريين فأذازوا يومئذ كعيسى الضغائين بين حكومتي فاس وتلمسان وسعوا بكل جهودهم في عقد المؤامرات السرية لايقاد الفتنة بين الدولتين حتى ظفروا بغيتهم فكانت يومئذ اغارة مرين على تلمسان سنة ٤٤ هـ (١٤٠١ م) فاحتلتتها واسرت السلطان ابا محمد ونصبت مكانه اخاه ابا عبد الله محمد المعروف بابن خولة

وليس لدى فيما يتعلق بتاريخ عصر هذا السلطان مما يستحق التسجيل من الحوادث الهامة سوى غزوة مرين المتقدمة او ما يذكر عن تقاعس الافرنج في تسعين سفينية حرية عن بوته بعد ان ردهم عنها اهلها المسلمين؛ توجهت الجملة الانفرنجية يومئذ الى مرسي القل ودارس فانتهت بهما



ولایة السلطان ابی عبد الله محمد «الثالث»

هو السلطان ابو عبد الله محمد «الثالث» الملقب بالواثق الشهير بابن خولة، احد ابناء السلطان ابی حمو موسى الثاني، توج على عرش اسلافه سنة ٤٠١ هـ (١٤٠١ م) وكان عفيفا عن الدماء شغوفا بالعلم والفن عملا على تنشيط العلماء وبعثهم على البحث والاتاج الفكري ، فعاش الناس وقتئذ في رخاء وهناء رغم الحوادث الثورية والمشاغبات السياسية والمشاكل المستحدثة المطردة بين الدولتين المجاورتين، وهكذا الى وفاته ورحمه الله يوم الثلاثاء ٧ ذي القعدة سنة ٦١٣ هـ (٢٣ مارس ١٤١١ م) فتولى مكانه ولده عبد الرحمن



ولاية السلطان عبد الرحمن (الثالث)

هو السلطان عبد الرحمن «الثالث» بن السلطان أبي عبد الله محمد «الثاني» الشهير بابن خولة ، تولى الملك اثر وفاة والده يوم الثلاثاء ٧ ذي القعدة سنة ١٤١١ هـ (٣ مارس ١٤١١ م) وما كاد يستقر على عرشه حتى كانت هنالك فتنة من شأنها شيشان: التزاحم على الملك ودسائس مرين ، ففاجأه عمّه السعيد في حيـش عرمـم احـاطـة بـقـصـرـهـ وـالـزـمـهـ بـالتـنـازـلـ عـنـ الـمـلـكـ ، فـاخـتـلـعـ عـبـدـ الرـحـمـنـ عـنـ عـرـشـهـ اوـاـخـرـ المـحـرـمـ (ماـيـ ١٤١١ مـ) فـلـمـ تـزـدـ اـيـامـ تـوـلـيـتـهـ عـنـ شـهـرـيـنـ فـقـطـ ، وـتـوـلـيـ مـكـانـهـ عـمـهـ المـذـكـورـ



ولاية السلطان السعيد بن أبي حمو

هو السلطان السعيد بن السلطان أبي حمو موسى «الثاني» توج اثر احتلال عبد الرحمن الثالث - ابن أخيه - في اواخر المحرم سنة ١٤١٤ هـ (ماي ١٤١١ م) وكان ملكاً جواداً كريماً كثيراً الإنفاق والعطاء ، ولقد أصبت الجزية في أيامه بازمة مالية فعمد إلى التخفيف عنها بالتنقييل على كاهـلـ الرـعـيـةـ بالـمـطـالـبـ «الـجـرـحـيـةـ» فـاحـدـثـ ذـلـكـ قـلـقاـ وـاضـطـرـاـبـاـ فـيـ النـاسـ طـالـمـاـ اـتـظـرـتـهـ دـوـلـةـ بـنـىـ مـرـينـ التي كانت ترقب راصدةً مثل هذه الحوادث والفرص المواتية لها عن كثب ؛ فـاضـهـرـتـ يـوـمـئـنـدـ الـاـهـتـمـامـ بـشـأنـ هـذـهـ التـشـعبـاتـ الشـعـبـيـةـ وـتـدـخـلـتـ فـيـ القـضـيـةـ الـجـزـائـرـيـةـ بـحـمـلـ اـسـيـرـ فـاسـ الـامـيرـ اـبـيـ مـالـكـ عبدـ الـواـحـدـ بـنـ اـبـيـ حـموـ «ـالـثـانـيـ» على محاربة أخيه السلطان الحالى كما هو شأنهما في تغليب أمير على أمير ، وأمدته بالعدة والعدد فبادر أبو مالك إلى احتطاف هذه الفرصة السانحة لتملكها وهاجم تلمسان فاحتلها في منتصف رجب ١٤١٤ هـ (اكتوبر ١٤١١ م) وبعد اخـاهـ السـعـيدـ إـلـىـ منـفـاهـ فـتـرـكـ هـنـالـكـ إـلـىـ أـنـ هـلـكـ حـتـفـ اـنـفـهـ مـنـ عـامـهـ هـذـاـ



ولاية السلطان ابى مالك عبد الواحد

هو السلطان ابومالك عبد الواحد بن الساطان ابى جموموسى «الثانى» تغلب على أخيه السعيد بمؤازرة مرین فاتحه صب على العرش الزیانی في رجب سنة ٥٨١٤ (اكتوبر ١٤١١م) وقيل ان ذلك كان في السنة بعدها؟

اشتهر ابومالك بالشجاعة والحزم والسباحة الكريمة والتدین ونشر الثقافة والشهر على مصالح الدولة واصلاح الرعية؛ ولقد بلغ بعزم وشدة حزمه الى استرجاع كل ما كان بيد الحفصيين من بلاد الجزائر الشرقية، وتوسم غربا الى عاصمة مرین في خضد من شوكتها واستولى على فاس ونصب عليها والیا او امیرا من قبله فكان ذلك آخر العهد بتدخل دولة بنی مرین في الجزائر

اغارة الحفصيين على تلمسان

كان لاستيلاء السلطان ابى مالك على ما كان بيد الحفصيين من احواز الجزائر الشرقية وقع عظيم لدى دولة بنی ابی حفص، وكان مما زادها رعبا وذرعا من هذه الدولة الجزائرية هو توسيعها غربا واستيلاؤها على عاصمة المرینيين - فاس - فشرع لذلك السلطان ابوفارس عزوز الحفصي في اخذ الحذر منها والاستعداد لمواجهتها والتدبیر في خطة الهجوم للقضاء على دولة المغرب الاوسط الاختنة في النمو والاتساع باقطار المغرب الثلاثة؛ وبرزا ابوفارس في خمسين الف مقاتل مهاجم مملكة الجزائر فرده السلطان ابومالك عنها وكانت هنالك وقائع ومعارك متعددة صبر لها الحفصيون وصمدوا لها حتى انتصروا على تلمسان ففتحوها يوم السبت ١٣ جمادى الثانية ٥٨٢٧ (١٣ ماي ١٤٢٤م) وخرج منها يومئذ سلطانها ابومالك منحازا الى الحبال فاحتلها ابوفارس ونزل بقصبتها مستحوذا على جميع ما فيها وبعد ان تمكّن من ناصيتها نصب عليها الامیر محمد «بن الحمراء» بن السلطان تاشفين وخرج متوجها نحو فاس حتى لم يبق بينه وبينها الا مسيرة يومين فجأته بيعة مرین فعاد يومئذ

إلى مركيزه بتونس ثم جاءته بيعة صاحب الاندلس، فكان المغرب الإسلامي
عهدت بتمامه تحت رعاية السلطان أبي فارس الحفصي



ولاية السلطان محمد «الرابم»

هو السلطان أبو عبد الله محمد «الرابع» المعروف بابن الحمراء بن السلطان
عبد الرحمن تاشفين «الثاني» كان صاحب حكم وحكمة وحنكة وتدبر توج على عرش
تلمسان سنة ٥٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) تحت رعاية الدولة الحفصية كما أسلفنا؛ فعمل على
اكتساب قلوب الرعية بحسن سلوكه وسداد سياساته فمال إليه الناس وتوحدت
كلماتهم حوله فثبت بذلك قدمه في الملك وتوطد سلطانه ويومئذ رفض دعوة بنى
أبي حفص فألغى ذكرهم من الخطبة والمكبات وأعلن بتحريين البلاد واستقلال
الدولة الجزائرية الزيانية عن غيرها من دول المغرب

و كذلك فعل عامل قسنطينة ورئيسها الحاج أبو عبد الله محمد الدهان فإنه
رفض طاعة دولة الحفصيين وأعلن معارضته الولاية والأمراء في سياستهم الداخلية
وتصرّفتهم بالبلاد غير أنه لم ينجح فقبض عليه السلطان أبو فارس في ذي القعدة
من سنة ٥٨٣٠ هـ (أو ١٤٢٧ م) واعتقله بقصبة تونس



السلطان أبومالك عبد الواحد «للمرة الثانية»

بعد ان ظهرت خيبة ابى مالك - السلطان المخلوع - واحفاقه في استعمال جميع الوسائل السياسية والمسكائد الدبلوماسية لاسترجاع عرشه ، التجأ الى بنى مرین فلم تغنم ايضاعته هذه المرة شيئاً، ويومئذ اذعن للحفصيين خصوصه بالامس ، فزودوه بالجيش والعدة وغزا تلمسان فأکدى ؛ ثم تحرك لها السلطان ابوفارس الحفصي ففتحها في رجب ٥٨٣١ (افریل ١٤٢٨م) واعاد ابا مالك الى عرشه

ثورة (ابن الحمراء) ونهايتها

خرج ابو عبد الله محمد الثالث «ابن الحمراء» من تلمسان منهزمًا وأخذ في نشر الدعاية لنفسه بين العرب والبربر وثابر متقدلاً بين أصقاع جبال وانشريين وبرشك وتنس وأكثر من الحركة والتجوال بين الاحياء هنالك يستثير الهمم ويستألف العواطف والقلوب الى ان احرز على الشقة بينهم فأخذ منهم البيعة لنفسه وسار بهم زاحفاً نحو تلمسان ففتحها يوم الخميس رابع ذي الحجة ٥٨٣٣ (١٤٢٤م او ١٤٤٠) وتمكن من قتل عمه ابى مالك؛ وما كان ينعم بنشوة الملك حتى فاجأه السلطان الحفصي - لثمانية واربعين يوماً من تملكه - فأسره ونصب مكانه عم ابا العباس احمد «العقل» وذهب بابن الحمراء الى تونس فاعتقله بقضيتها هنالك الى وفاته سنة ٥٨٤٠ (م١٤٣٦)

ولاية السلطان ابو العباس احمد المعتصم

هو السلطان ابو العباس احمد المعتصم المشهور بـ «العاقل» بن السلطان ابي حمو موسى «الثاني» تولى عرش تلمسان بفضل الحفصيين كما ذكرناه، يوم الخميس غرة شهر رجب سنة ٨٣٤ هـ (١٥ مارس ١٤٣١ م) فشك النقود واظهر من حسن السيرة والغاية بنشر العدل وخدمة العلم ما اكسيه عطف الرعيمة واجماع الناس على موته، ويومئذ اظهر باسه للحفصيين واعلن برفض عهدهم سنة ٨٣٧ هـ (١٤٣٢ م) فتتحرك لقتاله السلطان ابو فارس الحفصي فاحتل جبل وانشريس قهرا وانضم اهله تحت طاعته ثم ما كاد يتصل بتلمسان حتى وافاه اجله فتوفي بطريقه اليها وعاد اصحابه من حيث اتوا.

ثورة ابي يحيى واستيلاؤه على وهران

هو أحد امراء البيت الزيانى - اخ السلطان العاقل - حمله داعي الاشارة والتنافس وحب الرئاسة إلى الخروج عن طاعة أخيه فشن غارته على تلمسان وشاعره على ثورته هذه احياء من العرب، فردهم عنها السلطان منهزمين، ويومئذ ذهب ابو يحيى الى وهران فاستولى عليها سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٧ م) وكثيرا ما حاول السلطان مطاردته فلم يفلح.

ظهور المستعين بالله وقلمه

ان من ينظر في تاريخ الجزائر السياسي على هذا العهد يجده كله انقضى بين تناحر المترافقين وتشاكس المتنافسين، وسوء ذلك بين الدولتين المجاورتين المكتفتين لهذا القطر شرقا وغربا مبين اعضاء الاسرة المالكة نفسها، فهذا ابو زيان محمد «المستعين بالله» الذى كان بتونس وهو من اعضاء الاسرة الزيانية قد عملت فيه عوامل النخوة والكبرياء ودببت في قلبه عقارب الحسد فذهب مستنجدا بحكومة

تونس فانجدته وايدته بجند من العرب والبربر فجاء بهم مغيرا على المغرب الأوسط سنة ٥٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) فاحتل مدينة الجزائر ومتيبة وتونس وملينة الخ.. واوغل في التقدم نحو الغرب الى ان تاخم حدود مملكة السلطان العاقل ثم عاد الى مدينة الجزائر فاستقر بها واتخذها مركزا لانشاء دولته بها. وما كان يتم له الامر حتى فاجأه صاحب وهران الامير ابو يحيى اخو السلطان العاقل فثار الرعية ضدة فقتلته في شهر جمادي الثانيه - نوفمبر - من سنته.

انهزام ابي يحيى عن وهران

ما كان للسلطان العاقل ان يتوك اخاه ابا يحيى مستبدا بوهران (١) منذ ان استولى عليها سنة ٥٨٤٠ هـ (١٤٣٧ م) كا تقدم فعمل على اقصائهما واعادتها الى مملكته وناجهه الحرب حتى غلبه عليهما في شعبان ٥٨٥١ هـ (اكتوبر ١٤٤٧ م) وجعلهما الحاضرة الثانية للجزائر فيخرج منها ابو يحيى الى تونس فبقى بها الى وفاته سنة ٥٨٦٧ هـ (١٤٦٢ م)

ثورة محمد «المتوكل» ونهاية «العاقل»

لقد كان مما جرته هذه القلاقل السياسية والاقلابات الادارية انتشار الفوضى بالبلاد الجزائرية وعم الخلاف، فنهض ائذ الامير محمد بن محمد بن ابي ثابت «المتوكل» متهز افرصة فشو هذا الاضطراب ورفض طاعة السلطان معانا عصي الله واحذر في سبره لفتح البلاد في شهر ديمبر الاول سنة ٥٨٦٦ هـ (ديسمبر ١٤٦١ م) واستولى على مستغانم ووهران وتونس واخيرا تلمسان فعزل عنها عم ابيه السلطان ابا العباس غرة جمادي ٢

(١) اختلف في بانيها على قولين قيل انه جماعة من الاندلسيين المذكورين في الجزء الاول من كتابنا هذا صفحة ٢١٨ وذلك في اواخر القرن الثالث الهجري كما تقدم، وقد ل هو خزر بن حفص بن صولات المغراوى باذن مواليه امراء بنى امية بالأندلس وصححه المشرفي في تقييده «بهجة الناظر» المطبوع بالجزائر سنة ١٩٢٤ م

(فاتح فيفري ١٤٦٢م) فانتقل ابو العباس يومئذ الى سكنى ضاحية العباد ثم ابعد عنها الى الاندلس، وهنالك سعى في تكوين جيش عاد به الى الجزائر محاصرة تلمسان مدة أسبوعين عن غير طائل ثم مات في ذي الحجة هـ١٤٦٧ (اوْتُ ١٤٦٣م)
ودفن بالعباد

الزحف الحفصي

كان الحفصيون كغيرهم من ملوك المغرب الاقصى ينظرون دائماً الى نشوب الخلاف والشتات بين امراء البيت الزبياني ليتوسعوا اوقل يتوصلا الى نيل غرضهم من الاستيلاء على هذا القطر وضمه الى مملكتهم الشرقية او الغربية؛ وكان الدور في هذه المرة للحفصيين؛ فيخرج السلطان ابو عمرو عثمان الحفصي من تونس سابع شهر شوال هـ١٤٦٦ (٥ جولiet ١٤٦٣م) مبعداً عاصمة المغرب الاوسط - تلمسان - فاخضم في طريقه قلعة حليمة - احدى قلاع جبل اوراس - ثم تقدم غرباً فنزل بارض بنى راشد، وهنالك جاءته وفود العرب من سويد وبني يعقوب وبني عامر والدواودة واعيان بنى عبد الواد وكلهم ناقم على السلطان الزبياني راغب في طاعة الحفصيين، فاحسن اليهم ابو عمرو وفرق ولاته على تلک الانحاء، ويومئذ اوفر المتكفل ملك تلمسان وفداً لينوب عنه لدى ابي عبد الله محمد بن الشيخ ابي القاسم العقباني، والشيخ ابي العباس احمد بن الحسن، ويراسهما خال السلطان ابو الحسن على بن حمو بن ابي تاشفين ثم عاد الملك الحفصي الى مرکزه معرجاً على قسنطينة فعقد لحفيده ابي عبد الله محمد المستنصر بن ابي عبد الله محمد المஸعود عليهما وجعل بين يديه القائد ابا علي منصور الصبان مزواراً، وعين بشيراً قائداً على البلد بدل ظافر المعزول عنها، وصرف محمد بن سعيد بن صخر الى وطنه بجاية

ابتداء الهجرة الاندلسية وسقوط بونة

كان لطغيان الاسبان بالاندلس واعتداءاتهم المتكررة على المسلمين هناك تأثير عظيم على جمعهم وبجماعتهم كما هو معروف من تاريخهم الحزين، فأخذوا يتسللون لواذا ملتجئين إلى هذا الشمال الافريقي ابتداء من سنة ٥٨٥هـ (١٤٥٢م) فحل أكثراً لهم يومئذ بالجزائر فالتحقهم الاسпан بمن اكبهم، فكان ذلك ابتداء الحروب البحرية بين الجزائريين والافرنج، وكان اتحاد الجالية الاندلسية مع اهل الجزائر على مناولة العمارة الافرنجية بهذا البحر الايض المتوسط، سبباً في سقوط بونة بيد الاسпан سنة ٥٨٦هـ (١٤٦٢م) ثم تبعها غيرها من السواحل الجزائرية.



ولاية السلطان أبي ثابت محمد «الرايم»

هو السلطان ابو ثابت ابو عبد الله محمد المتولى على الله بن ابي زيان محمد المستعين بالله بن يوسف؛ تولى الملك غرة جمادى الاولى سنة ٥٨٦هـ (فاتح فيبروي ١٤٦٢م) بعد ان كان قد اقتطع لنفسه في ربيع الاول (ديسمبر ١٤٦١م) مدينة الجزائر ومليانة ووهران ومستغانم وتونس واستواني عليهما كما تقدم وبسط عليها نفوذه وسک نقوذه. وكان ملكاً شهماً شجاعاً شغوفاً بالملك، اخضم لسلطته العرب وجميع المخالفين عليه، وقام في مملكته باعمال جليلة فوحد كلمة الرعية واصلاح من شأن الوطن ما تتصدع، فاحببه الشعب والتلف حوله معملاً بما منفذ لا وامره ونواهيه، وكثيراً ما غزت اساطيله مدن الاسпан والطليان اتقاماً لما احله هؤلاء بمساحتهم صقلية والاندلس.

رفض الدعوة الحفصية

مضى هذا السلطان على الخطوة المرسومة المتبعة التي سار عليها من قبله من ملوك بني عبد الواد الز يانين، من المحافظة على استقلال هذه الدولة والذود

عن حرمتها ورفض كل تدخل اجنبي في شؤون الجزائر مهمـا كان شأنه ، ففي سنة ٥٨٦٨ هـ (١٤٦٣ م) اعلن السلطان ابو ثابت برفض الدعوة الحفصية واطرد ولايتها من اعمالهم . فسعى به اعراب تلمسان من بنـي عامر وسويد وغيرهم لدى السلطان الحفصي فجراء بجنوده الى بعض قلاع جبل اوراس فاحتلهـا واخضع القبائل العربية هناك ، ثم كانت هدنة وصلح : ثم اعاد ابو ثابت نـهـة معـاكـسا دعوة ابـي حفص معلـنا استقلـالـه التـام بـمـملـكتـهـ، فـقاـوـمـهـ الحـفـصـيـونـ وـتـكـرـرـ ذلكـ مـنـهـمـ مـرـتـينـ، وـفـيـ الثـانـيـةـ مـنـهـمـاـ بـالـغـواـفـيـ تـشـدـيـدـ الـحـصـارـ عـلـىـ تـلـمـسـانـ فـاـذـعـنـتـ لـسـطـوـتـهـمـ يـوـمـئـذـ مـدـيـنـةـ مـلـيـانـةـ وـالـمـدـيـةـ وـتـنـسـ وـاـسـتـسـلـمـ لـهـمـ اـبـوـثـابـ وـكـتـبـ بـيـعـتـنـىـ لـلـسـلـطـانـ الـحـفـصـيـ؛ وـمـمـاـ جـاءـ فـيـهـاـ بـخـطـهـ قـوـلـهـ: «ـشـهـدـ عـلـىـ نـفـسـهـ عـبـدـ اللهـ اـمـتـوـكـلـ عـلـىـ مـحـمـدـ لـطـفـ اللـهـ بـهـ وـلـاـ حـولـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ، وـاعـطـىـ اـبـتـهـ بـكـرـاـ لـلـمـوـلـىـ اـبـيـ زـكـرـيـاـ يـحـيـيـ بـنـ الـمـوـلـىـ الـمـسـعـودـ دـوـنـ خـطـبـةـ»ـ وـقـفـلـ حـيـئـذـ سـلـطـانـ تـوـنـسـ إـلـىـ حـضـرـتـهـ وـبـقـىـ اـبـوـثـابـ عـاـيـ عـرـشـهـ إـلـىـ وـفـاتـهـ بـتـلـمـسـانـ سـنـةـ ٥٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م)ـ فـيـخـلـفـهـ بـعـدـهـ وـلـدـهـ تـاشـفـيـنـ

ولاية السلطان تاشفين بن ابـي ثـابـت

هو السلطان تاشفين بن ابـي ثـابـتـ محمدـ الـراـمـ، لمـ يـكـدـ يـسـتـقـرـ عـلـىـ عـرـشـ اـسـلـافـهـ حـتـىـ فـاجـاهـ اـجـلـهـ بـعـدـ اـرـبـعـةـ اـشـهـرـ مـنـ سـلـطـنـتـهـ فـتـوـفـيـ مـنـ سـنـتـهـ بـدـوـنـ انـ يـقـرـكـ ايـ اـثـرـ لـهـ يـذـكـرـ بـهـ فـيـ تـارـيـخـ دـوـلـتـهـ

ولاية السلطان محمد (الـسـادـسـ)

هو ابو عبدالله محمد «الـسـادـسـ»ـ بنـ اـبـيـ ثـابـتـ المـتوـكـلـ توـلـىـ السـلـطـنـةـ بـعـدـ اـخـيهـ تـاشـفـيـنـ فـسـكـ النـقـودـ وـتـلـقـبـ بـلـقـبـ اـيـهـ: اـبـيـ ثـابـتـ اـيـضاـ، وـكـانـ ضـعـيفـ الـاـرـادـةـ عـاجـزاـ عـنـ الـقـيـامـ بـاعـبـاءـ الـمـلـكـ وـتـدـبـيرـ شـؤـونـ الدـوـلـةـ السـيـاسـيـةـ وـتـسيـيرـ الرـعـيـةـ فـكـثـرـتـ الـفـتـنـ

والاضطرابات على عهده وانتشرت الفوضى ثم مات سنة ٥٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م) ولم نظفر له كذلك بأثر يذكر به سوى اسمه المرسوم على سكتة □

ولاية السلطان محمد (السابع)

هو ابو عبد الله محمد «السابع» بن ابي ثابت الثاني؛ اشتهر بالثابتى نسبة الى جده، تملك بعد اباهه عام ٥٩٠٢ هـ [١٤٩٦ م] وكان من ذوى الفطاحة والذكاء ورجاحة العقل وحسن التدبر من صرفه الى توفير مالية خرينة الدولة والاكثر من الاوقاف الخيرية. وفي ايامه [٥٨٩٥ هـ ١٤٩٠ م] كان ذلك الحدث الجلل بالاندلس فسقطت غرناطة عاصمة بنى الامر النصريين آخر معاقل الاسلام بذلك الفردوس المفقود!... فالتجأ ملوكها المنكوب ابو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغلل الى وهران فيمن ضوئيه من الاعيان والكراء الذين ايقنوا بنهاية الاندلس الاسلامية، ثم انتقلوا الى تلمسان وبها ترك الزغلل عقبا لهم عرفا بعد ذلك ببني سلطان الاندلس فاقتبلهم الملك باوفى ما يجب ان يكرمه الملوك والامراء والساسة وما توجبه الروابط الاسلامية، فكان ذلك مما زاد في اثاره حقد الاسبان فسيخطوا على الجزائر واستشاط ملوكهم غيضا على بلاط تلمسان، فادرك ذلك السلطان الزياني وتحقق انه لا محالة هامة ليوم او غد، فيما در الى السعي في ترضية (فردیناند الخامس) وتالفة بالسفر الى اسبانيا [١] مصحوبا بهدايا ثمينة منها خيل عربية عتاق، ولوئوة في خدمة ملكية نادرة،

(١) كانت المملكة الاسبانية ايام ولاية الرومان عليها [٤٤٠٦ - ١٣٤ م] منقسمة الى ولايتين يفصلهما نهر «ابرو» وسموها هسبانيا الخارج وهمانيا الداخل، ثم سمو البلاد كلها «هسبانيا» يزيدون المملكة ذات الولايتين او المقسمة الى قسمين، وقيل ان اطلاق اسم «اسبانيا» عليها كان زمن الفينيقيين قبل الرومان، وإن كلامه «Span» فينيقيه معناها المحتجب او المستور، وذلك لأن هذه البلاد كانت بعيدة عن الفينيقيين محجوبة عن انظارهم في اقصى الارض جهة الغرب، وقيل انما سموها بذلك لانهم رأوا فيها ارانب كثيرة والارنب بلغتهم «اسبان». انظر تعليقات احمد يوسف نجاتي على نفح الطيب ج ٢

وطيور مصنوعة من الذهب الخالص، فيهما من الدواجن دجاجة متبوعة بست وثلاثين تقفوا الخ ...، وقدم ذلك بنفسه الى ملك الاسبان فانكسرت حدة غضبه وذهبته عنه شرته ثم عاد بعدها السلطان الى وطنه آمناً، وكانت وفاته سنة ٩٠٩ هـ [١٥٠٣ م] فخلفه اخوه ابو زيان «الثالث» غير انه لم يمكن الا قليلاً فجاجه عمّه ابو حمو الثالث



ولاية السلطان ابى حمو موسى (الثالث)

هو ابو حمو موسى «الثالث» الملقب بابي قلمون بن محمد «الرابم» انتصب بالقهر على عرش تلمسان سنة ٩٠٩ هـ [١٥٠٣ م] فعزل ابن أخيه محمد «السابم» وبasher الحكم والبلاد يومئذ في اضطراب وحبل حكم وتهما في احتلال وضعف وتفرق وتشتت

احتلال الاسبان لوهران والسواحل الجزائرية

لقد اخذ صرح بنى عبد الواد يتساقط منذ ان ركز ملوك هذه الدولة من بنى زيان الى التواكل والتتخاذل واخلاذهم الى الدعة واستمهادهم الراحة وتناقلهم عن القيام بالصالح العامة وانهما كهم في التهالك على الرئاسة وقصر اشتغالهم على انفسهم شيخصيا، فانمحى يومئذ هيئتهم من نفوس الرعية وانتشرت الفوضى بين الناس في كل من ميادين السياسة والمجتمع واستبد الولاة ورؤساء القبائل والشيوخ وعمال الجهات وولاة النواحي وقادمة الجيش بما اتصل بايديهم من اسباب الولاية والحكم، فتشتت الوحيدة الجزائرية واحتلت الرابطة الاجتماعية بين الراعي والرعية فاضطربت الاحوال وتعددت المشاكل، وملوك الاسبان يومئذ يترصدون مثل هذه الفرص خلسة، ويترقبون الظروف المواتية للقضاء على دولة الاسلام بهذه الشمال الافريقي بعد ان شفوا منها صدورهم واطقووا غلتهم في حوادث

الاندلس الدامية، وقد كانوا اتعاهدو على ذلك وتوافقوا به منذا عقاد مؤتمر «طور زلاس» ١٤٩٤هـ (١٨٩٩) المنظر في شؤون سير السياسة بالهند، فهنّاك وقع التعاقد بين الصليبيين على استئصال المملكة الإسلامية بهذا الشمال الأفريقي؛ وقد تطلع إلى ذلك دولة الأسبان والبرتغال فتوطّأ على أن يتوزعاً بينهما بلاد المغرب العربي غنيمة باردة على أن يكون حظّ الأسبان منها ساحل بلاد الجزائر وللبرتغال المغرب الأقصى،

ولما كانت الجزائر في هذه الفترة على ما وصفناه من الانحلال السياسي والاضمحلال الإداري أخذ الأسبان في التمهيد والاستعداد لاحتلالها ببعثة استطلاعية إليها واذكاء العيون والتجسس حولها للكشف عن حالة البلاد العامة والاطلاع على عوراتها، ومنها كانت بعثة «لوريشودي باديما» إلى مملكة تلمسان على عهد السلطان أبي عبد الله محمد الشابتي

وما كاد القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي - ياذن بالحلول حتى كان الأسبان على استعداد تام لمحاجمة الجزائر، لا يتذمرون في ذلك سوى اذن ملوكهم وبماركة البابا. وقد حصل ذلك بالفعل، فابحرت الحملة الإسبانية من «مالقة» يوم الأربعاء ٣ ربيع الثاني ١٥٠٥هـ [٣ سبتمبر ١٨١١] متوجهة نحو الضفة الجنوبية من هذا البحرapis المتوسط فارست تجاه وهران مهاجمة لمرسالك الكبير غربي المدينة وعلى ثمانية كيلومترًا منها؛ وبعد ان اشتربت المعارك هناك احتلت السلطة الإسبانية المهاجمة يوم الثلاثاء ٩ ربيع الثاني - ٩ سبتمبر - ثم كانت بعدئذ معززة قرية «مسرغين» الواقع على جمسة عشر كيلومترًا من وهران انهزم فيها الجيش الإسباني ومات منه ثلاثة آلاف جندي - باعترافهم -، وفر الباقيون إلى المرسى الكبير معتصمين بأسواره المنيعة؛ ثم توالت الغزوات والهزائم على السوحل المغربية وأشهرها بالجزائر تلك الحملة الشهوانية التي ترأسها الكاردinal «سيميونس» نفسه بمأذنة الجنيني الـ «ييدرو نافارو» ،

ابحرت هذه الحملة الاسبانية العتيدة من ثغر قرطاجنة صباح يوم الاربعاء ٢٦ المحرم ١٥٩٥ [١٥٠٩ م] فسبحت الجزائر صبيحة الغد ونزل المشاة بساحل وهران ضحى يوم الجمعة، وما هي الا سويعات قليلة حتى كان الجيش الاسباني متربعا على رأس المرسى الكبير وتلال وهران، وتقدم الجندي الى المدينة - بدون مقاومة من الجيش الزيانى تذكر - يقتل ويأسر من غير شفقة ولا رحمة، واستمر سائر في طريقه حتى اتصل باسمه او مدينة وهران مخدقا بها، وفي جنح الليل من تلك الليلة نفسها فتح القائدان الخائنان القائمان بحراسة الثغر (١) بباب المرسى للعدو فتدفقت جنوده بخيالها ورجالها وجاءت كالسيل الجارف، وساعدهم على ذلك بعض الخونة ممن باع ذمته تلقاء دريئات معدودات مثل بنى عامر، وشافع وكرشتل، وسميان، وغمرة، وقيرة، وأولاد عبد الله، وأولاد على والونازرة (٢) وما كاد يتنفس فجر يوم السبت حتى كان الاحتلال تماما فاقتحم الجيش المهاجم المدينة متديلا على حرمات الدين والانسانية مرتبا كل فاحشة من غير استثناء ولا محاشيات فقتل بيده ذبحا نحو الشهانية آلاف من البرفاء العجزة الذين قعد بهم الاضطرار والهرم والقصور عن الفرار من المذبح؛ واتهكت حرمات المساجد والبيوتات الشريفة بما يندى لذكره الجبين وتصفر لهول الوجوه وتنخلع لسر القلوب، تقاد السماوات ينقطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا!..

ويومئذ انطلقت السنة العلية والشعراء بتوحيه الصريح الى الولاية والرؤساء وامراء القبائل لانقاذ وهران من هذا الاحتلال الغاشم والعود باللائمة والخزي على مشايعي الاسپان من بنى عامر وغيرهم، وهذه قصيدة الشيخ ابي العباس احمد بن القاضى سيدى عبد الله بن ابي محل السجلماسى شيخ العلامة ابي عثمان سيدى سعيد قدورة الجزائري تنبئ بذلك :

(١) احدثهما منافق يظهور بالاسلام والآخر يهودي اسمه اشطورا

(٢) راجع بهجه الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الانسان كبني عامر، المشرفي ط الجزائر

ولا سيما من قد ثوى تحت كافر
بتيجانهم مم راسها عبد قادر
طويل القنا اهل الوفا والمغافر
وشيخ سويد بل وكل مفاخر
بكل قبيل مولع بالعساكر
وفي كل ناد سالف ومعاصر
وغيرهم، بالله ما صبر صابر؟!...
وكل ولی حافظ للواامر
لدى الله فوهران امر الحنائز الخ...
والقصد مدحه بسامها في بهجته الناظر للشيخ عبد القادر المشرفي فانظروا

فمن مبلغ عنى قبائل عامر
وكل کمى من صناديد راشد
وحيث انهم في الغرب من كل ماجد
وطاحة والاحلاف في غرب هذه
وشيخ بنی يعقوب والکمى الفتى
ويا ع العشر الاسلام في كل موطن
ويا سادة العربان من آل هاشم
ويا ع عشر الاتراك يا كل عالم
انشدكم بالله ماعذر جمعكم
هناك

وفي اواخر رمضان سنة ١٥١٥هـ [٦ جانفي ١٩١٥] جاء «يدرو نافارو»
في ارمادة تحتوى على اربعة عشر مركبا حرريا مشتملة على عشر آلاف جندى،
فاقتضم بهم اسوار بجية مدينة الحضارة الحمدانية الجزائرية؛ وأخذت في
تحطيمها ونقل جميع ما بها من تحف ونفائس في ثلاثة مركبا غرق اکثرها
في طريقه الى اسبانيا، وهدم منار قصر المؤلوة البالغ طوله نحو سبعين ذراعاً،
والذى يعتبر من اعظم آيات فن العمارة الجزائرى الجميل؛ كما حطم يومئذ
قصر الكوكب وبنى مكانه حصن «برال» الحالى، وحطمت المسجد الجامع الاعظم
وتغير شكل المدينة الى ما لا يسر منظرة ولا يخبره، ورغم كل ذلك مما وقع
تسجيلا من حوادث الاحتلال الاسپاني العنيف فاتنا لم نر من الحكومة الجزائرية
المسلمة ما يقابل ذلك ويستحقه من الدفاع والمقاومة الشديدة المتوقعة!..

ومن تأمل في ذلك وجد ان مرجعه الى ما كانت عليه الدولة الجزائرية
من الضعف والانحلال الشامل لنظام الحكم وتخبطها في مشاكلها السياسية والادارية

وواصل الاسبان فتوحاتهم بالجزائر فاستحوذوا على مدينة تداس - داس - وشرشال واحتلوا فرضة هنین سنة ٩٣٨هـ (١٥٣١م) ونزلوا بالامكنته الاستراتيجية بالسواحل الجزائرية خاصة، وكان شر ضهم الوحيد يومئذ من هذه الغزوات هو مواصلة البحروب الصليبية بال المغرب، فاحدث ذلك قلقاً واضطرباً عظيماً في الراعي والرعية وما وسعهم جميعاً يومئذ الا الرضوخ لهذه السلطة الأجنبية المفروضة الحتمية حتى يتجلّى الامر:

ثورة الامير يحيى بن اشاتي

اهتبل الامير يحيى هذا الهيجان والاضطراب العام في الجزائر واغتنم فرصة اخلال الحكومة وضعف السلطة المركزية فنهض مستصراً خا بالاسبان متحمياً بهم معلناً ثورته على اي حمو الثالث، فتغلب على مدينة تنس هـ١٩١٢ (١٥٠٦) فقهرة السلطان وردها عنها، ثم انتصر عليه فتحطم جيش اي حمو واحجم عن القتال، فاحتل الاسبان يومئذ بسهولة مدينة بونة - عنابه - وفرضوا على السلطان ضريبة سنوية باهضة قدرها اثنا عشر الف دوقة (١) واثنا عشر فرساناً وست بنات؛ واستمرت هذه الضريبة المزريعة المهيمنة مفروضة على ملوكبني زيان الى سنة هـ١٩٣٦ (١٥٣٠) فاسقطتها اراده الشعب

١) الدوقة نوع من نقود الذهب الإسبانية، قيمه القطعة الواحدة منها من العشرة إلى الشئى عشر فرنكاً اى قبل ارتفاع قيمه النقود

نفور الجزائر تحت نير الاسبان

ولما اشتدت حملات الاسبان بالثغور الجزائرية وانكشفت عداوتهم جهارا لاهل المغرب الاسلامي، اخذ الجزائريون في انشاء الاجفان لدفع هجمات العدو ورد عادتهم عن الوطن وشرعوا في شن غاراتهم البحريه على الساحل الاسباني واسر المعذبين وسباهم؛ وبما ان دولة الاسبان هذه كانت في حدة ايامها ودولةبني زيان بالجزائر كانت في اعقابها، تطلب الاسبان عليهم واضطرواهم الى طلب الصلح والهدنة؛

في شوال سنة ٩١٦هـ (جانفي ١٥١١م) خرج الوفد الاسلامي من الجزائر بقيادة شيخها (سالم التومي الشعالي) متوجها نحو بجاية حيث مر كنز قيادة «بيدرو النافارى» عامل الاسبان ومفوضهم العسكري بالجزائر وهنالك ابرم عقد الهدنة والصلح بين الطرفين، والتزم الجزائريون بالخضوع لسلطة الغالب عليهم والافراج عن جميع الاسرى من نصارى الاسبان وغيرهم، ثم في السنة بعدها شكل الجزائريون وفدا آخر ذهب الى اسبانيا حيث اتصل بملك «فرديناند الخامس» فاكد له حسن العلاقة بين القطرتين وتقدم له رئيس الوفد سالم التومي بهدايا نفيسة فتقبلاها منه الملك وافتراض عليهم تسليم احدى «الصحرات» الاربع الكبرى التي كانت بارزة تجاه مدينة الجزائر، حيث شرع الاسبان في بناء حصن «بنيونش penon» فوقها سنة ٩١٥هـ [١٥١٠م] وهو مكان مرکز القيادة البحريه العليا اليوم بالجزائر، والزึهم ايضا بدفع مغرب باهض سنتيا، فاستسلموا بذلك؛ وانزل الاسبان بهذا الحصن نحو المائتي جندى ابقوهم هنالك لمرصد غزارة المسلمين وحماية الثغور الجزائرية المحتلة من شوب الثورة

اصبحت الجزائر يومئذ تجاه هؤلاء الاسبان الذين اقبلوا يغزوون البلاد وباسرون العباد مرغمة على الاندفاع نحو فتح واجهة حرية مغاربة

(١) انظر ص ٣١ من الجزء الاول

الفرصنة الاجنبية، او الدخول في حلف احد كبار البحارة الملحين المسلمين الذين دانت لهم البحار والشغور بهذا البحر الايض المتوسط؛ ولم يكن لاهل الجزائر يومئذ بد من احد هذين الحلين مع طى حضارتهم القائمة على ما بنوه واسعادوه من دولتهم الناشئة، والالتفات الى هذه الحرب البحرية الشديدة؛ وتلك هي الظروف نفسها التي لابست الجزائر والقت بها في احضان الدولة التركية العثمانية ووصلت اسبابها بأسباب المجموعة الاسلامية الكبرى في شرق البحر الايض وما يليه وبذلك انتهى الدور الزيانى الثاني

ملوك الدولة الزيانية

- الدور الثاني -

تاریخ التولیة

م ١٣٤٨ هـ ٧٤٩

ابو سعید عثمان «الثانی» بن عبد الرحمن

م ١٣٤٨ هـ ٧٤٩

ابو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن

م ١٣٥٩ هـ ٧٦٠

ابو حمو موسى «الثانی» بن يوسف

م ١٣٥٩ هـ ٧٦٠

ابو زیان محمد «الثانی» بن عثمان

م ١٣٨٩ هـ ٧٩١

ابو تاشفین عبد الرحمن «الثانی»

م ١٣٩٣ هـ ٧٩٥

ابو ثابت يوسف بن عبد الرحمن

م ١٣٩٤ هـ ٧٩٦

ابو الحجاج يوسف بن موسى

م ١٣٩٤ هـ ٧٩٦

ابوزیان محمد «الثانی» بن موسى

م ١٣٩٨ هـ ٨٠١

ابو محمد عبد الله «الاول» بن موسى

م ١٤٠١ هـ ٨٠٤

ابو عبد الله محمد «الثالث» الوثقی بن موسى

م ١٤١١ هـ ٨١٣

عبد الرحمن «الثالث» - بن خولة -

م ١٤١١ هـ ٨١٤

السعید بن ابی حمو موسى

م ١٤١٢ هـ ٨١٤

ابو مالک عبد الواحد بن موسى

م ١٤٢٤ هـ ٨٢٧

ابو عبد الله محمد «الرابع» - بن الحمرا -

م ١٤٢٨ هـ ٨٣١

ابو مالک عبد الواحد «ثانياً»

م ١٤٣١ هـ ٨٣٤

ابو العباس احمد المعتصم - العاقل - بن موسى

الدولة العبد الوادية - الزيانية - ١٨٩ -

م ١٤٦٢ هـ ٦٦

ابو ثابت محمد «الخامس»

م ١٤٨٥ هـ ٩٠

تاشفين بن ابي ثابت

م ١٤٨٥ هـ ٩٠

ابو ثابت محمد «السادس»

م ١٤٩٦ هـ ٩٠٢

ابو عبد الله محمد «السابع»

م ١٥٠٣ هـ ٩٠٩

ابو حمو موسى الثالث - ابو قلامون -

مشاهير الجزائريين

الشريف التلمساني

(١٣١٠-١٣٧٠ هـ م)

هو العالمة امام المغرب ابو عبد الله محمد بن احمد بن على الشهير بالشريف التلمساني المعروف بالعلوي نسبة الى «العلويين» بسكون اللام وكسر الواو، قرية من اعمال تلمسان، حسني راسخ النسب لايادفعم في شرفه، ولسد رحمه الله بتلمسان سنة ٥٧١٠ هـ (١٣١٠ م) ونشأ بها عفيفا صينا مكبا على الطلب شغوفا بالعلم، حكى عنه خاله عبد الكرييم وكان يحبه صغيراً لذاته ويصطحبه معه دائماً الى مجالس العلم والعلماء، قال: حضر ناجلس ابي زيد بن الامام في تفسير القرآن فذكر الشيخ نعيم الجنة، فقال له الشريف وهو صبي: هل يقرأ فيها العلام؟.. فقال له الشيخ نعم، فيها ما تستهيه الانفس وتلذ الاعين، فقال له لو قلت لا لقلت لك لا لذة فيها!.. فعجب منه الشيخ ودعاه.

تجول الشريف في ارجاء المغرب الاسلامي شرقه وغربيه: طالبا العلم، فأخذ عن علماء فاس وتونس كما اخذ عن مشيخة الجزائر، وكان من اشهر اساتذته ولدا الامام، والمجاuchi؛ والقاضي ابو عبد الله التميمي، وابو عبد الله البرونى؛ وابو موسى عمران المشدالى، والابلى والسطى، وابن عبد السلام التونسي في آخرين؛ وتلمذ له الاخير في علوم الهيئة والحكمة والفلسفة، وشهد له شيوخه كثيرون بوفور العقل وحضور الذهن وكثرة التحصيل

ثم عاد الشيخ الى موطنه ومسقط راسه تلمسان متصديا لللافادة والاستفادة وشرع في تدريس العلم وارشاد العامة فا قبل عليه الناس على اختلاف طبقاتهم والتلف حوله الطلبة ياخذون عنه فنونا من العلم فكثر تلامذته وملا

المغرب علوماً و معارف و تلاميذ فاحيا السنة و امارات البدعة؛ و يذكر انه ابتدأ القراء وهو ابن احد عشر سنة؛ وكان في تعليمه يتمك الطالب وما تميل اليه نفسه من انواع العلم فلا يحمل احداً على نوع دون نوع ويرى الكل من السعادة و يقول : من رزق في باب من العلم فليلازمه .

ولما تملك السلطان ابو عنان المريني تلمسان سنة ٥٧٥٣ هـ (١٣٥٤) استخلاص الشريف ابا عبد الله لمجلسه العلمي مع من اختاره من المشيخة، ورحل به الى فاس كذا ذكره ابن خلدون: فتبرم الشريف من الاغتراب وردد الشكوى، فاحفظ السلطان بذلك، وارتاد به، ثم بلغه اثناء ذلك ان السلطان ابا سعيد عثمان ملك تلمسان اوصاء على ولده، واودع له مالاً عند بعض الاعيان من اهل تلمسان، وان الشريف مطلع على ذلك، فانتزع الوديعة وسخط على الشريف بذلك ونکبه واقام في اعتقاله اشهر، ثم اطلقه اول سنة ست وخمسين واقتاده، ثم اعتبه بعد فتح قسنطينة واعاده الى مجلسه الى ان هلك السلطان آخر سنة تسع وخمسين ولما ملك السلطان ابو حمو بن يوسف بن عبد الرحمن الزيانى تلمسان من يد بنى مرین استدعى الشريف من فاس، فسرحه القائم بالامر يومئذ، الوزير عمر بن عبد الله، فانطلق الى تلمسان، وتلقاه ابو حمو براحتيه واصهر له في ابنته، فزووجها اياها، وبنى له مدرسته الشهيرۃ باسمه سنة ٥٧٦٣ هـ (١٣٦٢) وجعل في بعض جوانبها مدفن ابيه وعمه، وقام الشريف يدرس العلوم الى ان هلك سنة ٥٧٧١ هـ (١٣٧٠)

انقطع الشيخ في مدرسته بتلمسان للبحث والنظر والدرس والتعليم والارشاد فكان يمضى جل اوقاته في ذلك مع ما كان عليه من التعبيد والتهدى والزهد وتلاوة القرآن، حكى عنه ولده ابو محمد عبد الله قل انه بقي دهراً - ما يزيد على سنة شهر - لم ير فيها اهله و ولده اشتغالاً بالدرس والبحث، وهو مقيم بينهم! . ذلك انه كان

عند ما يستيقظ بكرة يغدو في حينه الى المدرسة وهم نائمون، ولا يعود اليهم الا ليلا وهم نائمون، ثم انه كان لا ينام من الليل الا قليلا، – كانوا قليلا من الليل ما يهجنون – واذا غلبه النوم نام نومة حقيقة ثم اذ استيقض لا يعود ويقول : اخذت النفس حقها ففيتوضاً والوضوء من اخف الاشياء عنده ثم يرجم للنظر، وربما وضع له الطعام في رمضان فيشغله النظر ويؤتي بسحورة فيتركمها معها كذلك حتى يصبح ويواصل الصوم!.. وكان من ~~كثرة~~ ازدحام الطلبة عليه يوزع بينهم ساعات الدرس بالرملية

اجمع اهل التراجم والطبقات على امامۃ المترجم وكم اله في علمه وصلاحه واحلاقه، فذکروا انه كان من احسن الناس وجها وقدرا: مهیما، ذا نفس كريمة وهمة نزية ولهمجة صادقة، حلیما لا يغضب، واذا غضب قام فتوضاً، قوى النفس رفيع الملبس بلا تضخم ولا تكبر، جميل العشرة بساماً، منصفاً عادلاً، متواسطاً في اموره، طويل اليد كريماً، يكرم ضيفه ويقرب له ما حضر يطعم الطلبة طيب الاطعمة ولذيتها ولا يؤثر عنهم غيرهم؛ وكثيراً ما كانت تردد عليه الاسئلة من السلطان فيما دونه فيوجهها الى الطلبة ويسميهم باسمائهم لرفع منزلتهم عند السلطان وغيرها، فكانوا بذلك على عهده من اعز الناس واكثرهم عدداً واسعهم رزقاً؛

كان فيمن اخذ عن الشيخ ممن اشتهر ذكره من علماء المغرب واعيائه: العلامة ابن خلدون، والامام الشاطبي، وابن زمرك، وابراهيم التغرى، وابو عبد الله القيسى، وابن عباد، وابن ~~السكاك~~، وابن محمد بن علي المبورقى، وابراهيم المصمودى الخ....

وذکرة ابن خلدون فقال: هو صاحبنا – يعني صاحب الترجمة – الامام العالم الفذ، فارس المعمول والمنقول، وصاحب الفروع والاصول. وذکرة الونشرى يرى فقال: انه كان اماماً في العلوم العقلية كلها، منطقاً وحساباً، وفرائض، وتجيماً،

وهندسة، وموسى، وشريح، وفلاحة وكثيراً غيرها من العلوم القديمة - يعني بها علوم الحكمة -؛ وذكره السراج في فهرسته فقال انه بلغ رتبة الاجتهاد؛ كما ذكره بذلك ايضاً الجد بن مرزوق. وقال ابن مرزوق الحفيد هو شيخ شيوخنا أعلم أهل عصره بجامع؛ وتذاكر المترجم يوماً مع الإمام ابن عرفة، فقال له الإمام : غايتها في العلم لا تدرك؛ وكان الإمام بن عبد السلام يقول عنه : ما اظن في المغرب عالماً مثل هذا. وأما الرئيس ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب فإنه كان كثيراً الف أو كتب كتاباً إلا وبعث به إلى الشرييف طالباً منه أن يكتب عليه بخطه. وكان العلامة أبو سعيد بن أبي شيخ علماء الأندلس يستفتيه ويستشيره فيما أشكل عليه من مسائل العلم ففتها أو غيره ومن شدة عناية الاستاذ المترجم بالاقراء والدرس لم يسعه الزمن للوضع والتاليف، فإنه لم يبلغنا بالنسبة إلى غزارة علمه وسعة اطلاعه من خبر تأليفه إلا القليل، منها كتابه الجليل «مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول» طبع بتونس سنة ١٣٤٦هـ كتب عليه شيخنا الإمام عبد الحميد بن باديس شرعاً مختصراً وضعه للطلبة حال تدریسه للمكتاب ولم يطبعه، وله شرح على جمل الخونجي في المنطق انتفع به خلق كثير، وكتاب في القضاء والقدر، وكتاب في المعاوضات أو المعاطاة؟ ... ولهم فتاوى ورسائل واجوبة في مسائل من العلم مختلفة؛ منها ما اجاب به عالم توزير الشيخ يحيى الروهوني ومنها غير ذلك

وكانت وفاة الشيخ رحمة الله ليلاً الأحد الرابع من ذي الحجة سنة ٥٧٧١ (٢٩ جوان ١٣٧٠م) ببلدة تمسان وحضر لدفنه السلطان أبو تميم الثاني قائد في تعزيته لولده : مامات من خلفك وإنما ممات أبوك لي، لأنني أباهي به الملوك. وولادة مدرسة والده ورتب له جميع مرتباته. قال ابن عرفة حين بلغته وفاته : لقد ماتت بموته العلوم العقلية



احمد بن علي الملياني

(١٣١٥ هـ)

هو الاديب الكاتب والشاعر العظيم صاحب العلامة بيلاط ماسوك المغرب ابو العباس احمد بن علي الملياني ترجم له لسان الدين بن الخطيب في الاكليل وعرف به في الاحاطه قائلا : «الصارم الفاتك، والكاتب الباتك، اى اضطراب في وقار وتجهم تحته انس العقار، اتخذه ملك المغرب صاحب علامته، وتوجه تاج كرامته، وكان يطالب جملة من اشياخ مراكش بشار عمّه، ويطوقهم دمه بزعمه، ويقصر على الاستتصار منهم بنات همه، اذ سعوا فيه حتى اعتقل، ثم جدوا في امره حتى قتل، فقرصد كتابا الى مرکش يتضمن امرا جزءا، ويشمل من امور الملك عزما، جعل فيه الامر بضرب رقبتهم، وسبى اسبابهم، ولما اكد على حاملها في العجل، وضايقها في تقدير الاجل، تناهى حتى علم انه قد وصل، وان غرضه قد حصل، فر الى تلسان وهي بحال حصارها، فاتصل بانصارها، حالا بين انوفها وابصارها، وتعجب من فراره، وسوء اغتراره، ورجمت الطنون في آثاره، ثم وصلت الاخبار بتمام الجليلة؛ واستيلاه القتل على اعلام تلك القبيلة فقر لها شنيعة على الايام، وعارض في الاقاليم على حملة الاقلام، وأقام بتلسان الى ان حل محنق حصارها، واذيل هميyan الضيقه عن خصرها، فلتحق بالانداس ولم يعدم برا ورعاها مستمرا حتى اتاه حمامه وانصرمت ايامه فتوفي بغرنطة يوم السبت ٩ ربيع الآخر عام ١٣١٥ هـ (جولiet 1315) ودفن بجبانة بباب البيضاء ومن شعره قوله في الفخر

والفضل ما اشتغلت عليه ثيابي
والمسك ما ابدأه نقش كتابي
والعزم يابي ان يسام جنابي

العز ما ضربت عليه قبابي
والزهر ما اهداه غصن يراعتى
فالمجد يمنع ان يزاحم موردى

بجزيل شكري او جزيل ثوابي
مجرى طعامى من دمى وشرابى
ثارا فاوشك ان اناس طلابى
فاما بلوت صنعة جازيتها
واذا عقدت مودة اجريتها
واه اطلبت من الفرائد والنهى

ابن مرزوق الحفيد

(١٣٦٤-١٤٣٩ هـ)

كان معن اشتهر بالعلم والرئاسة والفضل من بيوتات الجائز واعيائه في هذا العصر بيت ابن مرزوق الذايع الصيت، وقد تقدم لنا الكلام على هذا البيت الرفيع العماد فيما اسلفناه من ترجمة ابن مرزوق الجيد الشهير بالخطيب لقد تالق في سماء بيت ابن مرزوق بدور واقمار كان كوكبها الدرى ونجمها الثاقب مترجمنا هذا العلامة الامام شيخ الاسلام ومفتى الانام ابو عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق الحميد العجيسى؛^(١)

ولد رحمه الله بتلمسان ليلة الاثنين ١٤ ربیع الاول سنة ٥٧٦٦ (١٠ ديسمبر ١٣٦٤) ونشأ على غرار نشأة آباءه مستمسكا بالعلم والدين فأخذ عن والده وعمه ابني الخطيب بن مرزوق، وعن سعيد العقbanى؛ وابى اسحاق المصمودى؛ وابى الحسن الاشهب الغمارى وعن ابى محمد عبد الله بن الشريف التلمسانى؛ ثم ارتىحل الى تونس فلقى بها الامام بن عرفة؛ وابا العباس القصار؛ ثم دخل فاسا فأخذ بها عن الشيخ ابى زيد المكودى وابن حياتى. والحافظ محمد بن مسعود الصنهاجى الفيلالى، ثم اتصل بذلك بالشرق فدخل مصر القاهرة؛ آخذنا عنمن لقى بها من جلة العلماء كابن خلدون والفيروز ابادى صاحب القاموس، والتويىرى، صاحب النهاية، ومحب الدين بن هشام ولد صاحب المغنى؛ والسراج البلقينى،

[١] نسبة الى القبيلة الجزائرية العظيمه «عجيسه» المقيمه بجبال المسيله شرقى صنهاجه وجنوب زواوة، اى في نفس المكان الذى اشتئت به قلعه بنى حماد، انظر صفحه ١٠٤ من هذا الجزء

والحافظ العراقي؛ والشمس الغماري؛ والقاضي ناصر الدين التسسى، وابن الملة من في آخرين من ذوى الفضل والتبريز، ثم عاد إلى المغرب.

وحج سنة ٥٧٩هـ (١٣٨٨م) رفقة الإمام ابن عرقى فلقى بمحكمة المكرمة البهاء الدماميى، والنور العقىلى فأخذ عنهم، وروى صحيح الإمام البخارى عن ابن الصديق، ثم رجع إلى وطنه؛ وحج ثانية عام ٥٨١٩هـ (١٤١٦م) فكان من من لقيه وأخذ عنه في هذه المرة الإمام ابن حجر؛ وأجازه من علماء الاندلس جماعة، منهم محمد بن جزى، وابن الحشاب، وابو عبد الله القيجاطى والمحدث الحفار، والحافظ ابن علاق وغيرهم

اشتهر ابن مرزوق الحفيد بما اشتهر به جده الخطيب من الرسوخ في العام والاطلاع الواسع والتحقيق المدقق في الدرس والذكاء وحسن البيان والخطابة والتوسيع في الرواية، والاحاطة بمذاهب الفقه الاسلامي وحل مقالات المسائل العلمية والمشكلات، هذا بالإضافة إلى كرم الأخلاق مع شدته على أهل الأهواء والبدع، فاجتمع الناس يومئذ على فضله من المغرب إلى الديار المصرية واشتهر ذكره في البلاد فصار يدعى بشيخ الإسلام وعالم الدنيا

اشتى عليه تلميذه الشيخ عبد الرحمن الشعالي فقال : « هو سيدى الشيخ الإمام الحبر الهمام حبعة أهل الفضل في وقتنا وختامهم، ورحلته النقاد وخلال صفهم ورؤس المحققين وقادتهم، السيد الكبير والذهب البريز؛ والعلم الذى نصبه التمييز، ابن البيت الكبير، والملك الاخير، ومعدن الفضل الكبير.....» وقال أيضاً في موضع آخر : «شيخي الإمام العلام الصدر الأبيير المحدث الثقة المحقق بقية المحدثين، وأمام الحفظة الاقدمين والمحدثين، سيد وفاته وقاروه اوانه، ذو الأخلاق المرضية، والأحوال الصالحة السنوية، والأعمال الفاضلة الزكية». وقال تلميذه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني : «شيخنا الإمام العلام العلم جامع اشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظاً وفهمها وتحقيقها، راسخ القدم

رافع لواء الامامة بين الامم ناصر الدين بلسانه وبنائه وبالعلم، محبي السنة بفعالي
ومقاله وبالشيم، حجة الله على العلم والعالم ...»

وقال تلميذه الشيخ يحيى بن ادريس المازوني في نوازله : « شيخنا الامام
الحافظ بقية النظار والمجتهدين ، ذو التأليف العجيبة ، والفوائد الغزيرة ، مسماً في
المطالب والحقوق ... » وقال الحافظ التنسى وهو من تلامذته ايضاً : « شيخنا
الامام العلامة رئيس علماء المغرب على الاطلاق ... » وذكره ابو الحسن القلصادى
في رحلته فاشنی عليه وقال : « ادركت بتلمسان كثيراً من العلماء والزهاد
والعبد والصلاحاء واولادهم بالذكر والتقديم الشیخ الفقيه الامام العلامة الكبير
الشهير شيخنا وبركتنا ابو عبد الله بن مرزوق العجمي رضي الله عنه ... » ويکفيه
فخر ان كان من بين تلامذته رحمة الله مثل هؤلاء الجلالة: الشعالی والمازوني
والتنسی والقلصادی وابو الفرج بن ابی يحيی الشریف التلمسانی؛ والعلامة ابو
الفضل المشدالی، ونصر الزواوى، والحسن ابن کان وقاضی الجماعة بتونس عمر
القامشانی، وابراهیم بن فائد الزواوى، واحمد بن ذکری، والسيد الشریف قاضی
الجماعۃ بغرنطة، واحمد بن یونس القسطنطینی، وابو العباس احمد بن عبد الرحمن
الندرومي وعیسی بن سلامة البسکری، والشهاب بن کھیل الخ....».

واما تأليفع فقد ذكر له اهل التراجم والسير عداجماً، ولم يصلنا منها الا
القليل؛ فمن ذلك وهو ما وقفت عليه بنفسی: جزآن من شرح البخاری کان کلاههما
موجوداً بالجامع الجديد بالجزائر وهمما بخط المؤلف. ثم فقد احدهما وهو الاول
وبقى الثاني!... وهو شرحه المسمى بالمتجر الربيح، والسعی الرجیح، وكتاب
الظہار صدق المودة، شرح به بردۃ المدبیح، تکلم على کل بیت منها وشرح
بسیعه فنون، رأیت منه نسخة عند صدیقنا الاستاذ احمد بن حمودة في منزله بالایمار
بنواحی الجزائر؛ والمفاتیح المرزوقة حل الاقفال واستخراج خبابا الحزرجیة
في علم العروض والقوافی، وهو بمکتبتنا الخاصة، وكتاب اسماع الصم في اثبات

الشرف من جهة الام منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر رقم (٢٠٦٧) هذا ما وقفت عليه وعايته من تأليفه رحمه الله واما غيرها مما ماله فكثير منها ما تم تأليفه وكمل ومنها مالم يتم واليك قائمة اسمائها : شرح آخران للبردة، او سط واصغر، والمفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطسية، ورجزان في علم الحديث : الكبير المسمى بالروضة جمع فيه بين الفيتي ابن ليون والعرافي، ومحتص الحديقة اختصر فيه الفيحة العراقي، ورجوزة في الميلقات اسمهاها بالمعنى الشافى في الف وسبعمائة بيت، ورجوزة الفيحة في محاذات الشاطسية، ورجوزة نظم بها تاخيص المفتاح، ورجوزة اخرى في تاخيص ابن البناء ورجوزة نظم بها جمل الحونجى في المنطق، ذكر الصبان في حاشيته على شرح الملوى على سلم الاخضرى ان المترجم نظم الحونجى في عهد صبا به حيث لم يتجاوز سنه ست سنين؟... وقال ان ذلك اشار اليه ابن مرزوق نفسه في نظمه، ورجوزة في اختصار الفيحة ابن مالك، ونهاية الامل في شرح جمل الحونجى، واعتنام الفرصة في محادثة عالم فقصة يعني ابا يحيى بن عقيبة - والمعراج الى استمطار فوائد الاستاذ ابن سراج، اجاب به قاضى الجماعة بغير ناطة العلامة ابن سراج عن مسائل نحوية ومنطقية؛ ونور اليقين في شرح اولياء الله المتقيين؛ والدليل الموفى في ترجيح طهارة الكاغد الرومى، والنصح الخالص في الرد على المدعى رتبة الكمال للناقص، كتبه في سبعة كراسين رد به على قتوى عصريه وبليديه الامام قاسم العقbanى الذى افتى باصابة بعض اعمال واقوال صدرت عن بعض المتصوفة. فخالفه فيها ابن مرزوق. ومحتص الحاوى في الفتاوى لابن عبد البر التونسي. والروض البهيج في مسألة الحمايج وانوار الدراري في مكررات البخارى. ورسالتة في ترجمة شيخه ابراهيم المصودى وتقسيمه سورۃ الاخلاص على طريق الحکماء. وله فتاوى واجبعة متعددة اورد بعضها المازوني والونشريسي في كتابيهما، وله شرح على ابن الحاجب وشرح على التسهيل

وميز بعضهم مؤلفات الشيخ التي لم تكمل فذكر منها المتاجر الرياح
وروضة الارب في شرح التهذيب، والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل، شرح
منه الطهارة في مجلدين ضخمين، ومن باب الاقضية الى آخر الكتاب في سفرين
لخصه العالمة الراعي، واياضح المسالك في شرح الفية ابن مالك انتهى فيه الى
باب اسم الاشارة او الموصول، وهو مجلد واحد، ومجلد في شرح شواهد
شرائحها الى باب كان وآخواتها، وعقيدة اهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد
وعلى منحاج بنى السنوسى عقیدته الصغرى، والآيات الواضحات في وجه دلالة
المعجزات، والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم، واسماع الصم،
كانت وفاته رحمه الله يوم الخميس ١٤ شعبان سنة ٥٨٤٢ هـ (٣٠ جانفي ١٤٣٩ م)
وصلى عليه بجامع تلمسان الاعظم وحضر جنازته السلطان والاعيان

محمد بن يوسف الشغري

واخر القرن الثامن الهجري

هو العالم الاديب الكاتب البارع والشاعر المفلق ابو عبد الله محمد بن يوسف
القيسى التلمساني المعروف بالشغري من اشهر شعراء تلمسان وبلغائها المبرزين
المقدمين لدى سلاطينها وملوكها، وصفه المازوني في نوازله بالشيخ الفقيه الامام
العالم العالمة الاديب الارب الكاتب، وترجم له ابن ابي مريم فقال : اخذ عن
الشريف التلمساني وغيره وحله المقرى في ازهار الرياض بقوله : الفقيه العالمة
الناظم النائز.

كان رحمه الله ملازما لباطل السلطان ابى حمو موسى «الثانى» وله القصائد
الغراء الطوال التي كان ينظمها بمناسبة احتفال السلطان بليلة المولد الشريف،
ويلقى بها بنفسه في ذلك المحفوظ الجميل، منها ما نظمه في مطلع قصيده التي
انشدتها ليلة مولد سنة ٦٧١٧ هـ (٩ اكتوبر ١٣٦٩ م) :

وأنكرتني الغوانى بعد عرفان
والنفس تامرنى والشيب ينهانى
مهلا الم يان ان تخشى الم يان
ترافقب الله في سر واعلان
في اندامه من يغتر بالفانى
اقصر فان نذير الشيب وافاني
وقد تماديت في غى بلا رشد
فقدت للنفس اذ طالت بطالتها
كم من خطافي الخطايا قد خطوت ولم
فلا تغرنك الدنيا بزخرفها
وله قصيدة رفعها الى السلطان ابى حمو يصف بها تلمسان فيقول :

جددوا انسنا بباب الجياد
كلال نظمن في الاحياد
بين تلك الربا وتلك الوهاد
باديات السنى كشهب بوادي
وصفا النهر مثل صفو ودادي
ايها الحافظون عهد الوداد
وصلوها اصائل بليل
في رياض منضدات المجانى
وببروج ممشيدات المبانى
رق فيها النسيم مثل نسيبي
وزها الزهر والغضون تشت
وابنرى كل جدول كجسم
وظلال الغصون تكتب فيه
تذكر الوشم في معاصم خود
وكؤوس المنى تدار علينا
واصفرار الاصليل فيها مدام
كم غدونا بها لانس ورحنا
ولكم روحه على الدوح كادت
رقت الشمس في عشاية حتى
جددت بالغروب شجو غريب
وتحتوي القصيدة على تسع واربعين بيتا، وله غير ذلك من غرائب الشعر ولطائفه
اورده له علامه الجزائر واديها المتفنن ابو العباس احمد بن عمار نبذة في رحلته
«حلة الشيب» والمقرى في «الازهار» فراجعهما

جدول تاريخي

٥٩١٦ - ٧٣٧

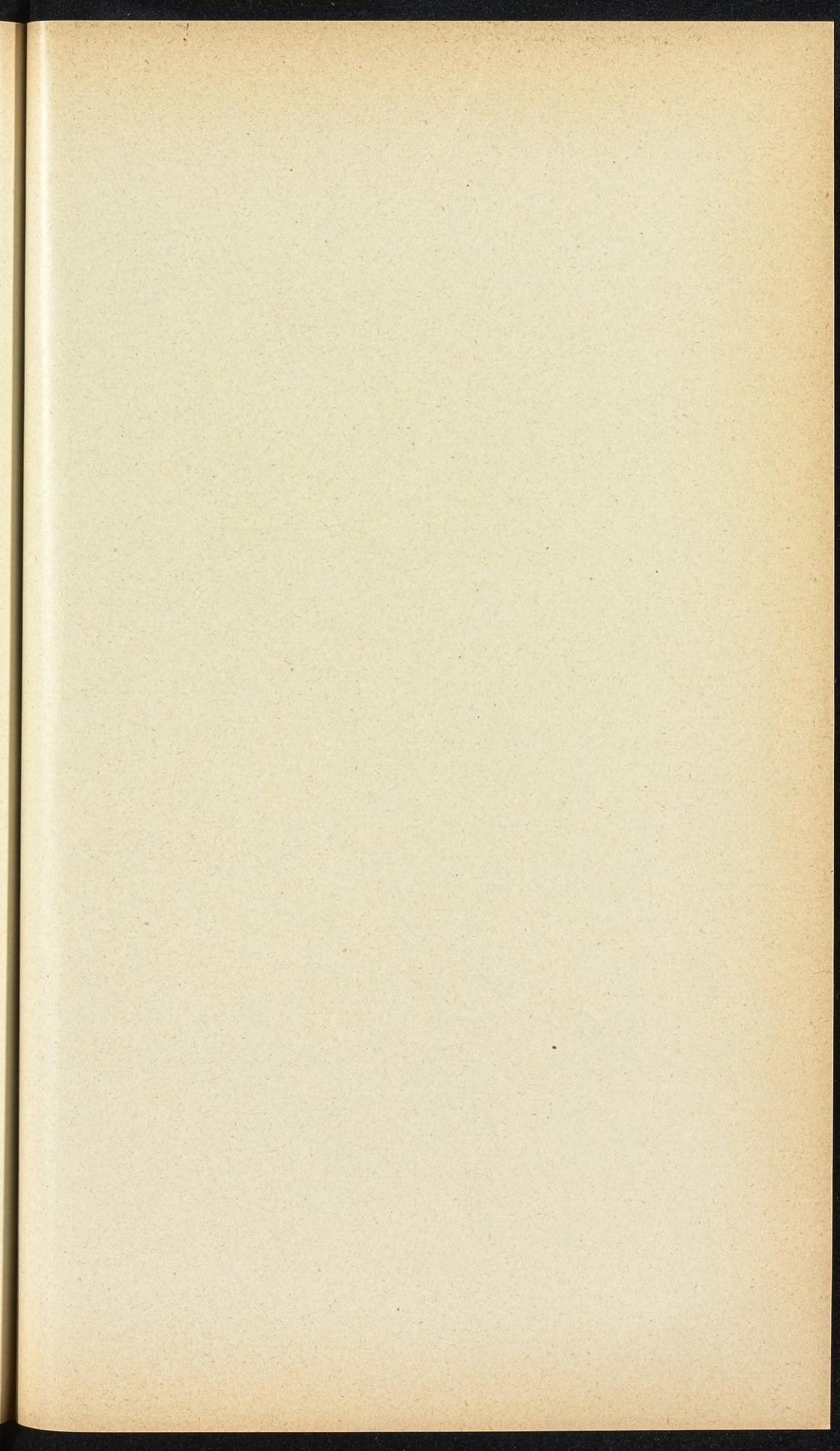
م ١٥١١ - ١٣٣٧

تاریخ الحوادث	ام الحوادث
م ١٣٣٧٥٧٣٧	بسط سيادة بنى مرین على المغرب الاوسط - الجزائر -
م ١٣٤٨٥٧٤٩	نهضة بنى عبد الواد لاسترجاع سلطتهم على الجزائر
م ١٣٥٩٥٧١٠	انبعاث الدولة الزيانية على يد السلطان ابى حمو «الثانى»
م ١٣٦٠٥٧١١	احتلال بنى مرین لتلمسان ومحارباتهم لبني زيان
م ١٣٦٤٥١٦٥	ثورة ابى زيان الفقى على ابى حمو
م ١٣٦٥٥٧٦٦	خراب مدينة الجزائر بالزلزال الهائل
م ١٣٦٦٥٧٦٧	انكسار ابى حمو في وقعة بجاية ضد الحفصيين
م ١٣٧٥٧١١	انحصار الشعالية بمتيجة والجزائر
م ١٣٧٥٧٢	سقوط تلمسان في قبضة بنى مرین وخروج ابى حمو الى البراري
م ١٣٧٢٥٧٤	عوده ابى حمو الى ملكه
م ١٣٧٥٥٧٦	مبایعه اهل مدینة تدلس - دلس - لبني زيان وانتشار المجاعة الكبرى بالجزائر
م ١٣٨٩٥٧١	ثورة ابى تاشفين ولد ابى حمو واستشهاد والده
م ١٣٩٠٥٧٢	ثورة ابى زيان بن ابى حمو
م ١٣٩٣٥٧٩	تنكر مرین لبني زيان وسقوط تلمسان في ايديهم
م ١٣٩٤٥٧٩	تناجر امراء الاسرة الزيانية على الملك - بايعاز المرینيين -
م ١٣٩٩٥٨٠	هجوم الافرنج على مدينة بونة ومرسى القل
م ١٤٠١٥٨٠	اغارة مرین وبقائها على السلطان ابى محمد عبد الله «الاول»

تاریخ الحوادث	أهم الحوادث
م ١٤١١٥٨١٤	انتصار الامير ابى مالك عبد الواحد على أخيه السلطان السعيد باعاته من زحف الحفصيين الى مملكته تلمسان وتدخلهم في سياستها
م ١٤٢٤٥٨٢٧	ثورة الامير ابن الحمراء ونهايتها
م ١٤٣٠٥٨٣٣	ثورة الامير ابى يحيى على أخيه السلطان العاقل واستيلاؤه على وهران
م ١٤٣٧٥٨٤٠	ظهور المستعين بالله بالجزائر واستيلاؤه على نواحيها
م ١٤٣٨٥٨٤٢	استرجاع السلطان العاقل لوهران
م ١٤٤٧٥٨٥١	ابداء الهجرة الاندلسية الى السواحل الجزائرية
م ١٤٥٢٥٨٥٦	ثورة الامير المتوكل واستيلاؤه على اطراف المملكة الجزائرية
م ١٤٦٣٥٨٦٦	استيلاء الاسپان على بونة - عنابة -
م ١٤٦٣٥٨٦٧	استقلال الجزائر عن الحكومة الحفصية ورفض دعوتها من الاستسلام لها
م ١٤٦٣٥٨٦٨	التجاء السلطان ابى عبدالله بن سعد المعروف بالزغلل - من بنى الائمر
م ١٤٩١٥٨٩٧	النصرانيين ملوك غرناطة - الى وهران ثم الى تلمسان، وبها
اعقب من عرف هناك بنى سلطان الاندلس	اعقب من عرف هناك بنى سلطان الاندلس
م ١٥٠٥٥٩١١	احتلال الاسپان للمرسى الكبير بوهران
م ١٥٠٩٥٩١٥	احتلال مدينة وهران ثم دلس، ثم بجاية وتونس وشرشال
م ١٥١١٥٩١٦	وسقوط السواحل الجزائرية بيد الاسپان الجزائر تحت الخطر الاسپاني

الفِسْمُ الْنَّادِي

الْجَزَاءُ الْمُظْهَرُ:



الحملة الاسبانية والاتراك

كانت الجزائر في اوائل القرن العاشر الهجري مرتعاً للحروب الاهلية المعاقة وغراضاً ملحوظاً للجانب المتنوعين، تعانى الامريين من الملوك المتناقضين والرؤساء الجائزين المتنازعين والنصارى المغيرةين تتميمًا لبراهيم وخططهم الصاللية المرسومة فـ ~~ك~~شر يومئذ ازدحامهم واشتده حاكمهم على هذا الشمال الافريقي وخاصة منه الجزائر، وذلك بعد ما قضوا على دولة الاسلام والمسلمين بالاندلس وصقلية؛ وقد من الله على اهل الجزائر واولادهم بمن يدافع عنهم ويرد صولة هذه الاعتداءات الافرنجية ويقتل سلاحها؛ وذلك بالاهمائهم الى الاتجاج الى الرئيس البحري عروج بن يعقوب المدلى التركى واخيه خير الدين التجولين بمراسكهما القرصنية بهذا البحر ايضاً المتوسط، وقد اظهر ا من البطولة الخارقة والغيرة الاسلامية على اهل الجزائر والاندلس ما يسجله التاريخ لهم بافخر ~~ذ~~كر وجزيل الشكر، فكان اتخاذ الموقف بمقابلتهم العنيفة لهؤلاء المغيرةين من الاسپان وغيرهم من دول النصرانية، ودفعهم عن الجزائر كل ما كانت مهددة به من الاخطار كما سندذكره في ملته من تاريخ الاتراك بالجزائر في هذا الكتاب ومنذ يومئذ والجزائر في كفاح واحتياج مستمر ضد الاجنبي الذي تكررت اعتداءاته المتوعنة عليه في احيان وظروف مختلفة الى اليوم؛ وستقف بنفسك فيما نعرضه عليك من مراحل تاريخ الجزائر على تفاصيل مدققة مضبوطة تتبئك بما كان ولايزال عليه الجزائريون المغاربة الانجداد من الكفاح وتطلعك على مبلغ ايمانهم وثباتهم على المبدأ واستنماتهم في سبيل تحرير البلاد من ربقة الاستعباد وقاوم الاتراك الاسپان واحتلوا تلمسان سنة ٥٩٢٣ (١٥١٧م) كما سنقصه عليك مفصلاً، ونقلوا سلطانها ابا جتو الى وهران ونصبوا مكانه ابا زيان الثالث



ولایة السلطان ابی زیان احمد «الثانی»

هو السلطان ابو زیان احمد «الثانی» بن عبد الله «الثانی» انتصب على عرش تلمسان سنة ٥٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) وكان اول ما قام به من الاعمال ان اخذ في دفع الاتراك عن ولايتهم باعتبارهم اجانب مزاحمين فاجتهد في اجلائهم عن مملكته وقتلهم حتى استشهد في طائفة عظيمة من ذويه واقربائه وبني عممه ومات يومئذ من جنده نحو الف نسمة ونزل عروج بتلمسان

زحف ابی حمو واستشهاد عروج

كان اثر ما احتل عروج تلمسان ان اسرع ابو حمو الى استنجاد الاسبان والاحتماء بهم ضد الاتراك فاعانوه وحاصروها معه تلمسان وضرروا اوتادهم بها في جمادى الاولى سنة ٥٩٢٤ هـ (ماي ١٥١٨ م)، وكان من حسن حظه ان تاخر المدد عن عروج فاضطر الى الانسحاب من العاصمة الزيانية وغادرها منتصراً فالى ناحية الوادي الملحق، وفي منصر فمه هناك بقرب مقطع الوادي اخذه فرسان الاسبان من مكمن لهم غيلة فقتلهم حتى استشهد رحمة الله بالميدان فحزوا راسه واخذوه معهم الى اسبانيا يطوفون به الشوارع تسبيينا للرعية التي كانت ترتعد فراءصها فرقاً لذكره. ويروى على السن بعض القائلة ان جسنه نقلت الى الجزائر فدفنت بجوار ضريح «سیدي رمضان» بجانب المسجد الجامع المعروف الى اليوم، وفي هذه السنة كانت وفاة السلطان ابی حمو «الثالث»



ولایة السلطان ابی محمد عبد الله «الثانی»

هو السلطان ابو محمد عبد الله «الثانی» بن السلطان ابی ثابت «الثانی» المعروف باسم محمد المتكى على الله، تولى عرش تلمسان سنة ٥٩٢٤ هـ (١٥١٨ م) والجزائر يومئذ تتداهم بين حاذبيتين عظيمتين؛ ما بين اتراك واسبان، كل منهما

يحاول ضمها اليه؛ فاحدث ذلك قلقاً واضطرباباً؛ فاجتهد السلطان ابو محمد في احمد نار الفتنة واطفائها والسعى في اكتساب مسامحة الطرفين او اهتاركة على الاقل فلم

ينجح

نوره الامير ابى سرحان و تملکه

كان الامير ابو سرحان المسعود الزيانى بعدها يقاس من طرف أخيه السلطان المذكور؛ واتفق ان فاز يوماً بعفوه فخرج من منفاه معززاً على اخذ ثاره من اجيبي بعزله عن العرش، فتنكب في طريقه إلى تلمسان وذهب مستنجداً بخير الدين التركى، فامدها امير البحر هذا بكل ما لديه من القوة، من جيش ومال، على ان ينصوئ تحت سلطنة الدولة التركية ويبايع السلطان سليم العثمانى مع دفع ضريبة سنوية إلى خزينة الدولة، فتم عقد ذلك بينهما واقتصر ابو سرحان مدینة تلمسان فامتلكها سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩م) واطرد عنها أخاه ابا محمد.

عودة ابى محمد الى الملك

ولما تمكن ابو سرحان من الملك واستقر على عرشه لم يلبث ان نزل في راسه سورة الانفة، وملكته عزة النفس فرفض العهد الذي ابرمه مع خير الدين واعلن استقلال دولته عن كل سلطة أجنبية: فاظلم الجو بينه وبين الاتراك؛ وكان اخوه ابو محمد في انتظار مثل هذه الفرص السانحة ليشب الى غرضه، وب مجرد ماظهرت هذه البداية من ابى السرحان اسرع ابو محمد الى استئثار الموقف وبدأ بادر الى خير الدين فضمن له الوفاء بما عاهده عليه اخوه من قبل، فجازه خير الدين وايده على خطته فانتصر ابو محمد على أخيه واسترجع حكم الشرعي في العرش وعاد الى ملكه كما كان. وفر ابو سرحان متسللاً في اتجاه القطر مصافتاً سيف الفتنة الى ان وقع في قبضة السلطان فاسرة، ويومئذ انقطع الملك الى مقاومة الاسنان ومطاردتهم من الجزار

نقض معاهدة الاتراك

بما ان الدولة التركية حديثة عهد بالجزائر يومئذ وانها لم تنزل في بداية امرها فلم تستكمل عدتها ولم تتمكن من بسط يدها على اطراف الوطن، نظر اليها السلطان ابو محمد نظرة استشعار واستيغاثة وبادر باعلان نقض المعاهدة والميثاق الذي ابرمه مع خير الدين، فتنصر لها الاتراك يومئذ واروه شدة باسهم، فحضر صاغرا لتنفيذ مواد الوثيقة بحذافيرها، ثم كانت وفاته سنة ١٥٢٤ هـ (١٩٣٠ م) في خلفه ولده محمد

ولادة السلطان محمد «السابع»

هو السلطان ابو عبد الله محمد «السابع» بن السلطان ابي محمد عبد الله «الثاني» تولى الملك بعد ايسه سنة ١٥٢٤ هـ (١٩٣٠ م) وشأن الحكومة الزيانية يومئذ في ادب وانهيار، فانحاز الى الاسبان محتميا بهم ضد الاتراك، واليک رسالته الحرية التي كتبها الى امبراطورة الاسبان «دونيا ايزابيل» تمثل لك مبلغ امله في الاسبان وتعلقه بهم في سياسة ضد خصومه الاتراك؛ كما تستشف منها ايضا نموذجا من اسلوب الانشاء العربي الدبلوماسي بباطل ملوك الجزائر يومئذ، جاء اولا في عنوان الوثيقة - او الرسالة - ما يلى :

«الحمد لله تعالى، حمدا كثيرا يتجدد ويتوالى، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

«الحضرۃ التي جبل في القدر قدرها، وأشتهر في الفضائل والمحافر فضلها وفخرها، حضرۃ السلطانة الجليلة الفاضلة الکاملۃ الشہیرۃ الخطیرۃ الحسینیۃ الاصیلة، الانبراطریس، دونیا ايزابیل اسعدها الله بتقواه ووفقاها لما يحبه ويرضاها كتبناه اليک من حضرتنا تلمسان حرسه الله، ونحن نحمد الله الذي

لاشيء كمثله، ونشكره على جيل احسانه وفضله، ونسأله اليمن والتوفيق في شأننا كله، وعندنا لجنابكم المرفع كرامة نستوفيهما، ومبرة لا شك فيها، وعلمنا بمجدهم الشهير، وقدركم الحظير، يستدعي الزيادة من ذلك ويقتضيهما، والى هذا فموجب كتابنا اليكم، هو اعلاماً واياكم بما نحن عليه من الوفاء القديم والتمادي من الاسباب المرعية على المنهج القويم، وقد وصلنا كتابكم المعظم، وخطابكم المكرم، صحبة خديكم الفارس المحترم لويس هرندرسون، وعرفنا منه جميع ما ذكرتم: واستوفينا ما شرحتم، فقابلنا تعريفكم بالشكر الجزيل، واثنينا على مقامكم الثناء الجميل؛ عملاً على ما ثبت لدينا من ودكم، وتقررت وتعدد وتكلر، وانتا الان وجهنا اليكم من يجدد العهد بهذه الغرض، ويقوم منه بالواجب المفترض، ويقرر لدیکم معتقدنا من صدق الوداد، وخلص الاعتقاد وهو اعز قوادنا ببابا الکريم، والمعتمد منا بمزيد التفضيل والتقدير، الاصليل المجد في ذوى الحسب الصميم، القائد المرفع المحترم، الثقة الامين على اسرارنا في البدء والختام، الفارس ابن عبد الله ابن وزير دولتنا وببلادنا ورئيس حماقنا وانجادنا الشيخ الوزير محمد بن اي غانم حفظ الله رتبته، وحرس وجهته، ومعه خديكم لويس هرندرسون اكرمه الله فوجئنا اليكم ليطالعكم بعيون الاخبار وجميع المتزايدات بهذه الاقطاع؛ وللتلقوا اليه ما ينفيذ به امركم من جلب المصالح؛ وما يعود علينا وعليكم نفع من النظر السديد والرأي الناجح فان نيتنا في ودكم ما زالت، واغراضنا حارية على ما يليق بنا ويكمل ما تبدل ولا حالت، ولا تلتفتوا لما كنا موهنا به في العام السالف من تقديم من قدمناه بوطن اغیال، وما خيلنا من تلك الاحوال؛ فمهما كم او سمع فضلاً؛ وارجح عقلاً؛ من ان يظن ان ذلك كان منا عن حقيقة؛ او اننا ارتضينا سلوك تلك الطريقة؛ بل في صحيح علمكم ما هو حالنا عليه من نهاية صاحب الجزائر وما هو يروم به من تشغيلنا في الباطن والظاهر، فجعلنا ذلك طمعاً منا في مهادنته، وحيلة

طلب محسنتها ، وما اعيانا أمره واشتد تكبيره وضره ، اظهرنا له ما كنا نخفيه من عداوته وقابله بما يليق بفساد نيته وحيث سريرتها وقد توفر الآن عننا في أعمال الحركة عليه والتوجه بكل وجه يمكن اليه ، فجميع العرب والقبائل على حربه متتفقون والى تضييقه وحصاره شارعون ، وغرضا منكم ان تبادروا بتوحيم العمارنة في الحين والوقت بالجذ والعز وتحتهدوا في ذلك غاية الاجتهاد والأخذ بالحزم وتكونوا عليه برأ وبحراً واحداً وفترة مساعدة وتجابونا مع الرسولين المذكورين بما يظهر لكم وما يقتضي في ذلك نظركم وفعلكم ، هذا ما عندنا عرقناكم به شافيا ، ولتمكيل المقاصد كافيا ان شاء الله ؛ وكتب عن امر عبد الله المتوج على الله امير المسلمين عبد الله بن مولانا امير المسلمين اي عبد الله ايدة الله ونصرة في ثامن عشر جمادي الآخرى عام تسعه وثلاثين وسبعين . « ولا يزال اصل هذه الوثيقة محفوظا ضمن مجموعة المخطوطات والوثائق السياسية الدبلوماسية المختلفة بدار المحفوظات في قلعة « سيمانتا » قرب بلد الوليد « Walla dolid » باسبانيا . ويوافق تاريخ هذه الوثيقة من التاريخ الشمسي ١٥٣٣ م .

والسبب في ان سلطان تمسان يوجه رسالته هذه باسم - الانيرا طريبي دنيا - دون زوجها شارل كان؛ هو ان زوجها الامبراطور كان يومئذ بعيدا عن اسبانيا مشغلا بمحاربة جيوش السلطان سليمان العثماني على ضفاف نهر الدنوب ونجحت سفارة امير تمسان ورأي الاسبان ان لا تقوتهم هذه الفرصة يومئذ فارسلوا اليه من اسطولهم اربع عشرة سفينة رست كلها بمرسى هنين القريبة من تمسان ، وكان قد سبق ان عقد السلطان مع الاسبان حلفا على قتال خير الدين وتعهدوا له بمقتضاه ان ينزلوا له عن مدينة الجزائر اذا استولوا عليهم . وجمع امير المسلمين قواته العسكرية المجتمعة من العرب والبربر وزحف بهم الى مدينة الجزائر ، وقد تشجع بمؤازرة الاسبان له فتحدى خير الدين ، فبادر يومئذ

خير الدين الى اعلان الحرب والتقى الغريقان على مقربة من الجزائر، فنشبت بينهما معركة عنيفة هزم فيها سلطان تلمسان ومزقت قواته ففر في فلول حبيش ورجم القهقرى الى عاصمتها، واستمر خير الدين مسيرا في اثرا ، وعندئذ اضطر السلطان الى طلب الصلاح والصفح عنه من خصميه الظافر فعفا عنه خير الدين . اما سفن الاسبان فبقيت في مرساها ترقب الفرصة ، ولم تشتراك يومئذ في القتال فامر يغرن وجودها عن السلطان شيئا (١) بل كانت عليه فيما بعد حيث غزا الاسبان بعد ذلك تلمسان في ثلاثة دفعات مستعينين باحلافهم بني راشد فنجحوا في اكلها ، واحتلوا تلمسان واهانوا بها المساجد والمعابد وعثروا بكتاب العلم والدين ؛ ثم انقلب عليهم احلافهم فانكسرت واسر عدد منهم فصار في قبضة بني زيان ومن بينهم قائدتهم « مارطان دي آكيلاو » ويومئذ جنحوا الى الاسلام فكانت هذه المعاهدة في مصلحتهم فاضطرب لذلك اهل المملكة الجزائرية قاطنة واشتد هيجانهم لهذه المعاهدة المشؤومة عليهم فنهض لها ابو زيان فخلع اخاه وتولى مكانه .

ولاية السلطان ابی زیان احمد (الثاذی)

(١) محمد عبد الله عنان : مجلة الكتاب ؛ جادى الاولى ١٣٧٢ هـ

الثاني - جولیط - من هذه السنة وكانت هنالك الخيانة في خاتمة الحملة الاسلامية
زحف السلطان المخلوع الى تلمسان

عاد السلطان المخلوع مع حماته الاسبان الى مقاومة أخيه ابى زيان وكان اللقاء
 بينهما في شوال ٩٥٠ هـ جانفي ١٥٤٣ م ، بشعبة اللحم بنواحى عين تموشنت
 فانهزم ورد بخيته ، ثم كرر حملته مستعيناً بعاهل النصرانية «شارل كان» فجاء
 العاهل ومعه في هذه المرة عشرة آلاف مقاتل فاحتل تلمسان في ذي الحجة ٩٥٠ هـ
 (١٥٤٤ م) وعثا الجندي الاسباني فيها بما لا يتعلمه سباع الغارة فاخذل ابو زيان
 واستعاد ابو عبد الله عرشه

خيبة ابى عبد الله وعودة ابى زيان

ولما كان اتصار ابى محمد على أخيه وتسلطه على العرش بطريق غير شريف
 حيث استهض على أخيه الصليبيين وجاء باعداء الاسلام الى هذه البلاد المسلمة ،
 اعتمد غيش الرعية عليه فقاومته وانتقمت منه فخرج منهزم الى قبيلة [انكاد]
 على نحو ثلاثة كيلو متراً من وحدة مستعيناً باحلافه الاسبان ؛ فاختفى في سيرة
 وانكسر شر انكسار ثم قتل ؛ وعاد ابو زيان الى العرش .

استئراف الدولة السعدية

ما برحت دولة الاشراف السعديين بالغرب الاقصى تنظر الى حوادث الجزائر
 وتتبع وقائع المملكة الزيانية بغاية الدقة والعناء ، ولم تزل ترقب جميع حركاتها
 وسكناتها حتى ستحت لها في هذه المرة — وسط هذه الفلاقل والاضطرابات —
 فرصة الوفوب لضمها الى مملكتها ، فانهزمت بها وزحف سلطانها المولى محمد المهدى
 السعدي بنفسه الى المغرب الاوسط فاحتل تلمسان بدون معارضة من اهلها ، وذلك
 يوم الاثنين ٢٣ جمادى الاولى ٩٥٧ هـ [٩ جوان ١٥٥٠ م] ؛ واشيم يومئذ انه
 قادم على غزو مدينة الجزائر وطرد الاتراك منها ، فاسخط ذلك باي لاربائى

الجزائر واسرع ببعث الحامية الى تلمسان فالتحق الجمعان قرب مستغانم على ضفاف الوادي الملاوح فانهزم السعديون الى داخل المغرب الاقصى وتقدم حاكم الجزائر حسن باشا الى تلمسان فعزل عنها ابا زيان وولي مكانه مولاي الحسين بن عبد الله الزيانى تحت اشراف وتصرف الضابط التركى سفطنة



ولاية السلطان مولاي الحسن

هو السلطان مولاي الحسن بن عبد الله «الثانى» آخر ملوك دولة بنى عبد الواد الزيانية بالجزائر؛ تولى عرش تلمسان سنة ٥٩٥٧ هـ (١٥٥٠ م) تحت اشراف دولة الاتراك بالجزائر، فكان وهو في ملکه جالساعلى عرش اجداده كعامل موظف على هذه الولاية لاغير؛ اذ ليس له من النفوذشى، ويصفه التاريخ بالعجز والقصور في تدبير سياسته وتسيير مملكته، وان عهده كان عهد ظلم وعسف، واظهر ميله للاسبان فنقم عليه الناس وابتعدوا عنده فجرم مودة شعبه؛ واجم مجلس العلماء يومئذ على عزله، فبادر حيئذ باى لاربائى الجزائر صالح رئيس الى خلعه؛ فخرج آشد ٥٩٦٢ هـ (١٥٥٤ م) الى وهران فتوفي بها سنة ٥٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م)؛ وقيل انه توفي بالاندلس وتنصر هنالك ولده... وضمت اعمال تلمسان نهائيا الى حكومة الجزائر التركية، وانقرضت بذلك دولة بنى زيان وذوي غصتها الغض الى عالم الفناء والله عاقبة الامور.

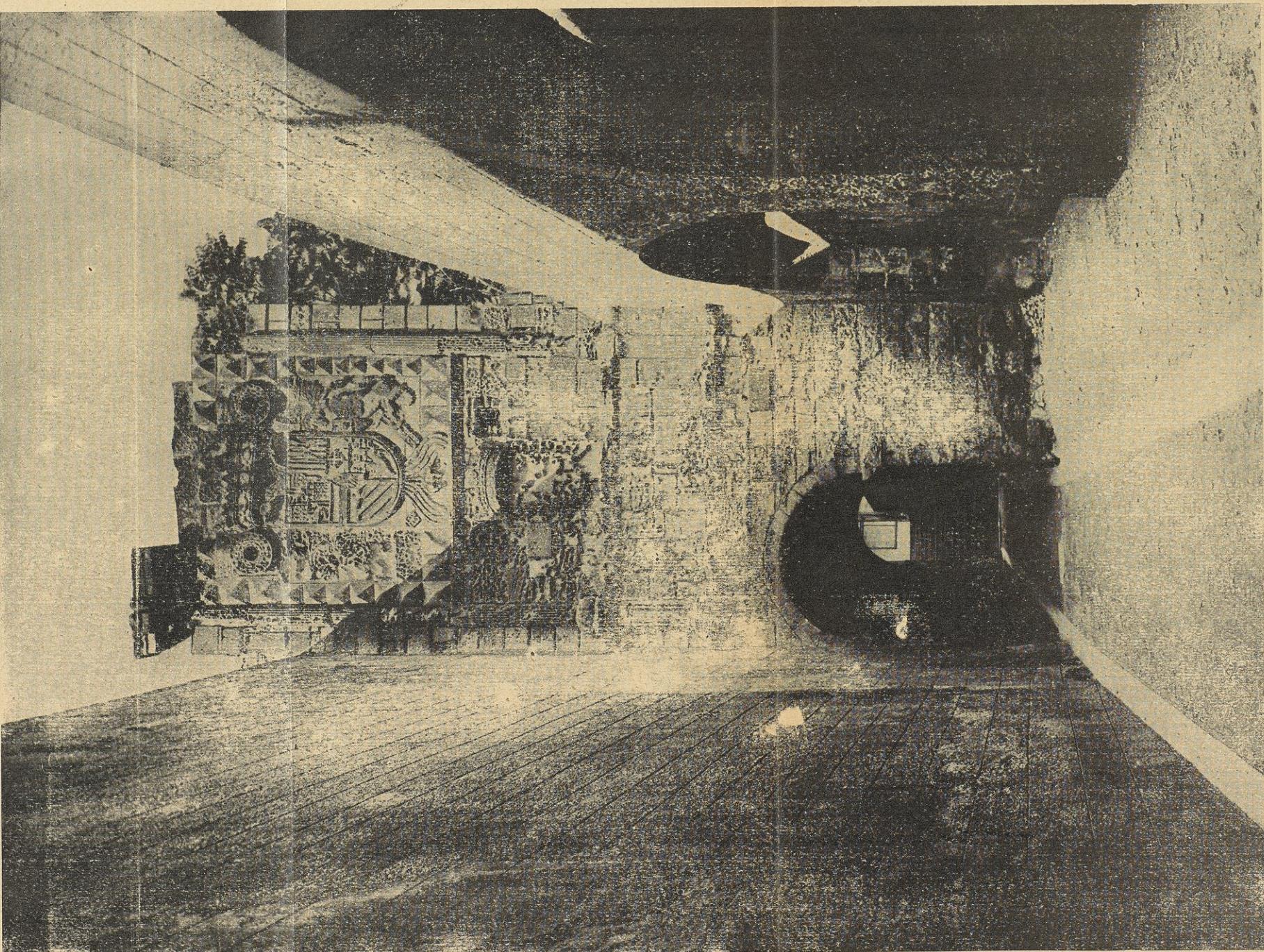
خلاصة حوادث الاسپان على عهد بنى زيان

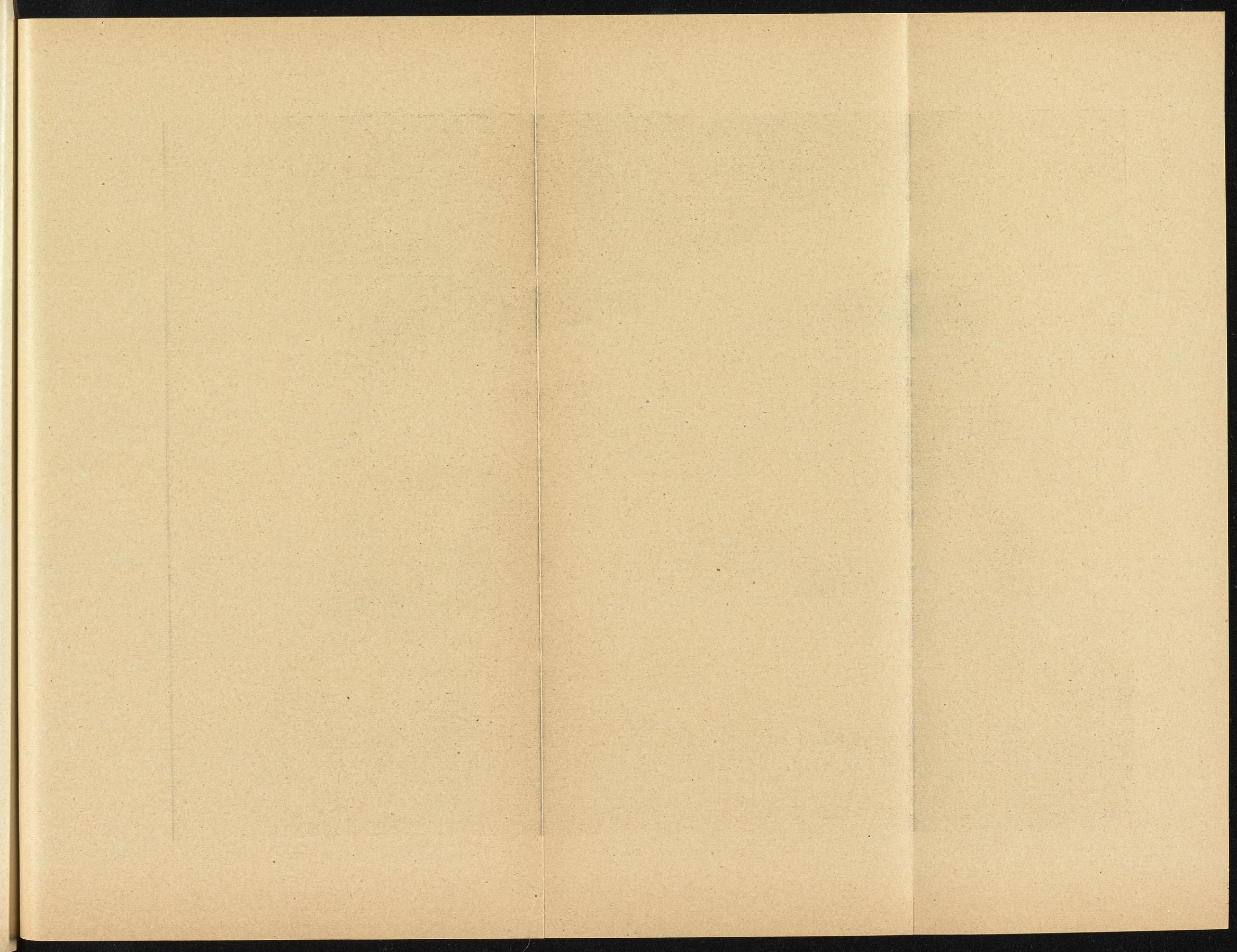
كان ابتداء اتصال الاسپان بالجزائر واحتلالها كهم بها منذ سنة ٥٩١١ هـ [١٥٠٥ م] حيث نزلوا بالمرسى الكبير ثم بوهران نفسها كما ملحوظنا الى ذلك فيما تقدم قريبا، ثم امتد بهم الجيش والطمم الاستعماري الى السواحل الجزائرية فامتلكوا منها بجاية ودلس ومستغانم الخ... وقد استفحى أمرهم على عهد الحاكم

الاسبانى «الكونت الكوديت» حين ولادته على وهران ٩٥٠-٩٦٥ هـ [١٥٣٤-١٥٥٨] فاستحوذوا على ما بين جبال كريشتل شرقا الى «رأس فالكون» غربا والى نواحي اغلال قرب السبخة الكبيرة جنوبا؛ وكان من اهم الوقائع واهوال الحروب يومئذ هي وقائع انكاد ومستغانم ووهران ومسرغين؛ ولقد مات بجميعها نحو ثلاثة آلاف جندي اسباني؛ ثم تليها حوادث تلمسان وقنطرة الصفاصاف وارزيو ووادي يسر وتنس؛ وتكررت الزحوف والتهجمات من طرف الاسпан على مدینتي تلمسان ووهران بالخصوص وكانت شديدة على الجزائريين، وكثرت الاشتباكات والملاحم الحربية ما بين الاتراك والاسпан تارة ومع بنى زيان تارة اخرى وتعددت المعارك بين هؤلاء وهؤلاء وكان النصر فيها سجالا، وانضوى كثيرون من سكان البوادي كبني عامر وبنى راشد ومليلة وتلسلط و«المغطسین» وغيرهم تحت حماية الاسпан، وامتد حيئذ طغيانهم الى مس نفوذ الاتراك بالجزائر ويومئذ تمر لهم الاتراك فوضعوا ايديهم على سير الحوادث الوجهانية وشاركوا اهلها في مقاومة النفوذ الاسپاني ورد عادتهم عن الوطن الجزائري برا وبحرا وكانت لهم في ذلك مواقف حاسمة

كان لتوالي كثرة هذه الاهوال الحربية والاضرابات السياسية، وعدم ترکز احتلال الاسпан على قواعد الاجتماع ووسائل الدفاع الاساسية اثر ظاهر في تدهور وهران وتقهقرها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، فكانت لذلك طيلة احتلال الاسпан لها وجودهم بها بمثابة نكحة حرية تحيط بها الاسوار والحيطان وتحتلها المسارب والاتفاق وتعلوها الكآبة والبؤس والشقاء لغير ... وكان موقف هؤلاء الغاضبين هو دائمًا موقف الخصم العنيد والعسكري الحقوقد الذي لا يشقق ولا يرحم، يقودونهم الساسة العسكريون المستبدون المستقلون عن بعضهم، ومن ورائهم القساوسة والرهبان من رجال الكنيسة المتعصبة؛ وذلك ما حملنا على القول جازمين باستمرار الحروب الصليبية واتصالها الى المغرب بعد ما كانت نيرانها مستعيرة

بقية من بناء قصر القصبة الاسباني بوهران





بالمشرق؛ وهكذا الى اوائل القرن التاسع عشر الميلادي حيث كتب لها الانتصار على الشرق الاسلامي فسقطت الجزائر تحت نير الاستعمار... وقد لحق الاماكن الجزائرية المحتلة ايام الاسبان من الاهانة ما الله به عليم فكانت مدة اقامتهم بها كلها محنّة وبلاء في بحر تحى من القتن متلاطم الامواج لا يقر له قرار؛ وستائيك بقية حوادث الاسبان مفصلة مساقة خلال ما نسطره من تاريخ الدولة التركية بالجزائر

المجمجم الجزائرى

يتأكّد على كل من يود الاطلاع او يريد الاحاطة بالحياة الاجتماعية لاي شعب ان يتتحقق اولا ويدرس دراسة وافية لعادات ذلك الشعب الذي يريد الاطلاع على حالتى وان يحيط علما بتقاليد واخلاقه وعاداته ما شذ منها وما شاع غير متحاشى من ذلك شيئا مع التمكّن من معرفة ما امكن من مشخصات ذلك الشعب ومقوماته في جميع اطوار حياته ما حضر منها وما غبر، متبعا مستقصيا لانتظام علاقاته بغيره من الشعوب ومن اتصل بهم او اتصلوا به من قريب او بعيد

ونحن اذا نظرنا الى اهل الجزائر بهذا الاعتبار وجدناهم في الطبيعة معدودين من اهل الطبقة الراقية يومئذ بشهادة التاريخ نفسه وهو اصدق الشاهدين واعدل الحاكمين. قال يحيى بن خلدون «انهم كانوا ذوى اخلاق سريعة، وطبع كريمة، من صفاتهم الحياة والوقار والوفاء بالعهد والعفاف والتدين والاقتصاد في المعاش واللباس والسكنى (١) فان قلت ان هذه الصفات جاءت في وصف اخلاق بنى عبد الواد خاصة، قلنا نعم واجل، هم سادة الوطن ورؤساؤه والناس كما قيل على دين ملوكهم وقدتهم وانما صلاح الرعية بصلاح سادتها ورؤسائها

والعكس بالعكس .

ثم ان طبقات الامة الجزائرية يومئذ منحصرة في اربعة اصناف من الناس ، فانك لا تجد الجزائري الا تاجر او محترفا او هو طالب للعلم معلما او متعلما ، او جنديا مع الجيش يدافع عن بيضة الاسلام وشرف وطنه ، لا خامس هنالك ، وقد ازدهرت الجزائر يومئذ بالوافدين عليها من مهاجري الاندلس ومعظمهم من مهرة الصناع والزارعين واهل العلم واليسار الذين درجوا في مهد الحضارة بالفردوس المفقود ، فاخذوا هنا بمهجرهم يمارسون مهنة الراقية في وطنهم الجديد؛ وكان يبلغ عدد سكان المدينة الواحدة من المدن الجزائرية الشهيرة كتلمسان مثلما المائة والخمسين الف نسمة ، وكان بوهران يومئذ نحو السنتين الف نسمة .

الاقتصاد والادنـاج بالجزائر

الاقتصاد كامنة عامة يراد بها - كما هو معلوم - كل ما يشتمله معنى تدبير المعاش وانماء الثروة بكل انواع الكسب والاحتراف مهما تعددت الالوان واختلفت المظاهر من جميع انواع الحرف والصناعات وما تقتضيه المعاملات التجارية بين الناس في مختلف انواع البضائع والسلع مهما تباينت المتأجر والاسواق وتعددت الاساليب والمسالك وتنوعت المرافق والاسباب . كل ذلك دفعا للاعسار وتحملا باليسار وجلبا للرفاية العامة التي تبني عليها سعادة الشعب وترقيته ماديا ومعنويا .

ونحن اذا جئنا في تاريخ الجزائر الاقتصادي واحتتجنا في ذلك الى الادلة الصورية ظفرنا بقواطع الحجيج والشواهد الكثيرة على ذلك مما جعل الجزائري في المكان الاول بين صفوف الامر الراقي الذي سابت غيرها في هذا المضمار ، وذلك ما صير لهذا الوطن المغوري الكبير ما يحظى به من موقع لدى الدول القديمة والجديدة كما هو كذلك عند علماء الجغرافية والتاريخ منذ القدم الى اليوم؛ فقرارهم مهما ذكروا الجزائري

أو اتفصروا على ناحية منها الا واثنو علية خيراً وعدوا في ذلك زروعها الغزيرة
ومنتوجاتها المتنوعة الكثيرة واسواقها العامرة وصناعاتها النافقة ومياهها الدافقة؛
الم يشهد التاريخ الروماني القديم لهذا الصقعم المبارك بالخصب الممرع ورفاهية
العيش ؟ الم بسميه في اصطلاحه بخزينة او مزرعة روما «Romæ graniarum»
اذ كان يمدنا ويخذلها بمقدار واوفر من المحصولات كالحبوب والقوافل والمحجر
والصوف والخشب والمarmor والزياراتين «Afrique a été le grenier de Rome»
بلى وربى انه لحق ! .. وتعالى معى الان ايها القاريء الكريم الى جولة استطلاعية
ونظرة تاريخية عامة نقليها على هذا الوطن الجزايرى الخصب الشرى صحبة
الرحالة المغربي العظيم الشريف الادريسي وهو يحدثنا من كتابه الجغرافي
الحافل : « نزهة المشتاق في اختراق الافق » حول بعض امهات المدن والقرى
الجزائرية فانصب اليه اذ يقول :

« ومدينة الجزائر على ضفة البحر وشرب اهلها من عيون على البحر عذبة
ومن آبارها ، وهى عاصمة آهلتها وتجارتها راجحة واسواقها قائمة وصناعاتها نافقة
ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر ورعايتهم الحنطة والشعير واكش
اموالهم المواشى من البقر والغنم ويتخذون النحل كثيرة فلذلك العسل والسمن
في بلدهم كثير وربما يتوجه بهمما الى سائر البلاد والاقطاع المجاورة لهم
والمبتاعدة عنهم ، واهلها قبائل ولهم حرمة مانعة

ويسوقنا الادريسي الى عاصمة بنى عبد الواد - تلمسان - مندفعا في حديث
الجغرافي قائلا : « ان لها نهر اياتها من جبلها المسعي بالصخرتين ، وان هذا
الوادي يمر في شرق المدينة وعليه ارحاء كثيرة وما جاورها من المزارع كلها
سقى ، وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة ، وخيراته شاملة ، ولحوها
شحمة سمينة ، وبالجملة انها حسنة لرخص اسعارها ونفاق اشغالها ومرابح
تجاراتها؛ ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة اغمات وفاس اكثرا من اهلها

اما لا ولا ارفه منهم حالاً» وذكرها البكري قبله في مسائله قائلاً «وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها اسواق ومساجد ومسجد جامع واشجار وانهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف، وهي دار مملكتة زنانه وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق». ويمضي الادريسي في حديثه عن ضواحي تلمسان فيذكر منها قرية العلوين – وهي على مرحلة من تلمسان – فيقول: انها قرية كبيرة عامرة على ضفة نهر ياتيها من القبلة وفواكهها فاضلة وخيراً لها شاملة.

ويزيدنا الملك ابو الفداء (٥٧٣٢ - ١٣٣٢) بفائدة جليلة عن تنقل القوارب وجوان المراكب البحريّة في نهر تلمسان فيقول: «ويستدبر النهر بقبليها وشرقيها ويدخل فيه السفن المطاف حيث يصب في البحر»^(١) ونعود الى الادريسي لنتعمم اليه فيما يذكر لنا عن حركة هنین – فرصة تلمسان – فنجده يقول: وهنین مدينة حسنة صغيرة في نهر البحر وهي عامرة عليها سور متقدن واسواق وبيع وشراء وخارجها زراعات كثيرة وعمارات متصلة وفي وهران يقول: ووهران على مقربة من ضفة البحر، وعليها سور تراب متقدن، وبها اسواق مقدرة وصنائع كبيرة وتجارات نافقة وهي تقابيل مدينة المريّة من ساحل بر الاندلس وسعة البحر بينهما مجرىان، ومنها اكثراً ميرة ساحل الاندلس ولها على بابها مرسى صغير لا يسمى شيئاً، ولها على ميلين منها مرسى الكبير، وبه ترسى المراكب الكبار والسفن السفرية وهذا المرسى يستمر من كل ريح وليس له مثال في مراسى حائط البحر من بلاد البربر، وشرب اهلها من واد يجري اليها من البر وعلمه بساتين وجنات وبها فواكه ممكنة واهلهما في خصب والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والبقر، والغنم به ارخيصة بالثمن اليسيير ومراتب الاندلس اليها مختلفة وفي اهلها دهقنة وعزّة نفس ونحوه.

(١) تقويم البلدان لابي الفداء ص ٧٠ ط الجزائر ١٨٣٩ م

ويتحدث عن مدينة «يلل» فيقول : بها عيون ومياه كثيرة وفواكه وزروع وبالادها حيدة للفلاحه وزروعها نامية . وعن ارزاؤ - ارزيو - فيقول انها قرية كبيرة تجلب اليها الحنطة فيسيرا بها التجار ويحملونها الى كثيرة من البلاد . ويذكر لنا قسنطينة فيقول : انها من احسن بلاد الله وهي مطلة على فحوص متصلة بها ، وانها عامرة وبها اسواق وتجار واهلها ميسير ذوو اموال واحوال واسعة ومعاملات للعرب وتشارك في الحرث والادخار ، ولها مزارع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها ، ولها في داخل المدينة وسم سورها مسقى يستقون منه ويتصرفون منه عند اوقات الحصار لها من طرقها ; والحنطة تقيم بها في مطامرها مائة سنة لا تفسد والعسل بها كثير وكذلك السمن يتتجه به منها الى سائر البلاد . ويحدثنا البكري عن مدينة مستغانم بانها مدينة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء ويندر في ارضها القطن فيجود .

ثم ينتقل بنا الا دريسى الى الكلام على مدينة تاهرت فيقول : ومدينة تاهرت كانت فيما سلف من الزمان مدتيتين كبيرتين احداهما قديمة والاخري محدثة والقديمة من هاتين المديتين ذات سور وهى على قمة جبل قليل العلو وبها ناس وجمل من البربر ولهم تجارات وبضائع واسواق عامة وبارضها مزارع وضياع جمة وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن ؛ واما البقر والغنم فكثيرة بها جداً وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة مباركة ، وبمدينة تاهرت مياه متعددة وعيون جارية تدخل اكبر ديارهم ويتصرفون بها ، ولهم على هذه المياه بساتين واشجار تحمل ضربا من الفواكه الحسنة وبالجملة انها بقعة حسنة . وقد تحدث عنها قبله ابن حوقل فقال : والتجار والتجارة بتغيرت اما حدثنا اكثير ولهم مياه تدخل اكثير دورهم واشجارهم وبساتين كثيرة وسمات وحانات وهي احد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهيد ويكتسر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات .

ويصف لنا الشرييف القلعة الحمادية وما آلت اليه من بعد يقول : والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجایة دار الملك لبني حماد وفيها كانت ذخائرهم مدخلة وجميع اموالهم مختزنة، ودار استحقاقهم والخططة تختزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعترضها تغيير، وبها من الفواكه المأكولة والنعم المستحبة ما يليحقة الانسان بالشمن اليسير، ولحومها كثيرة وبلادها وجميع ما ينضاف اليها تصالح فيها السوائم والدواوب لأنها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم اذا كثرت اغاثت واذا قلت كفت، فأهلها ابد الدهر شباء واحوالهم صالحة.

كما انه يحدثنا ايضا عن اشير زيري فيقول : انه حصن حسن البقعة كثير المنافع ولها سوق يوم معروف يجلب اليه كل لطيفة وبياع به كل طريفة. واما عن مدينة تنس فإنه يقول : لها في جهتها الشرقية واد كثير الماء وشرب اهلها منه في ايام الشتاء والربيع، وبها فواكه وخصب واقلاء وحطاط ولها اقاليم واعمال ومن اروع وبها الخططة ممكنته جدا وسائل الحبوب موجودة وتخرج منها الى كل الآفاق في المراكب، وبها من الفواكه كل طريفة ومن السفر جل الطيب العنق ما يفوت الوصف في صفة وكمبره وحسنها.

ويذكر لنا مدينة مليانة عاصمة مغاروة فيقول : «هي مدينة قديمة البناء حسنة البقعة كريمة المزارع ولها نهر يسقي اكثر مزارعها وحدائقها وجناتها ولها ارحاء على نهرها المذكور ولا قليمه حظ من سقي نهر شلف،

ويصف لنا مدينة برشك فيقول : انها صغيرة على تل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر وشرب اهلها من عيون ومؤها عذبة واقتصرها الملك المعظم رجار - ملك النرمان - سنة ه وبها فواكه وحمل مزارع وخططة كثيرة وشعير. ويقص علينا خبر مدينة شرشال انها : صغيرة القدر لكنها متحضره وبها مياه جارية وابار معينة عذبة وبها فواكه حسنة كثيرة وسفر جل كسر الجرم ذو اعناق كاعناق القرع الصغار وهو من الطرائف غريب في ذاته وبها كروم

وبعض شجرتين، وما دار بها بادية لاهلها مواعش واغنام كثيرة، والنجيل عندهم
كثير والعسل بها ممكن واكثر اموالهم الماشية ولهم من زراعة الحنطة والشعير
ما يزيد على الحاجة... ومدينة مرسي الدجاج ~~كثيرة~~ القطر لها حصن دائم
بها وبشر قليل: وربما فرعونها اكثر اهلها في زمن الصيف ومدة السفر خوفا
من قصد الاساطيل اليها، ولها مرسي مامون ولها ارض ممتدة وزراعات متصلة
واسابة اهلها في زرعهم واسعة وحيثتهم مباركة وسائر الفواكه والاجوم بها
كثيرة وتتابع بالثمن اليسير، والتين خاصة يحمل منها شرائج طوباً ومتشاراً إلى
سائر القطرات واقاصي المدائن والأقصى، وهي بذلك مشهورة.

«ومن مدينة مرسي الدجاج إلى مدينة تدلس ٤٠ ميلاً وهي على شرف
محصنة لها سور حصين وديار ومنتزهات وبها من رخص الفواكه والأسعار
والطعام والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله، وبها الغنم والبقر موجود كثيراً
وتتابع جملتها بالاثمان اليiser، ويخرج من ارضها إلى كثير من الآفاق»

«ومن تدلس إلى مدينة بجاية في البر ٧٠ ميلاً وفي البحر ٩٠ ميلاً؛ ومدينة
بجاية على البحر لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون
وهو جبل سامي العلو صعب المرتفق وفي اكتافه جمل من النبات المستف用力 في
صناعة الطب مثل شجر الحمض والسبولوقدوريون والبرباريس والقطوريون
الكبير والزراوند والقسطون والافستين وغير ذلك من الحشائش. ويتحدث
عنها البكري ايضاً فيقول: ان بشرقيها نهر تدخله السفن محملة

«ومن القلعة - الحمادية - في جهة المشرق مدينة محددة تسمى (برج)
الغدير وبينها وبين القلعة ٨ أميال والغدير مدينة حسنة واهلها بدو ولهم من ارع
وارضون مباركة والحرث قائم الذات والاصابة في زروعها موجودة والبركات
في معاملاتهم كثيرة وبين المسيلة والغدير ١٨ ميلاً. وناهيك برخص اسعارها
فالقططار من العنبر يساوي عندهم درهماً واحداً كما ذكره البكري».

ويذكر ميلة فيقول عنها : مدينة حسنة كثيرة الاشجار ممكنته الشمار
وفواكهها كثيرة ومحاسنها ظاهرة ومياهها غدقة.

ويحدثنا عن مدينة حيجل فيقول انها : مدينة حسنة بها الالبان والسمن
والعسل والزروع الكثيرة؛ وبها الحوت الكبير العدد المتناهى الطيب والقدر،
وهو القائل ايضا عن سطيف انه حصن كبير القطر كثير الخلق كالمدينة وهو
كثير المياه والشجر الشمر بضروب من الفواكه ومنها يحمل الجوز لكترنى
بها الى سائر الاقطار وهو بالغ الطيب حسن ويعان بها رخيصا.

ويعرض رحالتنا الى بلدة مازونة فيقول : ان لها انهارا ومزارع وبساتين
واسواقا عامرة ومساكن مونقة ولسوقها يوم معلوم يجتمع اليه اصناف من البربر
بضروب من الفواكه والالبان والسمن والعسل كثير بها وهي من احسن
البلاد صفة واشرها فواكه وخصبات؛ وينتقل بنا الى الحدث عن مدينة مرسي
الخرز فيقول : انها مدينة صغيرة علية سور حصين ولها قصبة وحوالها عرب
كثير وعمارة اهلها لها على صيد المرجان؛ والمرجان يوجد بها كثيرا وهو
اجمل جميع المرجان الموجود بسائر الاقطار... ويقصد التجار من سائر البلاد
الى هذه المدينة فيخرجون منه الكبير الى جميع الجهات ومعدن هذا الجوهر
في هذه المدينة مخدوم في كل سنة ويعمل به في كل الاوقات الخمسون قاربا
والزائد والناقص وفي كل قارب العشرون رجلا وما زاد ونقص، والمرجان
ينبت كالشجر ثم يتحجر في نفس البحر بين جبلين عظيمين ويصاد باللات
ذوات ذواب كثيرة تصنف من القنب، تدار هذه الآلة في اعلى المراكب فتنتف
الحيوط على ما قاربها من نبات المرجان فيجد به الرجال الى افهمهم، ويستخرجون
منه الشيء الكبير مما يباع بالاموال الطائلة وعمدة اهلها على ذلك

ويذكر لنا الادريسي غابر مدينة بونة وحاضرها على عهده فيقول :
انه كان بها اسواق حسنة وتجارة مقصودة وارباح موجودة، وكان فيها كثير من

الخشب موجود حيد الصفة، ولها بساتين قليلة وشجر وبها من انواع الفواكه ما يعم اهلها وَاكثُر فواكهها من باديتها والقمح بها والشعير في اوقات الاصابات كا وصفنا كثير جداً، وبها معادن حديد حيد ويزرع بارضها الكتان، والعسل بها موجود ممكّن وكذلك السمن واكثر سوائمه البقر ولها اقاليم وارض واسعة تغطي العرب عليها. ويند كرها البكري بمثل هذا ايضاً مع افادته لنا بان اكثُر تجارها انجلسيون وان مستخلصها غير جبائية بيت المال عشرون الف دينار.

ويتحدث الاذرسي عن قرية مسكيانه فيقول: انها قرية عامرة قديمة ازليه وبها زروع ومسلاسل وعيون، ولها سوق ممتدة كالسماط، وهي اكبر من مرماجنة - مدينة تقع بالشمال الغربي من ترسن - كما انه يذكر لنا مدینه ندرومة فيقول: انها مدينة كبيرة عامرة آهله، ذات سور وسوق موضعها في سند، ولها مزارع كثيرة واهـا واد يجري في شرقها وعليه بساتين وجنات وعمارة وسقي كثیر. ويند كرها البكري ايضاً فيقول: لها نهر وبساتين فيها من جميع الشمار.

ويستمر الشريف الاذرسي في حديثه عن اقطار البلاد الجزائرية متوجولاً بنا هنا وهناك محترقا للاقلاق كأشفالنا عن مخبات كنوز ارضنا الخصبة وببلادنا الغنية الثرية فتراه يقف بنا هنا على اشهر بلاد الزاب واصفانا منها مدينة المسيلة وطبلة ومقرة وتقاويس وبسكرة وبغاية؛ فاستمع اليه اذ يتتحدث عن الاولى منها فيقول: «هي عامرة في سبط من الارض ولها مزارع ممتدة اكثـر مما يحتاج اليها، ولها سوائـم خيل واغنام وابقار وجنات وعيون وفواكه وبقول ولحوم ومزارع وقطن وقمح وشعير ويسكنها من البربر بنو برباز وزناداج وهوارة وصدراته ومزاته؛ وهذه المدينة ايضاً عامرة بالناس والتجار وهي على نهر فيه ماء كثـير مستنبط على وجه الارض وليس بالعميق وهو عذب وفيه سمك صغير فيه طرق حمر حسنة

ولم ير في بلاد الارض المعمورة سmek على صفتة ، واهل المسيلة يفتخرن به ، ويكون مقدار هذا السmk من شبر الى ما دونه وربما اصطيف منه الشيء الكثير فاحتمل الى قلعة بنى حماد وبينهما ١٢ ميلا ، وتخرج من المسيلة الى مقربة من حلتها ، وهي مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب واهالها يزرون الكتان وهو عندهم كثيـر .

ويتحدث عن طينة فيقول : انها مدينة الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير ، وعليها سور من تراب واهالها اخلاط وبها صنائع وتجارات واموال لاهالها متصرفة في ضروب من التجارات والتمر بها كثيـر وكذاك سائر الفواكه ... ومدينة نقاوس صغيرة كثيرة الشجر والبساتين واكثـر فواكهـا الحـوز وـمنـها يـتجـهـزـ بـهـ الىـ ماـ جـاـورـهـاـ منـ الاـقطـارـ وبـهـ سـوقـ قـائـمةـ وـمـعـاـيشـ كـثـيرـةـ ... وـمـنـ مـدـيـنـةـ نـقاـوسـ اـيـضاـ الىـ حـصـنـ سـكـرـةـ منـ التـمـرـ كلـ غـرـيـبةـ وـطـرـيـقةـ ، وـيـخـبـرـنـاـ عـنـ اـهـلـ وـارـجـلانـ - وـارـقـلةـ - بـانـهـمـ قـوـمـ مـيـسـيـرـ وـتـجـارـ اـغـنـيـاءـ يـتـجـوـلـونـ فـيـ السـوـدـانـ الـىـ بـلـادـ غـانـةـ وـبـلـادـ وـنـقـارـةـ يـشـتـرـونـ التـبـرـ عـلـىـ اـهـلـهـاـ وـيـخـرـجـونـهـ الـىـ دـوـرـ السـكـكـ فـيـ بـلـادـهـمـ فـيـضـرـبـونـهـ دـنـانـيـسـ بـاسـمـ بـلـادـهـمـ وـيـتـصـرـفـونـ بـهـاـ فـيـ التـجـارـاتـ وـالـبـصـائـمـ هـكـذـاـ فـيـ كـلـ سـنـةـ (١) كـمـ يـحـدـثـنـاـ الـبـكـرـيـ عـنـ الـمـحـصـوـلـاتـ فـيـ بـاغـيـةـ وـطـوـلـقـةـ وـقـزـرـوـنـهـ فـيـقـولـ عـنـ الـأـوـلـيـ : اـنـهـ مـدـيـنـةـ جـلـيلـةـ اـوـلـيـةـ ذاتـ اـنـهـارـ وـثـمـارـ وـمـزـارـعـ وـمـسـارـحـ . وـعـنـ الثـانـيـةـ يـقـولـ : اـنـهـ ثـلـاثـ مـدـنـ كـلـهـاـ عـلـيـهـاـ اـسـوـارـ طـوـبـ وـخـنـدقـ وـحـوـلـهـاـ اـنـهـارـ وـهـيـ كـثـيرـ الـبـسـاتـينـ بـالـنـبـرـيـتـونـ وـالـاعـنـابـ وـالـنـخـيلـ وـالـشـجـرـ . وـيـتـحـدـثـ عـنـ الثـالـثـةـ بـانـهـاـ عـلـىـ نـهـرـ كـثـيرـ عـلـيـهـ الـارـحـاءـ وـالـبـسـاتـينـ ، وـيـقـالـ لـهـاـ مـتـيـجـةـ وـلـهـاـ مـزـارـعـ وـمـسـارـحـ وـهـيـ اـكـثـرـ تـلـكـ النـوـاحـيـ كـتـانـاـ وـمـنـهـ يـحـمـلـ . وـفـيـهـاـ عـيـونـ سـاـيـحةـ وـطـوـاحـينـ مـاءـ (٢)

(١) نـزـهـةـ المـشـاقـ لـالـادـرـيـسـيـ طـ لـيدـنـ (٢) المـسـالـكـ وـالـمـالـكـ لـالـبـكـرـيـ طـ الـجـزـائـرـ ١٨٥٧م

ولقد سبق ان سقنا ماحكاه الاذرسي عن حركه بجایة الاقتصادية والصناعية والبحرية ايضا بالجزء الاول من كتابنا هذا - صفحه ٣٣٣ - فلتراجم هناك. ورغم كل ما حدث اثر عصر الاذرسي والبكرى من الاضطرابات السياسية والانقلابات الاجتماعية التي عممت اقطار المغرب العربي على عهد كل من الدول او الحكومات الثلاث: بني ابي حفص، وبني مررين، وبني زيان، فان ارض الجزائر لم يحدث في اقتصادها كثير تبدل او تغيير واستمر اهلها على استثمار بلادهم يعملون ناشطين في رحاء وخفق من العيش طيلة قرون؛ وهكذا نجد علماء التاريخ والجغرافيا من اهل القرن السادس والسابع بل والثامن ايضا يصفون لنا الرقى الاقتصادي والتقدم الزراعي في بلاد الجزائر بمثل ما حدثنا به الاولون فهذا كتاب الاستبصار الذي تم تأليفه سنة ٥٨٧ھ (١١٩١م) يتحدث عن مدينة مليانة فيقول : وملدينه مليانة مياه سائحة وبساتين فيها جميع الفواكه وهي من اخضب بلاد افريقيه وارخصها اسعارا و قال عن قلعة هوارة - غربي مستغانم - هي قلعة منيعة في جبل خصيبي فيه بساتين وشمار واسجار ومزارع واعناب، وتحتها فحص طوله نحو اربعين ميلا يشق به نهر سيرات ويسمى اكشر ارضه ويسمى ذلك الفحص سيرات باسم النهر وهو نهر كبير مشهور ويدرك مدينة بونة فيقول : هي من انزة البلاد واكشرها لينا ولحما وعسلا وحوتا... وبغربيها ماء سائح يسمى بساتينها وارضها وموضع جناتها منتزة حسن مشرف على البحر، وهكذا يستمر في وصفها الى ان يقول : وبغربي مدينه بونة بركة في دورها نحو عشرة اميال وفيها سمك كثير جليل... واخيرا يقول : ولما مغرب الاوسط مدن كثيرة قد ذكرنا اكثيرها في البلاد الساحلية وهي كثيرة الخصب والزرع كثير ئالغنم (٢)

وهذا ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٦٢ھ (١٢٢٨م) يتحدث عن مدينة تنس

(١) الاستبصار في عجائب الامصارط فيما ١٨٥٢

فيقول : ان بها مسجدا جاما واسواقا كثيرة؛ ثم يذكر موازين ومكاييل اهلها
 فيقول : ولهن كيل يسمونه الصحفة وهي ثمانية واربعون قادوسا، والقادوس ثلاثة
 امداد بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ورطل اللحم بها سبع وستون اوقيتا،
 ورطل سائر الاشياء اثنتان وعشرون اوقيتا، وزن قيراطهم ثلاث درهم عدل
 بوزن قرطبة كما انه يذكر مدينة الخضراء فيقول : هي بلدة بينها وبين مليانة
 يوم واحد، وهي مدينة حلية كثيرة البساتين على شاطئ نهر من اخصب
 مدن افريقيا، ويحدثنا عن مدينة بونة فيما يخص في صفحاتها ما ذكرناه فيما سلف
 ثم يقول عنها : انها كثيرة الرخص والفواكه والبساتين القرية واكثر فاكهتها
 من باديها . ٠٠٠ (١)

وهذا الملك ابو الفداء يذكر كذلك بونة في كتابه تقويم البلدان الذي فرغ من
 تبييضه سنة ٧٢١ هـ (١٣٢١ م) فيقول عنها انها مدينة حلية عامرة على البحر خصبة
 الزرع كثيرة الفواكه رخية، وبظاهرها معادن حديدة ويزرع بها كستان كشمير،
 وحدث بها عن قريب مغاص على المرجان ليس كمرجان مرسى الخرز، كما انه
 يذكر بسكرة فيقول : ومدينة بسكرة قاعة بلاد الزراب، ولبسكرة بلاد ذات نخيل
 وزروع كثيرة ومن بسكرة يجلب التمر الطيب الى تونس وجباليا. ويتحدث
 عن المسيلة بقوله : ومدينة مسيلة حسنة كثيرة الاشجار والثمار ومهما لها
 عندية (٢)

وذكر مقديش الصفاقي مدينة التين - بين سوق ابراهيم وتندس تبعد عن
 كلتيهما بمسافة - فقال انها كثيرة شجر التين جدا ويعمل بها من التين
 شرائح اعظم من الطوب وبذلك تسمى ويحمل منها الى كشمير من القطار. (٣)

(١) معجم البلدان ط ليسيك ١٨٦٦ م

(٢) تقويم البلدان ط الجزائر ١٧٣٩ م ص ٨٠ و ٩٠ و ٩٤

(٣) الازهار الرياضية ص ٥٨-٥٩

وـ كـمـا يـشـهـدـ بـذـلـكـ مـنـ كـتـابـ الـافـرـنجـ الـمـأـخـرـينـ :ـ مـارـمـولـ وـأـلـفـارـيزـ
ـ قـوـمـيـزـ - Marmol et Alvarés Gomés

ويـتـحـدـثـ الـرـحـالـةـ عـبـدـ الـبـاسـطـ بـنـ خـلـيـلـ فـيـ رـحـلـتـهـ - الـرـوضـ الـبـاسـمـ - عـنـ
قـسـنـطـيـنـةـ فـيـقـوـلـ بـاـنـهـ نـزـلـ بـهـ يـوـمـ سـابـعـ عـشـرـ شـوـالـ سـنـةـ ٥٨٦٨ـ (ـ ٤ـ جـوـانـ ١٤٦٤ـ)
فـرـايـ «ـمـنـهـ مـدـيـنـةـ عـجـيـبـةـ الـمـوـضـوـعـ،ـ حـسـنـةـ الـمـجـمـوـعـ،ـ عـلـىـ جـبـلـ عـالـ وـتـحـتـهـ وـادـ
عـظـيمـ كـشـيرـ الـخـصـبـ وـالـاجـنـةـ وـالـرـخـاءـ الـغـالـبـ،ـ قـالـ :ـ وـاعـجـبـتـنـيـ إـلـىـ الـغـاـيـةـ وـرـأـيـتـ
ابـنـتـهـ حـيـدةـ فـاقـعـتـهـ .ـ .ـ .ـ

وـقـلـ مـشـلـ ذـلـكـ عـنـ سـيـرـ التـجـارـةـ فـأـنـهـ رـائـجـةـ فـيـ كـشـيرـ مـنـ اـنـوـاعـ السـلـامـ الـتـىـ
كـانـتـ الـجـزـائـرـ تـسـتـورـهـاـ مـنـ الـخـارـجـ عـلـىـ سـيـلـ الـبـادـلـةـ مـثـلـ الزـجـاجـ وـأـجـهزـةـ وـعـتـادـ
وـعـدـدـ وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ اـدـوـاتـ الـحـدـيدـ،ـ اوـ تـصـدـرـهـاـ مـنـ بـصـائـعـهـاـ الـمـحـلـيـةـ الـمـخـلـفـةـ
كـالـبـرـ الـمـسـبـوكـ وـالـذـهـبـ الـنـضـارـ وـالـعـاجـ وـالـجـوـخـ وـالـصـوـفـ وـالـخـرـيرـ وـالـكـتـبـ وـالـسـلـاحـ
الـأـبـيـضـ وـالـجـبـلـ وـالـسـمـكـ الـجـفـفـ وـالـمـرـجـانـ وـالـرـقـيقـ،ـ فـكـلـ ذـلـكـ كـانـ مـتـشـرـاـ باـسـوـاـقـ
الـبـلـادـ الـجـزـائـرـيـةـ تـوـصـلـ إـلـيـهـ بـطـرـيـقـ الـقـوـافـلـ الـتـىـ تـرـددـ بـيـنـ الصـحـراءـ وـالـتـلـ مـخـتـرـقـةـ
لـحدـودـ تـونـسـ وـطـرـاـبـلـسـ وـالـمـغـرـبـ الـاـقـصـىـ وـالـسـوـدـانـ،ـ وـكـذـلـكـ فـيـ الـبـحـرـ فـانـ
الـسـفـنـ وـالـمـرـاكـبـ الـاـهـلـيـةـ وـالـاـجـنـيـةـ لـاـ تـقـرـرـ عـنـ التـنـقـلـ بـيـنـ سـواـحـلـ الـجـزـائـرـ
وـالـاـنـدـلـسـ وـصـقـلـيـةـ وـجـنـوـةـ وـبـنـدـقـيـةـ وـكـشـيرـاـ مـاـكـانـتـ اـسـوـاـقـ تـلـمـسـانـ تـرـىـ مـلـاـنـةـ
بـالـتـجـارـ مـنـ اـهـلـ بـيـزاـ وـبـيـروـنـ وـفـانـصـوـاـ وـالـقـطـلـانـ وـغـيـرـهـمـ مـنـ الـاـفـرـنجـ بـلـهـ حـرـكـةـ
الـقـوـارـبـ وـالـزـوـارـقـ الـتـىـ كـانـتـ فـيـ نـشـاطـهـ الدـائـمـ بـاـنـهـارـ قـسـنـطـيـنـةـ وـتـلـمـسـانـ وـارـشـقـوـلـ
وـلـقـدـ شـاهـدـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ عـبـدـ الـبـاسـطـ بـنـفـسـهـ فـسـجـلـهـ فـيـ رـحـلـتـهـ إـلـىـ الـجـزـائـرـ
قـائـلاـ :ـ وـفـيـهـ -ـ اـيـ فـيـ يـوـمـ تـاسـعـ عـشـرـ صـفـرـ ٥٨٧١ـ -ـ ١٠ـ أـكـتوـبـرـ ١٤٦٦ـ -ـ وـرـدـ
إـلـىـ سـاحـلـ مـدـيـنـةـ وـهـرـانـ شـوـنـيـةـ عـظـيـمـةـ مـنـ مـرـاكـبـ الـفـرـنجـ الـجـنـوـبـيـنـ وـرـدـتـ
مـنـ بـلـادـ اـفـلـنـدـةـ وـنـحـوـهـاـ مـنـ بـلـادـ الـافـرـنجـ بـالـمـحـيـطـ بـرـسـمـ الـاتـجـارـ فـيـ الـجـوـخـ وـتـجـهـزـ
كـشـيرـ مـنـ تـجـارـ وـهـرـانـ وـتـلـمـسـانـ لـلـسـفـرـ فـيـهـاـ إـلـىـ جـهـةـ بـلـادـ الـانـدـلـسـ وـتـجـهـزـتـ

أنا ايضاً لذلك وعزمت على العود لهذه البلاد بعد دخول تونس وغيرها من البلاد^(١) وأما عن متاجر وهران ومساكنها فانها بلغت يومئذ الى الف وخمسة مائة متجر ونحو ستة آلاف دار.

واما المهن والحرف الصناعية فان اهمها يومئذ بالجزائر يرجع الى صناعة الدباغة وخصص النعاج والاحذية والصياغة والعدانة والخزافة والنحارة والحدادة وفن البناء والتعمير، وكان مما امتازت به تلمسان واحتضنت به ما يين البلد: الاتقان في النسج والقزازة، فان ملابسها ومنسو جاتها الصافية من حرير او صوف اعتبار وتقدير يفوقان منسو جات غيرها من البلد، لا من حيث الاحكام في الصناعة والنسج فحسب، بل وحتى في جودة النوع والشكل مع الدقة والمطافة والخففة، فانك تجد البرنس او الكساد الجيد من الحرير لا يتباوزونه عندهم الشماني او اقام، والاحرام لا يتعدى حمس او اقام، وذكروا انهم كانوا يختبرون الاكسسية والملابس الرقيقة الحديدة بادحالها وآخر اجرها من حلقة خاتم! .. واليك

وصف كاتب الدولة يومئذ يحيى بن خلدون لدار الصنعة بتلمسان قال :

«ان دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف اصنافهم وتبالين لغاتهم واديانهم؛ فمن دراق ورماح ودراع ولجام ووشاء وسراج وخباء ونجار وحداد وصانع ودباج وغير ذلك، فتسليك لا صواتهم وآلاتهم الاسماع وتجار في احكام صناعتهم الادهان وتقف دون بحرهم الهائل الابصار؛ ثم تعرض قومتهم اصيلان كل يوم مصنوعاتهم فيه بين يدي الخليفة ايدة الله ويحزن كل بحجر صنعه المعد له وينصف العاملون من ارزاقهم عدلا هكذا ابدا»^(٢) وان لنا في حركة اسواق القيسيمة بتلمسان لغنى وذكري.

واشتهرت اسواق الجزائر يومئذ بانتظامها حسب انواع السلع والبضائع فانك

(١) الروض الباسم ص ٤٠ و ٦٧ ط باريس ١٩٣٦ م

(٢) بغية الرواد ج ٢ ص ٤٦١ ط الجزائر ٥١٣٢٩ - ١٩١١ م

لا تجد اختلاطاً بين البزازين والصاغة مثلاً ولا بين الحدادين والنجارين فذلك نوع منها سوق قائمة بنفسها، وبذلك نعلم انه كان للجزائر شأن عظيم في عالم الاقتصاد منذ القديم كما انها لا تزال كذلك الى اليوم

ويكفي في الاستدلال على التقدم والرقي الصناعي بالجزائر يومئذ ان نتأمل قليلاً في اختراع العقرى المفن الجزائرى على بن الفحام التلمسانى لآلته المنجانية العجيبة ذات الوضم المدهش والصنعم الميكانيكى والشكل الهندسى الغريب، انشأها صاحبها في اوائل سنة ١٣٥٩ هـ [١٧٧٠] لرصد الوقت فسبق بيدع صنعه واصمم ساعة «سترايسبيو» بقرينين اثنين فكانت هذه من عجائب المختراعات، واليك وصفها من شاهد عيان شارك بنفسه في صنعها بوضع ايات شعرية لنظم ساعاتها، وذلك هو يحيى بن خلدون، قال في سياق حديثه عن المهرجان الذى كان يقيميه السلطان ابو جعفر الثاني في قصره وبمحضه في كل سنة بمناسبة ذكرى يوم المولد النبوى الشريف :

«..... وخزانة المنجانية ذات تماثيل الاجين المحكمة قائمة المصنوع تجاهه – يعني السلطان – باعلاها أيكة تحمل طائراً فرحاً تحت جناحه ويختاره فيها ارقم خارج من كوة بجدر الا يكثرة صعداً، وبصدرها ابواب مجوفة عدد ساعات الليل الزمانية، يصادق طرفيها بابان محوفان اطول من الاول واعرض فوق جميعها، ودوين راس الخزانة قمر اكمل يسير على خط استواء سير نظيره في الفلك، ويسمى اول كل ساعة بما بها المرتاج، فينقض من البابين الكبيرين عقابان بفري كل واحد منهما صنجهة صفر يلقىها الى طست من الصقر محظوظ بوسطه ثقب يفضى بها الى داخل الخزانة فيرن، ويريد الارقام ان ينهش احد الفرجين فيصرف له ابوه فهناك يفتح باب الساعة الراهنة وتبرز منه جارية محترمة صورت في احسن صورة، في يدها اليمنى رقة مشتملة على نظم فيه تملك الساعة باسمها مسطور، فتقضعها بين يدي السلطان بلطافة ويسراها موضوعة

على فيها كال匕اعة بالخلافة لامير المؤمنين، حيل احکمت يد الهندسة وضعها وراض
تدبر الخلافة اعلى الله مقامه شمامسها
... وامرني ايده الله بنظم ابيات على لسان الجواري المعرفات ساعات المتقانة
الغربية الشكل المتقدمة الوصف فقلت في ذلك :
الساعة الاولى من الليل

ومن جودة العالم الكل عم
فان الحياة بكم تغتسل
وقد خلته البدر في الافق تم
وفيه من الفضل بشر الكرم
سروراً لكم بالمعالى حكم
ففعلك هذَا على ذاك نم
وتحزت المفاسير دون الامم
يطعك عرب الورى والعم

امولى الملوك واعلى الامم
مضت ساعـة ليـت لو تـشـنى
وـلـهـ وجـهـكـ لـمـاـ بـدـا
عـلـيـهـ لـاجـلـ التـقـىـ هـيـةـ
اقـمـتـ بـموـلـدـ خـيـرـ الـورـىـ
طـوـيـتـ الـفـؤـادـ عـلـىـ حـبـهـ
فـنـلتـ السـعـادـةـ دـنـيـاـ وـاخـرىـ
فـدـمـ مـاـ حـمـىـ لـنـاـ مـلـكـاـ

الساعة الثانية

تعنو لعزم علاة املاك البشير
بك مالكى افق السماء ملن نظر
وجه الخليفة بينهن هو القمر
تمضى عليك ثنا الرياض على المطر
وبلغت مما ترجى اسني الوطير

الخليفة الرحمن والملك الذى
للله مجلسك الذى يحبكى علا
او ما ترى فيه النجوم زواهرها
والليل منه ساعتان قد انقضت
لا زال هذا الملك منصورا بكم

الساعة الثالثة

لهم في المعالي اسنى الرتب
لتك الفخر في عجمها وعرب

أمواله يسا ابن الملك الالي
تموالث ثلاثة من الميل اب

فَسِدْرٌ حِجَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِي
الساعة الرابعة

وَمَالِكُ الْفَضْلِ اجْمَعٌ
مَضْتُ لِلَّيلِكَ أَرْبَعَ
وَالْمَفَاخِرَ تَسْجِمُ
الساعة الخامسة

وَجْهَالُ الْعَالَمِينَ
كُلُّهَا دُنْيَا وَدِينَا
حَسَنَهَا رَاقِ الْعَيْوَنَا
هَكَذَا تَمْضِي السَّنَوْنَا
خَالِدٌ الْمَلِكُ مَكِينَا
الساعة السادسة

تَخَالَهُ فِي عَسَارٍ
مَا ازَّلَهَا مِنْ نَظَائِرٍ
إِلَى الْمَعْنَادِ نَسْوَاضِرٍ
الساعة السابعة

وَالْفَضْلِ فِيهِ سَجِيرٌ
مَا ازَّلَهَا مَشْتُوْيَةٌ
يَعْلَمِكَ رَبُّ الْبَرِيرِيَّةِ
الساعة الثامنة

وَأَشْرَفَ النَّاسَ اسْرَةً
فِي الْقَلْبِ مِنْيَ حَسَرَةٍ
أَخَا نَعِيمٌ وَنَضِرَةٌ
يَاهُنْ كَانَ شَبَابِي

ترى لها بعد كررة
يطيل في السعد عمره

ولي بها الدهر عنى
فألا يقيك مولى
الساعة التاسعة

وأفضل الخلق في بأس وفي كرم
والليل من بعدها قد عاد ذا هرم
وينقضي العمر في اللذات واندمى
يا فوزه يوم تخشى زلة القدم
بكم واتم مدى الأيام في عمر

يا اوحد الناس في مجد وفي شرف
مولاي تاسعة الساعات قد ذهبت
كذا يمر ولا ندرى الزمان بنا
من كان ذا عمل في البر مشلوكمر
لا زلت ذا عزة وأملك ذا شرف

الساعة العاشرة

لهم بعمر على الأيام مقبل
والليل ودعنا توديم مرتحل
مضين لاعن قلي منا ولا ملل
عانا ونحن مع الآمال في شغل
جهلا وذلك يدinya من الأجل
عليه اذ مر في الآلام والزلل
ولم تقدم لم شيئاً من العمل
فليس لي بجزاء الذنب من قبل
حمو الرضا وانتم غایة الامل
ومن هذا القبيل ما سجله التاريخ عن ساعة الخليفة هرون الرشيد التي اهدتها
للملك شارلماں وساعة الجامع الا موى وباب جبرون بدمشق، وساعة المستنصر

بامالك الحمير والخيل التي حكمت
هذا الصباح وقد لاحت بشائره
الله عشر من الساعات باهرة
كذا تمر ليالي العمر راحلة
نسى ونصبح في لهو نسر به
والعمر يمضي فلا ندرى فوا اسفا
ياليت شعري غداً كيف الحالص به
يار ب عفوك عما قد جنته يدي
يار رب وانصر امير المسلمين اسا

العباسي بمستشفى بغداد (١)

(١) انظر الدارس في تاريخ المدارس للتعيمى ج ١ ص ١٧٧ ط دمشق ١٣٦٧ - ١٩٤٨
ورحلة ابن جبير ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ط مصر ١٣٢٦هـ وكتاب التصوير عند العرب لاحمد تيمور
ص ٧٧ ط القاهرة ١٩٤٢م وبقية الروايات ج ٢ ص ٤٠ و ٢١٨

ويظهر مما تقدم من نظم ساعة اي حمو ان القوم كانوا يستعملون في ضبط النز من الساعات الغرويّة، اي تقدير مبدأ الزمن بساعة الغروب لا بالزوال وهي طريقة المشارقة المتعارفة بالا لا تركها، ومبدأها من غروب الشمس، فالزمن عند الغروب يعيش صفرا ثم يأخذ في التزايد الى هلم مجررا ولا ينبغي ان يفوتنا هنا ونحن نورخ للصناعات والفنون بالجزائر - ان ترك الاشارة الى ما كان يقسر السلطان ابي تاشفين الاول من تلك الشجرة العجيبة المصنوعة من الفضة الواقعة على اغصانها تماثيل طيور مختلفة الاشكال والالوان تحاكي اشباهها من الطيور الطبيعية، وكلها مصنوعة بحيل ميكانيكية لطيفه يعلوها صقر، فاذا نفح في اصل الشجرة صوتت تلك الطيور كلها باصوات على غرار نظرائها من الطيور حتى اذا تموج الهواء وبلغ الى الصقر صوت فتقطع صوته جميع الاصوات كما نقل ذلك الامام القرافي عن شاهد هذه الشجرة بنفسه وسمع تغريد طيورها بحضورة السلطان بتلمسان (١)

وكان من هذا القبيل ما تقدم ذكره من الهدايا النفيسة التي اهدتها السلطان الشابتي الى ملك الاسپان؛ منها ما وصفناه من تلك الدجاجة العجيبة الصنعة المتبوعة بست وثلاثين نفحا من نوعها؛ فذلكم ايضا هو مما لا يستهان به في الاستدلال على تقدم العلوم والفنون ونهضة الصناعات عهدينا بالجزائر.

المذاهب والمعتقدات

حسبنا ما اطلنا به فيما قدمناه من التفاصيل الضافية والشرح الوافي حول تاريخ العقيدة الدينية والمذاهب الفقهية فيما سلف من ابواب هذا الكتاب وفصوله التي تناولنا فيها هذا الموضوع في مختلف ادوار التاريخ الجزائري وتطوراته بحسب توالي الدهور والعصور، وقد ارست سفينة الناس يومئذ حسبما ذكرناه هناك الى التدين بعقيدة الاشعري والتمذهب بمذهب مالك تعمدهم الله برحمة

(١) انظر كتاب التصوير عند العرب لاحمد تيمور ص ٧٩ ط القاهرة ١٩٤٢

قال البكري : ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأى على مذهب مالك بن انس رحمة الله (١) ولم يخالف في ذلك الا بعض البطون والقبائل المنتشرة بشرق الجزائر وجنبها كأهل مدينة تهودة فانهم لم يزدوا يومئذ على رأى اهل العراق وقبيلة كتامة الساكنة بجميال بجاية على رأى الشيعة الاسماعيلية (٢)

(١) انظر الجزء الاول من كتابنا هذا: تاريخ الجزائر العام ص ٣٢٧ و ٣٥٠ وج ٢٣٣ والمسالك والمالك ص ٧٧ ط الجزائر ١٨٥٧

(٢) كما المعنافي احال الى شرط من عقائد الشيعة الاسماعيلية في كتابنا على تاريخ قيام دولتهم بالغرب في الجزء الاول من كتابنا هذا : تاريخ الجزائر العام ص ٢٤٥-٢٤٦ و ٢٦٤-٢٦٥ والياك هنا بعض التفصيل :

ان من اثبت الاسس واهم اصول عقائد الشيعة الاسماعيلية القول بن لكلنبي وصبا، وان امر اختيار الوصي هو لله، وان الامام ضروري للجنس البشري، وان الارض لا تخلي قط من امام ظاهر او مستور تبعا لقوته المادية التي تؤيده وتحمييه، وانه لو لا ائمة لما خلق الخلق وتجنب طاعة الوصي والا ئمة من بعده طاعة شاملة لا تردد فيها والامام معصوم مثل الرسول؛ وبالغ فيه بعضهم الى ان بلغ به مرتبة النبوة بل الالوهية، مع تنزيههم لله عز وجل عن جميع الصفات التي يصفه بها اهل السنة، ويصرفون ذلك الى القلم وهو العقل الكلى.

وان ابرز ما تميز به هذه الفئة الاسماعيلية من بين الفرق الأخرى للشيعة هو القول بالظاهر والباطن وهو عندهم مبدأ هام به استهerness فرقتهم باسم الباطنية واستغله بعضهم ففسر القرآن على تفاسير خاصة تصل بهم الى غاية معينه

وفي تسلیم الاحكام عندهم لا يقولون بالقياس، فاصبح لهم بذلك فقه يتفق ويختلف مع فقه اهل السنة، فان المحرر عندهم ظاهر، وهو لا يحتمون طهارة مكان الصلاة ما دامت النجاسة لا تعلق بالثوب، ويجزيون الجمع في الصلاة بين الظهرين وبين المغاربين - او العشايين من غير عذر، والقنوت عندهم في الركعه الثانية من صلاة الجمعة، ولا يجزيون القصر في الصلاة للمسافر الا اذا كان مسافرا الى مكة او المدينة او الكوفه او كربلاء، وتختلف عدد التكبيرات في الصلاة على الميت تبعا لمكانته، وشهر رمضان عندهم كامل دائما وابدا ولا يتوقف الصيام او الافطار على الرؤيه، والزكاة عندهم لا تجب في اموال التجار، بل يدفع الشيعي خمس ايراده للامام، ونحوه المقصه عندهم جائز؛ ولا يقع الطلاق الا بشهادتين مثل الزواج، وليس عندهم في المواريث عول ولا تعصيب، وخلصوا من العول بادخال النقص على بعض اصحاب الفروض؛ فالقرابه عندهم مقدمون على

«يُكْرِمُونَ مِنْ مَالٍ إِلَى مَذَاهِبِهِمْ وَيُبَرُّونَ مِنْ وَاقِفِ اعْتِقَادِهِمْ» وَانْ أَهْلَ جِبَلٍ
أَوْ رَاسٍ وَسَكَانٍ بِإِغَايَةٍ وَفَحْصَهَا وَقَوْمًا مِنْ سَكَانٍ نُوحِي بِنَطْيُوسٍ كَانُوا يَوْمَئِذٍ
عَلَى رَأْيِ الْخَوارِجِ ابْاضِيَّةِ الْمَذَهَبِ وَاصِيلَةِ الْعِقِيدَةِ [١]

وَهَكُذَا ضَلَّتِ الْجَزَائِيرُ كَمَا قَدَمَنَا مِنْ شَعْبَةِ الْعَقَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ إِلَى أَنْ اتَّحَدَتْ عَلَى
عَهْدِ الْمَهْرَابِيْنِ وَمَنْ خَلَفُهُمْ عَلَى هَذَا الْوَطَنِ مِنَ الْمُوَحَّدِينَ فَاتَّشَّرَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ
مَذَهَبُ أَهْلِ الْمَحْدِيثِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَتَقَرَّرَ رَأْيُ الْمَالَكِيَّةِ فِي ذَلِكَ وَدَانَ النَّاسُ بِعِقِيدَةِ
الْاَشْعَرِيَّةِ وَعَمِّ ذَلِكَ بِلَادِ الْجَزَائِيرِ وَبِقِيَّةِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ كَمَا غَيْرُ نَاحِيَّةِ بِلَادِ
مَصَابٍ - مَزَابٍ - مِنَ التَّرَابِ الْجَزَائِيرِيِّ وَجَزِيرَةِ جَرْبَةِ بِتُونِسِ وَجَبَلِ نَفُوسَةِ
بَطْرِ اَبَلِسِ فَانِهَا بِقِيَّتِ مَتَّسِكَةً بِعِقِيدَةِ الْخَوارِجِ الْاعْتَزَالِيَّةِ مَتَّمَذَهَبَةً بِمَذَهَبِ اَبَاضِيَّةِ [٢]
وَامَّا غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ فَكَانُوا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْحَالُ إِلَى الْآَنِ : نَصَارَى وَهُودٌ وَفِي
عَهْدِ سُقُوطِ وَهَرَانِ بِيْدِ الْإِسْبَانِ [٥٩١٥ - ٥٩٠٩] اَتَخَذَ الْكَارِدِيَّنَالِ كَسِيمِينِيَّسِ
بِهَا دِيرَيْنَ لِلَّارَهِبَيَّانِ اَحَدُهُمَا لِلَّادُومِينِيَّكِ وَالْآخَرُ لِاَهْلِ الْمَذَهَبِ الْفَرَانِسِيَّكِيِّ.

الْمُصَبِّهِ، وَلِعَلِيهِمْ بِذَلِكَ يَرْبُدُونَ تَقْدِيمَهُ فَاطِمَةُ عَلَى الْعَبَاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَا يَوْرُثُونَ الْجَدَعَنَدَ
وَجُودَ اَبْنِ اَبْنِ، فَالاجْدَادُ وَالاخْوَةُ وَالاخْوَاتُ عِنْهُمْ فِي الدَّرْجَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدِ الْاَبْنَاءِ، فَالْمَدِنَتُ اَذَا
اَفْرَدَتْ وَلَيْسَ مَعَهَا اَحَدٌ مِنَ الْاَبْوَيْنِ فَانِهَا تَحْوِزُ الْمَالَ كَمَا نَصَفَهُ بِالْفَرْضِ وَنَصَفَهُ بِالْرُّدِّ؛ وَبِذَلِكَ لَا
يُشَارِكُ فَاطِمَةُ بَنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَحَدٌ فِي مِيرَاتِهِ مِنْ اِلَيْهَا، وَلَا يَرِثُ مِنَ الْاَمْ
اَحَدٌ مِنَ الاخْوَةِ وَالاخْوَاتِ، وَمَعَ قَوْلِهِمْ بِاَنَّ قَاعِدَةَ الْمَيْرَاتِ عِنْهُمْ هِيَ تَقْدِيمُ الْاَقْرَبِيَّهِ فَانِهِمْ يَقْدِمُونَ
اَبْنِ الْعَمِ الشَّقِيقِ عَلَى الْعَمِ لَابِ مِمَّ اَنْ اَعْمَمَ اَقْرَبُ مِنْ اَبْنِ الْعَمِ «رَاجِعٌ تَابِعُ التَّشِيرِيْمِ اَسْلَامِيِّ
الْمُخْضُرِيِّ صِ ٣٤٠ - ٣٤١ طِ مَصْرُ ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م وَتَارِيْخُ التَّسْرِيْيِهِ اَسْلَامِيِّ لِدَكْتُورِ اَحْمَدِ
شَلْبِيِّ طِ بِيْرُوْتِ ١٩٥٤م

وَلَا تَرِدُ مِنْ فَقَهِ الْاسْمَاعِيلِيَّهِ هَذِهِ جَمِيعَاتٍ مُتَفَرِّقَهُ مِنْهُهُ بِاِنْحِاءِ الْهَنْدِ فِي كَشْمِيرِ وَبِومَبَايِ
وَجَزِيرَةِ سُرْنِديَّبِ - سِيَلَانِ - وَبِافْغَانِسْتَانِ وَبِالْبَاهْسَانِ الْغَرَبِيِّ وَالْيَمَنِ وَشَرْقِيَّةِ وَسُورِيَا
وَعَدُدُهُمْ يَنِيفُ عَلَى مَلِيُونِيِّ نَسْمَهُ. وَرَئِسُهُمُ الْحَالِيُّ مُحَمَّدُ شَادُ «اَغَاخَان» الْمَوْلَودُ سَنَةَ ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م

«١» الْمَسَالِكُ وَالْمَمَالِكُ لِلْبَكْرِيِّ صِ ٧٣-٧٢ وَ ٨٢ وَ ١٤٥ - ١٤٤ طِ الجَزَاءِ ١٨٥٧م

«٢» رَاجِعُ الْجَزِءِ اَلْأَوَّلِ مِنْ كِتَابِهِ هَذِهِ صِ ٧٨-١٧٦ وَ ٢٠٢-٢٠١ وَ الْجَزِءُ اَلْثَانِيُّ صِ ٣٣-٣٩

الثقافة والحضارة والعمران

تحتفظ لنا المجموعة التاريخية الكبرى التي شارك في وضعها نخبة من افضل العلماء في القديم والحديث كالاخوين يحيى وعبد الرحمن ابن خلدون، والتئسني والغبريني، وابن مرير، وابن فرخون، واحمد بابا التبذتي، والسيخاوي والمسطيي البواني؛ ومحمد بن حواء المستغانمي، وشيخنا الحفناوي؛ ومحمد بن مخلوف التونسي، وهام جرا.... بتاريخ سير الحركة العلمية بالجزائر، ضمن ترجم طائفة عظيمة وعدد وافر من نوابع العلماء وارباب القراءح الذين انجبتهم الجزائر فكرسوا حياتهم لخدمة العلم ونشر الثقافة بين هذه الارجاء المغاربية وخاصة منها هذه البلاد فان حظها من هؤلاء العلماء كان موفورا وسموهم بها مشكورا، وليس هنالك ادل على ما ذكرنا لا اعظم من الرجوع الى مطالعة هذه المصادر المذكورة وهي بحمد الله مطبوعة متداولة بين الناس، فلا سبيل الى انكار الجاحدين المغاربين او معارضتهم المكابرین؛ فلقد سايرت الجزائر موكب العلم والمدنية جادة في ذلك حسبما سمحت لها الظروف وتيسرت لها الاسباب؛ وكانت - كما لا تزال - كلما وجدت الى ذلك فرصة اهتزت وربت وابتنت من كل زوج بهيج، وفيها كان استقرار العلوم النظرية كما قال ابن خلدون في حديثه عن الادب والعلم بتلمسان،

قال : ولمن ذكرنا من اهل المائة الثامنة انتهت طريقة التعليم، وملكته التلقى . وهو يعني بذلك الشريف التلمساني وسعيد بن محمد العقابي رحمها الله، قال لكونهما الفتا تصانيف بعيدة وزاحما رتبة الاجتهاد من غير منازع،

وقال المقرى في تعقيبه على كلام ابن خلدون هذا : وكذلك بلغ رتبة التبريزين في تحصيل العلم كل واحد من ولديهما : الفقيه السيد ابو الفضل قاسم بن سعيد، والفقیه الاوحد السيد ابو يحيى الشریف، اذ بلغ رتبة الامامة والفتیاد «^١»

«^١» ازهار الرياض للمقرى ج ٣ ص ٢٥ ط مصر ١٣٦١ هـ

واضحت الجزائر يومئذ تفاخر البشرية بابتها البردة البارزبن في الحقل العلمي تفاخرًا كثیرا

ومن معاهد العلم الشهيرة بتلمسان مدارس كثيرة منها مدرسة منشار الجلد، ومدرسة ابن الامام، والمدرسة التاشيفينية، واليعقوبية، ومدرسة أبي حمو الثاني، ومدرسة أبي الحسن المريني بالعياد، والتعليم في جميعها بغير احفله الثلامنة مجاناً وذلك علاوة على ما كان يقوم به علماء الدين بالمساجد من دراسة علوم الشريعة واللغة، ولطلبة نظر وتراتيب خاصة تجمعهم على حسب اختلاف اتجاهاتهم العلمية وتتنوع مقاصدهم في الطلب، والى تلمسان هذه كانت تشد الرجال في طلب علوم الحكمة والفالسيفيات من نوع العلم الطبيعي والرياضيات والطب والموسيقى

فهذا عبد الباسط بن خليل المصري من علماء القرن التاسع الهجري هاجر بلاده وارتحل الى الجزائر ليستكملي بها معلوماته في الطب فنزل تلمسان واخذ بها عن الشيخ محمد بن علي بن فشوش احد اطبائها في المزاولة والدرس، كما انه لازم بها دروس طبيتها الاكابر وحكيمها العالم الاسرائيلي موسى بن الاشرق؛ قال : « لا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم وفي علم الوفق والميقات وبعض العلوم القديمة... وقصده كثیر من الفضلاء للأخذ عنه... ». قال : لازمته مدة واحتدى عنه بذلة كبيرة نافعة في الطب وغيره واجازني، وبلغني عنه في هذه الايام انه انتهت اليه الرئاسة في الطب بتلمسان »^{١)} بينما الامر في بلاد الجزائر على ذلك اذا ببلاد الاندلس - وما ادرك ! - كانت على خلاف ذلك، فان لكل العلوم هنالك حظاً واعتناء خاصاً الا الفلسفة والتنجيم فان لها حظاً عظيماً عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة فانه كما مـا قيل فلان يقرأ الفلسفة ويشتغل بالتنجيم اطلقـت عليه العامة اسم زنديق وقيـدت عليه افـاسـه »^{٢)} وان

« ١) الروض الباـسـطـ لـعبدـ الـبـاسـطـ بنـ خـلـيلـ صـ ٤٤ـ طـ بـارـيسـ ١٩٣٦ـ مـ

« ٢) نفحـ الطـيـبـ جـ ٢ـ صـ ١٠٧ـ طـ مـصـرـ ١٩٣٦ـ مـ

كان مزاج الأمة الجزائرية مع ذلك عموماً ذا صبغة دينية محضة حسبما دلتنا على ذلك أكثـر آثارها الأدبية واتجـها في عالم التأليف

واشتهر يومئذ من اطباء تلمسان الادباء الذين سمع لهم القدر بجمعهم بين جبر وهن الاجسام ومواسات جراحات القلوب والارواح؛ الطبيب الاديب الحاج ابو عبد الله محمد بن ابي جمدة التلمساني، طبيب ابي حمود «الثانية» فإنه علاوة على براعته في الطب ومهاراته في العلاج كان اديباً متفناً ينظم الشعر الجيد ويحسن قرضاً؛ ولهم في كل المناسبات والاحداث التي تقع بقصر السلطان قصائد رشيقية وموشحات رائعة، منها قوله في مطلع موشح رفعه الى السلطان ابى حمود يوم الاحتفال بموالد الرسول صلى الله عليه وسلم سنة سبع وستين وسبعمائة [١٣٦٥]

لـ مدـمـم هـتـان	يـنـهـل مـثـل الـدـرـر
قد صـيـر الـاجـفـان	ما ان لها من اثر
حق لـه يـجـرـى	دـمـا عـلـى طـوـل الدـوـام
مـذـجـد فـي الـيـسـر	نـاس إـلـى خـيـر الـأـنـام
وعـاقـنـى وزـرـى	يـا صـاح عـن ذـاك المـقـام
وـسـارـت الـاضـعـان	يـحـدى بـهـا فـي السـيـحرـر
فـاستـبـشـر الرـكـيـان	بـقـرـب نـسـل الـوـطـير

ولقد مرت بك بعض قطعـ من شـعـر مـلـوك هـذـه الدـوـلـة وـادـبـائـهـا الدـالـتـةـ على تـضـلـعـهـم وـتـمـكـنـهـم مـن صـوـلـجـان دـوـلـتـي السـيـف وـالـقـلـام فـرـاجـعـهـا (١) وـذـكـرـ بعض المؤـرـخـين عـنـيـةـ السـلـطـان اـبـي حـمـوـ الثـانـيـ بـالـعـلـمـ وـاهـلـهـ فـقـالـ : هـذـا اـمـرـ

(١) ذكر روبرتسون في كتابه تاريخ شارلكان : ان « د جلسين » رئيس الجيوش الفرنسية واعظم رجال عصره في القرن الرابع عشر الميلادي - التايمن الهجري - كان اميما ، وان « هريون » اعظم قضاة الدولة كان كذلك اميما؛ قال وانهم عثروا على عدة قوانين ووثائق صادرة عن اهل الطبقة الاولى من الاعياد يستدل منها انهم كانوا اميما

يقصر المسان عن الاحاطة به. (١)
 وأما العمran فحيجتنا فيه ما كانت عليه يومئذ عاصمة المملكة الجزائرية
 تلمسان - من كثرة المنشآت و تعدد أنواعها على اختلاف اصنافها و اشكالها، فهذه
 قصور شامخة، وهذه مدارس موتفقة، و مساجد فسيحة مزخرفة، وتلك منتزهات
 جميلة، وهناك دور رفيعة و حصون منيعة، ومصانع عجيبة و حدائق غناء... وكل
 ذلك مضبوط لدينا فيما حررت مصادر التاريخ الموثوق بها و نطق به الأرقام
 والاحصاءات الصحيحة الثابتة (٢) وزد إلى ذلك ما ذكروه في قصر المشور وما كان
 عليه من الإبداع، وما عثر عليه هناك من الزلايج والنقوش المزخرفة على
 الجبس منها ما بقي موجود إلى الآن ومنها ما اندر.

ويذكر أهل التاريخ ان عدد مساجد مدينة تلمسان في عهدها الراهن اناf
 على الستين مسجدا، كان من بقاياها ما نشاهده اليوم من هذه العترة الباقية إلى
 اليوم كدلالة على تقدم الحضارة والعمان بالجزائر في ذلك العهد السعيد، منها هذا
 الجامع الاعظم الذي انشأه المرابطون في جمادي الثانية سنة ٥٣٠ هـ «مارس ١١٣٦»
 كما هو منقوش بباطن قبة المسجد، على ان منارة متاخر عنه بنحو سبعين سنة ، ثم
 كان تجديد المنار المذكور على عهد يغمراسن بن زيان مؤسس دولة بنى عبد
 الواد الزيانية، ويدو على زخارف ونقوش هذا الجامع انها من صنع نحاتين اندلسيين
 كما يلاحظ ان حمرابه قريب الشبه بمحراب جامع قرطبة . والمسجد الذي اقامه
 السلطان ابو حمو الثاني على ضريح سيدى ابراهيم . وهو معروف به إلى الآن، وذلك
 المسجد البديع الشكل الجميل المنظر الذي انشأه السلطان ابو سعيد عثمان بن
 يغمراسن الزياني سنة ٥٦٩٦ هـ «١٢٩٦ م» وهو المعروف بجامع سيدى ابي الحسن بن
 يخلف التنسى، اقامه السلطان المذكور كذلك للامير ابي عامر ابراهيم، وكان

(١) انظر تحفة الليبيب ص ١٦٦ ط الجزائر ١٣٢٢ م ١٩٠٤

Merçais W et G les monuments arabes de Tlemcen Paris 1903
 Merçais G - manuel d'art Musulman «l'architecture» Paris 1926-27

(٢) راجع

لفرط بهجة هذا المسجد وتفوقه بزخرفته ونقوشه الانية حوله الفرنسيون المحتلون عن وضعيتها والغاية التي انشأها من اجلها وصبروه متحفًا للاثار، ومنها مسجد سيدى الحوى الجميل الذي انشأه السلطان ابو عنان فارس المريني سنة ٥٧٥ هـ (١٣٥٣م)؛ وما انشأه والدة السلطان ابو الحسن على المريني بضاحية العabad سنة ٥٧٨ هـ (١٣٤٧م) من تملك المجموعة الاثرية الفنية الثمينة المحاطة بضربيح الشیخ ابی مدین شعیب بن الحسین الاندلسی (٥٩٠هـ - ١١٩٣م) المحتوية على ذلك الجامع المزخرف الزاهر، وتلك المدرسة الانية والقصر المنيف؛ ويذكر لنا الشیخ ابو راس المعسکری في كتابه او قل شرحه على نظمه الحالى السنديسية ان الجامع الاعظم بالجزائر هو ايضا من مؤسسات بنی زیان وان مؤسسه هو ابو تاشفین الاول اقامه بمکانه هذا يوم انتصاره على اعدائه وخصومه الثالبة بمتيجة، وهذا خطأ میحسن لاحیجه فيه، فلقد سبق ان ذكرنا في تاریخ دولة بنی مرین بالجزائر هناك جناحا انشاء السلطان ابو الحسن المرینی زيادة في الجامع المذکو [١] وعليه فان الجامع كان موجودا قائما قبل قیام دولة بنی زیان؟... وain هذا مما ذكره ابو راس؟... على ان المستفيض الشائع على السنة علماء الآثار والتاریخ من الباحثین الافرنجی وما هو مكتوب مدون في مؤلفاتهم ان تاریخ الجامع هذا يعود الى عصر المرابطین (٥٤٩٠هـ - ١٠٩٦م) وانه متحقق في شلکه وهندسته المعمارية بجامع تلمسان المنسوب الى على بن يوسف بن تاشفین امير دولة المرابطین وذلك هو ما جزم به الدكتور «م، س، دیمساند» امین جمیوعة الشرق الادنى بمتحف المیترو ببولیتان في عاصمة نیویورک الامریکیة، حيث قال في معرض کلامه على تاریخ فن الحفر والنقش على الخشب بشمال افریقیة :

«انه لا تزال بشمال افریقیة عدة منابر هامة ترجع الى القرنين الحادی عشر والثانی عشر واقدم هذه المنابر منبر المسجد الجامع بالجزائر الذي بناه المرابطون

(١) راجع المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق الخطیب «مخطوط»

سنة ١٠٨٢ (٤٧٤هـ) وتكون زخارفه من حشوات مربعة تزيينها زخارف هندسية متراكبة وأشجار نخيلية وتوارق في أسلوب مغربي إسباني، جمله إلى شمال إفريقية الفنانون الاندلسيون «(١) ولا يزال هذا المنبر موجوداً إلى اليوم بمكانه من الجامع المذكور تمام عليه الخطب الجمعية وفي الأعياد، ولا يزال نص تاريخه مكتوباً على بابه بالخط الكوفي هكذا «بسم الله الرحمن الرحيم تم هذا المنبر يوم فاتح رجب من سنتها سبع واربعينائة عمل محمد» وهو ما يوافق من التاريخ الشمسي [٤ ديسمبر ١٠١٦ م] أي في عهد دولة صنهاجة، وهناك من يزعم أن تاريخ المسجد هو ما ذكرناه من تاريخ المنبر؟ ... وأيا مكان فلا أرى صحة ما ذكره أبو راس من نسبة بناء المسجد إلى أي تأشفيني الزيانى؟ ...
 أجل هناك بالجامع المذكور رخامة ثابتة عند باب منارة منحوت فيها بالخط المغربي البارز ذكر اسم السلطان أي تأشفين الأول ولكن ذلك هو تاريخ المنار منه فقط لا المسجد، ودونك نص النقش الموجود فيها بالحرف : «لما تعم امير المسلمين ابو تأشفين ايده الله ونصره مناز الجزائر في مدة او لها يوم الاحد السابع عشر من ذي قعدة من عام اثنين وعشرين وسبعينائة؛ وكان تمامها وحالها في غرة رجب من عام ثلاثة وعشرين وسبعينائة نادى المنار المذكور بلسان حاله الحالى اي منار حاله كحالى

اقام امير المسلمين تفاصيحا
 وقابلنى بدر السماء وقال لي
 فلا منظر يسبى النقوس كمنظرى
 فزاد الهمى رفعه لتممى
 ولا زال نصر الله حول لوائه
 ولعل الشيخ اباراس اطلع على هذه الكتابة المنحوتة بهذه الرخامة فظن أنها

(١) الفنون الإسلامية ص ١٢٩ ط مصر ١٩٥٤م

تاريخ المسجد؟ ...

على أن ناحية القبلة منه والقبة القائمة فوق محرابه هما من منشآت العهد التركي في القرن الحادى عشر الهجرى - السابع عشر الميلادى - بناهما المفتى المالكى في التاريخ على حسابه طيب الله ثراه، وذلك اثر حادثة حرية وهجوم بحري ضد مدينة الجزائر فسقطت القنابل على جدار القبلة من المسجد فتهدم الصف الامامى منه فجددده المفتى من ماله الخاص بعد بيع املاكه

ويذكر عن السلطان ابى تاشفين الاول انه كان من اشد ملوك هذه الدولة عناية وولوها بالتعدين فانه قام بتأسيس كثير من المعالم والمعاهد، واغلبها اليوم اطلال دارستة، منها مدينة «تمزيز دكت» بشمال الوادى الكبير - سومام - قرب محطة السكة الحديدية من مدينة القصر، انشأها ابو تاشفين سنة ٦٢٦ هـ ١٣٢٥م وجعلها قلعة حصينة ومرکزا حرريا لمقاومة الحفصيين بيجاية، اسكن بها نحو ثلاثة آلاف ومائتين فارس وشيخنها بالميرية؛ ثم كان تقويتها سنة ٦٣٣ هـ ١٣٣٢م على يد خصومه الحفصيين بمؤازرة مرين، ومثلها بتلمسان بناية دار الملك ودار السرور وابى فهر، والمدرسة التاشفينية، وكلها تلاشت وانعدمت الا الحوض او الصهريج الذى ترى بقية منه غربى تلمسان البالغ طوله مائتى وعشرين مترا وعرضها مائة وخمسون مترا فى عمق ثلاثة امتار فانه حافظ على وجودة الى الان وكان انشاؤه حوالى سنة ٧١٦ و ٦٧٢٨ هـ ١٣١٣-١٣٣٦م وقد كان يستعمل هذا الحوض للسباق بين الزوارق والقوارب في ايام الاعياد والمواسم والاحتفالات الملكية كما هو مستعمل للسوقى والري؛ ويقال ان انشاءه كان لاجل تمثيل وقعة قتال بحرية للسلطان؟ . . .

كما يذكر عن ابى حمو الاول انه احدث بتلمسان سنة ٦٣١٨ هـ ٧١٧ قصبة خصها بسكنى من عنده من رهائن ابناء زعماء القبائل الذين هم تحت طاعته وامراه وهم كثيرون؛ فأنشأ لهم هذه القصبة على شكل مدينة محتوية على

جميع المترافق والضروريات التي تبني عليها حياة المدن من اسواق ومساجد
الخ... واذن لساكنها بالزواج فكانت تعج باصحابها وتضج ضجيج العاصمة
الكبرى وصارت بذلك كما يقول ابن خلدون من اغرب ما يحكى في
الصور عن سجن

وعلى هذا المنوال كان ابناء زاوية الشیخ ابراهيم التازی بوهران ٨٦٦هـ
٤٦٢م فانها كانت علاوة على ما هو معهود في الربط والزوايا من كثرة البيوت
والمقاصد وتعديل مساكن اللاجئين والفقراء الخ... فإن فيها ايضا مدارس ومساجد
وحمامات وصهاريج وبساتين ومخازن وخزائن كتب وسلاح الخ... فإذا كانت
هكذا بنيات الشعب والرعاية فكيف تكون أبنية الملوك ... وان هذه
المباني والآثار كما يقول الدكتور غوستاف لوبوون : تظهر بين اضمن مصادر
التاريخ، فهي كتب لا تذهب ابدا، وهي تشتمل على لغة بالغة الوضوح، بيد انه
لم يبدأ في ادراكها في غير ايامنا،

ولقد ضبط اهل الاحصاء ما كان من منازل السكينة بوهران قبل الاحتلال
الاسباني بعشرين سنة بلغ الى ستة آلاف دار؛ اما عدد التجار والحوائط
فانها انافت على الف وخمسين متجر، ويضاف الى ذلك طبعاً عدد مناسب من الفنادق
والحمامات والأفران والرحايا والقاعات والمصانع والمطاحن والأسواق والمساجد
والمدارس وهلم جرا مما تقتضيه مراقبة الحياة، وقد يكشف لنا فن المعمار
احياناً عن عناصر التاريخ التي لا تحدث عنها الكتب

قال يحيى بن خلدون وهو من عاش بهذه العصر الذي نوره ولا ينس ملوكه،
يصف تلمسان : «وبها للملوك قصور زاهرة اشتغلت على المصانع المفادة، والصروح
الشاهقة والبساتين الرائفة مما زخرفت عروشه ونمقت غروسه، وتناسبت اطواله
وعروضه فازرى بالخورنق والسيير» وبالمجملة فإن تلمسان أصبحت كما يصفها
 المؤرخ الكبير اخوه عبد الرحمن : اعظم امصار المغرب ونفقت بها اصناف

العلوم والصناعات وضاحت امصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية.
وذكرها مثل ذلك عن مدينة وهران بما فيها من المؤسسات العامة
ومراكزها التجارية المتنوعة ومساجدها ومتاحفها الجميلة ومدارسها الشهيرة بعد اوس
غرناظه واشبيلية كما وصفها الكاتب الاسپاني «الفاريز قوميز» Alvarés Gomés

انهيار دولة بنى عبد الواد الزيانية

حياة الدول او الامم هي كحالة الافراد كل يعاني منها ما يعاني الآخر من
تقليبات الزمان وضرراته وتقلياته من حال الى حال وتطوراته المستمرة الى غير
ذلك من النوايس والعوامل الطبيعية فتولد وتنمو وتدير ايامها ما بين سعادة
وشقاء وراحة وعنة، وبؤس ورخاء وقوة وضعف وارتفاع وانخفاض وحياة
وموت، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبدلًا.

وإذا علمت كيف كانت وضعية الجزائر السياسية والاجتماعية في اواخر عهد
الدولة الزيانية من التشتت والاضطراب وما احاط بها يومئذ من الفتن والمشاكل
المتنوعة المهددة، بسبب تطابق الدول المجاورة على محققتها وتساقتها الى محوها
والقضاء عليهما، مع اعتداءات القبائل العربية والعشائر البربرية المتكررة،
وتزاحم المشيخة والقيادة على الرئاسة وتتبع مصالحهم ومنافعهم الخاصة بدون
مبادرات ولا تفاتات الى مصالح الشعب والوطن، فاذا علمت كل ذلك تيقنت وان الدولة
الجزائرية يومئذ اشرفت على الهرم لامحالة بل انها ولاريب ذاهبة الى التدهور والزوال
وزد على ذلك مضائقات الان rak والاسبان وحملاتهم وحررو بهم المتواالية
بالجزائر مع تطلع دولة الاداريين السعديين الى امتلاكها وضمها الى مملكتها انغرافية
مع انهم اك الدولة الزيانية يومئذ واستغراقها في حروبها الداخلية لرد هجمات
المشقين وقمع طوائف التائرين ودفع غاراتهم المتكررة.....
فاذا استحضرت ذلك كله ودرسته على ضوء ما قدمنا لك من الحوادث

ولاية الجزائر وزعماؤها

اشتهر من ولادة هذه الدولة وزعمائها ورؤساء العشائر وقادتها وشيخ القبائل
وسادتها : الرئيس القاضي ابو محمد عبدون الحباك حاجب يغمرا بن بن زيان،
ومن اعيان الوزراء والحجاب يحيى بن محبون او - مقن - ؟ وأخوه عمروش
ولداته يحيى وعمر، ويعقوب بن جابر ورحون بن محمد الحراسانيان، ولقد كان
تدوين مدينة تدليس واطاعتها لبني زيان على يد جابر الحراساني هذا سنة ٧٥٣هـ
(١٣٥٢م)، ومنهم الوزير غانم بن محمد الراشدي، ومعروف بن الفتوى
التجانسي، ويحيى بن موسى الجمي ومحمد بن ميمون بن الملاح ولداته من بعده
الأشقر فابراهيم وعمه على بن عبد الله
كان آل الملاح هؤلاء من بيت مجد وحسب من اهل قرطبة الاثرياء،
اكتسبوا ثروتهم بطريق الزراعة والغلاحة، واشتهروا بالصدق والعفاف وحفظ الامانة

والتيدين فاختارهم ملوك هذه الدولة للعمل بدار الضرب في تلمسان، وعرف من بينهم اثنان : عبد الرحمن بن محمد الملاح متولى الاشغال على عهد يغمراسن بن زيان، ومحمد بن ميمون الوزير، ثم كان انفراط هذه الاسرة يوم اغتيال السلطان ابى حمو الاول سنة ٥٧١٨ هـ ١٣١٨ م

ومن الوزراء العلّاج القطّلاني المعروف بالشدة وشراسة الاخلاق، ولما حجّ سنة ٥٧٢٥ هـ ١٣٢٥ م « اذاب عن الحاج ابا عبد الله محمد بن حوتية ثم اعتقل ومات في السجن ، ومنهم الحاج ابو عمران بن موسى بن بوجوث المؤلوي وابو عبد الله محمد بن عامر الولهاصي وابو عبد الله محمد بن سعود ، وابو محمد عبد الله بن مسلم ، ويحيى بن داود بن على من آل ابن مقن وعبد الله الزرداي المشهور بالبسالة والاقدام ، ومنهم منصور بن ابى غانم آخر وزراء الدولة الزيانية وأخوه عبد الله سفير الدولة الى اسبانيا

ومن اصحاب الاشغال : ابو زكرياء يحيى بن محمد ، وابو المكارم منديل بن العلم وابو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الشامي ، وعبد الرحمن بن النجاشي مدبر مملكة السلطان محمد بن ابى ثابت

ومن الكتاب العسكريين والمدنيين ايضاً : محمد بن غالب قتل يوم ثورة النصارى على السلطان يغمراس بن زيان . فتولى بعده ابو عبد الله محمد بن جدار ، ثم ابو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسي المتوفى يوم عاشوراء ٦٨١ هـ ٢٠ افريل ١٢٨٢ م . وابو عبد الله محمد بن المعلم ، وابن خميس شاعر الجزائر واديهما الكبير في القرن السابع ، وابو عبد الله محمد بن المرقوم الہسکوري ، وابو عبد الله بن مدوره ، وعبد الواحد بن محمد الزواق ، نكّب في دولته الاخوين السلطان ابى سعيد وابى ثابت ، فخلفه على بن محمد بن سعود ، وابو عبد الله محمد بن على العصامي ، واحمد بن الحسين المديوني ، وابو عبد الله محمد القيسى المشهور بالمشوش ، ثم نقل هذا الى امانة الممال عائى عهد ابى حمو الثاني

وفي سنة ٥٧٦٩ هـ (١٣٦٨ م) دعا السلطان ابو حمو الثاني لجياته الفيلسوف العالم المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون في الحال بينهما العوائق وعاقت المؤرخ المولاع فنانب عنه اخاه يحيى فشعلها الى ان قتلها ابو تاشفين الثاني سنة ٥٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م)

وتجددت دعوة ابى حمو لابن خلدون سنة ٥٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) ليقوم له بالسفرة لدى عرب الدواودة؛ فامتنع وآثر التخلى عن السياسة والاقطاع للدرس والبحث والتأليف فنزل باهله وولده قلعة ابن سلامة او بنى سلامة (١) فأقام بها اربعين اعوام اكمل فيها تأليف مقدمة تاريخه الحافلة، ثم استجاب بعد ذلك لطموحه السياسي البعيد وغريزته الوثابة الجاححة فلبى دعوة ابى حمو واخذ في بث دعوته في البلاد ونشر مناقبه بين اهل بجاية وما حولها من القبائل عاملًا على تحويلهم من جانب ابى العباس الحفصى وتوجيههم الى ناحية السلطان ابى حمو.

خرج ابن خلدون صحبة امير بسكرة ومن استمالهم اليه من الزعماء ومشايخ العرب في جموعهم الكثيرة متوجهين الى نصرة السلطان ابى حمو؛ وكان اللقاء بينهم وبين السلطان في مدينة البطيحاء – البسيط الواقع بين مدينة غيليزان ووادي شلف – فلازمهم ابن خلدون مدة الى ان اطلقهم عيد الفطر هناك فيخطب ابن خلدون وصلى بالسلطان صلاة العيد ثم انشده عند انصافه

(١) المعروفة الى الان بقلعة تاوغزوت، تقع على نحو ستة كيلومترات بالجنوب الغربي من مدينة فرندةواقعة على وادي التحت بمقاطعة وهران من بلاد الجزائر، كما تبعد ايضا عن مدينة تيارت الحالية بالجنوب الغربي يتسم مراحل، وكان مسكن ابن خلدون منها بقصر ابى بكر بن عريف، وهو من احفل القصور وافقها؛ اقام به مؤرخنا الجليل اربع سنوات اكمل فيها تأليف مقدمة تاريخه العجيبة النفيسة، واما سلامه الذى تنساب اليه القلعة المذكورة فهو سلامه بن على بن نصر بن سلطان رئيس بنى يدللن من بطون توجين، سكن تاوغزوت واحتضن بها القلعة فنسبت اليه وكانت من قبل رباطا لبعض العرب المنقطعين من بنى سويد، انظر ابن خلدون

من المصلى قصيدة في التهنة بالعيد وفيها حث وتحريض للسلطان، طالعها :
 هذى الديار فجيهن صباحا
 وقف المطايما بينهن طلاحا
 لا تسأل الاطلال ان لم تروها
 عبرات عينك واكفا ممتاحا
 فلقد اخذن على جفونك موتها
 ان لا يرین من البعاد شحاحا
 ايهم على الحى الجمیع وربما
 طرب الفؤاد لذكرهم فارتاحا

ثم تغير نظر ابن خلدون الى ابي حمو فانقلب على صاحبه وتحول الى السلطان عبد العزيز بن السلطان ابي الحسن المریني ملك المغرب الاقصى وانتظم في سلك الحملة التي بعث بها الملك لغزو تلمسان ومحاربة ابي سمو صديق ابن خلدون بالامس

وكان على قيادة الجيش ورئاسة الجندي يحيى بن موسى السنوسى الذي طالما تولى القيادة فاحتوى عليها غالباً، وهو الذى فتح تونس سنة [٥٧٢٩ هـ] وكان من قبل عاملاً لازباً نيين على ولاية شلاغ الممتدة من حدود مدينة دلس الى المدينة، وكثير القادة موسى بن عاي الغزى؛ والقائد عيسى بن مزروع الياتكشى، والامير ابو سرحان مسعود الزباني؛ واجتمع موسى الكردى كل من منصبي القيادة والحجابة معاً، وكان يعيش بن راشد المجنى قائداً بالجزائر ودلس، وعطية بن موسى الركاب قائداً بشلاغ، وواطفل بن عبو بن حماد قائداً بمدينه، كما تولى القيادة بها ايضاً يوسف بن حسين التجانى؛ وقائد بنى راشد : زيان بن ابي يحيى بن ونzman، وقائد منداس ووانشريس : ابراهيم المصوحي، وقائد وجدة : موسى بن خالد بن محمد، وقائد ندرومة : زكرياء بن يخلفن المطغرى، وقائد سجلماسة : عبد الملك العبد الوادى المقتول يوم فتح المرینيون سجلماسته [٥٦٧٣ هـ] ويحيى الزعيم عامل مستغانم، وابن اخيه داود كبير اهل الشورى؛ وكان المتصدر بن ابي حمو الثاني والياعى مليانة والجزائر، كان ولى منصب مليانة ايضاً الامير محمد بن يوسف بن يغموراسن، وكان على بجاية ابو هلال عياد

المتوفى سنة ٥٦٧٣ [م١٢٧٤] وعبد الرحمن بن رضوان وصي العرش الزيانى أيام المؤلى محمد، والقائد احمد بن سليمان، والقائد ابراهيم. والقائد ابوالآخر اص اسيير الاسبان.

واشتهر من شيوخ العرب ورؤسائهم يومئذ سليمان بن موسى المزيدي رئيس بنى يزيد، واستعمل السلطان ابو حمو الاول على توجين الحشم : يوسف بن حيان الهاواري واعطاه الطبل والبند، كما استعمل حاجبى مساحا بشاف وبالاد مغراوة وكان راشد بن محمد المغراوى على ناحية وادى شلف

وكان على رئاسة القبائل العربية كل من عبد الله بن شيقىر، وسعد بن العباس، وزيان بن يعقوب، وزيرى بن رحو، ومنديل بن ابي يحيى الصغير وكانت رئاسة منطقة ما بين مدينة قسطنطينة والقل والزاب والحضرنة للدواودة، وواحات تقرت وواد ريح لبني جلاب، ورئاسة بلاد القبائل - زواوة - سلطان كوكو المقيم بقرية آيت يحيى على بعد ثمانين كيلومترات شرقى بلدة ميشلى

وكانت رئاسة مشيخة الجزائر لبني علان، ثم انتقلت منهم الى بني سالم بن ابراهيم من الشعالية، ومنهم سالم التومى آخر ولاية مدينة الجزائر على عهد بني زيان . وكانت ولاية سهول شلف لبني ثابت بن منديل المغراوى. وقد كان ثابت هذا على ولاية برشك فأوقع به السلطان ابو سعيد لغدر صدر منه سنة ٥٦٩٣ [م١٢٩٣] ، ومنهم اخوه ثابت بن منديل : محمد وعمر وعابد، وكاهم تولى رئاستة مغراوة؛ وكان من مشمول هذه الولاية مدينة مليانة وتنس وما زونة وبرشك وشرشال، وآخر من تولاها منهم على بن هارون ٧٧٤ - ٥٧٧٦ [م١٣٧٤ - ١٣٧٢] حاصره ابو تاشفين بن ابي حمو واخر جه من ارض مغراوة في ربيع الاول - اوط - من التاريخ المسطور فلتحق بيجاية ثم ارتحل عنها الى الاندلس وبذهابه انقرضت اماراة بني منديل من مغراوة وكان على

ولاية وهران كعامل ومدير لشئونها على عهد السلطان احمد المعتصم بن ابي حمو
المسعودي محمد الزكاجي

وكان رئاسة واركلان - بني ورجلان - في آل بنى ابي عبد . ويعرف
عندهم الرئيس بلقب السلطان ، ورئاسته توحين في آل عبد القوى بن العباس
من بنى منكوش وفي بنى تيغري كذلك وأولاد عزيز ايضا
وكان رئاسة قلعة تاوغزوت قرب فرندة في بنى سلاممة بن على
بن نصر الى ان خربها ابو حمو الثاني سنة ٥٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) ومن رؤساء
برشك زيرم بن حماد المكلاتي المستبد بها سنة ٥٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) فقتلها بنو عبد
الواحد سنة ٥٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م)

واشتهر من السفراء العلامة ابو عبد الله محمد الشريف التلمساني ؛ ودادود بن
محن ، وعبد الله بن محمد بن ابي غانم ، في آخرين لم تحضرني الآن اسماؤهم

ملوك الدولة الزيانية

في الدور الثالث والأخير

تاریخ التولیة

م ١٥١٧ - ٥٩٢٣

ابو زیان احمد «الثاني»

م ١٥١٨ - ٥٩٢٤

ابو محمد عبد الله «الثاني»

م ١٥١٩ - ٥٩٢٥

ابو السرحان المسعود

٠٠٠٤ - ٠٠٠٤

ابو محمد عبد الله «للمرة الثانية»

م ١٥٢٤ - ٥٩٣٠

ابو عبد الله محمد «السابع»

م ١٥٤٢ - ٥٩٤٩

ابو زیان احمد «الثالث»

م ١٥٤٤ - ٥٩٥٠

ابو عبد الله محمد «السابع» - للمرة الثانية -

م ١٥٤٤ - ٥٩٥٠

ابو زیان احمد «الثالث» - للمرة الثانية - عامل عثمانی -

م ١٥٥٠ - ٥٩٥٧

الحسن بن عبد الله «الثاني»

استيلاء صالح رئيس باشا على تونس نهائيا ٥٩٦٢ - م ١٥٥٤

مشاهد الجزائر

ابو الفضل محمد المشدالى

(١٤٦٠ هـ ٨٦٤ م)

هو اوحد زمانه وعلامة عصره وآوانه الشيخ ابو الفضل محمد بن محمد بن ابى القاسم المشدالى - بفتح الميم والشين المعجمة وتشديد الراء، نسبة الى مشدالة احدى قرى بجاية -

ولد المترجم بجاية ليلة النصف من رجب سنة عشرين وقيل احدى أواثنى وعشرين وثمانمائة للهجرة [١٤١٧] في بيت علم وصلاح، مشهور من قبل باقتطاع اهله الى التدين والنقوى وخدمة العام، فكان ممن ذاع صيته من العلماء من آل المشدالى بهذا البيت: ابو علي ناصر الدين المشدالى، وابو موسى عمران المشدالى ووالد المترجم عالم بجاية وخطيبها ابو عبد الله محمد بن ابى القاسم المشدالى، واخوه الشقيق محمد بن محمد المشدالى.....

نشأ ابو الفضل على غرار اسلافه شغوفا بالادب والعلم والحكمة، متقد الذهن ملتهب الذكاء، واعيا قوى الحافظة، أخذ القرآن الكريم برواياته السبع عن والده وحفظه في سن مبكرة من صباه تدعوا الى الدهشة والاعجاب فقد روى انه ابتدأ حفظ القرآن بجاية في السنة الخامسة من عمره واكملا

ثم أخذ في البحث والدرس والتغليم لما حفظ من كتب العلم والأدب فاختطف إلى المشائخ ولازم منهم الشيخ أبي يعقوب يوسف الريغي فأخذ عنه علم الصرف والعرض، ثم أخذ عن أبي بكر التلمساني فنون اللغة والمنطق والأصول والميقات وعن أبي بكر بن عيسى الوانشريسي أخذ الميقات أيضاً

(١) يرى دارس تاريخ الحضارة والثقافة الإسلامية في مختلف بلاد العالم الإسلامي ان مثل هذا النوع من الذهاب وسرعه، الحفظ في مقتبل العمر كان معروفا به كثيرون من العلماء المتقدمين الذين سمعوا فإنه اتقن علم لغة آن والأدب وحفظ اشعار من اصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة وعمره عشر سنين، وحفظ قادة القرآن في سبعة أشهر، واتم شهر بن عبد الله التستري حفظ القرآن وعمره ست او سبع سنوات، واكمل تاج الدين الكندي القراءات العشر وله عشرة اعوام، وذهب عمر بن احمد العديم الى المكتب وعمره سبع سنين وختمه القرآن وله تسع سنين وقرأ بالعشر له عشرة سنين، وحفظ امام الشافعى القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ لمطأته حتى عمره سنة ٥٠٠٠ ميلادي ابن خلakan ج ١ ص ١٩١ والعقد الفريد ج ٣٦٧ والاحياء ج ٣ ص ٥٩ والدارس ج ١ ص ٤٨٣-٤٨٤ وعيجم الادباء ج ٦ ص ٣٦

ثم على يعقوب التيروني النحو؛ ثم على أبي إسحاق ابراهيم بن احمد بن ابي بكر في النحو والمنطق، ثم على موسى بن ابراهيم الحسناوي في الحساب ثم الحساب ايضا مع الصرف والنحو والاصدرين والمعانى والبيان وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه عاى والده ابي عبد الله ثم الاصدرين على ابي الحسن على بن ابراهيم الحسناوي – لعله اخو موسى المتقدم الذكر؟

ويذكر عن ابيه انه امره بمطالعة غزوة بدر ليحضر بها في الميعاد فحفظها المترجم برمتها من سيرة ابن اسحاق بما فيها من الاشعار وحاضر بها من العشاء الى نصف الليل واصبح فساقها حتى بهر الحاضرين

ولما كان عليه الشيخ من الطموح الى ارتقاء المعنى والرغبة الجامحة في نيل مقام اكابر العلماء تاقت نفسه الى التبحر والتعمق في العلم فتعلقت همته بالرحلة والتغرب للقاء المشيخة كما هي سنة السلف في ذلك؛ فارتجل من بلده الى تلمسان سنة ١٤٣٦هـ (١٩٠٤م) وهناك اجتمع باهل النظر والفضل من حضنة العلم واولى العروfan، وكان من اشهر من اخذ عنهم يومئذ من علمائها عشرة : ابن مرزوق الحفيظ فأخذ عنه التفسير والحديث والفقه والاصدرين والادب بقانونه والمنطق والجدل والفلسفيات والطب والهندسة، واخذ عن ابي القاسم بن سعيد العقابي الفقه واصول الدين، وعن ابي الفضل بن الامام التفسير والحديث والطب والعلوم القديمة. الحكمة. والتصوف، وعن ابي العباس احمد بن زاغو التفسير والفقه والمعانى والبيان والحساب والفرائض والهندسة والتصوف، واخذ الاصول عن ابي عبد الله محمد بن النجاشي المعروف بساطور القياس؛ وذلك لشدة معرفته بهذا الفن، وكان مما قرأ عليه من كتب هذا الفن مختصر ابن الحاجب الاصلى، وكان مرجع الناس اليه في امر المختصر هذا، ولقد تمكן المشدالى من فن الاصول حتى فاق شيخها؛ فكان اذا عرض لشيخه هذا اشكال في الفن امر تلامذته ان يذكروه بمحضر المشدالى رجاء حله على يده، كما انه اخذ عنه علوم

البيان ايضاً، وتلقى الفقه عن أبي الريبع سليمان البوزيدى ودان هذا من اعلم الناس يومئذ به، وعن أبي يعقوب يوسف اسماعيل الحساب والفرائض، واتفق من فن الحساب وعلم الجبر والمقابلة وغيرها من الرياضيات وعلم الهيئة وجر الانقلال على أبي الحسن على بن قاسم، وتبخر في علم التقاويم والميقات بانواعها من فنون الاسطربلات والصفائح والجيوب والهيئة والارتماطيقى والموسيقى والطلمسات والاوفاق وما شاكها وعامر المرايا والمناظر الخ.... على ابن عبد الله محمد البورى واتفق الطب على محمد بن على بن افشوش التلمساني وبعد ان امتلأت او طاب الشيخ بالعلم واحاط باصوله وفروعه وجام اشتاته عاد الى بلده بجاية سنة ٤٤٠ هـ [١٤٤٠] مبرزاً على اقرانه مشاراً اليه، فتصدر بها للقراء وتدرس العلم

ذكر السخاوي فيما روا عن البقاعي قال وحدتني الصالح احمد الزواوى عن بعض فضلاء المغاربة ان ابن مرزوق قال ما عرفت العلم حتى قدم على هذا الشاب ، فقيل له كيف ؟ .. قال لاني **كنت اقول** فيسلم كلامي ، فلما جاء هذا شرع يناظنى فشرعت اتحرز وافتتحت لى ابواب من المعرف . او نحو هذا، ونقل البساطى عنه ايضاً انه قال : ان عاش هذا كان عالم المسلمين ، ونقل عنه ايضاً ان ابن مرزوق **كتب** لايته فيما قيل : انه قدم علينا وكتنا نظن به حاجة اليها فاحتاجنا اليه **اكثر** . وكان ابن مرزوق وابو الفضل بن الامام يامران تلاميذهما بالقراءة عليهما فاسرع اليه غالبهما فاتفعوا به كان منهم احمد بن زكري الم المشار اليه بالتقدم في العلم والرئاسة بتلمسان ؟

وفيما بين اواخر السنة الاولى واوائل الثانية التي عاد فيها المشدالى الى بجاية ارتحل الى بلد العذاب - بونة - وقسنطينة فحضر بها مجالس العلماء **ساكتا** من غير ان يتعرف احد، وفعل مثل ذلك في دخوله لتونس سنة خمس واربعين ثم توجه الى الديار المصرية على ظهر سفينة لنصارى جنوة فارست به في قبرس فنزل هناك

وتجول مستطاعا في ارضها فرأى بها عجائب وحصل له مع بعض اساوقتها مناظرة ثم ارتاحل من قبرس في ذي القعدة [مارس ١٤٤٢] فارسي به مركبه في بيروت، فطاف بلاد الشام : دمشق وطرابلس وحمّة، ثم قطن بالقدس مدة ٥٨٤٩ وشاء ذكره فملا الاسماء ووقع على تفضيله الاجماع، ثم حجّ سنة ١٤٤٥ وجاور ثم دخل القاهرة مع الكمال بن البازري وهناك ارتفع شأن الشيخ عند السلطان وارباب المملكة واركان الدولة سيمما منهم الكمال وصهره الجمال، وأخذ بينهم الشيخ في نشر علومه وأملاه دروسه في عدة فنون من معقول ومنقول فأدهش الالباب وبهر العقول فزادت بذلك حظوظه وعلت منزلته عند الخاصة وال العامة :

وكان من تعرف اليه في مصر وتشرفوا بصحبته الامام السخاوي فترجم له في ضوئه ترجمة ضافية وقال عنه : « وقد حصلت بيننا اجتماعات وصحبة ورأيت منه من حدة الذهن وذكاء الخاطر وصفاء الفكر وسرعة الادراك وقوية الفهم وسعة الحفظ وتقد القرىحة واعتدال المزاج وسداد الرأي واستقامة النظر ووفر العقل وطلاقة اللسان وبلاعة القول ورصانة الجواب وغزاره العلم وحملة الشكل وخفة الروح وعدوبه المنطق ما لم اره من احد. وحيكى عن درسه فقال :

« .. ثم حضرت درسه في فقه المالكية بالجامع الازهر في ذي القعدة سنة اثنين وخمسين -- من القرن التاسع الهجري -- فظهر لى انى مارأيت مثله؛ ولا رأى هو مثل نفسه وان من لم يحضر درسه لم يحضر العلم ولا سمع كلام العرب ولا رأى الناس بل ولا خرج الى الوجود؛ قال ومن سمع كلامه في العلم علم انه يخبر عن مشاهدة ومعاينة وان غيره يخبر عن غيبة وليس المخبر عن المشاهدة كغيره؛ ولهذا نجد كلامه في القلب اثبت من كلام غيره؛ ولم ار اعظم تحريرا للهيمير من حاله ولا اشهد فعلا للاتلوب من مقاالته؛ سمع درس واحد من من تقريره اكثرا نفعا من سماع مائة من غيره. هيئة لعمري

لا يحاط بكنها ، وهو آية ابرزه الله في هذا العصر للعباد ؟ . فمن قبلها يرجى له بركتها ومن اباها خشى عليه معاجلة العقوبة، لا يشبه كلامه في جزاته الا كلام العرب العرباء ولا يضاهيه في طلاقته ورصانته سوى الاباء على انه محسو من دقيق المعانى بما يمنع لعمري من التصنع ويشغل عن التكلف، بل تلك منه سجية غير محتاجة الى روية، وهمة عالية ما جنحت قط في التحصيل لدنيه؛

لها خصائنا رؤوس المساير

صفات يغار البدر منها ويشتى

قال : فكان يقرأ القاريء بين يديه ورقة او اكثرا ثم يسرد ما تضمنته من تصوير المسائل ويستوفى كلام اهل المذهب ان كان فقهها وكلام الشارحين ان كان غير ذلك ثم يتبع ذلك بباحث تتعلق بتلك المسائل، كل ذلك في اسلوب غريب ونمط عجيب بعبارة حزلة وطلاقه كأنها السيل، وتحرز بدیع بهیث یکون جهد الفاضل البیحاث عند غیره ان یفهم ما یلقیه ویدرك بعض ادراك ما یجلیه، ولقد حدثتی غیر واحد من ثقات الافاضل ان الطلبة قالوا له تنزل لنا في العبارة فانا لا نفهم جميع ما تقول فقال شيئاً یکاد یكون کشفاً، لا تنزلوني اليکم ودعونی ارقیکم الى، فبعد كذا و كذا ملءة حدها تصيرون الى فهم کلامی، فـكان الامر كـقال !

قال السیخاوي : وسمعت البقاعي يقول غير مرّة انه - اي المشدالى - لم يكن ينظر في دروسه التفسيرية في غير القرآن، وانه يستملقى على قضاة ويتأمل فيأتي بصواعق لا ينهض غيره لها وانه كان يفعل ذلك في كل علم يقرؤه او يقرره لا يزيد على نظر المتن وحکى عن على البسطى ذلك فقال : كان ابو الفضل اذا قرأ علمًا لا يقرأه غيره ولا يزيد على تذكره مطالعة المتن ولا يطالع شرحه ولا غيره....

وفي يقول ابن ابی عذیبة : «الامام العلامة اوحد اهل زمانه قدم علينا القدس سنة سبع واربعين فاقرأ العضد وكتب المنطق والمعقولات وشهد له الائمة ببلدنا

وبدمشق ومصر وطرباس انه اوحد اهل الارض وانه عديم النظير في جنس
بني آدم، وانتي عاجز الآن عن عبارة اصفه بها فان كل عبارة هو فوقها.
قال ثم دخل مصر فولى تدريس القبة المنصورية فدرس بها العجب العجاب
وتعين لقضاء الشام ثم لمصر فابى، ولا يحضرني الآن من يضاهيه في شهرة
علومه، ثم نقل عن العز القدسي انه قال : ولو سكتوا اثنت عندها الا حفاظ ،
وعن ابن الهمام انه قال سأله عن مسألة في اواخر الاصول، فاجابني عنها باجوبة
من لو طالع عليها ثلاثة اشهر لم يجب فيها بمثله ! وعن الزين قاسم الحنفي
قال ما سمعت العلام من مثل

قال السخاوى «واراد الله ان مرض الامام ابن حجر بامراض منها ضيق
النفس في نحو نصف ذى القعدة سنة اثنين وخمسين وطال مرضه؛ فذكر له
الكمال والشرف بن العطيار بسانه يتعين ان ينظره - المشهدانى - ليشخص مرضه
وينظر علاجه فانه في الطب واحد عصرة وفريد دهره وكان قد تكرر على
سمعيه من معارفه وعظمته عند الاكابر وعقله وسياسته وثباته ورزااته ما قرر
عنه امرة وملا صدره حتى اشتهى ان يراه ولو نظرة فطلبها منه ما واجه عليهما
فكلياه في ذلك فامتنع لكراهته ان يشتهر بالطب... فلم يز الا يتلطفان به ويقتربان
اليه الى ان اجاب، فعاده في يوم الاحد منتصف ذى الحجة وهو في اشد المرض
فابتھج به ابتهاجا كثیرا وعظمه تعظیما كثیرا ثم نقل عن ابن الهمام انه قال:
هذا الرجل لا ينتفع بكلامه ولا ينبغي ان يحضر دروسه الاحداق العلماء وسئل
عن النسبة بينه وبين ابي القاسم التویرى فقال : جهد ابي القاسم ان يفهم عنه
وكتب الشهاب الابدى لوالد صاحب الترجمة فقال :

..... ان الله خول سيدنا و مولانا و ملاد انسنا ابا الفضل ولدكم الاسعد
من الفتوح الاهية و المبنى الروابية مما امتحنه صالح دعائكم و حسن طويتكم
و اعتقادكم ان جعلكم الله بحر العلوم زاخرة، و عنصر الفضائل فاخرة، و محاسن

متوالية متظافرة، فكم ابدي من دقائق خضعت لها الرقاب، ونفاس هامت بها ذوى الاباب، ومباحث شريفة كشفت دونها الحجاب، فأبكت ذوى العقول وحج اصحاب المعمول والمنقول، فدانت له المملكة المصرية والاقطار الشامية والبلاد القاسية والداينة فحاز الرئاستين وقام بالوظيفتين فالرؤساء حول دياره مخيمون وعظاماء المذهب بفناء منزله محومون، فالوصف يقصر عما هو فيه ابقى الله وجوده وزاده في معاليه وعن سعد بن الدبرى قال : كنت اذا كامته بكلام يفهم آخره قبل ان اتمه وهو احد الانتماء في الدنيا في علوم عديدة سمعا المعقولات .

ولم يلغ عنده فيما وفقنا عليه من كتب السير والتراث وعرفناه من ترجمته الواسعة ان لم من التاليف سوى كتاب واحد، وهو شرحه على جمل الخونجى فقط وان صنيعه فيه حسبما ذكره السحاوى نقلًا عن البقاعى قائلا : « انه شرحه على طريقة حسنة، وهي ان ينظر في شروحها لابن واصل الجوى والشريف التلمسانى وسعيد العقبانى وأبن الخطيب القشنبىلىنى وأبن مرزوق فيما اجمعوا عليه ساق معناه وكذا ما زاده احدهم وما اختلفوا فيه ذكر ما رأى انه الحق، كل ذلك بعباره يتذكرها ثم تهم ذلك بما وقع للمتقدمين من علماء المسلمين فمن قبلهم في تلك المسألة مما يرى انه محتاج اليه من التحقيقات ». »

وعلومن ان كل ذى نعمة محسود وانه لا عظم ولا اجل من نعمة العلم والمعرفة وعلى الاخص ما حازه المترجم من شرف المنزلة عند رؤساء الدولة وسادة علماء المشرق والمغرب وما شهد له به الاعلام من التفوق المطلق على كل من عاصره او جمع بينهما مكان، فكان ذلك سببا في بعث داء الحسد والمنافسة في صدور بعضهم فبالغ في الطعن في علمه واخلاقه ووصمه بالجهل والدනاءة ويروى لنا السحاوى في ذلك عن الشيخ عبد القادر المحيوى المالكى روايات قال : والله انه لا عهد له بالفقه بل سمعت قراءته الفاتحة في الصلاة فما اجادها ! . . . وروى عن

ابي القاسم التویرى انه قال لما دخل المشدالى مصر وارتجمت عليه والتف الناس حوله واقبل عليه الحاصة والعامنة : اي شىء هذا الطبل الذى طبل بمصر؟ .. بلغ ذلك المشدالى فقال : قوله ذلك عنى ي يريد انى مزوق الظاهر فارغ الباطن فليحضر ليمرى .

حسدوا الفتى اذا لم ينالوا سعيه فالكل اعداء له وخصوم
وطعنوا في غرائبه الطبيعية ومذكاته الحلقية وبالغو في تقيصه فقالوا انه كان
مخل المروءة كثير الترفع على اصحابه سيمما في الملاء ، عظيم النهاون بهم عديم
النفع لهم ، لين الجانب لمحاليه غير بعيد من نفعهم وهو يستتر هذه النقائص ببعد
غوره غاية الستر فلا يذوقها منه الا النحريين في اوقات الغفلات فإذا ظهر له منها
شىء انهتك الباقى ، فهو لعمرى اعجوبة الزمان حفظا وفهمها وتوقدا وذكاء وعلما
وخبئا ومكرها ودهاء وتواضعا وكبرا ، قال السيخاوي : ومن عجائب حظه انه
تحجب لشيخنا ابن حجر بانواع التجحب فاتاه ليته فلم ير منه انصافا وظن ان
الاشعارات بفضائله مغالاة او غلط مما لا نباهة له فترفع حينئذ عن التردد اليه مع
توقع ان يراه في بيوت بعض الاكابر فيريه من انتظاره ودقة فكره ما يكيم
فكره ويعلى عنده قدره بحيث كنت اظن ان ذلك يفضى الى ضد المراد من غيظ
وتعاد واجتهدت من الجانسين في الاجتماع على وجه جميل فلم استطع الى ان
اراد الله مرض ابن حجر وقد تقدمت حكاية حاله معه ..

وبعد ما اطنب وتوسعم السيخاوي في ذكر بعض المتناقضات من اخلاق المشدالى
قال : « وباجملة فكان غاية في جودة الذهن وسرعة الادراك وقوة الحافظة الا انه
كان سريع النسيان قليل الاستحضار ولاجل هذا لم يكن يتكلم في المجالس الانادر
خوفا من الاستظهار عليه بالمنقول؛ واذا طالم محلا اتى فيه بما يهرب السامع وقد
تكرر اجتماعي معه... وما كنت احمد انحرافه عن شيخنا - ابن حجر - وارغب
في لقاء ابي عبد الله الترسيري لمزيد حبه شيخنا وتقديمه على صاحب الترجمة

في الشرعيات ومحبته في المباحثة والمناظرة والمذاكرات قلت لا غرابة في ذلك فلقد وقعت لـ الله مثل ما وقعت للعلامة ابن خلدون وغيره من العلماء في المشرق والمغرب فالمعاصرة حرمـان

واستاذ عالم متبحر كـهذا الاشكـان يـكثـر تلامذته واتباعـه ومرـيدـوه ذـكرـ بعضـهم السـيخـاوى فـقالـ منـهم بالـحجـازـ البرـهـانـ بنـ ظـهـيرـةـ، وبالـشـامـ ابنـ قـاضـى عـجلـونـ، وبالـقـدـسـ الـكـمالـ بنـ اـبـىـ شـرـيفـ، وبالـقـاهـرـةـ الشـهـابـ الـبـيـجـورـىـ والـدـيسـطـىـ وـابـنـ الفـرـزـالـخـ

ومن شعره رحـمـهـ اللهـ قولـهـ وـكانـ بـلـهـسـانـ سـنـةـ اـرـبعـينـ وـثـمانـمـائـةـ لـهـجـرةـ وـهـوـ فيـ عـهـدـ الشـابـ مـخـاطـبـ بـعـضـ اـصـدـقـائـهـ بـسـجـائـةـ مـنـ اـيـاتـ

برـقـ الفـرـاقـ بـداـ بـأـفـقـ بـعـادـناـ فـتـضـعـضـتـ اـرـكـانـاـ لـرـعـودـهـ
كـيـفـ القـرـارـ وـقـدـ تـبـدـدـ شـملـنـاـ

للـهـ اـيـامـ مضـتـ بـسـبـيلـهـاـ والـدـهـرـ يـنـظـمـ شـملـنـاـ بـعـقـودـهـ
وـتـوفـيـ رـحـمـةـ اللهـ عـلـيـهـ غـرـيبـاـ فـرـيـداـ بـعـيـنـ تـابـ منـ بـلـادـ الشـامـ فيـ شـهـرـ شـوـالـ
اوـذـىـ القـعـدـةـ سـنـةـ ٥٨٦ـ (ـجـوليـطـ - اوـطـ ١٤٦٠ـ مـ) اـيـ قـبـلـ وـفـاةـ والـدـهـ بـسـتـيـنـ
سـقـىـ اللهـ جـدـ ثـئـمـاـ وـابـلـ رـحـمـتـهـ وـرـضـوـانـهـ.

ابو زید عبد الرحمن الشعالي

(١٤٧٠ هـ ٥٨٧٥)

هو فیخر أئمۃ علماء الجزائر وصلحائنهما الانقیاء الورعین الابرار الامام المجتهد ابو زید عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الشعالي الجعفری، نسبة الى عبد الله بن جعفر بن ابی طالب عم رسول الله صلی الله علیه وسلم ولقد تزوج عبد الله هذا بنتی عمه على بن ابی طالب کرم الله وجهه : زینب ثم فاطمة اختى الحسین رضی الله عنہما، وذکر ابن حزم في جمھرة النسب ان هناك بمثیجه وسوق حمزة بالجزائر جعافارة من ابناء جعفر بن الحسن المنشی بن علی بن ابی طالب وكالیهم من ابناء زرذلة السوداء (١)؟

ولد الشعالي سنة ٧٨٦ او ٥٨٧ هـ (١٣٨٥ م) بناحية وادی يسر على نحو سنت وثمانين کيلومترا بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر وهو موطن آبائه واجداده الشعالية ابناء ثعلب بن علی من عرب المعقل فنشأ نشأة علم وصلاح وتقوى اخذ علمه اولاً عن وجده من علماء ناحيتهن تلك، ثم ارتحل الى بجاية فنزل بها سنة ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) ولازم حضور مجلس علماها فأخذ عنهم علما جما وکان عمده فيهم الامام ابا الحسن علی بن عثمان المانجلاطي وابا الریبع سليمان بن الحسن، وابا الحسن علی الیلیاتی، وعلی بن موسی والامام ابا العباس القلاوسي، ثم انتقل الى تونس سنة ٨٠٩ هـ (١٤٦٠ م) فلقی بها جلة من اکابر العلماء فانتفع منهم بالامامین ابی والبرزلي تلميذی ابن عرفة وابی مهدی عیسى الغبرینی ثم انتقل الى مصر فلقی بها البلاطی وابا عبد الله البساطی وولی الدین العراوی فأخذ عنهم ويتم الحجاز فحج وأخذ هنالك عن علمائه ثم عاد الى تونس سنة ٨١٩ هـ [١٤١٦ م] فوافى بها العلامۃ ابن مرزوق

(١) جمھرة ابن حزم ص ٣٩ ط مصر ١٩٤٨ م

الحفيد التلمساني فلازمه واحد عنه فنونا من العلم جمة، قال ولم يكن بتونس يومئذ من يفوته في علم الحديث اذا تكلمت انصتوا وقبلوا ما ارويه تواضعه وانصافه واعترافه بالحق. كما اخذ عن ابى عبدالله القلسانى وعن غيره ايضا منهم وانصافا واعترافا بالحق. من جهابتة العلم المحققين بتونس فحصل على اجازاتهم وادنهم لها في التدريس والتاليف ثم عاد الى وطنه فذا عظيمما في علمه وصلاحه وقدوة حسنة للمسلمين في اجتهاده وكده معتكفا على نشر العلم وهداية الخلق والانقطاع للعبادة والتاليف، فتخرج على يده اعلام وصدور منهم حجۃ علماء الكلام الامام محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ احمد زروق ومحمد المغيلي التلمساني وسيدي احمد بن عبد الله الجائزى وابن مرزوق الكفيف

كان رحمة الله راساً في العبادة وغرة لامعة في الزهد والعلم فولى القضاء عن غير
رضي منه ثم خلُم نفسه وهو دائم المدره في عشيرته وزعيم قومه وملاذهم الذي
به يلوذون ومعقلهم الذي يلتجئون اليه في المدلهمات،
يروى انه ولد خطابة الجامع الاعظم بالجزائر وان من بقايا آثاره المقبرك
بها بعده الى اليوم مقبض عصا خطيب الجمعة بالجامع المذكور

اعتكف الشيخ على التدوين والتأليف وأغلب همه من ذلك خدمة علوم الشريعة المطهورة ولهم في ذلك الباب الطويل فلقد ترك ما يزيد على التسعين مؤلفاً مابين متون وشروح وحواشى وتعاليم وكتب مستقلة في الوعظ والرقائق والتفسير والفقه والحديث والتاريخ «.....» منها كتاب الجوادر الحسان في تفسير القرآن طبع بالجزائر في أربعة أجزاء مذيلاً بمعجم لغوى لشرح غريبه وروضة الانوار ونزهة الاخيار في الفقه قال التنبكتي «وهو قدر المدونة فيه لباب نحو ستين من امهات الدواين المعتمدة وهو خزانة كتب من حصله» وكتاب جامع الهمم في اخبار الامم في سفر بين ضخمین وجامع الامهات في احكام العبادات وهو كتاب جليل طالعنه في سفر ضخم والارشاد في مصالح العباد والانوار المضئية في الجمجم بين

الشريعة والحقيقة وهو كتاب نفيس طالعته في جزء ضخم وكتاب النصائح وجامع الفوائد وتحفة الاخوان في اعراب بعض آي من القرآن والذهب الابريز في غرائب القرآن العزيز ولها شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعى وفت عليه عند قيم الصريح بزاوته بالجزائر وهو في سفررين ضخمين ولها شرح على مختصر خليل بن اسحاق وكتاب الدرر الموارم في قراءة نافع طبع بالجزائر، ونبذة من الجامع الكبير طبعت بالجزائر وكتاب العلوم الفاخرة في احوال الآخرة طبع بمصر، الى غير ذلك مما ينبع على التسعين مؤلفاً كذا ذكرنا ويقال ان اغلبها موجود بارض السودان؟

ولم يزل رحمه الله ورضي عنه عاكفاً على الطاعات متجرداً عن الدنيا وياتى الى ان وفاته اجله ضحوة يوم الجمعة ٢٣ رمضان المظ�م سنة ٥٨٧٥ هـ (متتصف شهر مارس ١٤٧١ م) ودفن قدس الله روحه بضريحه الشهير به الى اليوم من عاصمة الجزائر، وكان لفقدانه اثر عميق في القلوب وحزن عظيم في النفوس



محراب مسجد «سيدي عبد الرحمن الشعالي» بالعاصمة وهو يمثل نموذجاً من أرقى أنواع القاشاني والزليج الملون المزخرف والمكتوب بالخط العربي بنوعيه - النسخي والقماشى خط الرقة - وهو إلى ذلك مثال رأيم جميل لشكل فن العمارة التركى بالجزائر في أوائل القرن الثاني عشر المجرى — أواخر ١٧ م —

احمد بن یونس القسنطینی

(١٤٧٤ هـ ١٨٧٨ م)

هو العالم المتفنن الشیخ احمد بن یونس بن سعید بن عیسیٰ الحمیری القسنطینی، ولد بقسنطینة الهواء سنة ٥٨١٣ هـ (١٤١٠ م) ونشأ بها فی حفظ القرآن والرسالۃ وتفقه بمحمد بن محمد بن عیسیٰ الزیلدوی وابی القاسم البرزی وابن غلام الله القسنطینی وقاسم بن عبد الله الہزمیری، اخذ عن الاول الحدیث والعریة والاصدین والبیان والمنطق والطب وغيرها من العلوم العقلیة والنقدیة وبها اتقى، واخذ الموطأ عن ثانیهم، واخذ شرح البردة وغيرها عن مؤلفه ابی عبد الله بن مرزوق الحفید حين قدومه عليهم بقسنطینة وارتیحل الى الحج سنة ٥٨٣٧ هـ (١٤٣٣ م) فاخذ عن البساطی شيئاً من العقلیات وغيرها واخذ كذلك عن الامام ابن حجر والعز عبد السلام القدسی والعینی وابن الدیری وآخرين،

ثم عاد الشیخ الى بلده فاقام على عادته في الاشتغال بالعلم الى ان حرج ايضاً بعد سنتاً اربعین وجاور في هذه المرة بمکة المکرمة وسمم على الاخوین الجلال والجمال ابین المرشدی في فنون من العلم والحدیث وعلى الزین بن عیاش وابی الفتح نهراغی وطائفة کثیرة، من ذوى الفضل والعلم وتکررت منه الرحلة بعد ذلك الى ارض الحجاز مع المجاورة في بعض المرات الى ان استقر وسكن بمکة سنة ٥٨٦٤ هـ (١٤٥٩ م) وتزوج بها وتصدى فيها لاقراء العربیة والحساب والمنطق وغيرها فاخذ عنہم غير واحد من اهلها والطارئین والمجاوريین بها.

و كذلك جاور بالمدینة المنورۃ غير مرة ثم استوطنهما وأقربها ایضاً وارتیحل في غضون ذلك الى القاهرة فاقام بها يسيراً. وكان من اجازه واستیجازه بها شمس الدین السخاوی ثم سافر منها الى القدس والشام، وكف بصره وقدح له فما

افادة ثمر احسن الله اليه برد ضوء احدى عينيه، قال السخاوى «ولقد لقيته بمكة ثمر بالقاهرة واغبط بي والتمس مني اسماععه القول البديع فما وافقته فقرأه او غالبه عند احد طابتى النور الفاكهانى بعد ان استيجازنى هو به وسمع منى بعض الدراس الحديشية وسمعت انا كثيرا من فوائده ونظمه منه قوله في طالع قصيدة امتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم :

يا اعظم الخلق عند الله منزلة ومن عليه الثنا في سائر الكتب

قال واطلعني على رسالته عملها في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها بعد ان استمد مني فيها وكذا رأيت له اجوبة عن اسئلة وردت من صنفاء سماها رد المغالطات الصناعية. وكان اماما في العربية والحساب والمنطق مشاركا في الفقه والاصول المعانى والبيان والهيئة مع المام بشيء من علوم الاولئ عظيم الرغبة في العلم والاقبال على اهله قائما بالتكسب خيرا بالمعاملة مستهنا لنفسه بمخالطة الباعة والسوقه من اجلها ولم يزل مقينا بالمدينه النبوية حتى مات في شوال سنة ثمان وسبعين (فيفرى ١٤٧٤) ودفن بالبقعه رحمة الله»

یحییٰ بن ابی عمران المازوی

(م ١٤٧٨ هـ ٥٨١٣)

هو العلامة المتشreu الفقيه الصدیق والحقوقی البارع الامام ابو زکریاء یحییٰ بن العالم الجلیل المؤلف ابی عمران موسیٰ بن عیسیٰ بن یحییٰ المغیلی المازوی اخذ علیه عن والده وعن ائمه و قته کابن مرزوق الحفید و قاسم العقبانی و ابن زاغو و محمد بن العباس وغيرهم فنیج و تولی قضاة بلده مازونة فكان امام المحققین و من جم اهل الشوری في الاحکام الشرعیة وغيرها معتمداً في مذهب مالک حاملاً لواءه بالقرب في عصره مطلعاً على دقائق المسائل وفتاوی العلامة فيها له من التأییف کتاب المشهور باسم الدرر المکنونة في نوازل مازونة، وهو کتاب جلیل حافل بفتاوی المتأخرین من علماء الجزائر وتونس والمغرب الاقصی في شتی المسائل جامع لابواب الفقیم، منه نسخة مخطوطة بمکتبة الجزائر الوطنية في جزئین ضخمين تحت عدد ١٣٣٥ ومن هذا المؤلف الضخم استمد الوانشرسی في المعيار.

توفی المازوی بتلمسان سنة ٥٨٨٣ هـ (م ١٤٧٨) تعمدۃ اللہ برحمته ورضوانه.

جدول تاریخي

٩٢٣ - ٩٦٢ هـ

١٥١٧ - ١٥٥٤ م

تاریخ الحوادث	اهم الحوادث
١٥١٧ هـ ٩٢٣	الاحتلال الترکي - الاول - تلمسان وانتصاف السلطان ابى زيان احمد «الثانى» على العرش
١٥١٨ هـ ٩٢٤	زحف ابى حمو «الثالث» على تلمسان واستئثاره باد الرئيس عروج الترکي
١٥١٩ هـ ٩٢٥	ثورة الامير ابى سرحان المسعود الزيانى وامتلاكه تلمسان
١٥٢٤ هـ ٩٣٠	عوده ابى محمد عبد الله «الثانى» الى الملك ونقضه لمعاهدة الاتراك
١٥٤٢ هـ ٩٤٩	تحالف ابى زيان احمد «الثانى» مع الاتراك ومقاومة الاسبان
١٥٤٤ هـ ٩٥٠	انتصار الامبراطور شالكان للسلطان محمد «السابع» واحتلالهما
١٥٤٥ هـ ٩٥٧	تلمسان ثم اخفاقهما معاً بعد ذلك وعوده احمد «الثانى» الى العرش
١٥٥٠ هـ ٩٥٨	استيلاء الدولة السعدية على تلمسان ثم انسحابها عنها فوراً
١٥٥٤ هـ ٩٦٢	ولاية مولاي الحسن بن عبد الله عليهما تحت رعاية اتراك الجزائر
١٥٥٤ هـ ٩٦٢	حلم مولاي الحسن آخر مملوك بنى زيان واحتلال الاتراك لتلمسان نهائياً

الدولة التركية - العثمانية -

١٢٤٦ هـ - ٩٢٠

١٨٣٠ م - ١٥١٤

الترك

جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن كاملاً «ترك» محرفة عن أصلها الصيني الذي ينطق به «تو كو»، ومدلولها عندهم هو ذلك الشعب الآسيوي الرحال العظيم الذي ظهر بموطنه الأصلي بجبيل الذهب في وسط آسيا بين سيبيريا والصين، وأسس ملكاً طويلاً عريضاً امتد من بلاد المغول وشمال الصين إلى البحر الأسود

ومؤسس ملوكهم هذا هو رجل منهم يقال له «تومان» عند الصينيين «وترك يومين» عند الاتراك مات سنة ٥٥٢ م

والامة التركية هذه هي امة آرية طورانية، وطوران هي بلاد تركسان ومعناها الظلمة نظراً لما كان عليه أهل هذه البلاد في باديء أمرهم من البداوة والغلظنة والجفاء والأمية همهم الغزو والتهجم على القوافل للنهب والسلب وذلك خلاف ما كانت عليه بلاد «ايران» المجاورة المعروفة يومئذ بارض النور، نظراً لما كان عليها أهلها من الحضارة والمدنية

ويرجع اصل هذا الجنس الطوراني إلى العرق الغربي الاقصى المتفرع عن العنصر السائد المنتشر بشرق اوروبا وآسيا من بحر البلطيق إلى المحيط الاطلسي ومن البحر المتوسط إلى أقصى الشمال

ويشتراك في الشعب التركي هذا شعوب واقوام كثيرة متشربة منها هؤلاء

الاتراك العثمانيون بستانبول والاناضول، (١) والتركان بايراز وآسيا الوسطى والتار في جنوب روسيا وعبر القوقاس، والمنجور بهنكاريا؛ واهل فيلاندا، والبلغار، وولايات البلطيق، وقدماء القبائل العربية من سكان سبيريا والمغول والمنشوش في شرق آسيا، وكلها تتبع إلى العنصر الآرى ويدرك نسابوا الاتراك والاخباريون منهم ان اول دولة عرفت في تاريخهم هى الدولة التي اسسها فيهم «اوغوز خان» بن قاره خان؟ ... جد رؤساء القبائل التركية، وان اول من عرف من ملوك الاتراك بلقب خان هذا، هم ملوك قبيلة «ترغش» التركانية الساكنة بتركستان الغربية حاكم امراؤها في اواخر القرن السابع الميلادي وعرفوا به الى ان قضى عليهم العرب في زمان نصر بن سيار سنة ١٢١ هـ [١٧٣٩]

وفي مفتاح القرن الاول الهجري - اوائل المאה السابع م - اتحدت هذه القبائل التركية مع غيرها من ساكنيها بلادها من الشعوب الآرية ف تكونت بذلك وحدة سياسية بين تلك الطوائف كلها فنشأت عن ذلك مملكة عظيمة ممتدة من اقصى حدود الصين شرقا الى البحر الاسود غربا ثم اعتراها بعد ذلك هزال وضعف ففقدت قوتها الحربية ورثت قواها المعنوية ففتحها العرب سنة ٥٨٥ هـ [١٧٠٤] وانتشر يومئذ بينها الاسلام

وفيمما بين اواسط القرن الثالث واوائل الرابع الهجري - التاسع والعشر م - نشأ بآسيا دواليات وامارات تركية صغيرة استبدت بانحاء البلاد والاصقاع الشرقيه متفرقة هنا وهناك كبني طولون بمصر والشام، وبني سامان بما وراء النهر وبني بويه ببلاد فارس، الخ.... فتدحرت بذلك سياسة الحلفاء العباسيين وتقلص ظل سلطانهم من اقصى البلاد؛ فسقطت بغداد يد التتار يوم ٢٠ المحرم

(١) محرفة عن الكلمة اناطولي التي اطلقها الرومان على شبه جزيرة آسيا الصغرى ومعناها البلاد الشرقية وذلك لوقوعها شرقا بلادهم

٥٦٥٦ [١٢٥٨ م] ونتيجة لذلك أصبحت مقاليد الدولة الإسلامية المترامية الاطراف موزعة بين ملوك هاتيك الدول التركية القائمة بالشرق وشيوخ افريقية الشمالية يومئذ بيد اهلها من ملوك المغرب ومضى زمن على ذلك والامر كذلك الى ان اخذ البطل المغوار السلطان «عثمان بن ارطغرل» الترکانی في تاسیس امارة ومملکة اسلامية مستقلة بعاصمة «ایکی شهر» من بلاد الاناضول سنة ٥٦٩٩ [١٣٠٠ م] مجتهدا في الدفاع عن يضمه الاسلام وحمايته وورث منه احفاده ذلك فكلهم حافظ على هذه الحطة المرسومة والترااث العظيم وأنشأ حيوشا واساطيل تقدم بها الى فتح بلاد آسيا واوروبا، فخضعت لهم ممالك هاتيك البلاد ودولها وثبتوا على ذلك يتابعون زحفهم في نشر الاسلام باوروپا حتى جاء دور القضاء على امبراطورية الدولة البيزنطية واستئصال مملكتها في الشرق والغرب فانبرى لها من عترته «السلطان محمد الثاني الفاتح» مقتحا معلقها الحصين وعاصمتها المنيعة «القدسية» مظفرا منتصرا فاحتلها سنة ٥٨٥٧ [١٤٥٣ م] ونقل اليها العرش العثماني متطلعا الى اجتياح مقر كرسى المسيحية الثاني بروما ويومئذ اشتهرت الدولة التركية ببنسبتها «العثمانية» انتهاء الى جد ملوكها الاعلى السلطان «عثمان بن ارطغرل» الترکانی المتوفى سنة ٥٧٢٦ [١٣٢٦ م]

ويعد فتح القدسية هذا فتحا جديدا في تاريخ العالم اجمع حيث اعتبره المؤرخون حدا فاصلا بين القرون الوسطى والعصر الحديث [١] وقدمنت تركية العثمانية في فتوحاتها بآسيا ففتحت معظمها وأوروبا كذلك

(١) جرى اصطلاح المؤرخين على اعتبار الزمان وتقسيمه الى ثلاثة عصور : القرون الاولى وهي تبتدء من الازمنة الغابرية المتغلبة في القدم الى سقوط روما سنة ٤٧٦ م ومنها يبتدء تاريخ العصور الوسطى الى فتح القدسية سنة ٥٨٥٧ م (١٤٥٣ م) ومنها يبتدء تاريخ العصر الحديث

فامتلكت منها نصفها الشرقي وأضحت بذلك مرهوبة الجانب موقرة السلطان ولما تم للسلطان «سليم الأول» الانتصار على دولة المماليك سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) واستولى على مصر والشام وقضى على حكومتها هذه وقبض على محمد المتوكل على الله آخر خليفة عباسي (١) وهمى وبذلك اقررت الخلافة العباسية المتوجهة التي طلما كان صاحبها بعد سقوط بغداد آلة مسخرة بآيدي ملوك وسلطانين ذلك العصر وصار حيئذ امر رعاية دولة الاسلام بيد سلاطين آل عثمان وخفت يومئذ ذكر لقب الخلافة وطوى باسطه من الوجود الا ما جاء ذكره نادرا في بعض خطابات المتعلمين لآل عثمان في اوقات ومناسبات متفرقة وهكذا ظل لقب الخلافة مغفلاماً ملغى لدى ملوك هذه الدولة الى ان أصبحت الحاجة اليه ماسة في القرن الشامن عشر الميلادي بعد عقد معاهدة «كونجك قيتارجي» بين الترك وروسيا سنة ١٨٨٥هـ [١٧٧٤م] اي عند ما خضم بعض المسلمين للحكم النصراوي فدعت حيئذ اليه سياسة الوحدة الاسلامية فتلقب به سلاطين آل عثمان جمعاً لكلمة المسلمين واكتساباً لنفوذ الدينى متدرعين به تجاه العالم الغربى المسيحي الذى ازمع وتحفز لاكتساح العالم الشرقي الاسلامى ولم يزل ملوك آل عثمان يحملون لقب الخلافة منذ ذلك العهد الى ان اجمع رأى حزب الشعب التركى الجمهورى على الغاء نظام الحكم القديم ورفض تبعات الخلافة الثقيلة فاعلن زعيم الاتراك الحاكم باسمه مصطفى كمال «اتاتورك» [٢]

(١) قبض عليه السلطان سليم الأول بمصر يوم فتحها في التاريخ المذكور اعلاه فعاد به الى القسطنطينية فاوته هنالك بـ «السماع قالال» ثم فك اسره سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م) واجرى عليه ستين درهماً في كل يوم، فخرج المتوكل حيئذ من القسطنطينية منصر فما الى مصر حيث بويع فيها باسم الخلافة صورة وبقى بها مرموقاً ملحوظاً تحت ظل ورعاية ملوك آل عثمان الى ان استوف حظه من الحياة ولقى حتفه سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) فانتهت بمorte الخلافة العباسية وانقرض ذكرها من الدنيا

«(٢) هو اعظم شخصية سياسية وعسكرية عرفتها دولة الاتراك في تاريخها الحديث ولد في مدينة «سالونيك» سنة ١٢٩٩هـ وتوفي باسطنبول سنة ١٣٥٧هـ [١٨٨١ - ١٩٣٨م]

بنهاية عهد الملكية وتعويضه بتأسيس حكومة جمهورية ودستور جديد، وذلك يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٢ هـ [٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ م] وخرج السلطان عبد المجيد الثاني من القدس طريداً وانتقل مقر الحكم منها إلى مدينة انقرة من بلاد الاناضول، وحدث في الدولة يومئذ من الانقلاب السياسي والديني والاجتماعي ببل وفي كامل اوضاع الحكومة العثمانية ما تغير به وجهه تاريخها القديم بما لم يسبق له نظير ولا مثيل في تاريخ دولة اسلامية من قبل اما لغتهم فهي احدى اللغات الطورانية ذات المهمات الجمة الكثيرة التي لم يكن ليعرف لها قلم او خط مشهور تكتب به قبل القرن السابع الهجري حين امتنج اهلها بالعرب في العراق والشام وتكون منهم جيش الخلافة العباسية واستبدوا بالملك فانتشر حينئذ بينهم اللسان العربي المبين وفسن فيهم الخط العربي فكثروا به لغتهم

وذكر ابن النديم في حديثه عن الترك بفهرسته فقال : والذى تأدى إلى من امر الترك هو ما حدثني به ابو الحسن محمد بن الحسن بن انساس ... ان ملك الترك الاعظم اذا اراد ان يكتب الى ملك من الاصاغر احضر وزيره وامر بشق نشابة ونقش الوزير عليها نقوشاً يعرفها افضل الاتراك تدل على المعاني التي يريدها الملك ويعرفها المرسل اليه [١] ولعلها تملأ كتابتهم القديمة التي ظهرت في القرن «٦ م» المسماة بكتابه اورخون [٢] او يكون ذلك هو خط اتراك «المويغور» وهم سكان شرقى تركستان ؟

ولم يشهد الاتراك اتحاداً في استعمال لغتهم وتطبيقاتها على سير الحياة العامة الا في زمن بنى سلجوقي بالاناضول في القرن الخامس الهجري (١١ م) اما قبل

١) الفهرست لابن النديم ص ٢٩ - ٣٠ ط القاهرة ١٣٤٨ هـ

٢) نسبة الى نهر في بلاد المغول يقال له «اورخون» وهي اقدم كتابة تركية

ذلك ففيهم من اتىخذ اللغة الفارسية، وفيهم من استعمل غيرها، ولقد فكر السلطان سليم الاول في اتخاذ اللغة العربية وجعلها لسان الحكومة الرسمى وحاول ذلك بالفعل فلم ينجح، ولكنها رغم ذلك بقيت لديهم ولدى شيرهم كذلك من الامم الاسلامية لغة الدين والعلم

وكان لممازجة الاتراك بسواهم من الامم الشرقية والغربية ايضا اثر كبير في تطور لغتهم وارتياشها بما اقتسواه من شتى اللغات فتوسعت اللغة وتهذبت وأصبحت بذلك لغة صالحة لتدوين العلم والادب، واكثر ما يوجد فيها من الدخيل هو ما احتوت عليه من مفردات اللغة العربية والفارسية والخطائية (١) والاوردية (٢) والافرنجية ... فهى الان بذلك تختلف كثيرا عما كانت عليه في الزمن الغابر

ولقد شرع الترك في كتابة لغتهم بالحروف العربية منذ القرن السابع الهجرى - ١٣ م - كما ذكرنا مستعمرین مع الزمن على ذلك استمر اراهل فارس والهند وسكان افريقيا الاستوائية وجنوبها وغربها على اختلاف لهجاتهم، الى زمن اعلان الجمهورية التركية واستبدل الخط العربي لديهم باللاتيني وذلك بمقتضى قرار الدولة الصادر يوم ١٩ جمادى الاولى ١٣٤٧ هـ (٣ نوفمبر ١٩٢٨ م)

تحت عدد «١٣٥٣»

اتصال الاتراك بالجزائر

في نفس الاوان والزمان الذى قدر ان تضعضعت فيه قوى دول المغرب الثلاث : بنى مرین وبنی ابی حفص، وبنی عبد الواد الزیانین وتحق كل منها من الضعف والوهن والاضطراب بسبب ما كان بينها من التباذل والشقاق مع

(١) هي لغة التركان واكثرون سكان بلاد خيوة (خوارزم) وبخارى وغيرها باواسط آسيا ومرکزها مدينة مرو، وهي التي يسمى بها الافرنج احيانا : التركية الشرقية *Turc Oriental*
[٢] هي اللغة الهندية الاسلامية

تنزاحم رؤسائها وقادتها على كراسي الزعامة والرئاسة، اقول في نفس ذلك الوقت
واعنى به اوائل القرن العاشر الهجري - اوائل ٤١٤م - اشتهد تنصير دولة الاصيان
والبرتغال وجمهورية البندقية وجنوة الايطاليتين فيحمل كل منها على هذا الشمال
الافريقي جريحا وراء غايتها الصليبية وجشعه الاستعماري الذي ينطبق عليه
قول الشاعر العربي :

مسعورة ان غرثت لم تشبع !

وهو جلت السواحل الجزائرية واحتل منها اهم مواقعها ومراكيزها الاستراتيجية
ومرافعها ومدنها الممتازة كوهراون ومرساتها الكبير وهنفي وبيجاية وحيجل
ومستغانم وتلمسان والجزيرة التي هي بفرضية مدينة الجزائر، حيث بني الاصيان
حصن البنيون ونزلوا بعض المراكز البحرية من مدن المغرب الاقصى واحتلوا تونس
نفسها فاستكملوا بذلك الاستيلاء على ساحل افريقيا الشماليه منتهكين في ذلك
حرمة اهل هذه الثغور الاسلامية غير مبالين ب المقدساتهم ولا محترمين او مراعين
لما جئت عليه الکرامه الانسانية وطبعت عليه البشرية من الحياة والخشمة مندفعين
عن سوء نية وراء اعمالهم الاستعمارية واغراضهم الساقطة....^(١)

في نفس تلك الآونة وخلال هاتيك الحوادث المؤلمة، واثناء تلك الظروف
السوداء الحالكة، والنكسات المزعجة ظهرت عمارة الاخويين التركيين : بابا عروج
وخير الدين - من ابطال رجال البحرية التركية العثمانية - متنقلة بغربي
البحر الابيض المتوسط حامية لدولة الاسلام المنتشرة على ضفاف هذا البحر
منجددة للامستضعفين من المسلمين، واشتهرت هذه العمارة يومئذ بتطورها في اتقان
المضطهدين من اهل الاندساس ونقلهم الى سواحل المغرب العربي واحسانها اليهم
وبذلك تمكنت اصحابها من النزول بالساحل التونسي والاتصال بصاحب تونس

^(١) راجع ص ١٨١-١٨٥ و ٢٠٥ و ٢١٣-٢١٥ من هذا الجزء

ابي عبدالله محمد الحفصى والتعاقد معه بامضاء معاہدة ودية على ان يكون الساحل التونسي موئلاً لهذه العمارة وملجأً تسكن اليه والاخزينة الحفصية الامتس فيما تاتى به العمارة من المغانم وتمت الاتفاقية بين الطرفين على ذلك واستمرت العمارة تعمل على خطتها المرسومة في غزو سواحل النصرانية وخوض غمار البحر للدفاع عن حوزة الاسلام والمسلمين ومحاربة سفن الاعداء الى سنة ٩١٨هـ [١٥١٢م] حيث غزت العمارة التركية هذه مدينة بجاية فاطررت عنها الاصبان، ثم كان بعدها فتح مدينة بيجيل سنة ٩٢٠هـ [١٥١٤م] ثم تقدمت الى مدينة الجزائر نفسها بدعوة من اهلها درءاً لخطر الاصبان عنها فاحتلتتها سنة ٩٢٢هـ [١٥١٦م] ونزل الاتراك يومئذ بهذا القطر وكان من الاحداث ماحدثناك به في هذا الجزء صفحه ٢٠٥-٢١٥ من اصطدام الحروب والتناحر والتفاف بين دولة بنى زيان المحضرة ودلة الاصبان المهاجمة ودولة الاتراك الحامية الطاحنة وحدث من الواقف والخطوب في هذا الموضوع ما عرفته وماستقرف عليه مفصلان في هذا الكتاب

نظامها الحكومي

ان اول ما عرفت الجزائر من رؤسائها الاتراك هم جماعة «البىلربای» ومعنىه باى الابباء او امير الامراء، وهو لقب يمنحه السلطان العثماني مع كسوة الشرف - قفطان - لامير الناحية والجزائر يومئذ هي احدى الولايات الثلاث بالامبراطورية العثمانية التي كان يطلق على رئيسها هذا اللقب مثل ولاية الاناضول والروملي بتركية اوروبا وابيلرباي الجزائر التصرف المطلق بالملكية الجزائرية وما يليها شرقاً الى الحدود المصرية بما فيها من ولاية تونس وطرابلس ثم حد من سلطنة حاكم الجزائر واقتصر لها فيها على المغرب الاوسط

فقط، وخرجت تونس وطرابلس عن حكمه، وبموجب ذلك تغير لقبه ثلاث مرات، فتحول أولاً إلى الباشاوية، ثم إلى الاغاوية، ثُمَّ إلى الدياوية حسب الترتيب التالي :

- ١ عصر الفتح التركي من سنة ٩٢٠ إلى ٩٥٠ هـ (١٥٤٤-١٥١٤)
- ب عصر البيلرباي من سنة ٩٥٠ -- ٩٥٥ هـ (١٥٨٧-١٥٤٤)
- ج عصر البشاوات من سنة ٩٩٥ - ١٠٦٩ هـ (١٦٥٩-١٥٨٧)
- د عصر الاغوات من سنة ١٠٦٩ - ١٠٨١ هـ (١٦٧١-١٦٥٩)
- ه عصر الدييات من سنة ١٠٨١ - ١٣٤٦ هـ (١٨٣٠-١٦٧١)

وكان حكام بلاد الجزائر وولاتها في عهد البيلرباي والباشاوات مخلصين لحكومة الباب العالي باستانبول ممثلين للسلطان العثماني إلى أن حدث خلل في القرن الثاني عشر الهجري (١٧) ما كان سبباً في تضعضع دعائم الصلة الأدبية التي كانت تربط ما بين حكومة الجزائر والباب العالي باستانبول حيث شعر الولاة هنا بضعف السلطنة العثمانية وقصورها عن اتخاذ إسطول قوي للدفاع عنها عن نفسها وعن مملكتها النائية فجاهروا بقطع صلتهم بالباب العالي ووهبت يومئذ العلاقة السياسية بينهما واستبدلت السلطة العسكرية المحلية بالأمر واحتكرت نفسها تولية حاكم الجزائر الاعلى باختباره من بين أفرادها أو من طائفة الرؤساء وقرارن البحر وتارة من بين أعضاء مجلس الديوان الاتراك من غير مراعاة لنسبه أو حسبه أو مبنية إنما هو تركي وكفى ولم يبق للباب العالي حينئذ سوى الموافقة على من يتخب لهذا المنصب من بين هؤلاء، ويومئذ أصبح نظام الحكم التركي بالجزائر انتخابياً مستقلاً والحاكم الجزائري الحرية المطلقة فيما يفعله فله فتح باب المجادلات والمحادثات السياسية مع الأجانب ولهم حل المشاكل الخارجية بنفسهم، ولهم اعلان الحرب والسلم وأمضاء المعاهدات وإبرام العقود الدولية وقبول الممثلين الدبلوماسيين الخ... مستمدًا قوته هذه من ديوانه

واستمر من كن ادارة الحكومة العليا بالجزائر بحى «الجينة» بأسفل المدينة تجاه ساحة الحكومة اليوم. ومن بقايا دور الحكومة بهذا الحي «قصر الشتاء» الذي أصبح اليوم معهدا للدراسة ودار الاسقف وغيرهما. وهكذا الى اواسط القرن الثالث عشر الهجري - اوائل ١٩ م - انتقل داي الجزائر «علي خوجة» من سكنى الجينة الى اعلى المدينة بحى «الباب الجديد» حيث ابتنى قصر القصبة المعروف الى اليوم ونقل اليه من كن الحكومة ولم يزل ولاة الاتراك ينزلون بهذا القصر الى نهاية دولتهم بالجزائر

والحكومة الجزائرية مجلسان استشاريان لا يقطع الحكم امرا بدون استشارةهما او لهما مجلس الشورى وهو يتالف من اربعين افراد :

١ **وكييل الحرج** وهو المتصرف في جميع شؤون الدولة العسكرية والمدنية برا وبحرا

٢ **خوجة الخيل**؛ وهو بمنزلة وزير الحرية وله التصرف في املاك الدولة خزنةدار، او الخزناجي - وزير المالية -

٤ **الاغا**، وهو القائد العام لقوات الجيوش البرية

ومجلس الثاني هو المعبّر عنى بمجلس «الديوان» وينعقد ثلاث مرات في الاسبوع خارج القصر وواحدة بالقصر، وهو يتالف من سبعة اعضاء وهم:

١ **الخليفة** وهو نائب **الحاكم** الاعلى، ويلقب بالسيد الدولي، والقائم

مقام

٤ **دفتر دار**، اي رئيس ديوان الانشاء وهو كاتب الدولة العام، والكتابية يومئذ باللسائين : **التركي** والعربي؛ مما يدل على احترام القوم لغة الدين والوطن

٣ **الباش سيار**، مدير ادارة البريد

٤ قبودان رئيس - امير البحر -

٥ الترجمان

٦ شاوش الكرسي

٧ بيت الماجي - قاضى بيت المال -

ومن هذه المجالس يتتinx اغلب كبار الضباط واعيان الوزراء

وهناك غير هذين من المجالس التي تعتبر كالروافد لهذين المجالسين الكبيرين منها مجلس الكراسي؛ و مجلس طائفة الرئيس - رؤساء البحر - من قراصة ورؤساء المراكب الحربية، وكلها تعامل على مساعدة ذينك المجالسين من غير ان يكون لها كبير تأثير على مجرى سير حركة السياسة العامة بالبلاد وليس لهؤلاء الأفراد من اعضاء المجالس الحكومية الآفة الذكر اتصال مباشر بالامير الا عن طريق الترجمان او بواسطه شاوش الكرسي؛ وقد يجتمع بهم الامير فرادى ان شاء او جماعات حسب ما يرئى وتقضيه المصلحة،

ويشترط في هؤلاء الاعضاء وجميع الحكم ان يكونوا من العنصر التركى ليست فيهم ولاشبنة الكروغلىية^(١) اذ ليس في تاريخ هذه الدولة لغير الاتراك حظ في مباشرة الحكم او تسخير دفة السياسة العامة بالبلاد، الا في عهد الحاج شعبان باشا فاتح القرن الثاني عشر الهجرى (آخر ١٧ م) فانه سمح بضم طائفة من ابناء البلاد - الدراغلة - الى الجيش بصفة معاونين تكثيرا لسود قومه؛ وكل ما كان هناك من بعض الاهالى في منصب شيخ او قائدالن... إنما هو كمساعد فقط ولكل من ذكرنا من اعضاء المجالس مرتب ورزق يتقادمه من خزينة الحكومة الجزائرية

وفي القطر الجزائري ولاة وقادة ومشايخ، منهم ثلاثة بيات - بمنزلة العمال -

(١) الكرغلى وجمعه كراجلة هو الذى امه غير تركيه مثل الهجانين عند العرب

يتصرون في مناطق محدودة من الارض تسمى «بايلك» : بابا الشرق ومقره بمدينة قسنطينة، وبابا الغرب كان مقره اولاً بـ مازونة ثم تحول الى معسكر واخير الاستقرار بوهران، وبابا تيطري وكان مقره بمدينة المدية، ولكل من هؤلاء الاباء الثلاثة نظمي الداخلي وتراثيه الادارية، وكاهـم يدين بالطاعة والولاء للحكومة المركزية بالعاصمة،

كما انه كان لمعظم العشائر والقبائل المنتشرة في احياء القطر الجزايرى مثل
الهناشمة شرقى قيساريا، والدواودة (١) بالذاب الجنوبي، وبني مصايب (٢)
بحنوب مدينة الاغواط، وبني عباس وولاية تقرت، وواد ريع السخ... فلكل
منها رئيس: قائد او شيخ يتصرف في ولايته المعبر عنها بالوطن، تصرف الامراء
الاقطاعيين على مقتضى النظام السائد في القرون الوسطى، والحكومة يومئذ مكتفية
مهم بما يمدونها به من الاموال والانفس ولا حق لهم في الخوض في اغراضها
والتدخل في مقاصدها السياسية كييفما كان شأنها، وبذلك اتضحت ان شكل الحكومة
كان استبدا ديا

ومنذ سنة ١٥٢٧هـ [١] اي يوم ان اذن السلطان سليم الاول لسيطرة خير الدين باستقلال الجزائر في ميزانتها واتخاذ السكة الجزائرية وطبع النقود أصبحت الجزئية الجزائرية غنية ثريّة بمدخلها الكثيرة المجلوبة من السبي والمغنم والزكاة والعشر والجزية والفيء والمغرم والخراب وما يقوم به الولاة والبايات ورؤساء القبائل والعشائر من دفع العوائد واللزمه والدنوش والمحكر - كراء املاك الدولة - بله الهدايا المتنوعة من الناض والرفيق

«هـ عرب من اولاد داود بن موسى بن رياح نزحوا الى المغرب الاوسط ايام الحملة الشاللية في اوسط القرن الخامس الهجري — اواسط ١١

«٢» رسمنها ابن خلدون في تاريخه بصورة صاد وسطها زاي، كرسمه اهل المصحف حروف الأشام وكالنطق بالصاد في قراءة خلف اي انها مشمة بالزاي ومعنى ذلك انه ليبلغى ان يتوسط الناطق بهذا الحرف بين حرف الصاد والزاي

والخمس من المغانم البحرية المختلفة الخ...

ويقدر مبلغ ما كان بالخزينة الجزائرية من الاموال بنحو مائة مليون فرنك واضحت العمدة الجزائرية يومئذ رائجة معترفا بها رسميا لدى دول العالم

اجمع

والمعروف من انواع النقود الجزائرية الذهبية هو السلطانى والمحبوب وهناك نصف السلطانى وربعه كا هو كذلك لنوع المحبوب ايضا، واما الفضية منها فهو الدورو الجزائري، والسكنة وهى نصف دورو جزائري، والريال بوجن، وريال بسيطة، والموزونة، وريال درهم، وثمن بوجه، ومن النحاس الصائمه والدراهم الصغيرة. وتقدير قيمتها اليوم يختلف بحسب اختلاف الزمان والمكان
تسخير العمدة في البلاد يزيد وينقص

ومن مصادر ثروة الخزينة الجزائرية ما كانت تدفعه اشهر ممالك اوروبا ودول الولايات المتحدة باميكا من الاتواة اموالا واسلاحة وذخائر اذاعانا وخصوصا لسلطان الجزائر وسيادته البحريه ورغبة في كسب عطف ومرة حكامها للتعامل التجارى مع سكان سواحل هذه الضفة الجنوبيه من البحر الايضا المتوسط، فمن ذلك آلات واعتدة حربيه كانت تقدمها دول الولايات المتحدة الامريكية في صورة هدايا لحكومة الجزائر وذلك ما كان يقدر بنحو اربعة آلاف ريال شينكلو وهذا علاوة على ما كان يحضره معهم القناصل والفوضون من الهدايا والتحف التي تبلغ في بعض الاحيان العشرينآلاف ريال، ويذكر ان مقويات الجزائر من امريكا بلغت ايام رئيسى «واشنطن وادمز» الى مليوني دولار؛ وكان على الدولة الانكليزية ستمائة ليرة سنويا وهناك من قدرها بنحو اربعين الف فرنك، وعلى دولة فرنسا سبعةآلاف ليرة في كل سبع او عشر سنين، وتارة يقدم هذا المبلغ سلعا وبصائر متنوعة مع هدايا خاصه تقىسه وفي كل سنتين تدفع دولة هولاند عشرينآلاف سكه - نصف دورو جزائري - او ستمائة ليرة فرنسيه؛

وقدر ذلك بنحو ستين ومائة ألف فرنك مع هدايا نفيسة تبلغ نحو الثلاثين الف سکة جزائرية، وكان على دولة النمسا مائتا ألف فرنك؛ وعلى مملكة صقلية أربعة وعشرون ألف ريال شينکو، مع هدايا تقدر بمبليغ اربعين ألف ريال شينکو، وعلى مملكة سرداانيا ستة آلاف ليرة فرنسية، وكان على دولة الدانمارك أجهزة واعتسدة حربية وسلاح وآلات عديدة، وذلك ما كان يقدر بمبليغ اربعة آلاف ريال شينکو، ومعها هدايا تقدمها قناصل هذه الدولة إلى الحكومة الجزائرية في كل سنتين تقدر بثلاثين الف سکة، وكان على دولة السويد والنرويج مثل ما على الدنمارك، وعلى مملكة نابلاليطالية ما يقدر بمائتين وعشرين ألف فرنك سنويًا وكذلك مثلها دولة البرتغال، أما مملكة سيليزيا فكان عليها اربعة وعشرون ألف ريال شينکو، وعلى هانبور - بألمانيا - أسلحة لا غير، أما مملكتا هانوفر وبريم الالمانيتين ايضاً فكان عليهما ما يقدر بنحو المستمائة ليرة انكليزية وعلى الدولة الاسبانية ما يقدر بثمانية واربعين ألف فرنك مع هدايا وتحف نفيسة، وأما الجمهورية البندقية فكان عليها ثلاثون ألف سکة سنوية وهناك غير هذه من الدوليات الاوروبية الصغيرة التي كانت تدفع إلى الخزينة الجزائرية من العشرة إلى الخمسة عشر ألف فرنك سنويًا. أما دولة استراليا والمجر وروسيا فإنها كانت معفوة من هذا المقرن برخصة خاصة من طرف الباب العالي، ولعل ذلك كان مراعاة لحسن الجوار ؟

واما مملكة تونس فانها كانت تقدم ذلك بضائع الى الجزائر : مائتان خمسون جرة زيت، وخمسون جرة من السمن؛ وعشرون جرة صابون مائم، مع هدايا ومنح تمنح بها اعضاء الدولة وсадة الحكومة ورؤساء الجنديه، وأما نظام الجنديه وهو ما يعبر عنه في اصطلاحهم «باد الوجاق» فهو اعظم ما تعتمد عليه الحكومة في تطوير اركان مملكتها ونشر نفوذها بهذه البلاد. فان الجنديه التركية كانت كغيرها مؤلفة من عدة وحدات وفيالق مختلفة الالقماب

اشهرها لفيف الينكشارية (١) المدلل والسباهية — الفرسان — واليولداش؛ وهي ذات مراتب ودرجات يرتقي إليها الجندي حسب اقدميته في السلك العسكري وحسب ما تدعوه إليه اهليته وكفاءته الحربية

واشهر مراتب الضباط في الجيش اربعة : اوضة بساشي؛ وبولوكبساشي؟

(١) الينكشاريه والانكشاريه هي كلام محرفة عن اصلها التركى «ينى تشارى» وترسم بالقلم التركى هكذا «يكيجاري» ومعناها : الجيش الجديد، كان تاسيس هذا اللفيف من الجيش باشارة خليل جندرلى وامر الوزير الاصغر علاء الدين بن السلطان عثمان الاول سنة ٥٧٢٦هـ (١٣٢٦م) وباركه يومئذ شيخ الطريقة الصوفية الحاج بكتاش، وان الغرض الوحيد من انشاء هذه الفرقه هو خشيه الانحياز والتبعض القبلى والتحزب الطائفى في الجيش التركى فتسقط بذلك الامبراطوريه العثمانيه، وكان يومئذ هذا اللفيف اول جند نظامي باورويا لذلك العهد وجيش الانكشاريه هذا مؤلف من شتى الشعوب وخاصه من الاسرى ابناء النصارى على اختلاف اجناسهم وملتهم، وكانت الحكومة التركية تبت فيهم الاسلام والولاء والتعلق بالدولة العثمانية مع قطع جميع العلاقات والصلات التي تربطهم باوطانهم واديانهم وماضيهم، فكانوا ينشأون نشأة اسلاميه عثمانية محضه، من غير ان يتلقفوا الى شىء اخر ولقد اخذ الاتراك هذه الفكرة عن تقلید؛ فانهم قلدوا فيها غزة البزنطيين الذين كانوا يؤسرون السبايا من المسلمين وينصرونهم ثم يدفون بهم الى مقابله المسلمين في عقر ديارهم مثل ما فعل البطريق (ميشال بورتسنر) حينما استولى على اسطاكية سنة ٩٦٥٨هـ [١٣٥٨م] فانه سى عشرة آلاف غلام من ابناء المسلمين فحملهم معه الى القدس ونصرهم هناك ثم دفع بهم الى الجنديه وجعلهم يحاربون قومهم وآباءهم المسلمين؛ ولذلك فعل «نيقو فور فوقاس» لما استولى على حلب وسبى منها عشر آلاف ولدقنصلرهم وعمدهم وصیرھم من اعز جنده، فيما كان عمل العثمانيين حينئذ لا رد فعل او انعکاس لعمل النصارى المسيحيين مع المسلمين — جزاً وفقاً — نشأ هنا الصنف من الجيش على نظام الخطه المقررة المرسومة وتقدم في درجات الجنديه الى ان أصبح عمدة الدولة في غزوتها وفتحاتها العديدة في البس والبحر واستمر على ذلك الى ان ظهر فيه الصلف والجور وخرج اكثر ضباطه ورؤسائه عن حدود اللياقة والادب فتعذر القوم طورهم وعثروا في الارض عثروا كبيراً : ويومئذ أصدر السلطان محمود الثاني امراً في ٩ ذي القعدة ١٤٢٦هـ (١٦ جوان ١٨٢٦م) بحل نظام هذا الصنف من الجيش وإبطاله تماماً وكانت اقامه جيش الينكشاريه بالجزائر في تلك ذات خاصه به اشتهر بالعاصمه منها سمع قلاع ،

وآغا باشي، واداهية؛ وهي لا تختلف كثيراً عن الدرجات المعهودة في الجيش بالعالم؛ وليس هناك ما يجعل الرعية ملزمة بالانخراط في سلك الجيش ولا في النظام الحربي إلا ما كان منها عن طيب خاطر وطوعية وفي حالة الاضطرار توفر الحكومة الجزائرية إلى آسيا من ينشر لها هناك المنشاير ويدعو الناس فيها إلى التنجيد المأجور؛ وكل أنواع طوائف الجيش التركي بالجزائر مأجور سوى فرق المخزن الاهلية فإنها ملحوظة في نفقاتها بخرج الحكومة العام؛ فهي لا تتضمن على أعمالها المخزنية أجراً معلوماً وإنما هي محشورة ظمن نفقات الحكومة العامة؛ ويمتاز رجال الوجاق وأصناف الجندي عن بعضهم بما تخصهم به الحكومة من الملابس المختلفة الألوان والأشكال وفي أواخر أيام هذه الدولة بالجزائر اضطررت الحكومة المركزية إلى مضاعفة عدد رجال الجيش فأضافت إليها في المطلق جديدة كفيليق الدوائر والزمول؛ والقوم والمخازنية؛ والجندي الزواوى؛ وجيش العبيد من الزنوج؛ ومرجع قيادة هؤلاء جميعاً إلى الضابط التركي الأعلى الحائز على لقب «آغا» فهو المتصرف المطلق والأمر الناهي في الجيش؛ ومدة نفوذه حسب ترتيبهم لا تزيد عن شهرين فقط ثم يخلفه آخر «الكافحة».

ولقد بلغ عدد جيش المشاة بالجزائر - في بعض الوقائع - إلى ستمائين ألف جندي ولم يزد على ذلك

منها هذه الشكبة الباقية إلى اليوم بقرب المسرح البلدي - الأولي - المعروفة باسم «دار الكشميرية» وهي منتدى العسكر اليوم وتنكبة الخراطين بناحية باب عزون، وقلعة العريش، وقتللة ماقارون قرب الجامع الكبير، هدمت أخيراً عند إنشاء هذه العمارات الجديدة بجنوب الجامعين بأسفل المدينة، وقتللة باب الجزيرة، وقتللة التماقين - وهو صانع الخفاف - والتماق بالقاف المعقودة كامة تركيه معناها الخف، وقتللة باب البحر. وكما كانت وقفاً على هذا المفيف من الجيش تحت ادارة واسراف رئيسهم الأعلى (القبجي) وكان عدد الجندي الانكشارى بالجزائر في اول أمره لا يزيد عن الف عسكري، ثم تكاثر عده ويزداد الى اضعاف ذلك

وفيما يرجع إلى الاسطول التركي الرابض بسواحل افريقيا فان الحديث عنه من اعجب ما يرويه رواة الاخبار ومؤرخي البحرية فانه قد بلغ في عدده وعده وتجهازه ونظامه حربه ومقاماته الحد القياسي وفيه من اشكال السفن البحرية ارقى وأحكم ما عرفه تاريخ البحرية في ذلك العصر ولقد بلغت وحداته في بعض السنين الى ٢١٢ قطعة مختلفة الاشكال مجهزة بالمدافع والرجال وكل اعتدة الحرب تجهيزاً جيداً وكلها تسير كما هو معلوم بالشراع والمجاديف وفيها ما هو معروف باسمه كمفتاح الجihad والانتصار الاسلامي والغزال وهلم جرا... وكان عدد الحيوش بها يتراوح ما بين الثلاثين والاربعين الف نسمة. ويترأس القوم ضباط من نفس الطائفة : الورديان ورئيس العمة والباش رais ورئيس الطريق والكل تحت اشراف « قبطان رais » امير البحر ويلاحظ انه كان بين طائفة رجال البحرية ورجال الجيش المشاة الينكشاييرية تنافس ومشاجحة من شأنها تناهى فرصة الامارة والقبض على ازمة الحكم والاستئثار بيخيرات البلاد

واما النظام المدني فانه كان يجري تحت تصرف جماعة الاعيان وهم الرؤساء المعيرون عنهم بالامانة فلكل صنعة تجارية كانت او حرفة يدوية امين ولكل فرقة من الناس عريف يتضمنهم كاهن مجلس شيخ المدينة ولهذا المجلس حق الرقابة المطلقة والاشراف على جميع ما يجري بين الناس وفي اسوق المدينة من عدل او حيف وهناك « المحتسب » الذي يأخذ على يد الظالم و « المزور » الذي يسهر على نشر الامن ومحاربة الدعاارة والبغى

اما السلطة القضائية فهى بابدي القضاة المشرعين وكان بالعاصمة منهم قاضيان حنفى ومالكى والحنفية هى مذهب الحكومة الرسمى ولكل قاض اثنا عشر عدلاً وهناك المجالس العلمي - الشرعي - الاعلى الذى يتألف من قاضيين ومفتيين على المذهبين ايضاً وشيخ النظر فى الاوقاف وممثل الحكومة فالى هذا المجلس يرفع النزاع فى النوازل والمشاكل العويصة وفيه تراجع احكام القضاة وينظر

في القضايا الكبرى فهو بمنزلة محكمة استئناف عليا، ومقر انعقاده في العاصمة بالجامع الكبير وقد يحضره الحاكم ويرأسه هو بنفسه احياناً ولقد استمر هذا المجلس على عمله هذا إلى حوالي سنة ١٨٢٩ (٥١٢٩م) بقليل فنسخته السلطنة الفرنسية المحتلة بمثابة لجنة أوروبية مختصة بجرائم الاسلام تماماً وجلسها اليوم بقصر العدالة وفيما يرجع إلى الفصل في الخصومات الجنائية والجنح وأحكام الدماء والحدود فإن القصاص في ذلك موضوع إلى « حانوت الكاهية » وهو محل أو المكان المأذون له في النظر في مثل هذه القضايا الاجرامية والنوازل التي تجري حوادثها بين المدنيين - لا العسكريين - فإن لهؤلاء العسكريين هيئة خاصة بهم تفصل فيما بينهم لا يحضرها اجنبي عنهم

والذى يرأس مجلس « حانوت الكاهية » بالعاصمة هو الحاكم نفسه او خليفته كخوجة الحليل مثلاً او الاغا وبقسنطينة قائد الدار وفى وهران البای نفسه او نائبه كقائد البلد ويجرى تنفيذ احكام العقوبات معجلة واحياناً يكون فيه من انواع العذاب والتمثيل بالمحكوم عليه والتوكيل به قريباً مما كان يعامل به المحاكمون في اوروبا (١) ولقد كان بالعاصمة من نوع هذه المحاكم التجزئية ثلاثة احدها بناحية باب عزون والثانية بدار الصابون والثالثة بالزنوج

واما رأية الحكومة ولواؤها الرسمي بالجزائر فتحمس راء لاشية فيها مجردة عن كل رمز اعلاناً بخروجهما عن سلطة خلفاء القسطنطينية المحتوى عليهم على النجم والهلال

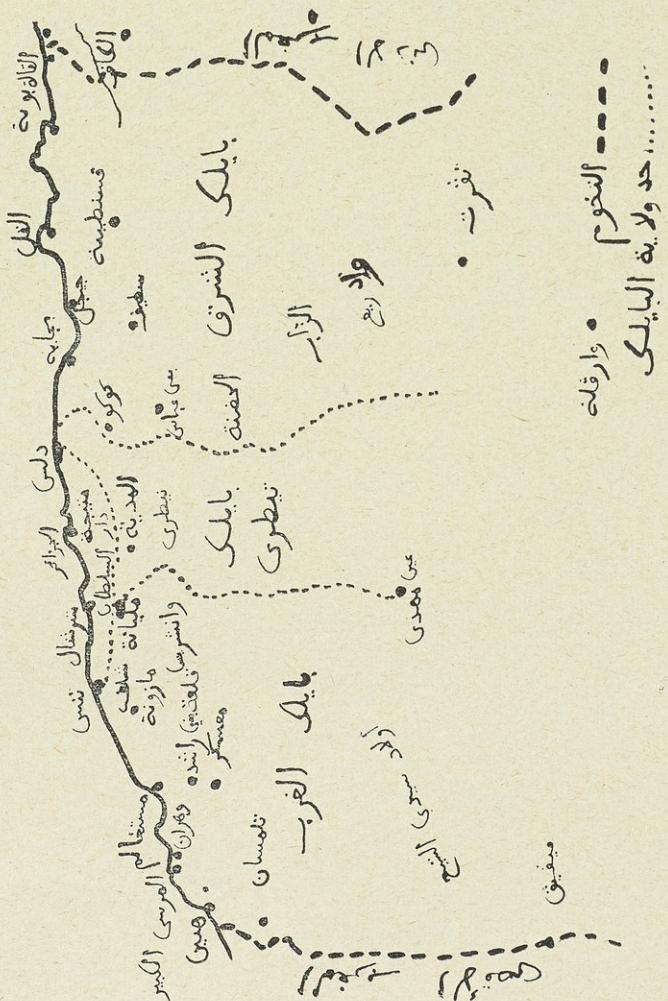
وهكذا استمر نظام الحكم التركي قائماً بالجزائر حسبما وضعته الاخوان ببابا عروج وخير الدين ومن لف لفهمها من رؤساء الدولة التركية الاوائل بهذه البلاد مقصوراً على الاتراك وحدهم لا يشار كهم فيه احد من ابناء البلاد الجزائرية الى الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٤٦ (٥١٢٤٦م) من غير ان يتغير منها شيء وهو

كما ترى نظام استعمارى محض لا يمتاز عن سواه من الاستعمار الأجنبى إلا بمعظمه الإسلامى فقط أو ما كان من الصلة الدينية بين أهله وبين سكان البلاد

حدود الجزائر التركية

اما كون البلاد الجزائرية بحدودها المعروفة اليوم هي ما كانت بعدها على عهد الاتراك مستسلمة لنفوذهم منقادة لطاعتهم العامة فهذا مما لا شك فيه بل ما كانت هذه الحدود السياسية الشرقية والغربية مضبوطة واضحة جلية هكذا كما هي عليه الحال الان الا من العهد التركى فقط غير ان الكثير من مساحة الجزائر الجنوبية كان خاضعا لنظام الاقطاع وان سلطة الاتراك العملية عهدت لا تشمل من اديم ارض الجزائر الفسيحة سوى محيط من الارض يحتوى على خمسة وسبعين الف كيلو مترا مربعا، ينتهي شرقا بمدينة طبرقة وغربا بوادي ملوية، وفي الجنوب بجبال العمور المتاخمة لعين ماضى، وهو نحو سدس التراب الجزائري اليوم. اما الباقي من جبال اوراس مثلها فهي لاهلها من زناتة، وببلاد الشاوية والزاب والحضنة لاسرة بوعكاز من الدواودة وببلاد تقرت وملحقاتها في اقصى الجنوب القسنطيني لبني جلاب، الخ....

البُرْجَ (المُبِين) الْمُتَوَسِّط



الجنة

«ا» عصر الفتح التركى

٩٥٠ - ٩٢٠ هـ

١٥٤٤ - ١٥١٤ م

عروج وخير الدين

هما اخوان تركيان من اهل احدى جزائر أرخبيل اليونان «مديلي» او ميتيلان - ليسبوص - التي فتحها السلطان محمد «الثاني» الفاتح سنة ٨٦١ هـ (١٤٥٧ م)

ولد عروج او - أوروج - حوالي سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣ م) واخوه خير الدين بعدها بسنة من اب يسمى يعقوب بن يوسف كان يصنف الفخار بهذه الجزيرة، وهو أحد الجنديين صاحبوا حيش الفتح، واصله من قريته «آجي آباد» بالروملي وامهما ذمية

نشأ عروج وهو ثانى اخوته الاربع على هاوية الحياة البحرية وذلك ما يقتضيه موقع بلده الجغرافي فأنشأ حفنا - مركبا - للتجارة واخذ يعمل به للارتزاق فوقع في محن العبودية والاسر حيث اخذه الظليان البقاعي فعدبوه ونكلوا به وانلواه من العسف والجور ما اثار في نفسه الحقد وحب الانتقام من القرصنة الاجانب، وهذا يعد من حكمتة الظليان خيانة حسبما تنص عليه معاهدة الصداقة واحترام الجوار المبرمة بينهم وبين الاتراك سنة ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) ولكن اين الوفاء؟... فكان هذا فاتحة عهد حذر تركيا من دول اوروبا ويوم ان تخلص عروج من اسره سعى من حينه الى تغيير مجرى حياته وكرس نفسه للجهاد والغزو في البحر للقضاء على القرصنة الاروبيه فنزل هو واخوه خير الدين ميدان الكفاح بهذا البحر الايض المتوسط وعمل على ربط صلتهم بالسلطان سليم «الاول» ودخل في خدمة السلطنة العثمانية فامدهما املاك

بالمراكب والسلاح واخذها حيئن في التجول بعرض البحار وطولها فطار صيتهما
وذاع ذكرهما في الآفاق واصبحا على راس اسطول ضخم واشتهر عروج يومئذ
بلقب «بارباروس» ثم اخوه بارباروس الثاني، ولا ادرى اكان ذلك تحريفا
لاسم الاول «بابا عروج»؟.. ام هو تشبيه له بأمير اطور المانيا «فريديرييك» الذي
حاز الشهرة أيام الحروب الصليبية وعرف بهذا الاسم؟.. ام لشقرة كانت بهما؟..
ويومئذ ت Shawf الاخوان «بارباروس» الى الفتح والتقدم الى مقارعة الطغاة
المعدين على الشعور الاسلامية ومرانك المسلمين فتو جهم اللدافع عن سواحل المغرب
الاسلامي وحماية اهلها فاتصالا بسلطان تونس ابى عبد الله محمد السادس «احفصى ونزلا
بجزر جربة ثم بحلق الوادى بتونس فانتشرت سمعتهما وسارت بذلك
الركبان وصار يخشى من ذكر اسمهما من بوغاز الدار دانيل الى مضيق جبل طارق

اضطرار المسلمين الى شن الغارات البحرية

انتهى امر المسلمين ما الاندلس كا هو معلوم في القرن ٥٩ هـ (١٥٠ م) واصبح امر البلاد
في يد الاسپان والبرتغاليين النصارى فاقفلوا الشعور على من بقي هناك من المسلمين
واخذوا يذيقو نهم من العذاب الوانا! ..

ولقد اشتدا امر على المسلمين في ذلك شدة لا يأتي عليها الوصف ولم يقتصر العدو
على ذلك فيحسب، بل تتبع اثر الاسلام والمسلمين حيثما كانوا واخذني جوب البحار مهاجمـا
لسواحل بلاد المغرب العربي مخربا ناهبا مدمرـا ومتخطفاـ كل ما يطفر بهـ من
الاموال والانفس والارزاق وقد امـت بذلك بعض الاماكن من سواحل المغرب موطنـا
لعصـبات من قراصنة الدول الاروبـية على اختلافـها، وبذلك نرى انتقال الحروب
الصلـلـية من المـشـرق الى المـغـرب، فلقد كانت اولا نـيـرسـ انـهاـ مشـتعلـةـ وـمسـتعـيرـةـ بالـشـامـ
ومـصـرـ ثم اـتـقـلـتـ الى تـونـسـ ثـمـ الىـ الجـزـائـرـ وـالـمـغـرـبـ الـاقـصـىـ، فـلـمـ يـكـنـ حـيـئـنـ
الـسـلـمـ سـبـيلـ بـيـنـ الطـرـفـيـنـ وـاـصـبـحـ الـنـهـوـضـ لـاـسـتـقـاـدـ الـمـسـلـمـيـنـ وـحـمـاـيـةـ سـوـاـحـلـهـ الـمـهـدـدـةـ اـمـراـ

واجبيات حتم على كل مسلم القيام به، مهما استطاع و كي فما استطاع إلى ذلك سبيلاً. واضحى لزاماً على الدول الإسلامية ان تقابل اعمال العدو بالمثل وان ترد عاداته و تقف في البحر رصداً للتوقع به و ترد عليه اذاه و كيده و تدرك ثأرها منه، وبذلك تراجعت قوى الاعداء قليلاً عن طموحها و اطماعها في البلاد الإسلامية، وليس هذا في الواقع بغير صنعة او لصوصية بحسبه و انما هو لون من الحروب الدينية و دفاع عن الاوطان ولقد اقر بهذه الحقيقة معتبراً بها الكاتب المسيحي « دوماس لاطري » وبعض كتاب الانكليز من رواد الحقيقة (١)

فتح مدينة جيجل

كان من أوليات المدن الجزائرية التي سقطت بيد الاجانب مدينة جيجل، احتلتها الجنوبيز (٢) سنة [١١٦٠ هـ ٥٨٥] وجعلها مركزاً تجارياً عظيماً، ولها ارسى الاخوان عروج و خير الدين بالسواحل الجزائرية لقضاء بعض مآرب لهما اتصل بهمَا اهالى هذه النواحي ملتزمين منهمما دفع الاجنبي عنهم و انداد شعورهم من تسلطه عليهما، فلبت الحامية التركية نداءهم وكان اول ما شرعت في اقراذه من البلاد الجزائرية مدينة جيجل فاحتلتها سنة [١٥١٤ م ٩٢٠ هـ] واتخذتها من كزا عمارتها البحرية بهذه الحوض .

ويذكر ابن احمدوش الجزائري في جدول ولاة الاتراك على الجزائر ان اتصال عروج بالجزائر كان سنة [١٥١٦ هـ ٩١٦ م] ثم اخوه خير الدين سنة [١٥١٦ م ٩٢٢ هـ] وليس هذا مما يضر في ضبط تاريخ اتصال الاتراك بالجزائر اذا عرفنا وان هذه مدينة وقع فتحها على يد الاتراك من تين

(١) راجم الشرق الإسلامي - Relation et commerce de l'Afrique septentrionale avec les nations chrétiennes du moyen-âge (Paris 1866)

(٢) اهل مدینه جنوة بايطالیه

فتح حصون بجاية

ولما اشتهرت اعمال الاخوين التركيين في غزو العدو وقهره واستيلائهم على حيجل استقبلهما سكان ثغور الجزائر وموانيها بكمال البشر واتجهت الانظار اليهما اتجاه المستغيث الملهوف الى الغوث فكان بهما اهل بجاية مستجددين بهم القمم عاديه دولة الاسپان والدفاع عن دار الاسلام، وكان الاخوان يومئذ متوجهين الى سبعة من بلاد المغرب الاقصى فعدلا عن وجههما الاولى وغيروا خطة سيرهما الى الشرق فاشرقا على بجاية في شهر جمادى الثانية هـ ٩١٨ (او ط ١٥١٢) واحتلوا منها حصنهما القائد على ساحل البحر، وبعد ان مر عليهما حوالان اعادا غارتهما على المدينة ودخلوا باسطولهما في الوادي الكبير وحملوا من هناك على الاسپان حملة شعواء استأصلوا فيها الاسپان قتلا واسروا ودامت المعركة اياما فانتصر بها الاتراك والتحقت بهم جيوش الجزائر المنطوعة فبلغت نحو العشرين الف مقاتل ويومئذ اخذ النصارى في استعمال الجليلة والدهاء الحربي فتمكنوا بذلك من الاحاطة بالجيوش الاسلامية فبحاصرواها مدة اربعة وعشرين يوما فقصد لها المسلمون مستعيمتين في الدفاع عن اوطانهم حتى نفد ما عندهم من البارود فالتجأوا حيщейد الى طلب المعاونة من صاحب تونس الحفصي فامتنع واظهر عداوه للاتراك واغرى عامله على قلعه بنى عباس من بلاد القبائل بمعادات الاتراك ايضا والسعى في نصرة الاسپان وذلك لما كان بين جده عبد الرحمن واحمد بن القاضى - بوقطوش - المولى للاتراك من العداوة وجاءت الامداد الى الاسپان من جهات عديدة فتفوى العدو ضد الفاتحين فانسحب القوم صحبة نحو ستمائة اسپر وانصرفوا بما معهم من الذخائر، وفي هذه الوجعة أصيب عروج في ذراعه الاسپر فسقط منه كما اصيب بجراحات بليغة في كتفه.

ثم في سنة هـ ٩٢١ (١٥١٥م) اتحدت قوات المسلمين وجاءت جيوش الفلمعنة

العباسية يقودها الامير عبد العزيز الحفصي منتصرة للفاتحين الاتراك والتحقت بهم حيوش احمد بن القاضى من جرجرة وتقدم الجميم للقضاء على قوات الاسبان بجایة فاخفقووا ولكل اجل كتاب

الاستيلاء على مدينة تی الجزائر وشرشال

كان بعد استقامة امر ملوك الجزائر الزيانين واضطراب امر الحفصيين اثر قوى في خروج بعض المدن الجزائرية عن طاعتهم واستقلالها بأمرها تحت رعاية جماعة من اهلها، ومنها مدينة الجزائر هذه فانها بقيت محافظة على حريتها تحكمها هيئة من الشعاليّة تحت رئاسته شيخ من شيوخهم، وكان فيمن تعاقب على رأس هذه الهيئة العلامة « سيدى عبد الرحمن الشعالي » ثم انتقلت رئاستها الى اولاد سالم من بنى علان الهواري ، وكان آخر الرؤساء من هؤلاء « سالم السالمي التومي » (١)

احتل الاسпан صخرة المرسى العظيمة مكان برج الفنار اليوم وبنوا عليها حصنهم الشهير باسم « البيبيون » Penion سنة ١٥١٦ هـ [٩١٦] ونزلوا فيه وأخذوا يومئذ في ارهاق الجزائريين والتضييق عليهم بفرض الضرائب والمغارم الباهضة

(١) كان مقر حكمه ومرکزه بالجزائر بحي باب الوادي في دار هناك كانت تعرف بـ « دار الطنجية » ويقال انه سكن بالدار الحمراء قرب ضريح سيدى على الفاسى بنهيج فيليب ولقد هدمت مباني هذه الناحية اخيراً بقصد التوسیع في انتو المدينة ودورها وتميرها على شكل بناء العصر الحديث ولكن الجزائر خسرت بذلك اجل عمرانها واحيائها التاريخية الاسلامية، فقدت بذلك طابعها الشرقي الاسلامي ورونقها الساحر الخاص

كانت هذه الناحية من العاصمه بمثابة الدرة من التاج مزدحرة ببروة طائمهن الدور والقصور الفسيحة هي اجمل ما في المدينة من بناء وعمارة وناهيك بها انها كانت مسكن ذى الواجهه من رجال السلك السياسي والعسكري ورجال القضاء والفتيا، ورؤساء البحرية الخ ٤٠٠٠ فالبناءات بها كثما رخام ومرمر ملوّن وزليج فارسي مزخرف ولتفوش على الخشب وقباب مرتفعة واقواس في اشكال هندسية جليله على نموذج دار الاسقف والملكته الوطنية الباقيتين الى اليوم

على مكاسبهم التي تأيدهم عن طريق البحر كما فعلوا كذلك بسائر السواحل الجزائرية فضاق الجزائريون بهؤلاء الأسبان ذرعاً وسموا من هذه الإهانة والذل القاتل وحاولوا التخلص من هذا الحصن الإسباني الذي حل بيدهم محل الشوكة باللهاء وفي ذات يوم أرسى خير الدين باسطوله في مرسى الجزائر لقضاء بعض مآرب له منها وقد علم الجزائريون يومئذ أن ملك إسبانيا « فيرديناند المسيحي ». المت指控 قد توفي فانتهزوا هذه الفرصة واستمسكوا بخير الدين فرغب إليه شيخ مدينة الجزائر « سالم التومي » وشيخ بلاد قبائل - جرجرة - « أحمد بن القاضي » حماية بلادهم من خطر الأسبان ومبaitته كاميير على بلاد الجزائر، فرحماهـ مدـة ثم سـيـخـتـ عـلـيـهـمـ فـغـادـهـ رـمـةـ كـامـيـرـ شـمـاـلـةـ ثـمـ الـحـوـاـ فـيـ عـودـتـهـ الـيـهـمـ وـاـكـدـواـ عـلـيـهـ فـيـ قـبـولـ بـعـتـهـ فـأـطـهـرـ اـمـتـنـاعـاـ ثـمـ لـبـيـ دـعـوـتـهـ عـلـىـ اـنـ يـشـارـكـهـ اـخـوـهـ عـرـوجـ اوـرـوجـ فـيـ هـذـهـ الغـزـوـةـ وـهـوـ يـوـمـ مـقـيمـ بـجـيـجلـ فـاسـتـصـرـخـوـهـ فـاجـابـهـ وـجـاءـ مـعـهـ بـحـمـلـةـ فـيـهـ ثـمـ نـمـائـةـ تـرـكـيـ وـثـلـاثـةـ آـلـافـ جـزـائـريـ، فـعـرـجـ اوـلـاـ عـلـىـ مـدـيـنـةـ شـرـشـالـ فـاحـتـلـهـاـ ١٥٦٥ [٥٩٢٢] مـ وـتـقـدـمـ بـعـدـهـاـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ الـجـزـائـرـ فـيـ نـفـسـ التـارـيـخـ فـانـقـذـهـاـ مـنـ بـيـنـ بـرـائـنـ الـأـسـبـانـ وـغـرـزـ بـهـاـ عـلـيـهـ الـثـلـثـ الـأـلـوـانـ : اـخـضـرـ وـاـصـفـرـ وـأـحـمـرـ، وـكـانـ اـخـوـهـ خـيـرـ الدـيـنـ يـوـمـئـذـ مـشـتـغـلـاـ بـفـتـحـ مـدـيـنـةـ مـسـتـغـانـمـ

نزل عروج بالجزائر وحاول من يومه القضاء على حصن « البينيون » فلما نجح، ولم ينشب أن عملت الدسائس عملها فانقلب ضده حاكم الجزائر وبيت له العداوة مع الأسبان وكانهم بذلك استضعفوه أو حسدوا فتشغل عروج للانتقام من مشيخة مدينة الجزائر فقضى على رئيسها سالم التومي وأعلن انتصاره بنفسه ملكاً على عرشها ولم يلق في ذلك من الاهالي كسيئ عنف وذلك لما يجمع بينهم جميعاً من اخوة الاسلام ورابطة الاخلافة والدفاع عن الاوطان الاسلامية ، وكان سالم هذا ولد اسمه يحيى فر بعد مقتل ابيه الى وهران مستجدًا ومستغيثًا بالاسپان فيجهز له هؤلاء اسطولاً ضخماً وجعلوها تحت قيادة « فرانسيسكو »

خيبة حملة دون ديفو دوفيرا على الجزائر

جات هذه الحملة الاسبانية في ثمانين من رجب تحمل كمية عظيمة من السلاح والجنود اذ فيها من المقاتلين نحو الثمانية آلاف نسمة، برأسها القائد الاسپاني « ديفو دوفيرا » Diégo-de-véra فارست العمارة بناحية باب الوادى غربى العاصمة وقيل بشرقيها بناحية « حسين داي » ؟ ... وذلك في اليوم الثالث من رمضان ٩٢٢ هـ [آخر سبتمبر ١٥١٦ م] وما كادت جنود الحملة تتصل بالارض حتى فاجأها الاهالى ومعهم الحامية التركية فقضوا عليها وكان ذلك في يوم عاشر حيث اشتدت الزوابع في البحر فاضطربت لها سفن العدو وتقادقتها الزعازع الهوج فتحطم اكثراها فكان ذلك مما زاد في انكسار الاسپان وخيبتهم ولم ينجو يومئذ منهم الا القليل

ويقال ان الاهالى الجزائريين يومئذ توjosوا خيفة من تسلط الاتراك عليهم وخرسوا الامر من ايديهم فاحتلوا بحاكم مدينة تنس حميد العبيد من بنى مهل فأدر كهر عروج في خمسة عشر الف جندي تركي والالف فارس من الجالية الاندلسية فقضى على حرکتهم هنالك

تقدير الفتح التركى

ويومئذ اخذ عروج في توسيع نطاق مملكته بالجزائر فاستولى على متيجة بعد ان فر حاكما منها الى الصحراء، ثم نزل المدينة واحتل بعدها مليانة واستولى على بلاد القبائل فنصب عليها اخاه خير الدين واقامه بدلس ، وكان مما مهد له السبيل الى احتلالها هو ما كان قائما بين بنى عباس واهل جبل كوكو من التنازع والخلاف؛ ثم هاجم تنس واحتلها في جمادى الثانية ٩٢٣ هـ [جوان ١٥١٧ م] وقتل صاحبها المولى للاسبان ونشر سلطانه عليها وعلى ما اتصل بها من قراها ومداشرها المحيطة بها، واقتسم حيشان إدارة البلاد بينه وبين اخيه فاضطالم هو بغيريه وجعل لأخيه ناحيتها الشرقية

فتح تلمسان

لقد كان لهذه الفتوحات التركية المتواترة دوى عظيم في أنحاء المملكة الجزائرية وأثر باهر كبير في نفوس التلمسانيين الذين كانوا يرسفون تحت نير أبي حمو الثالث وجور خلطائه الاسبان فبمجرد ما تتحقق لديهم انتصار الاتراك على الاسبان في بجاية والجزائر وتقديمهم في الفتح التف أهل تلمسان حول ملکهم اى زيان المخلوع والتيجوا الى عروج فادر كهم بحميته وفتح تلمسان سنة ٩٢٣هـ [١٥١٧م] وفر أبو حمو الى وهران محتميا بحلفائه الاسبان؛ فعاد اذاك ابو زيان الى عرشه

وقعة هــوارة

هــوارة هي قلعة او بلدة صغيرة من اعمال وهران تبعد عن مدينة معسكر بنحو ٢٥ كم ، وعن مستغانم بنحو ٥٥ كم وهي المعروفة قديما بقلعة بنى راشد واول من استعمل عليها من الاتراك هو اسحاق بن يعقوب اخ عروج، استعمله اخواه على هذه الناحية وقادا عليه في تشديد الضغط على الاسبان المقيمين بوهران وقطع الميرة عنهم، وكان يومئذ ابو حمو الثالث منهم في جاء الى القلعة مقاتلا مع الاسبان واشتدت المعارك هناك وكان الظهور فيها للاتراك، ثم أعاد ابو حمو كره في جيشيه ومعه الاسبان فحاصر القلعة وضيق عليها الحناق مدة ستة عشر شهرا ثم افرج عنها وكانت الهدنة وعقد الصلح

ثم لاح لائح الخيانة من طرف الاسبان فانقضوا على القلعة وقضوا على اهلها غدرًا وقتلوا الحامية التركية وكان فيها استشهاد الامير التركي اسحاق (١) ونشبت

[١] ذكره عبد الرزاق بن احمدوش الجزائرى في مجمعه الطبوع بالجزائر سنة ١٨٨٦ م على انه اول باشقدم الى الجزائر سنة ٩١٥هـ (١٥٠٩م) وفي تقييدات او مفكرة ابن رجب الجزائرى مخطوطه - انه تولى اماراة الجزائر سنة ٩١٠هـ (١٥٠٤م) ٠٠٠٠٩

هذاك وقائم وحوادث دامية بين حميد العبد رئيس تلك النواحي وبين الجيوش التركية، وسرعان ما انتصر الاتراك واحتل عروج نواحي شلف والظهرة ووانشريس وتسيطرى ومتيجنة

استشهاد عروج وعودة ابى حمو الى العرش

انتقل ميدان القتال بعد ذلك الى تلمسان وعاد اليها ابو حمو الثالث في اشباعه وحلفائه الاسبان فيحاصرها ستة اشهر وهذاك وقف في وجهه عروج فقاتله وقتل من اهله نحو السنتين شخصا كان فيهمر سبعة من المترشحين للملك، وقضى على نحو الف من سكان المدينة المعارضين ثم خرج بنفسه للاقات عدوه ابى حمو ومن معه من الاسبان فقاتلهم ولم يعقه في ذلك انفصال ذراعه واستمر يخوض غمار الحرب بشجاعة نادرة الى ان استشهد وجماعته معه في الميدان قرب مقطع الوادي الملحق Rio Salado وذلك في شهر جمادى الاولى سنة ٩٢٤ هـ (ماي ١٥١٨ م) وعمره يومئذ نيف واربعون سنة، فسر لسوق طه الاسبان فاحتزوا رأسه وسلبوه ملابسه واخذوا ذلك معهم الى بلادهم يطوفون به الشوارع والانهج تطمئنا لافتدة شعبهم المضطربة حقدا وغضا، ووضعت ملابسه تلك في دير - موناستير سان حيروم - بقرطبة ويروى ان جثمانه حيء به الى العاصمة فدفن بجوار ضريح سيدى رمضان وقبة عن يمين الداخل متصلبا بجدار المسجد... وأعاد الاسبان اباهموا الثالث الى عرشه المحتضر على ان يكون حليفهم ضد الاتراك ويدفع لهم سنويا اثنى عشر الف دوكه او بيساطر - نقد اسباني - ٦٢ فرسان و ٦ صقور رمز لخضوعه واستخذائه للاسبان وفي هذه السنة جدا خير الدين سور مدينة الجزائر الذي انشأه بلکین ملك صنهاجة من قبل

انهزام الاسبان عن الجزائر

كان لااستشهاد عروج وانتصار الاسبان على المسلمين في وقعة الوادي الملحق ارتياح

عظيم لدى الاوساط المعادية وكان الدولة الاسانية يومئذ استيقنت النصر النهائي لها فعزم الامبراطور شارل كان على القضاء نهائيا على دولة الاتراك بالجزائر فجمع يومئذ جمهه وأخذ في تعبئة حملة عنيفة ضد الجزائر مجهزة باضخم اجهزة الحرب فيخر جت العمارة من مرسى جنوة سنة ١٥١٩ هـ (٩٢٦ م) مشتملة على اربعين قطعة بحرية وفيها من الجندي خمسة آلاف مقاتل يرأسها والى صقلية « هو كودو وونكاد » ففرحت اولا على وهران فاستكملا عدتها هناك ثم جاءت الجزائر فارست بناحية الحراش وهناك اشتباكت المعارك بين الفريقيين فانتصر الجزائريون على هذه الحملة واسروا منها ثلاثة آلاف مقاتل وفيهم اكثريتهم من الضباط ومن بينهم رئيس الحملة

وفي هذه السنة كان استيلاء خير الدين على مدينة القل الساحلية، وشرع يومئذ في توزيع الاعمال على الموظفين وتعيين الولاية على النواحي ومن بينهم احمد بن القاضي فأقره شيخا او خليفة على الناحية الشرقية، ومحمد بن علي على الناحية الغربية

الحق الجزائر بالامبراطورية العثمانية

ولما اطمأن الجزائريون على بلادهم وتحققوا من يأس العدو منه اظهر بعضهم الاستغناء عن الاتراك، وفيهم من حول نظره الى الاسبان مستنصر بهم ويومئذ جمع خير الدين طائفة عظيمة من تيبة اهل البلاد واعيانها وعرض عليهم تخلية عنها، واظهر لهم عزمه الاكيد على الاتقال من بلادهم والعودة الى خطته البحرية لمجاهمدة قر صان النصانية بغربي هذا البحر الذي كان مسكونا بشعوب من القرادين التي تمارس الغزو والقرصنة وتعتمد عليها في معاشها، فابى عليه مجلس الاعيان ذلك واعلن تعلقه الشديد به وبرهن على ولائه واخلاصه باظهار رغبته ورضاه فيما يقتضيه ويشترطه عليهم خير الدين، وبعد المناقشة والجدال الطويل

في ذلك طرح عليهم خير الدين فكرة الحاق الجزائر بالباب العالى والاحتماء بالسلطنة العثمانية فاستصوبو رايه واستسلموه في انتقاد تام، وكان مما جعل شأن التحاق بلاد الجزائر بالملكلة العثمانية امرا ميسورا لديهم هو ما يجمع بينهم من رابطة الدين والخلافة مع تو جس الاهالى وخوفهم من مفاجآت العدو وغاراته الطارئة ويوئذ كتب خير الدين محضرا اشتمل على تفاصيل الحوادث الجزائرية وذكر البيعة للسلطان العثماني وبعث بذلك مع احد اتباعه - الحاج حسين - الى استانبول فقبلها السلطان سليم الاول واذن في ضم الجزائر الى مملكته وخلع على خير الدين لقب «يلرباى» وجعله حاكما عاما على الجزائر وامده بالفين من الجندي المسلاح ومدفعية قوية واربعة آلاف من المتطوعة وجند الانكشارية وجاء معهم كثير من المهاجرين الاتراك، واذن له السلطان كذلك في سك النقود؛ واصبحت الجزائر منذ سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م) ولاية تركية مرتبطة بالامبراطورية العثمانية ملحقة بها خاصة لحكام اقلheimيين يحملون لقب ييلرباى وبالباشا والداى يتمتعون بقسط وافر من الاستقلال عن الحكومة المركزية

باستانبول

ويبدو ان خير الدين هذا لم يكن يعمل لمجرد الالتباس والغنية وإنما كانت تسيره عاطفة دينية صادقة فلقد عجل هذا الرجل في ساعة نصره وظفره فوض نفسه في خدمة السلطان وقدم الى الخلافة بلاده في الوقت الذى كان عمال الدولة ينهزون فيه فرصة استقوائهم لينفصلوا عنها وقد كان الرجل موافقا فيما رأى اذ وقع تصرفه في نفس السلطان سليم موقعا طيبا (١)

ابعاث الاضطراب والفقن بالجزائر

لقد كان التحاق الجزائر بالباب العالى باعثا قويا في اضطراب بلاط بنى زيان بتلمسان وبنى ابي حفص بتونس والوطاسيين ايضا بالمغرب الاقصى وذلك خشية

(١) الشرق الاسلامي ج ١ ص ٢٩٦

امتداد القوى التركية إلى بلادهم ونشر جناح السلطنة العثمانية على كامل المغرب العربي، فاجتهد الحفصيون والزيانيون يومئذ في العمل على قطع العلاقة بين الجزائر واستانبول وسعوا في إيقاد الفتنة والثورات الوطنية ضد السلطة التركية، وانفقت في ذلك أموال طائلة وفيهم من استجاش بالإسبان وملوك المغرب الأقصى من بنى وطاس ولكن ذلك كلّه لم يثبت أمام قوة الجيوش التركية النظامية فخاب سعي بنى زيان وتذكر الشعب الجزائري للمولى عبد الله الزياني فأنزله عن عرشه وفر الملك إلى حلفائه الإسبان وتولى مكانه أخيه المسعود سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩م) تحت نفوذ الأتراك

غزو ولاية تلمسان

ما كاد يطمئن خير الدين على ولاية تلمسان حتى فاجأه ملوكها المسعود باظهار عداوته وبغضائه للأتراك وأهلاه على الحكم العثماني وأعلن ثورته الصماء على خير الدين، فتقدم البيسربي أو لا إلى مستغانم فحاصرها بجيشه المشاة براً وغزاها بحراً بشمان وعشرين سفينة حربية فافتتحت له ثم تقدّمت مراكبه إلى سواحل الاندلس فانقذت منها عدداً وافراً من المحصورين ثم كانت وقعة هوارة - قلعة بنى راشد - فاستولى عليها أياضويومئذ تصدى لحصار تلمسان فاحتاط بها وضيق عليها الخناق مدة عشرين يوماً ففتحها وفر إمامها المسعود طلباً للنجاة بنفسه، في جاء الأتراك يومئذ بالمولى عبد الله فأعادوه إلى العرش الزياني تحت سطوتهم ورعايتهم وخلعوا عليه الحلة الملكية على أن يدفع للخزينة الجزائرية عشرين ألف دينار سنوياً

حركة أحمد بن القاضي

هو رجل من أعيان بيوتات الجزائر الساكنة بناحية بناحية بلاد القبائل، ولاه خير الدين رئيس قبيلة الناحية فاستقر بجبل كوكو - سوق الأربعاء - من بلاد

زاواة ونظرها القومية وغيره على وطنه عملت فيه دسائس صاحب تونس في رفض الحكم التركى والنهوض لقتال الاتراك فشن غارتهم عليهم بتلك النواحى الشرقية؛ ويومئذ خرجت الحامية التركية لاجماد ثورته فواجهتها هناك جيوش الحفصيين وانتسبت الحرب بينهما في الحدود وكانت المعركة شديدة انتصر فيها قوم خير الدين، فعاد ابن القاضى حيىند الى المراءة والتظاهر بالتوحد للاتراك فصانعهم ودلهم على عورات العدو وسالم لهم تقية الى أن شعر من نفسه بالقدرة على مقاومتهم فانقلب عليهم مرة أخرى واستجاش الحفصيين فانجدوه واستعan بهم في الاستيلاء على كثير من القرى والمدن الجزائرية التي هي بلاد القبائل، وغزا مدينة الجزائر فانهزم عنها وعقد الهدنة مع خير الدين ثم نكث عهده وجدد هجومه على العاصمة فانهزم عنها ثانية

خيانة قارة حسن واستيلاء ابن القاضى على الجزائر

وبعد أن تيقن خير الدين من القضاء على ثورة ابن القاضى وانهزامه عن الجزائر نهى لاسترداد الاماكن التي خرجت عن طاعة الحكومة التركية بتلك الجهات الشرقية فجهز لذلك حيشا منظما جعله تحت قيادة وتصرف قارة حسن فيخرج الجيش من مكمنه وقام بواجهه احسن قيام فانتقل ابن القاضى حيىند من مركزه واعتصم بالفرار وذهب الى بوته «عنابة» فاستقر بها مختفيها وهناك استعمل الخليفة والدهاء السياسي فاستمال اليه قائد الجيش التركى: قارة حسن، واتفقا على اقتسام الحكم وتوزيع الأقاليم بينهما وأخذوا في بث روح الشقاق والخلاف في الرعية، ودفعا بها الى اعلان الثورة والعصيان في وجه الحكومة المركبة بالجزائر فاضطرب لذلك الوطن الجزائري وحدث فيه من القلق والتشعب ما حمل خير الدين على ترك العاصمة والخروج منها الى حيجل متمنيا في غزواته البحريه تاركا الجبل على الغارب فيخلا الجو حيىند لابن القاضى فانتهزها فرصة

واحتل العاصمة فامثلها مدة حولين كاملين وكان عدد سكانها يومئذ
زهاء عشرين الف نسمة ٢٠٠

عودة خير الدين إلى الجزائر

وبعد مضي ثلاث سنوات قضاها خير الدين كلها في قهر قراصنة الغرب، اتفق ان بعث بمراكب له الى غزو بعض سواحل الافريقي يقودها احد رجاله القرصان المشهورين فعاكست الزوابع الجوية هذه القافلة البحرية فالتجأت الى ميناء الجزائر فصر لها ابن القاضى عن مرادها فعادت العمارة بخيتها الى خير الدين واعبره رئيسها الخبر ، فعظم ذلك عليه واستنكره ونهض من حينها الى نواحى الجزائر مشيرا لانصاره واسياعه ومن بينهم عبد العزيز الحفصى امير قلعة بنى عباس ، فلبيته الجموع وجاءت اليه مسرعة متحشدة تحت لوائه فاحتل خير الدين يومئذ ٤٥٩٣ هـ (١٥٣٧) مدينة القل وبوته وامتلك قسنطينة ودخل العاصمة منتصرا ، ثم نهض الى ابن القاضى فظهر عليه وقتلته بنية بنى عائشة بحوز الجزائر ، وظفر بقارعة حسن قسم ابن القاضى في التورقة فقتلها ايضاً فيم من حاصداً صار لا يرى شالاً نوعى عن الاتباع الا آخرين ثم عاد الى العاصمة منهمكاً في وضع اساس حكمته التركية ونشر نفوذه على بقية البلاد

فتح قلعة البينيون Penon

«البنيون» هو اسم القلعة التي انشأها «يدرو دونافار» الاسباني فوق وسطى الصخور او قل الجزائر العظيمة بشرم مدينة الجزائر سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠) وشحذها بالجيوش والسلاح الثقيل وذلك لفرض رقابة الاسبان على الجزائر وتفتيش الصادرات والواردات وقطع صلة الجزائريين بالبحرية فكان هذا الحصن او قل المعقل الاسباني الحصين بمنزلة الشوكة في ظهر الجزائريين ولكنهم صبروا حتى اعياهم الصبر وتعددت اذية الاسبان وتكسر عدو انهم

ضد الاهالي، فانذرهم خير الدين ليتهوا عن عمائهم هذا فلم يقلعوا، وبعد ما احقق خير الدين في انذاره وتهديد لاسبانيا ويس من المعالمة السلمية تجهيز لمنازلة القلعة بانواع السلاح الثقيل وحمل عليهما في شهر رمضان العظام هـ٩٣٦ (ماي ١٥٣٠) وكان يرأس حاميتها الاسپانية يومئذ الوالي [مارتان دى فارقاص] فأوقدها عليهم خير الدين نارا تاضى واقتصر الحصن ففتحه في منتصف الشهر - ١٦ ماي - وقضى على جميع من بالحصن من الاسبان ثم امر بتحطيم التكنة ودكها حتى لا يبق لاهلها مطعم في العودة اليها مرة اخرى واستعملت انقضاضها في ضم تلك الصخور التي بعثناء المدينة الى بعضها وبناء الجسر وهو الرصيف الممتد ما بين المدينة و[برج الفنار] حيث دار قبطان راييس وهى مقر امير البحري المعروف الى اليوم (١) وجاء يومئذ مركب حربي اسباني لانقاد قومه فاسرة خير الدين وتم للاتراك يومئذ الاستيلاء النهائي على الجزائر وتمكنوا بذلك من انقادها من بين مخالب الكفر والطاغوت واصبحت الضفة الغربية من هذا البحر الايضاً المتواسط بحيرة عثمانية

انكسار اندرى دوريا

اشتد غيظ الاسبان على دولة الجزائر التركية الفسحة وعز عليهم ما لهم منها من تحطيم حصنهم «البنيون» فلم يستسيغوا انهزامهم بهذه الواقعة التي يئسوا معها من تحقيق مطامعهم بالسواحل الجزائرية فتآمروا يومئذ مع دولة فرنسا والجنويز - بايطاليا - على مهاجمة الجزائر وتحطيم السلطة التركية القائمة بها ثم سعوا فيربط صلتهم كذلك بسلطان تونسان مولاي عبد الله وتحالفوا معه على ذلك، ويومئذ خرج اسطولهم اثنالوثي في شهر ذى الحجة هـ٩٣٧ (جولiet ١٥٣١) مشتملا على اربعين مركباً حربي يقوده امير البحر الجنويز المشهور

(١) انشئت هذه الدار سنة ١٢٤١ هـ (١٨٢٦ م) اي على عهد حسين بن علي آخر دايات الجزائر

(اندرى دوريا) الى السواحل الجزائرية فاستولى على ميناء هنین ومكث الاسبان بهـا يومئذ اربع سنوات ثم خر جوا منها واندفع سلطان تلمسان حينئذ في حيشه لحصار الجزائر فتسرب خير الدين او لا لقتال سفن الحلفاء وخرج بنفسه في خمس وثلاثين قطعة بحرية فغزا الجزائر الشرقية - الباليلار - فحط بم حصونها وغنم ذخائركـا وفي عودته ظفر في طريقـه الى الجزائر بسفن الاعداء فاستولى على خيراتها وفي هذه البرهة التي تغيب فيها خير الدين عن العاصمة اعتدى اندرى دوريا على مدينة شـرشال فهاجمها بدون جدوى وادرـكـه الاسطول التركي ففر دوريا امامـه ومنـى اسطولـه هـنـالـكـ بالانكسار الشـنـيعـ والـخـيـبةـ المـرـيـرةـ، ولـكـنـهـ تـحـينـ فـرـصـةـ غـفـلـةـ خـيـرـ الدـيـنـ وـاـنـشـغـالـهـ بـتـدـبـيرـ مـلـكـهـ فـهـاجـمـ الاسـطـوـلـ التـرـكـيـ ليـلاـ وـاسـرـ منـهـ أـرـبعـةـ مـرـاكـبـ.

نـزـوحـ الـاـنـدـلـسـيـنـ إـلـىـ الـجـزـائـرـ

بعد ما وقعت الكارثة الكبرى ببلاد الاندلس واحتلـها الاسـبانـ وافتـسـكـواـ منـ اـهـلـهـاـ معـقاـهمـ الاـخـيـرـ غـرـنـاطـةـ سـنـةـ ١٤٩٢ـ (٥٨٩٧ـ مـ)ـ التـجـاـ منـ بـقـىـ هـنـالـكـ منـ اـمـضـطـهـدـيـنـ اـلـىـ غـرـبـيـ الانـدـلـسـ مـعـتـصـمـيـنـ ثـمـةـ بـجـيـالـ شـاحـخـةـ مـنـيـعـةـ وـرـغـمـ ذـلـكـ فـانـ العـدـوـ قدـ لـقـ بـهـمـ وـضـيقـ عـلـيـهـمـ الـخـنـاقـ هـنـالـكـ فـانـزـلـهـمـ مـنـ مـعـقـلـهـمـ الطـبـيـعـيـ عـلـىـ شـرـوطـ وـعـهـودـ اـخـذـهـاـ كـلـ مـنـ الـجـانـيـنـ عـلـىـ نـفـسـهـ مـلـتـزـمـ بـهـاـ اـمـامـ صـاحـبـهـ،ـ ثـمـ لـمـ يـنـشـبـ اـلـسـبـانـ بـعـدـ ذـلـكـ اـنـ اـخـذـواـ فـيـ تـقـضـ عـهـودـهـمـ وـحـلـ موـائـهـمـ فـيـجـدـدـواـ حـلـمةـ صـلـبـيـةـ شـنـيعـةـ ضـدـ الـمـسـلـمـيـنـ وـفـيـجـوـ اـمـامـهـمـ اـبـوابـ مـحاـكـمـ التـقـيـيـشـ عـلـىـ مـصـارـعـهـاـ وـبـالـغـواـيـ اـرـغـ اـمـاهـمـ عـلـىـ التـنـصـرـ وـخـلـعـ رـبـقـةـ الـاسـلامـ مـنـ اـعـنـاقـهـمـ وـلـمـ تـكـتـفـ هـذـهـ مـحـاـكـمـ الغـاشـمـةـ مـنـهـمـ بـكـتـمـانـ اـيمـانـهـمـ بلـ الزـمـتـهـمـ بـالتـلـبـسـ بـشـعـارـ الـكـفـرـ وـذـهـبـتـ فـيـ التـنـكـيلـ بـهـمـ اـلـىـ اـشـدـ العـذـابـ فـمـزـقـتـهـمـ شـرـ مـمـزـقـ وـاحـرـقـتـهـمـ وـفـعـلتـ بـهـمـ الـافـاعـيلـ مـمـاـ لـمـ يـعـهـدـ مـثـلـهـ وـلـأـعـنـدـ اـمـامـ مـتوـحـشـةـ الـفـانـدـالـيـةـ !ـ .ـ .ـ .ـ

وحيثذاستغاثت بقية الباقيه من المسلمين المشردين بخير الدين وفاوشه في انقاذهما من العدو ونقلها الى عدوة المغرب فانجدها بستة وثلاثين مركب ذهبته كاهما سنة ٥٩٣٥ [١٥٢٩م] الى مياه الاندلس تحت رئاسة وقيادة نائبيه : ايدن رايس، وصالح رايس فارست ليلا عند اوليفا امام مصب نهر «التيما» على مقربة من دانية ونرات منها الى البر عصابة استطاعت ان تجمع من الانحاء المجاورة نحو ستمائة من المؤرسيكين الراغبين في الهجرة وهنا فوجئت السفن المغيرة بعدة من السفن الاسپانية الكبيرة وطاردتها حتى مياه الجزائر الشرقيه - الباليار - ولكن سفن القرصان اتقلبت فجأة من الدفعه الى الهجوم، وانقضت على السفن الاسپانية واغرقـت بعضـها واسرتـ البعضـ الآخرـ وسارتـ سالمـة الى الجزـائر تحـملـ المؤـرسـيـكـينـ المـهـاجـرـينـ وـعـدـداـ مـنـ اـكـابـ الاسـبانـ اـخـذـواـ اـسـرـىـ مـعـ عـدـدـ مـنـ السـفـنـ الاسـپـانـيةـ الضـخـمـةـ اـيـضاـ وـتوـالـتـ بـعـوثـ خـيرـ الـدـيـنـ وـغـارـاتـهـ عـلـىـ الشـوـاطـيـءـ الاسـپـانـيـةـ وـتـابـعـتـ الفـرـصـ لـدـىـ المؤـرسـيـكـينـ لـلـفـرـارـ وـالـهـجـرـةـ رـفـقـةـ السـفـنـ المـغـيـرـةـ حـتـىـ بلـغـ ماـ نـاقـلهـ سـفـنـ خـيرـ الـدـيـنـ مـنـهـمـ اـلـىـ شـوـاطـيـءـ الـمـقـرـبـ الـاسـلـامـيـ نـحوـ سـبـعـينـ الـفـ نـسـمـةـ (١)ـ وـكـيـراـ مـاـ كـانـ عـدـدـ السـفـنـ لـاـ يـكـيـ لـحـمـلـ الـلـاجـئـينـ فـتـضـطـرـ الـحـامـيـةـ إـلـىـ النـزـولـ بـسـاحـلـ الـعـدـوـ تـارـكـ مـكـانـهـ لـلـمـاهـجـرـينـ وـتـبـقـىـ هـنـاكـ فـحـرـاسـةـ الـمـتـخـلـفـينـ مـنـ اـهـلـ الـاـنـدـلـسـ رـيـشـمـاـ تـعـودـ اليـهـمـ قـافـلـةـ الـاـتـرـاكـ الـبـحـرـيـةـ فـتـخـلـصـهـمـ مـنـ نـكـبـتـهـمـ؛ـ وـاستـمرـتـ مـرـاكـبـ الـاـتـرـاكـ ذـاهـبـةـ آـيـةـ تـعـبـرـ هـذـاـ الـبـحـرـ بـيـنـ الـجـزـائـرـ وـالـاـنـدـلـسـ سـبـعـ مـرـاتـ وـاوـسـعـ لـهـمـ خـيرـ الـدـيـنـ فـيـ اـرـضـ الـجـزـائـرـ وـاـكـرمـ مـثـواـهـ وـتـرـكـهـمـ لـاـنـفـسـهـمـ فـيـ اـخـتـيـارـ الـبـقـاءـ وـالـامـكـنـةـ الصـالـحةـ لـسـكـنـاهـمـ الـمـوـافـقـةـ لـاـغـرـاضـهـمـ وـمـقـاصـدـهـمـ فـيـ الـقـيـامـ بـاعـمـالـهـمـ وـصـنـاعـتـهـمـ الـمـتـعـدـدـةـ فـكـانـ مـنـهـمـ مـنـ اـخـتـارـ النـزـولـ بـالـعـاصـمـةـ وـمـنـهـمـ مـنـ سـكـنـ سـهـلـ مـقـيـمةـ بـنـوـاحـيـ الـبـلـيـدـةـ وـمـنـهـمـ مـنـ نـزـلـ تـدـلـسـ دـلـسـ.

(١) «نهاية الاندلس لمحمد عبد الله عنان ص ٢٨٤ ط القاهرة ١٣٦٨ھ ١٩٤٩م»

ومنهم من استوطن تلمسان (١) ووهران، ومنهم من نزل المغرب الأقصى وتونس واغتبط بهم الناس وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفهم وما أهل الاندلس هؤلاء بجانب او غرباء عن اهل المغرب ولا هم ببعاد عن وطنهم الجديد هذا ، بل ما هم الا اصالة منه واليه ومن رجاله وذويه تربطهم باهلها او شاج وارحام منذ احقياب واعقاب ، اذ طالما حدثنا التاريخ عن جيوش المغرب البربرية التي صجبت حنبعل والروماني الى اسبانيا واستقرت بها ، واما فتحت الاندلس الاسلامية الاعلى يد الجيوش البربرية التي رافقت البطل البربرى الفاتح طارق بن زياد ، وما قامت دولة المراطين وعدووة الموحدين بالاندلس بالمخابرة من البربر ، وما حكومة دولته بنى زيري بغرنطة الا من صنه ساجة وما حاميتها ابن ابي عامر الا من زناته وستامتة

واستمرت الهجرة الاندلسية مطردة نحو المغرب منذ حلت الكارباته بذلك الفردوس المفقود الى سنة ١٤٩٢ هـ (١٦٠٩ م) حيث نزل منهم بوهران يومئذ نحو ٢٨٠٠٠ نسمة ، ولم يبق هنالك من المسلمين آنذاك الا من جبسه اجله . قال ريناخ : لمر تكتف اسبانيا بما قامت به من المظالم باسم الدين واحراق البشر وقتلهم وتعذيبهم بل رأت ان توهم الناس انه لا سبيل الى قيام وحدتها الا بنفي اليهود سنة ١٤٩٢ م ونفي العرب (١٦٠٩ م) فسار مئات الالوف منهم يهجرون بلادهم وهلك منهم في الطرق عشرات الالوف فحرمت اسبانيا من

(١) كان فيمن نزل هذه المدينة الجزائري من كبار رجالات الاندلس الامير ابو عبد الله محمد بن سعد ملك غرناطة الملقب بالزغلل — ومعناه الفتى الغض الشباب — وهو عم ابي عبد الله آخر ملوك دولة بنى الاحمر النصرية بغرناطة دفين مدينة فاس نزل الزغل بتلمسان وبها قضى بقية حياته في غمر الحسرات والعدم وبها كانت نهايةه ووفاته في شهر شعبان سنة ٨٩٩ هـ [جوان ١٤٩٤ م] كما يدل على ذلك شاهد قبره الذي طالما استعمل عتبة لباب منزل حمير بتلمسان عدة قرون ! ... وقد ظهر به العالم بروسلار C. Brosselard فانتشر ووضعه في محله اليوم بمتحف تلمسان

احسن العاملين فيها وفقدت تجاراتها الماهرين واطباءها الحاذقين، وقد قتـل في اسبانيا وحدها بفعل ديوان التفتيش الديني نحو مائة الف انسان على الاقل ونفي منها مليون ونصف؛ وقد كان ذلك من موجيات تأخر البلاد كما وقع لمدينة نانت يوم طرد منها من كان مخالفـا للكـشـلـكـة فأضـرـ ذـالـكـ بالـصـنـاعـةـ الفـرنـسـيـةـ كما قال سـيـدـيـوـ، وـقـدـ تـمـكـنـ الـكـارـدـيـنـالـ كـسـيـمـنـسـ منـ تـعـوـيرـ جـمـيمـ آـشـارـ الـمـسـلـمـيـنـ وـأـمـرـ باـحرـاقـ ثـمـانـيـنـ الفـ مـخـطـوطـ عـرـبـيـ فـيـ سـاحـاتـ غـرـنـاطـةـ ! ...

ونقل المؤرخ الاسپاني الكبير «ناوریتی» ان عدد المتفقين من الانداس العرب من متصررة وغيرهم خمسة ملايين نسمة منهم مليونان من اليهود، وقد كان مجموع عدد سكان اسبانيا كـاـهـاـ يومـئـذـ لاـيـجـاـزـ الشـمـانـيـةـ مـلـاـيـنـ ! ٠٠٠
وـدـانـ منـ فـضـلـ هـذـهـ الجـالـيـةـ الـانـدـلـسـيـةـ عـلـىـ الـجـزـائـرـ انـ اـنـعـشـتـ بـهـاـ حـيـاةـ الـبـلـادـ الـاـقـتـصـادـيـةـ وـالـاجـتـمـاعـيـةـ بـمـاـ جـاءـتـ بـهـ مـعـهـاـ مـنـ صـنـاعـاتـ وـفـنـونـ وـآـدـابـ مـمـاـ هـوـ مـعـرـوفـ فـيـ تـارـيـخـ الـحـضـارـةـ الـانـدـلـسـيـةـ الـزـاـخـرـةـ

استخلاف محمد حسن آغا الطواشى

وفي سنة ٥٩٤٠ هـ (١٥٣٤ م) انعم السلطان سليمان القانونى على خير الدين برقيته الى رتبه قبودان باشا يعني (امير البحار) وهو منصب القيادة العليا لاسطول آل عثمان باستانبول، وذلك جزء براعته في الحروب واتصالاته العديدة التي احرز عليها في البحار وما كاد يتصل خير الدين بفرمان التوليه حتى بادر الى استخلاف محمد حسن آغا على الجزائر وخف بالرحيل الى استانبول ليستمر مقاليد هذه الرئاسة التي كان هو فاتحة ولايتها وغادر الجزائر تاركا لها اخص رجاله حسن آغا المشهور بالبطولة البحرية والدهاء السياسي، وتمكن الاغا المذكور

بعد سنة من لايته من اخضاع مدينة قسطنطينية نهائياً ٥٩٤١ (١٥٣٥ م) (١)

اغارة الاسبان على تلمسان

دفعت المطامع عاهل النصرانية الـاـكـبـر «شارلـكان» وبعثت به اـحـلامـهـ المـذـيـدةـ الىـ نـشـرـ نـفوـذهـ عـلـىـ المـغـرـبـ الـعـرـبـيـ وـقـهـرـ دـوـلـهـ الـاسـلـامـيـةـ وـاخـضـاعـهـاـ لـسـلـطـانـهـ،ـ وـخـصـوصـاـ لـماـ شـعـرـ بـشـعـورـ مـكـانـ خـيـرـ الدـيـنـ مـنـ اـسـطـولـ الجـزـائـرـ الـذـيـ كـانـ يـهـددـ بـهـ شـواـطـئـ الـبـحـرـ الـاـيـضـ مـحـاـوـلـاـ الـاسـتـيـلاءـ عـلـىـ موـانـيـهـ قـاضـيـاـ عـلـىـ سـطـوـةـ الـمـلاـحةـ الـاـسـبـانـيـةـ بـهـذـاـ الـبـحـرـ وـالـبـحـرـ الـاـطـلـسـ اـيـضاـ،ـ فـاسـرـعـ العـاـهـلـ اـلـىـ اـخـتـيـارـ اـبـرـزـ مـاعـنـدـهـ مـنـ اـبـطـالـ رـجـالـ رـجـالـ الـعـسـكـرـيـةـ الـاـسـبـانـيـةـ لـيـقـومـ لـهـ بـعـمـلـيـةـ الغـزوـ وـفـوـقـمـ اـخـتـيـارـهـ عـنـ «ـالـدـوـنـ مـارـتـينـ دـىـ قـرـطـبـةـ»ـ الـمـلـقـبـ بـالـلـوـنـدىـ دـاـ الـكـوـدـيـطـىـ،ـ وـعـيـنـهـ فـيـ ذـىـ الـقـعـدـةـ ٥٩٤٠ـ (ـجـوـانـ ١٥٣٤ـ مـ)ـ حـاـكـاـ عـامـاـ عـلـىـ وـهـرـانـ بـرـتـبـةـ «ـجـيـنـيـرـالـ»ـ وـلـكـنـ هـذـاـ لـمـ يـتـصـلـ بـعـمـلـهـ الاـ بـعـدـ سـنـةـ مـنـ تـارـيـخـ تـعـيـيـنـهـ بـسـبـبـ مـرـضـ عـاقـهـ عـنـ مـباـشـرـةـ الـعـمـلـ وـكـانـ عـلـىـ عـرـشـ تـلـمـسـانـ يـوـمـئـذـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ «ـالـثـانـيـ»ـ وـلـهـ اـخـ اـسـمـهـ عـبـدـ اللهـ يـعـرـفـ فـيـ التـارـيـخـ بـكـيـنـيـتـهـ «ـابـيـ مـحـمـدـ»ـ وـكـانـ لـاـ يـزالـ يـوـمـئـذـ طـفـلـ صـغـيرـاـ مـخـتـضـنـاـ تـحـتـ كـفـالـةـ جـدـهـ لـامـهـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ رـضـوانـ كـبـيـرـ شـيـوخـ قـبـيلـةـ بـنـيـ عـامـرـ وـكـانـ هـذـاـ الشـيـخـ حـرـيـصـاـ اـشـدـ الـحرـصـ عـلـىـ اـيـصالـ حـفـيدـهـ عـلـىـ عـرـشـ الزـيـانـيـ وـكـانـ يـعـلـمـ اـنـهـ لـاـ بـدـ لـهـ فـيـ تـحـقـيقـ غـايـتـهـ هـذـهـ مـنـ الـاتـصالـ بـالـاـسـبـانـ فـعـمـلـ عـلـىـ ذـلـكـ وـكـاتـبـهـمـ فـيـ مـرـادـهـ وـاتـصـلـ بـهـمـ وـتـعـهـدـ لـهـمـ بـاسـمـ حـفـيدـهـ بـالـاعـتـرـفـ لـهـمـ بـالـتـبـعـيـلـةـ وـاعـطـائـهـمـ الـجـزـيـةـ كـتـلـكـ التـىـ كـانـ يـقـدـمـهـاـ لـهـمـ جـدـهـ اـبـوـ حـمـوـ «ـالـثـالـثـ»ـ

(١) وفي هذه السنة كان اتهام بناء جامع القائد عبد الله صفر — سفير — بال العاصمه وقد كان الشروع في بنائه في شهر رجب سنة ٥٩٤٠هـ والفراغ منه يوم ثانى ربيع الاول ٥٩٤١ (١٥٣٤ م) تم وقع ترميمه على عهده بابا حسن سنة ١١٨٥هـ - ١٧٧١ م تم جدد واعيد تشييده على عهد حسين بن على آخر ديات الجزائر سنة ١٢٤٢هـ - ١٨٢٧ م وهو لا يزال على شكله ووضعه التركى الجميل إلى الآن

ثم جاء ابن رضوان بحفيدة الى حيث السلطة الاسپانية ماثلة بوهران فاقتبله رجالها بكل تجلة واحترام وذلك يوم الاربعاء ٢٩ ربیع الاول ٩٤١ هـ (٣ فیفري ١٥٣٥ م) وحدث المسؤولين من الاسپان في شؤون سیاسته وشرح لهم اغراضه وتدابيره في كيفية انتزاع الملك من السلطان الحالى واستناده الى حفيده واقنعتهم بصلاحية حفيده ابى محمد بدل اخيم فاقتنع الاسپان بوجاهة آرائه وبعشوا معه بفرقة من الجيش تحتوى على ستمائة او سبعمائة مقاتل يرأسها القائد الاسپانى «الوانسو مارتين دى انکولو» وكان مع ابن رضوان يومئذ اربعمائة فارس وتقدم الجميع الى مهاجمة تلمسان، وفي اثناء سير الحملة ادرك الاسپان خيبة مسعاهم ومسعى حليفهم وذلك بما تحقق لدليهم من الفرائن الدالة على خلاف ما وعدهم ومناهم به ابن رضوان

ويومئذ وجد التلمسانيون انفسهم امام الامر الواقع فتناسوا كل ما كان بينهم وبين ملكهم من الخلاف والنزاع فوحدوا صفوفهم وجمعوا قواتهم وفتح السلطان خزائن بيت المال واستقر الحيل والرجال وبذل لهم الاموال الطائلة فانفقت كافها في مواجهة العدو المهاجم ورد عاديه عنهم وجعل السلطان قيادة حبيشه يومئذ للمزواز والمنصور بن الوجاني زعيم قبيلة بنى راشد الذي كان رهن السجن ففلا عنه وقدمه على قومه تجاه بنى عامر

وفي يوم الاربعاء ٢٨ ذى الحجة ٩٤١ هـ (فاتح جوان ١٥٣٥ م) اتصلت حملة ابن رضوان مع حلفائه الاسپان بقيادة «ابى سكران» المسماة ايضا بـ (قططرة يسر) وابتداط الهجومات صبيحة الغد وانتشرت المعارك هناك بين الطرفين مات فيها عدد قليل من الجانبيين.

ثم بعد مضي ثلاثة ايام من المعركة تبين الاسپان عجزهم عن احراز النصر وتحققوا خطيتهم في نيل مرغوبهم الذي اطعمهم فيما ابن رضوان: من الاستيلاء على مملكة الجزائر وفتح العاصمة التلمسانية، فتحول حيشندر رئيسهم الوانسو مارتين عن خطته

الجريدة الهجومية الى استعمال الدهاء والتدبير السياسي وشرع في المفاوضة
مع حيش السلطان محاولاً ضمه الى ابن رضوان وحفيده ابى محمد عبد الله
المطالب بالعرش فلم ينجح في سياسته هذه ثم حاول الانسحاب والفرار بالنفس
في جنح الليل فاخفق ايضاً وانهزمت يومئذ جنوده شر هزيمة ومحقت جميع قواته
الثقيلة والخفيفة وهكذا انتهت حملة الاسپان على تلمسان عند وادي يسر يوم الاثنين
٤ المحرم ١٥٣٥ هـ (٥ جوان ١٩٤٢ م) بالخيبة والحرمان

وابتداء يومئذ المفاوضات السياسية بين الكونت دى الكوبيطي وملك بنى زيان
 حول اطلاق سراح الاسرى من الاسپان، واشيع في الوقت نفسه ان خير الدين
 التركى يغادر الجزائر حيث لا رجوع اليها بعد فاحزن ذلك سلطان تلمسان وذلك
 خشية انتصار الاسپان عليهم فانتهز الكونت فرصة هذه الاشاعة واكد على السلطان
 في مقاطعة الاتراك ومقاومتهم اذا هم عادوا الى الجزائر او حاولوا التحرك على
 سواحلها، وبعد اخذ ورد ومقابلات ومحاولات ادت بهم جميعاً الى حرب انتصر
 فيها المسلمون على الاسپان واتفق الجميع على تحضير مشروع معاهدة صلح بين
 الطرفين يتظم به سير العلاقة التجارية والسياسية بين الدولتين وتم تحرير المشروع
 يوم الاثنين ١٥ ربیع الاول ١٥٣٥ هـ (٦ سبتمبر ١٩٤٢ م) مشتملاً على واحد
 وعشرين بندًا كلها جاءت في صالح الاسپان، واليك اهم ما جاء فيه :

١) اطلاق سراح الاسرى من الاسپان - وهو بيت القصيد من المعاهدة -

كماها

٢) مسامحة الاسپانيين وحسن التعامل معهم

٣) انضمام حيش بنى زيان الى حيوش الاسپان، ويتحمّل على السلطان الخروج

بحجيشه يقوده هو بنفسه الى جانب ملك اسبانيا

٤) يتعهد السلطان بتقديم الميرة والعلف الى الجيش الاسپاني

٥) يجب معاملة الاتراك والقراصنة منهم وخير الدين على الحصوص معاملة الاعداء

٦) ضمان الحرية الدينية للجميع

٧) لا يسوغ للحكومة التلمسانية استعمال اي مرسي من مراسى الجزائر في شؤونها الاقتصادية سوى وهران فقط اصدارا وايرادا، وللسلطان الحق في استخلاص واجب الجمرك بوهران ولما ان يبعث [المشرفين] لاستلام ذلك بوهران

٨) لا تجبر بضائع رعية السلطان في مقابل ديون الحكومة التي تدان بها الا اذا كان الدين مرتبها بذمه اثنين من [المشرفين] ويعتبر السلطان ضامنا للمديون التي يدان بها تجارة مملكته

٩) يباح لكل من رعية السلطان من مسلمين ويهود التجول والسكنى بمنطقة وهران المحتلة، كما يباح ذلك للاسبان بالنسبة لتلمسان

١٠) على السلطان اعتقال عبد الرحمن بن رضوان وحفيده المظايب بالعرش مهما عادا الى وهران او اتصلا بها وذلك خلال مدة خمس سنوات التي تنتهي بها ايام المعاهدة، مع الزام اتباعهما بالخضوع ومعاملتهم بالاحسان.

١١) يتعهد ملك الاسبان بوضع خمسمائة جندي من جيشه تحت تصرف سلطان تلمسان عند الحاجة

١٢) يتعهد ملك تلمسان بدفع اربعة آلاف [ضلبلون] زیانی مع اشياء اخرى يقدمها ملك الاسبان كمغرم سنوي

١٣) ملك الاسبان تقض هذه المعاهدة متى شاء مع اخبار حكومة تلمسان قبل ذلك بمدة لا تقل عن ستة اشهر

١٤) لا تعتبر هذه المعاهدة نافذة معمولا بها الا متى امضتها وصادق عليها الطرفان.

وهذه المعاهدة كما تراها ايها القاري الكريم كاها كانت في صالح الدولة الاسبانية رغم ما يظهر عليها من مسحة حب السلام ونشر الامن بالبلاد فما ذلك الا

خداع ومخالطة دبلوماسية حسبما اجمع عليه المؤرخون، فان غرضهم الوحيد منها كلها كان يرمي يومئذ الى تحرير اسرابهم فقط؛ وممّا تحقق لهم ذلك ضربوا بتلك النصوص جميعها عرض الحائط

وما كان رضوخ دولة بني زيان في بادىء الامر لهذه الشروط الاخشية تحقيق ما قد شاء يومئذ من خبر انتقال خير الدين عن الجزائر وذهاب الاسطول التركي المجاهد معه فيخلو الجو للاسبان

ورغم ذلك فان المعاهدة بقيت موقوفة لم تنفذ بعد وبقدر ما ضل الكونت الكود يطى حريصا كل الحرص على تنفيذها فان السلطان تباطأ وتمهل في ذلك مهتما بما جاء في نص المعاهدة نفسه امان انها لا تصبح نافذة رسمية الا بعد مصادقة الطرفين عليها وبما انها خالية من امضاء ملك الاسبان وموافقته عليها حيث كان آئنـدـ غالباً عن وطنه مشتغلـ بالـ الغـزوـ فـلمـ يـمضـهاـ فـانـهاـ تـعـتـبرـ مـرـفـوضـةـ مـالـمـ تـمضـ اوـ تـختـمـ بـخـاتـمـ الـمـلـكـ نـفـسـهـ،ـ وـبـعـدـ مـحاـولـةـ الـكـوـنـتـ التـأـثـيرـ عـلـىـ السـلـطـانـ فـيـ اـطـلاقـ الـاسـرـىـ عـلـىـ الـاقـلـ وـهـوـ كـلـ شـيـءـ عـنـدـهـ وـحـيـثـيـهـ فـيـ ذـلـكـ سـعـىـ حـيـشـنـدـ فـيـ شـنـ غـارـتـهـ عـلـىـ الـحـدـودـ وـالـتـخـورـ بـقـصـدـ التـشـويـشـ فـكـاتـبـ السـلـطـانـ بـرـسـائـلـ اـضـطـرـمـ لهاـ غـيـظـ الـكـوـنـتـ وـامـتـعـظـ مـنـهـ اـمـتـعـاضـاـ شـدـيدـاـ اـدـىـ بـهـ اـلـىـ الغـدرـ بـالـمـبـعـوـثـينـ السـلـطـانـيـينـ فـاعـتـقـلـهـاـ وـقـطـعـتـ المـفـاوـضـاتـ

فتح بونة ومستغانم وبسكرة وتأسيس البليدة

ولما استوثق خير الدين من امتلاك ناصية القيادة العليا للاسطول التركي باسطنبول وتمكن من منصب البحري الجديد ، عزم على السجوع الى المغرب ليقم فتوحاته بشمال افريقيا وليوحد بين اقطاره الثلاثة المتৎمسكة بعضها بعض فعاد في اسطوله الضخم الى غربي هذا البحر متقدماً بغزو تونس حيث نزل بها يومئذ هـ ٩٤١ (١٥٣٤ م) عاهل النصرانية الامبراطور شارل كان فيمن معه من

ام الافرنج المحالفته لبني ابي حفص ، فكانت هنالك وقائمه وحروب عظيمة ...
ثم عدل عنها خير الدين الى بونة - عنابة - فأطارد منها « المركيس مندخار »
عامل شارل كان بها وازعج من بقصبتها من جنود الافرنج وكانوا يومئذ زهاء
ستمائة نسمة ، فانهزموا عنها وخرجو منها مدحورين بعد ان مكثوا بها نحو
الخمس سنوات .

وفي هذه الآونة اخذ خير الدين في تأسيس مدينة البليدة قرب عاصمة سهل
متيبة « قزرونة » المعروف مكانها اليوم باسم « خزرونة » وقد كان ذلك باعاته
اهلها ومساعدة الجالية الاندلسية المهاجرة اليها .

وكان اول ما وضعت بها خير الدين من المنشآت ان اسس بها مسجدا جاما
(٥٩٤٢ - ١٥٣٥ م) وحمام وفرنا ، فاندرس الاخيران وبقي الاول ، وبنا
الناس حول ذلك مساكنهم ودورهم الجميلة التي تميز بشكلها الاندلسي الانيق ، وانشأوا
حولها بساتين ومزارع يانعة الشمار زاهية الازهار والنوار ، فكانت مدينة جامحة
شاملة لانواع الفواكه والرياحين الشذيه ، والحو العبق الاريدي ، ممتازة بتدفق
مياهها العذبة الباردة وطيب هوائها النقي ، وذلك ما جعل هذه المدينة - البليدة -
تدعى ما بين البلاد الجزائرية باسم « الوريدة »

وبفتحها المعروف بوادي ابي عرقه كان مسكن اسرتنا الحيلانية الاموية
المتصل نسبها بال الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، مشتغلة هناك
تعمل بحقولها الزراعية الى ان اتقل منها والدى محمد الثالث رحمة الله مهاجرا
إلى سكني العاصمة مع اخوه الثلاثة : يوسف و محمد الاول والثانى ، وذلك خلال
اوآخر القرن الثالث عشر الهجري - اوآخر ١٦١٩ م - محترفين مهنة التجارة ،
وشغل عمنا محمد الاول خطبة العدالة بالمحكمة الشرعية .

وعاد خير الدين الى استانبول معتقدا على تسيير دفة ادارة شؤون امارة
البحر الى ان وافاه اجله بها في اليوم السادس من شهر جمادى الاولى سنة ٥٩٥ هـ

(أو ط ٤٦ م ١٥٤٦) ولا يزال قبره معروفاً بجامع باشـكـطاش من هذه المدينة إلى الآن.

وفي سنة ٥٩٤٦ (م ١٥٣٩) فتح حسين آغا مدينة مستغانم وأخضعها نهائياً لدولته، ثم بعد سنة من ذلك تقدم نحو الجنوب الشرقي فاستولى على عاصمة الزاب « بسكرة » وملحقانها.

اندحار حملة شارلakan الكبوري

استمر حسن باشا في منصبه المستخلف عليه يعمل على قهر القرصنة الاروية بهذا البحر فابلى في ذلك البلاء الحسن واصبح شخصه في الجزائر مثلاً بارزاً في البطولة والتضحية الاسلامية في سبيل الله والدفاع عن شرف الاسلام بهذه الشمالي الافريقي، فاكتسح الجزائر بموقفه هذا مهابة وجلاً. وجعلت امم النصرانية يومئذ تهرب الى عاهلها الاكبير الامبراطور شارلakan (١) مستنجدة بسلطانه منضوية تحت لوائه، ومن بينها البابا بول « الثالث » فأتمر الجميع بينهم يومئذ اشد حياز لهم في تنظيم حملة عنيفة ضد الجزائر، واخذ شارلakan يستعد للغزو باختيار الاقوياء من الجندي المدرب على الحرب، فجاء بجيشه خليط من الامان والاسبان والطليان الجنوبيين، وشارك بالتطوع في هذه الحملة الدشيرة من اشراف النصارى واعيانهم، وتطوع لهـذا الغرض نفسه الف ومائة محارب من رجال الرهبنة الفرنسية « سان جان » القديس مار يوحنا الاوروشليمي (٢) المقيمين بجزيرة مالطة

(١) كارلوس الخامس اعظم ملوك اسبانيا وامبراطور المانيا (١٥٠٠—١٥٥٨ م)

(٢) انشئت هذه الرهبنة خصيصاً لمقاومة الاسلام ومحاربة اهله، وقد كان لها ذكر وصيت دائم بين امم النصرانية ايام الحروب الصليبية، وتسميتها العرب « الاستماريه » كان مرکزها او لا بجزيرة رودس ولما احتلها الاتراك سنة ٩٢٩ هـ — ١٥٢٢ م خرجت هذه الرهبة منها فاستقرت بجزيرة مالطة تعمل على خطتها الحربية المرسومة وكانت هذه الجزيرة تابعة لدوله شارلakan فتخلى عنها العاهل النصراني لهذه الرهبة فمكنت لها سيدة الجزيرة الى زمن ثابوليون حيث احتلها في

وجاء الامبراطور غازيا بنفسه الجزائر على رأس عمارة بحرية تحتوى على ٦٥ بارجة و ٤٥١ سفينة نقل تحمل ٢٤٠٠٠ مقاتل، منها ٢٠٠٠ فارس و ١٣٠٠٠ نوتي بحار؛ جاعلا قيادة حملته هذه لاندرى دوريا، وكان اتصال الحملة بالجزائر عصر يوم الخميس ٢٨ جمادى الثانية سنة ٩٤٨ هـ (٢٣ أكتوبر ١٥٤١ م) فارست العمارنة بناحية « حسين داي » والقت باقفالها هنالك، فنزلات الحيوش من حينها مصعدة نحو ضاحية (كدية الصابون) - سيدى يعقوب - وهو المكان المعروف اليوم ببرج مولاي حسن او : Fort l'Empereur فاحتلت واخذت من هنالك تعمل على حصار العاصمة والتدبير في كيفية الانقضاض عليها دفعة واحدة ، ولم يكن بالجزائر يومئذ من الجندي سوى ثمانمائة نسمة ، وفيها من السكان ما يقدر بنحو خمسة آلاف رجل قادر على حمل السلاح .

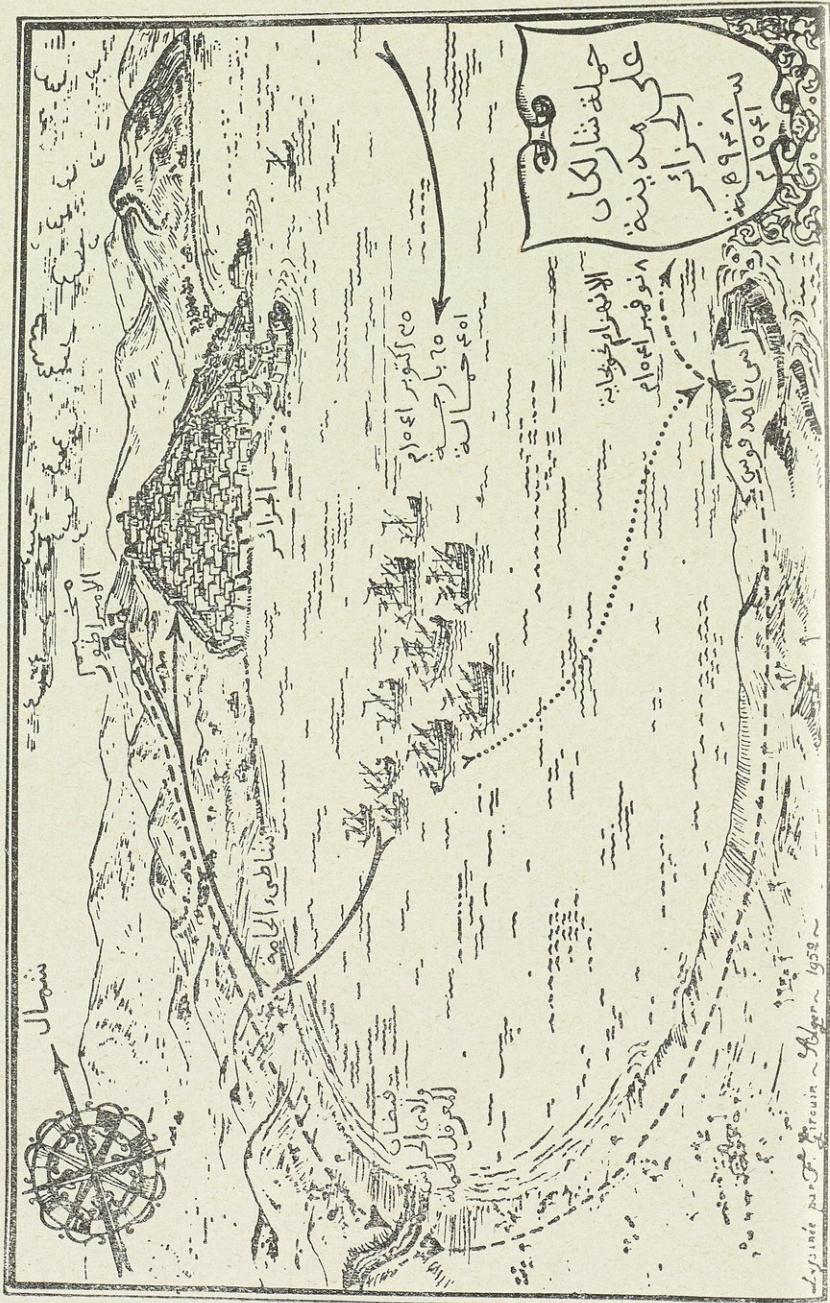
ونشب الحرب بين الطرفين وكان من المقدور ان احتدم غضب الطبيعة يومئذ فاكهر الجو وتلبدت السحب فتهاطلت الامطار وثارت الزوابع البحرية وهاجت العواصف الحوية واضطربت الامواج فهلك اثنا عشر الف جندي من حيش العدو وتشتت شمل الباقيين وتفرق الجميع شذر مذر وتحطم الاسطول المهاجم فتفرق اوصاله حتى كاد ان ينعدم تماماً فانهط منه يومئذ ٢٥٠ مركباً من بينها ١٥ بارجة و ١٤٠ سفينة نقل ؛ وغرق من اصحابه ثمانية آلاف نوتي وانهزمت بقية الباقي منهم في الشوانى والمراتك المعطوبة الى بعض المراسي المجاورة ، وما كاد الامبراطور ينجو بنفسه الى مركبه الا بعد ما اقتحم الشدائيد وكابد من العناء والنصب ما تقوضت به نفسه ؛ فالتحق اولاً ببجاية ثم غادرها الى اسبانيا وقد لفظ طعامه . (انظر خريطة رسم هذه الحملة في الصفحة التالية) .

ولما رأى ذلك سلطان تلمسان المولى محمد هـ الامر واسرع الى الادعاء لدولة الجزائر التركية فتخلى لها عن مشوره

طريقه الى مصر سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ ثم سقطت الجزيرة بيد الانكليز سنة ١٨٠٠ فاخذها من كذا عظيمها ببحريته وقد استولى من قبل على جبل طارق فاستكملا بذلك سيادته على البحر الابيض المتوسط

الدولة التركية - العثمانية .

- ۳۱۷ -



وكان من المحقق ان لا تذهب هذه الحادثة سدى بدون ان تعقبها جرائم
لما تركتم في نفوس المنهزمين من الضغائن والاحقاد فأخذ القومن في تعبيته
الجيوش لتجديده حملتهم على المغرب الاوسط واخذت لواقع النزاع والخلاف
تدب الى صدور ما وراء دول الافرنج المجاورة بضيافت هذا البحر الايض المتوسط
وكانت هنالك حروب ووقائع القرصنة الرهيبة التي جعلت من قرصن الجزائر
ابطالا مغاوير وصناديد بهاليل أذاقوا العدو بأسمهم في معارك بحرية متعددة فكف
عنهم حينئذ ورجم القهقرى خاسئا وهو حسين
ولم يهدأ روع شارل كان حتى اعاد تحرىكم على الجزائر وسعى في
تحطيم كيانها سالكا في ذلك مسلك الدهاء والمكر ، فاتصل اولا بالسلطان مولاي
عبد الله الزيانى فحالقه وامده بالمال والرجال ثم اخذ بعد ذلك في اغرائه ضد أخيه
المولى احمد المولى للاتراك فاوقد بينهما العداوة والبغضاء وتسرب ذلك الى الرعية
فبادر حينئذ حسن آغا خليفة خير الدين الى اتفاق الموقف وشعر على ساعده
ونهى لقضاء على فتنة شارل كان هذه (١٥٤٣ - ١٥٥٠م) فانهزمت جيوش مولاي
عبد الله بشعبية اللحم في ناحية عين تموشت ،

ثم في السنة التالية أعاد الاسبان غارتهم على تلمسان فازعجو اهلها وعاثوا في
 أنحائها فاضطرب لذلك اهالي تلمسان واندلعت بينهم نار الثورة فسقطت المدينة
بيد الاسبان وعمت الفوضى وانقلب اهالها ضد الملك وحاولوا اغتياله فانقلب
من بين ايديهم وتخلص الى قبيلة آنفاد - على نحو ٣٠ كيلو مترا من وجدة -
ولكنه رغم ذلك وقع في الفخ فاغتيل هنالك وجلس مكانه اخوه مولاي احمد (المرة الثانية)
وفي هذه السنة اي (١٥٥١ - ١٥٤٤م) توفي حسن آغا ، وبموته انتهى عصر
الفتح التركى ومن آثاره العمرانية بالعاصمة : برج الفنار المشرف على المرسى
القديم اسسها سنة (١٥٤٨ - ٥٩٤هـ) وقلعة سلطان قالassi القائمة بكدية الصابون
وهو المكان المعروف اليوم باسم برج مولاي حسن او (برج بوليله) Fort l'Empereur

ولاة عصر الفتح التركى

تاریخ التولیة

م ١٥١٤ - ٥٩٢٠

م ١٥١٨ - ٥٩٢٤

م ١٥٣٤ - ٥٩٤٠

عروج بارباروس - الاول -

خير الدين بارباروس - الثاني - بيلرباي

محمد حسن آغا الطواشى

سلاطين آل عثمان

تاریخ التولیة

م ١٥١٢ - ٥٩١٨

م ١٥٢٠ - ٥٩٢٦

السلطان الغازى سليم خان الاول

السلطان الغازى سليمان خان الاول

مشاهيو الجزائريين

محمد النقاوسي

كان فيمن اشتهر من بيوتات الجزائر بالعلم والفضل خلال النصف الثاني من القرن التاسع وأوائل العاشر من الهجرة جماعة توارثت العلم والادب والمجد ابا عن جد ، منهم العقابانيون والمقاريون بتلمسان وآل ابن قنفاذ الخطيب وآل الفكرون بقسطنطينة وغيرهم كثير من املاكت بهم كتب التراجم وجواب بريد ذكرهم الآفاق ، ومن بينهم مترجمنا هذا ابو عبد الله محمد النقاوسي .

فهو محمد بن محمد بن محمد بن يحيى بن ابي علي ابو الطيب بن ابي عبد الله المغربي النقاوسي – بالقاف المعقوفة – القسطنطيني السالكي ، هكذا ترجم له السخاوي في ضوئه وقال : انه ولد في يوم الاربعاء ثامن عشر جمادى الثانية سنة ثمان واربعين – اي من القرن التاسع الهجري – ٢ اكتوبر ١٤٤٤ م) بمدينة نقاوش من غربي قسطنطينة ، وكان والده قاضيا بها ، ثم تحول المترجم في حياة والده بعد قراءة القرآن واشتغاله قليلا بالعلم الى مدينة قسطنطينة لطلب ، ثم الى تونس فأخذ الفقه عن ابراهيم الاخذري واصوله مع المنطق والعربية والمعانوي عن احمد النخلوي ومحمد الواصلي ، وتوفي والده فارتاحل الى الديار المصرية في سنة تسعة وستين وعمره يومئذ احدى وعشرون سنة ، فجده في الاستغاثة واحتضن بخطيب مكة ابي الفضل رفيرا للخطيب الوزيري ، وأخذ عن الشمني في حاشيته وغيرها كشرح نظم ابيه للنخبة وتكرر له عنه ، والتقي الحصني في المنطق وغيره والشروعاني في شرح الطوالم وغيرها من طبيعى والاهي ورياضي ، ولازم علماء آخرين كالكافياجي والامين القصرائى ويحيى العلوي والسخاوي وغيرهم ، فأخذ عنهم التفسير والفقه والتاريخ والادب .

قال السخاوي : وحضر عندي بعض مجالس الاملاء ، وكان يكثر مراجعتي

مع عقل وسكون وفضيلة،

وفي غضون اقامته بالقاهرة حج ثم رجم الى بلاده واستقر قاضي العسكر لحفيد مولاي مسعود، ثم اعرض عنه لاختياره سكني تونس وصار احد عدولها ودام سنين وامتدح صاحبها بعد اخراج عبد المؤمن بن ابراهيم بن عثمان عنها زكرياء بن يحيى بن مسعود بقصيدة طالعها :

ضحك الربيع وجاء سعد مقبل
ولك الها ذهب الزمان الممحل
فارفل فديتك في ميادين المنى
هذا لواء النصر واقي يرفل
وارح جواد الجدى في اثر العدى
فسهام سعدك في الاعدادى انبل
قال وسمعها منه بعض الفضلاء المغاربة ولم يسمح بعود نسخة بها اليه، وقال
ان زكرياء امتدح بكثير ولم يطابق الواقع في مدحه غيرك
ثم تحول المترجم بعياله وجماعته فاصدا استيطان الحجاز فدخل الديار المصرية
فكان اقامته بها نحو ثلاثة اشهر وركب البحر من الطور صحبة نائب جدة
فدخل مكة في اثناء رجب ولقيه السيخاوي فقال : ودام الشيخ بها على طريقته
حسنة في الانجماع والعبادة الى ان سافر مع المدینین الى طيبة فقدمها في اواخر
سنوات سبع وتسعين وثمانمائة فدام بها قال ولقيته حينئذ بها وكتب لى بخطه ماعمله
اجابة لصاحب الخطيب الوزير واقرا هنالك بعض الطلبة. وذكر لى ان عزمه
استيطانها. اه

محمد بن عبد الکریم المغیلی

(١٥٠٩ هـ ١٩٠٩ م)

هو ابو عبد الله محمد بن عبد الکریم بن محمد المغیلی التلمسانی احمد اعلام الجزائر فی فاتحۃ القرن العاشر المھجری ، ترجم له احمد بابا التنبکتی فی نیل الابتهاج فقال : خاتمة المحققین الامام العالم العلامۃ الفهامة القدوة الصالح السنی احمد الاذکیاء ممن له بسطة فی الفهم والتقدم، اخذ عن الامام عبد الرحمن الشعالی والشیخ یحیی بن یدیر وغیرهما . كان رجلا مقداما على الامور جسورا جرى القلب فصیح اللسان جدليا نظارا محققا متصلبا فی الدين متمسسا بالسنة مبغضا لاعداء الدين ولقد وقى له بسبب ذلك امورا حبوات كثيرة مع فقهاء وقتها حين قام على يهود توات بالغرب والزرمهم الذل بل قتلهم وهدم كنائسهم (١) ونازعه فی ذلك الفقيه عبد الله العصنونی قاضی توات؛ فراسلوا فی ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان، فكان ممن كتب فی الموضوع الشیخ السنوسي و محمد بن عبد الجليل التنسی، والرصاء مفتی تونس؛ وابو مهدی الماواسی مفتی فاس، وابن زکریا مفتی تلمسان والقاضی ابو زکریاء یحیی بن ابی البرکات الغماری وعبد الرحمن بن سبع التلمسانيان .

ومما جاء فی كتابة الشیخ السنوسي قوله : «من عيید الله محمد بن یوسف السنوسي الى الاخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الامر بالمعروف والنهی عن المنکر التي القیام بها لا سيما في هذا الوقت عالم على الاتسام بالذکورة العلمية والغيرة الاسلامية وعمارة القلب بالایمان السيد ابی عبد الله بن عبد الکریم المغیلی حفظ الله حیاته وبارك في دینه ودنياه وختم لنا ولہ ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاءه، بعد السلام عليکم ورحمة الله وبرکاته فقد بلغنى ايها السيد ما حملتكم عليهـ الغیرة الایمانیة والشجاعة العلمیة من

(١) راجع تفاصیل هذه الحادثة فی كتاب المعيار للونشريسي

تغيير احداث اليهود اذ لهم الله كنيسة في بلاد الاسلام وحرصكم على هدمها
ووقف اهل تمنطيطه في من جهة من عارضكم فيه من اهل الاهواء فبعم
الينا مستهضين هم العلماء فيه فلم ار ممن وفق لاجابة المقصود وبذل وسعى
في تحقيق الحق وشفاء الغلة ولم يلتفت لقوه ايمانه ونصول ايقانه لما يشير اليه الوهم
الشيطاني من مداهنة من يتقى شوكته سوى الشیخ الامام القدوة الحافظ المحقق
علم الاعلام ابی عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسی امتع الله بها... جزاء الله
خيرا قد امد لابانة الحق ونشر اعلامه النفس، وحقق نقا وفهمها وبالغ فابدی
من نور ايمانه الماحي ظلمة الافر اعظم قبس الخ....

وحين وصل جواب التنسی ومعه کلام السنوسی هذا بتوات حيث يقيم الشیيخ
المغليی، جمع صاحب الترجمة طائفة من اتباعه وجماعته فلبسوا آلات الحرب
وقصدوا كنائس اليهود وامر الشیوخ بقتل من عارضهم دونها فهدموها عن
آخرها ولم يتناطح في ذلك عنزان، ثم قال لهم من قتل يهوديا فله على سبع
مثاقيل وجرت يومئذ في ذلك امور؛ فنظم الشیوخ آنذاك في القضية هذه قصائد
ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود فيها ومن نصرهم،
ودخل المترجم بلاد اهرو تکدة واجتمع بصاحبها واقرا اهلاها وانتفعوا به
ثم دخل بلاد كنو وکش من بلاد السودان واجتمع بصاحب كنو واستفاد عليه
وكتب رسالة في امور السلطنة تحت عنوان «تاج الدين فيما يجب على الملاوك
والسلطانين» وهي مطبوعة بمصر في ثمانية عشر صفحة بدون تاريخ حضور فيها
على اتباع الشرع الحنيف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقرر لهم احكام الدين
وقواعدہ ثم رحل لبلاد التکرور فوصل الى بلدة کاغو واجتمع بسلطانها ساسکي
محمد الحاج وجرى الشیوخ على طريقته هنالك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والف له تأليفا جاء به في عن مسائل ،

وفي کاغو هذه باغه مقتل ولده على يد اليهود بتوات، فانزعج الشیوخ لذلك

وطلب من السلطان القاء القبض على اهل توات المقيمين بكاغو فقبض عليهم السلطان، وانكر عليه ذلك ابو المحسن محمود بن عمر اذ لم يفعوا شيئاً فرجع عن رايته وامر باطلاقهم ورحل الى توات وهناك ادركته منيته فتوفي رحمه الله سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٤ - ١٥٠٥ م) ومن نظمه ما جاء في مراسلة حرت بينه وبين جلال الدين السيوطي ملاحظاً عليه قوله بتحريم علم المنطق :

وكل حديث حكمه حكم اصله
سمعت بأمر ما سمعت بمثله
وينهى عن الفرقان في بعض قوله؟
يمكن ان المسوء في العلم حججه
عن الحق او تجسيده حين جعله
هل المنطق المعنى الا عبارة
دليلاً صحيحاً لا يرد لشكليه؟
معانيه في كل الكلام وهل ترى
اريني هنالك الله منه قضية
علي غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك ابداه كفور وذمه
رجال وان اثبت صحة نقله
خذ الحق حتى من كفور ولا تقم
دليلاً على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبين
على غير هذا تنفها عن محله
لئن صح عنهم ما ذكرت فلكم هم
وكم عالم بالشرع باح بفضله
في ايات لم نعثر على بقيتها؛ فاجابه الجلال السيوطي بقصيدة وهي :
واهدى صلاة للنبي واهله
حمدت الله العرش شكر الفضلاته
اتاني عن حبر اقر بنيله
عجبت لنظم ما سمعت بمثله
كتاباً جوحاً فيه جم بنقله
تعجب مني حين الفت مبدعاً
ما قاله الاعلام من ذم شكله
اقرر فيه النهي عن علم منطق
ومسماه بالفرقان ياليت امر يقل
خذ الحق حتى من كفور بختله
وقال به فيما يقرر رايته
ودع عنك ابداه كفور وبعد ذا
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى

يعزز به علمًا لديه وانه وقد منع المختار فاروق صحبه وقد جاء من نهى اتباع لـ **كافر** اقامت دليلاً بالحديث ولم اقم سلام على هذا الامام فـ **ك**م له ولالمترجم من التأليف كثير، اشتهر منها ما رأيناه مطبوعاً من تلوك الرسالة المومي اليها وما ذكره الشيخ بابا التنبكتى من اسمائها وهي : البدر المنير في علوم التفسير ومصلح الأرواح في اصول الفلاح، وهو كتاب عجيب في كراسين ارسله الى السنوسى وابن غازى فقرضاه، ومعنى النبيل في شرح مختصر خليل وهو شرح مختصر جداً سلوك فيه مسلك المزاج بين المتن والشرح لم يكمل بلغ فيه الى القسم بين الزوجات، وله عليه قطع اخرى من البيوعات وغيرها، بل قيل انه شرح ثلاثة اربع المختصر ولها حاشية عليها سماها إكيليل المعنى، قال الشيخ بابا وقفت منها الى التيمم، وشرح يوم الآجال من ابن الحاجب بحث فيه مع ابن عبدالسلام وخليل، وتأليف في المنهيات، ومحض تلخيص المفتاح وشرحه ومفتاح النظر في علم الحديث فيه ابحاث مع النووي في تقريره، وشرح الجمل في المنطق، وله مقدمة فيه ومنظومة ايضاً سماها منح الوهاب وثلاثة شروح عليها قال الشيخ بابا وقد شرحها والدى بشرح حسن استوفي فيه، وله ايضاً تبيه الغافلين عن مكر الملبيين بدعوى مقامات العارفين وشرح خطبة المختصر ومقيدة في العربية، وكتاب الفتح المبين، وفهرسة مروياته؛ وعدة قصائد منها الميمية على وزن البردة ورويها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم؛
وكان فيمن اخذ عنه الفقيه ايد احمد والشيخ العاقد الاصنفي؛ و محمد بن عبد الحبار الفيجي في جماعة كثيرة... رحم الله الجميع .

احمد الونشريسي

١٥٠٨ - ٥٩١٤

هو حامل لواء المذهب المالكي على عاتقه بال المغرب العربي على رأس القرن العاشر الهجري، الاستاذ العلامة الشيخ احمد بن يحيى بن محمد الونشريسي، نسبة الى مرفق ارض ونشريس بمقاطعة الجزائر، وهو صاحب المدونة والمعلمة الفقهية الكبيرة الشهيرۃ باسم : المعيار المغرب، عن فتاوى علماء افريقيا والاندلس والمغرب وهو كتاب حافل جامع لمعنى اسمه طبع لأول مرة بفاس سنة ١٣١٤ هـ في اثنى عشر مجلداً، وحسبه مجدًا وفخرًا لهذا المؤلف الجليل

ولد رحمه الله تعالى سنة ٨٣٤ هـ واحد عليه عن مشائخ بلده تلمسان كلاماً اى الفضل قاسم العقباني وولده القاضي ابي سالم وحفيدة الامام محمد العقباني والامام محمد بن العباس، واي عبد الله الجلاب وابن مرزوق الكفيف، والغرابلي والمربي والمازوبي في آخرين من فطاحل علماء الجزائر النابهين، وكان رحمه الله فصيحة بلغها يقول من حضر درسه انه لو رأى سببويه لأخذ النحو ومن فيه ، متخصصاً في علوم الشريعة والاصول ملازم للتدريس المدونة ومحضراً ابن الحاج الفرعى؛ وكل من سمعه فيهم ما يقول انه لا يحسن غيرهما مع مشاركته حسنة في الفنون ،

واودى رحمه الله بكاءً حدث من طرف السلطان فنهبت دارة تلمسان في اوائل المحرم هـ ٨٧٤ (جولييت ٤٦٩ م) فشد رحله الى المغرب الاقصى مستوطناً مدينة فاس وانتقطع فيها للتدريس فتخرج على يده جماعة من كبار العلماء واعيان المغرب، منهم ولده عبد الواحد وابو عباد بن مليح المقطي والاستاذ ابو زكرياء السوسى، والفقير المحدث محمد بن عبد الجبار الورتديغري، وعبدالسميع المصمودي وقاضى فاس محمد بن الغردقى التغلبى، وبخزانة هذا القاضى اتفع الشيخ فى تأليف

كتابه المعيار لاسيما فيما يرجح الى فتاوى علماء فاس والاندلس؛ اما فتاوى اهل فريقيبة - تونس - والجزائر وتلمسان فقد اعتمد في ذلك على نوازل البرزلي والملازوني

والشيخ من التأليف غير هذا كثير منها كتاب الولايات في مناصب الحكومة الاسلامية والخطط الشرعية؛ طبع مع الترجمة الفرنسيّة برباط الفتح سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧، وكتاب في الفروق الفقهية، وآخر في القواعد الشرعية صغير الحجر وغنية المعاصر والتالى في شرح وثائق الفشتالى، وتعليق على مختصر ابن الحاجب الفرعى في ثلاثة اسفار، وكتاب الفائق في احكام الوثائق لم يكمل؛ وكتاب في الوفيات، وفهرست، واياضاح المسالك الى قواعد الامام مالك.

وكانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء الميلادي في عشرين من شهر صفر سنة ١٩١٤ هـ (١٤ جوان ١٩٠٨م) وعمره يومئذ نحو الثمانين سنة. وذكر الشيخ احمد بابا التنبكتى عن الشيخ القصار ان سقوط وهران بيد الاسпан كان في هذه السنة

عبد الرحمن الأخضرى

١٥٤٦ هـ - ٩٥٣ م

هو العلامة الامام المحقق الشيخ عبد الرحمن بن الصغير - بـالتصغير - بن محمد الأخضرى نسبة الى بطن من بطون الدواودة من اولاد رياح يعرف بالاخضر وهم يسمون كذلك اسواتهم والعرب تسمى الاخضر وهى تعنى الاسود؛ يتصل نسبة رحمة الله بالصحابي الجليل العباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه ولد المترجم حوالي سنة ٩٢٠هـ (١٥١٤م) ونبغ فذا عبقر يار فى جمیع العلوم الاسلامية معقولها ومنقولها ورزق العلم بها والیف فيها فتى صغيراً كما تدل على ذلك عباراته في تأليفه العديدة من نظمه وتشير فهو القائل في سلمه المرور نق في علم المنطق معتذراً ومتواضعاً

العذر حق واجب للمبتدئ
وقل لهن لم يتصف طقصدى
معذرة مقبولة مستحسن
ولبني احدى وعشرين سنة
ذى الجھل والفساد والفتور
لاسيما في عاشر القرنون
وكان في اوائل المحرم
تأليف هذا الرجز المنظر
من ستة احدى واربعين من المئين
وفي ختام نظمها الجوهر المكنون في فنون البلاغة يقول انه وضعه سنة خمسين
من القرن العاشر اي بعد سنة من وضع السلم :

تم بشهر الحجۃ اليمون متم نصف عاشر القرنون
فكان بذلك من المبكر بن في التأليف وكل من وقف على تأليفه علم ان الرجل
كان متضلاً من العلم وانه ذا خبرة تامة بفن التعليم (بيد اكوجي)،
ولقد جمع الله ما بين قيحفى دماغ هذا الرجل فتونا من العلم فكتب رحمة
الله في علوم الحکمة والتصوف والفقه والمنطق والبيان والدلام والحساب والهیئتة

الخ.... ولسهولة عبارته وحسن سبکه ورشاقة اسلوبه في بسطه لمسائل العلم اقبل الناس في مشارق الارض ومغاربها على مؤلفاته يدرسوها ويشرحونها في كل مدرسة او معهد من معاهد العلم بهذا المغرب العربي وفي المشرق أيضا وكان مما عرفناه واتصلنا به منها نظمه الجوهر المكتنون في علوم البلاغة وهو مطبوع بمصر وله عليه شرح مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية ونظم الدرة البيضاء في الحساب والفرائض وهي مطبوعة بشرحها في مصر ونظم السلم المروني في علم المنطق ولم عليه شرح مختصر وكلاهما مطبوع بمصر ونظم السراج في الفلك مع شرحه طبع بالجزائر ومصر وله منظومة في العمل بالاسطراطاب مخطوطة والفريدة الغراء في التوحيد مخطوطة عندنا منها نسخة بخزانتنا والمنظومة المسماة بالقدسية في التصوف وآداب السلوك وانتقاد البدع مخطوطة ومحتصر في فقه العبادات على مذهب مالك مطبوع بالجزائر وعليه شرح ابن المسبح القسنسطيني طبع بمصر، ولم غير هذا من متون وشرح وتأليف مستقلة في كثير من فروع العلم والمعرفة ضاع اكثراها بلهيب النيران وفيها الذي سلط عليهما يد الحدثان وفيما ذكرناه منها كفاية في الاستدلال بها على مقدرة الشيخ وكفاءته العلمية وعلمو كعبه في التأليف من صغر سنه توفي رحمه الله سنة ١٥٤٦ هـ ٩٥٣ ودفن بضريح المشهور به الى الان بقرية بنطيوس احدى قرى الزاب الشهيرة بالقرب من بسكرة

جدول تاريخي

٩٢٠ - ٩٥٠ هـ

١٥٤٤ - ١٥١٤ م

اهم الحوادث	تاريخ الحوادث
اتصال دولة الاتراك العثمانيين بالجزائر وفتح مدينة حيحل	١٥١٤ هـ ٩٢٠ م
احتلال مدينة الجزائر وشرشال وخيبة حملة الاسبان على الجزائر	١٥١٦ هـ ٩٢٢ م
توسيع الاتراك في فتح غرب الجزائر الى تلمسان	١٥١٧ هـ ٩٢٣ م
استشهاد عروج والحق الجزائري بالأمبراطورية العثمانية	١٥١٨ هـ ٩٢٤ م
انهزام حملة شارل كان الاولى عن الجزائر	١٥١٩ هـ ٩٢٦ م
حركة ابن القاضي الثورية ضد الاتراك واستيلاؤه على مدينة الجزائر	١٥٢٣ هـ ٩٢٩ م
الاستيلاء على اعمال قسطنطينة وبونة وقمع ابن القاضي وقتله	١٥٢٧ هـ ٩٣٤ م
فتح قلعة «البينيون» Penion بشغر مدينة الجزائر	١٥٣٠ هـ ٩٣٦ م
انكسار اندرى دوريا وانهزامه عن الجزائر وشرشال. وفيها كان	١٥٣١ هـ ٩٣٧ م
الشروع في اقاذ مضطهدي الاندلس والمجيء بهم الى الجزائر	
وانتشارهم بالغرب العربي	
انتقال خير الدين الى ولاية امارة البحر باستانبول واستئخاره	١٥٣٤ هـ ٩٤٠ م
حسن آغا على الجزائر	
حملة خير الدين على تونس والاستيلاء على بونة : وفيها كان	١٥٣٤ هـ ٩٤١ م
تأسيس جامع القائد صقر - سفير - عبد الله بالعاصمة	
تأسيس مدينة البليدة	١٥٣٥ هـ ٩٤٢ م
الاستيلاء على مدينة مستغانم وبسكرة وارض الزاب	١٥٣٩ هـ ٩٤٦ م
اندحار حملة شارل كان على الجزائر وتأسيس عمارة برج الفنار بالميناء	١٥٤١ هـ ٩٤٨ م
انتصار حسن آغا على ملك تلمسان ووفاته	١٥٤٣ هـ ٩٥٠ م

«ب»

عصر البيلرباي

٥٩٩٥ - ٩٥٠

م ١٥٧٨ - ١٥٤٤

ولاية حسن باشا بن خير الدين

اجم اهل الديوان يوم ان توفي اميرهم محمد حسن آغا الطبوashi على توليه
الحاج بكير مكانه موقتا ريشما يتصل بهم الحاكم التركي المولى من طرف الباب
العالى باستانبول فمكث الحاج بكير على راس الادارة الجزائرية مدة الى ان قدم
عليهم حسن باشا بن خير الدين سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٤ م) يحمل لقب بيلرباي
ويكتب بالقلم التركى هكذا : «بيجر باجي او بكلربك» اي امير الامراء. ارخى
عبد الرزاق بن احمد دوش في معجمه بجمادى الثانية سنة ٩٥٢ هـ (اوتو ١٥٤٥ م) ..؟

رسوخ قدم الاتراك بالمسان

ويوم ان انتقض اهل تمسان على سلطانهم مولاي احمد وحاول هذا الاتصار
عليهم بحلفائهم الاسبان، بادر حسن باشا الى حماية الاهالي فغزا تمسان واحتلها
في اواسط شعبان ٩٥٢ هـ (اكتوبر ١٥٤٤ م) وقضى على حامية مولاي احمد وحلفائه
ونصب على عرش تمسان مولاي الحسن تحت اشراف دوله الاتراك بالجزائر.
وخرج يومئذ مولاي احمد صحبة وزيره المنصور بن ابي غانم فالتحق بما حمله
دبدو، وهناك اغر بهم صاحب تمالك النواحي عمر بن يحيى الوطاسي فاستصفى
جميع ما معهما من الاموال فصادره واعتقلهما ماعندها مدة ثم اطلق وثاق المنصور
في المحرر ٩٥٣ هـ (مارس ١٥٤٦ م) وهنا اغفلت الرواية التاريخية ما آل اليه
امر مولاي احمد فلا ندرى امات بمعتقله ام اطلق عقاله ...؟
وكان من المؤسسات الادارية التي انشأها حسن باشا بن خير الدين بالجزائر

في هذه الفترة ان احدث سنة ١٥٤٨ هـ مقاطعة تيطري واقام عليها رئيسا يحمل لقب «البای» ثم بعد سنتين من ذلك ابرم حلف الصداقة ومعاهدة الود بين حكومة الاشراف السعديين بالغرب الاقصى وحكومة الجزائر . وكان من المقرر قمع حركة الاسبان باليالة الوهرانية وتطهير تملك النواحي منهم؛ وفعلا نهضت حكومة مراكش بذلك وحاصرت تلمسان وضيقـت على اهلها الحنـاق مـدة تسـعة اشهر ثم احتـلتـها في يوم الاـثنـيـن ٢٣ جـمـادـى الـأـوـلـى سـنة ٥٩٥٧ (جوـان ١٥٥٠) وبـسطـتـ نـفوـذـهاـ عـلـىـ تـلـكـ النـواـحـىـ وـنـشـرـتـ اـعـلـامـهاـ عـلـىـ مـسـتـغـانـ وـاحـواـزـهاـ وـجـمـيعـ اـعـمـالـ تـلـمـسانـ إـلـىـ حـدـودـ شـلـفـ،ـ وـيـوـمـئـذـ تـحـرـوكـ دـاعـيـ التـنـافـسـ بـيـنـ الـحـكـومـتـيـنـ الـمـتـجـاـورـتـيـنـ مـرـاكـشـ وـالـجـزـائـرـ وـحـمـلـ الـاتـرـاكـ عـلـىـ تـلـمـسانـ بـقـيـادـةـ حـسـنـ باـشاـ فـتـقـهـقـرـ الـمـغـارـبـ عـنـهـاـ إـلـىـ التـخـومـ وـتـمـكـنـ قـدـمـ الـاتـرـاكـ يـوـمـئـذـ بـالـعـاصـمـةـ الـزـيـانـيـةـ فـالـحـقـوـهـ بـحـكـومـتـهـمـ الـجـزـائـرـ بـمـاـشـرـقـ وـوـلـوـ اـعـلـيـهـاـ مـنـ طـرـفـهـمـ حـسـنـ قـوـرـصـوـ،ـ ثـمـ عـادـ الـبـيـلـرـبـايـ إـلـىـ الـعـاصـمـةـ مـشـتـغـلـاـ بـاتـمـ تـنـظـيمـ الـادـارـةـ الـتـرـكـيـةـ وـالـقـيـامـ بـاصـلاحـ شـانـ الـبـلـادـ الـجـزـائـرـيـةـ فـأـشـاـ الـحـصـونـ وـالـمـحـارـسـ بـهـاـ،ـ مـنـهـاـ ذـلـكـ الـحـصـنـ الشـامـيـ خـذـلـيـةـ الـقـائـمـ فـوـقـ كـدـيـةـ الصـابـوـنـ بـجـنـوبـ الـعـاصـمـةـ؛ـ وـهـوـ الـمـعـرـوفـ إـلـىـ الـيـوـمـ بـبـرـجـ مـوـلـايـ حـسـنـ اوـ بـرـجـ بـولـيـلةـ،ـ وـقـدـ كـانـ يـسـمـىـ بـرـجـ الطـاوـسـ وـبـرـجـ سـلـطـانـ قـالـاسـيـ اـيـضاـ؛ـ وـمـنـهـاـ مـدـيـنـةـ الـقـلـيـعـةـ السـاحـلـيـةـ اـنـشـأـهـاـ سـنةـ ٥٩٥٧ـ (١٥٥٠ـ)

رسم حدود الجزائر وتحيط تحومها الغربية

ولما استقر الحكم التركي بتلمسان وحضرت لسلطانه جميع اعمالها وتقرر رسم الحدود السياسية بين الممكلتين الجزائر ومراسكش ، اتسدب لذلك العلامة الهمام ابو عبد الله محمد الخروبي الجزائري فوفد على سلطان المغرب فاقتباه البلاط بما هو جدين به من التجلة والاكرام ، وعقدت المشيخ هنالك مجالس ومحافل ناظرة فيها علماء المغرب وسائلتهم في مباحث شتى من العلم ، وجرى له كلام في

التصوف والطرق الصوفية انفرد به وحده وتم على يده تخطيط الحد الغربي الذي بقي محترماً معروفاً إلى اليوم بين حكومة الجزائر والمغرب الأقصى ولم يحدث فيه كبير تغيير جوهري إلا ما حدث في بعض الجهات الجنوبية من تحويل طفيف حسبما أورث به سياسة الاستعمار الفرنسي في الأخير.

انقال البيلرباي إلى استانبول

اتفق أن نشأ خلاف بين بيلرباي الجزائر ومفوض دولة فرنسا ، فسعى المفوض بامير الجزائر التركي ووشي بهلدى الباب العالي باستانبول واحتاطه بطائفة من التهم والشبه ولطخ سمعته بالرديب فاستدعى السلطان اذ ذاك وإلى الجزائر إلى حضرته، فغادرها حسن باشا سنة ١٥٥٨ هـ (١٩٥١ م) وذهب إلى استانبول مستخلفاً في مكانه حسن آغا .

وفي هذا التاريخ احتيل الإسبان فرصة غياب الوالي التركى فغزوا تلمسان واحتلوها ومسكوا بها ثلاثة عشر يوماً ثم هزموا وأخرجوها منها .



ولاية صالح رايس

انتصب على إريكة الجزائر في شهر جمادى الأولى سنة ١٩٥٩ هـ (أبريل ١٥٥٢ م) فكان لتوليته ارتياح عظيم لدى الاوساط الجزائرية : واهم ما ابتدأ به من الاعمال وبشرها بنفسه في صدر ولايته ان تصدى لاخضاع الثائرين والمتمردين على حكومته من سكان الجنوب الجزائري كبني الجلاّب المستبددين بنواحي بسكرة وتقرت ، وبني وارجلان - وارجلة - فان هؤلاء جميعاً امتنعوا من اداء الخبایة والمغرم ، فقصدى لاخضاعهم صالح رايس مستعيناً على حركته هذه بصدقينه عبد العزيز امير قلعة بنى عباس حيث اتصل به في مجاتة ومعه يومئذ ثمانية آلاف جندي فيخضعت له قبائل الجنوب واستولى على عاصمة الزاب

الجزائري - بسكرة - وأحوازها

ويذكر عن حسن قوبصو عامل تلمسان يومئذ انه تحرك لمقاتلته عبد العزيز امير القلعة في سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥٢ م) وكان اللقاء بينهما في نواحي بوغنى والمسيلة، وكان صالح رايس وولده محمد ضلع في هذه الحرب التي كتب النصر فيها عبد العزيز

الاستيلاء على فاس

كان مما اشتهر به صالح رايس في مدة امارته على الجزائر الولوع بغزو سواحل امم النصرانية بهذه البحر والزحف نحو اساطيل العدو الرايسية بموانى هذه الشواطئ وكان مما ظفر به بعثه الانداس في سنة ٩٦٠ هـ - ١٥٥٣ م عشرة مراكب اسبانية فساقها الى الجزائر وكان من بين اهلها يومئذ الامير ابو حسون - ابو الحسن علي بن محمد الشيخ - الوطاسي؛ وجد هناك على ظهر مركب منها مختفيا فارا بنفسه من الدولة السعدية القابضة يومئذ على زمام المغرب الاقصى، فتعرّف ابو حسون الى صالح رايس وكانت بينهما موعدة ومصافحة جعلت من الامير الجزائري الصديق الوفي لاصير الامير الوطاسي وتواطأ على غزو مراكش واسترداد مملكته بني وطاس المربيين من يد السعديين،

وفعلا خرج الاسطول التركي الجزائري من العاصمة محتويا على ٢٢ مركبا حرريا فغزا سواحل مليلا والريف المغربي وبادر الجيش الى السير برا نحو المغرب بقيادة صالح رايس نفسه فاحتل تلمسان وتقدم الى فاس فاحتلها ايضا يوم ثالث صفر ٩٦١ هـ (٨ جانفي ١٥٥٤ م) ونصب على عرشها ابا حسون مرتبطا بالباب العالى، وتقى السلطان السعدي، وفي عودة الاتراك الى الجزائر نهض الملك السعدي مغتنما بهذه الفرصة فقضى على ابا حسون واعاد الامر الى دولته

الحق ولاية تلمسان بالجزائر

كان مما قام به ييلرباي الجزائر صالح رايس ايم وجوده بتلمسان ان درس الوضعية السياسية هنالك فعرف ما كانت عليه البلاد يومئذ من الضعف وسوء التحصين امام حيش الاسبان الجائع بوهران وانكشفت له بها علاقه سرية واتصالات مريبة مخفية بين مولاي الحسن حاكم تلمسان والاسبان ، فكتمر صالح امرة رئيسها اتهى من عملية الحرب بمراکش وفاس ، وفي منصرفه من تلمسان اعلن عزل حاكمها المذكور والتحقها راسا باعمال الجزائر .

تمكن الاتراك من فتح قسطنطينة وبجاية ووهران

من المحقق تاريخيا ان الاتراك تمكينا من قسطنطينة اسر وقعة وادي القطن - بين ميلة وقسطنطينة - حيث احتلها اتراك بونه وتونس سنة ١٥٥٥هـ ٩٦٢م والحال انهم قد وجدوا بها منذ سنة ٩٤١هـ (١٥٣٥م) ولكننا لا نعلم صفة ذلك ولا كيفية الغزو ونوع الفتح والاحتلال ، وانما الذي نعلم من حوادثهم بهذه النواحي الشرقية انهم فتحوا بجاية بعد حرب طاحنة ومقاتلة للاسبان برا وبحرا وكان احتلالهم لها يوم السبت ١٢ ذي القعده سنة ٩٦٢هـ (٢٨ سبتمبر ١٥٥٥م) وفي نفس هذه السنة استنجد الفرسنييون بالاسطول الجزائري لتعزيز قواتهم الحربية ضد الاسпан .

وبعد ان فرغ ييلرباي الجزائر من فتح الجهات الشرقية غدا يستعد لفتح وهران وأخذ في تعبئة نحو السبعين سفينة لغزوها واجتمع لديه من الجندي ما يقرب من اربعين الف نسمة ، وكان ينوي اتمام زحفه هذا بالسير الى مراکش للقضاء على ما نشب هنالك بين الاهالي من فتن واضطرابات واخضاعها لسلطانه ، ولكن القدر لم يمهله واحبله لم يرجئه فتوفي بالطاعون في شهر رجب سنة ٩٦٣هـ (ماي ١٥٥٦م) وعمره سبعون سنة ، فخلفه يومئذ طرغود

بك في فتح وهران فغزاها على رأس اسطوله الضخم فاحتلها وأنهزم عنها الإسبان وكان من منشئات صالح راييس وآثاره المعمارية بالعاصمة دار السلطان أو قصر الجنينية بأسفل المدينة، مكث في بنائه نحو خمس سنوات ٩٥٩-٥٩٦٣ (١٥٥٢-١٥٥٦م) ولقد دام هذا البناء الشامخ نيفاً وثلاثة قرون، اي طيلة تاريخ أيام الحكم التركى بالجزائر الى ان هدمته السلطة الفرنسية سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٦م) واقامت مكانه هذه الدار الموجودة اليوم شرقى دار عزيزة بنت البالى -الاسقفية- حيث يوجد بالطابق الاول منها مرکز نادى الترقى



ولاية حسن قورصو

انتصب بنفسه على عرش الجزائر يوم وفاة سلفه صالح راييس ٩٦٣ (١٥٥٦م) وفرض طاعته على الرعية ولم يراع في ذلك جانب الباب العالى باستانبول معتمداً في ذلك على ما اottiءه من البطولة الحربية والشجاعة الادبية، واصلى من مدينة كورسيكا التى اشتهر ببنسبتها إليها ودعى لذلك «كورصو» وفي اول برقة من ولاية قورصو توجه بنفسه على رأس حملة شديدة الى وهران فشدد عليها الحصار برا وبحرا وضيق الإسبان بها حتى كاد ان يدرك النصر او يكون منه قاب قوسين او ادنى فناداه حينئذ السلطان العثمانى باستانبول مستتجداً باسطول الجزائر لتعزيز قوات المجاهدين ببحر الارخبيل ورد حملة اندري دوريا عن البوسفور، فعدل يومئذ حسن قورصو عن وهران وعاد باسطوله نحو بلاد الامبراطورية العثمانية بالشرق

و في ذى القعدة ٩٦٣هـ - سبتمبر ١٥٥٦م حل بالجزائر من قبل الباب العالى اميرها الشرعى البيلربى باى محمد تشلبى كرد اوغلى - طكلارلى - فاعتراضه حسن قورصو وبذل فى منعه من الاتصال بالجزائر غاية وسعى ولكن طكلارلى اجتهد حتى تمكّن من الحلول بجون «تامد فوس» شرقى العاصمة

وهنالك اصطدم بقوات حسن قورصو فناشهـ الحـرب وذهب ضحيتها الوالي السابق وقتـل بعده الوالي الجديد ايضا وحكم الجزائـر يومـئـذ والـي تـلـسان الـامـير يـوسـف صـديـق حـسن قـورـصـو وـلـم يـلـبـث أـزـمـعـة توـفي بالـطـاعـون فـيـخـلـفـه يـحـيـي باـشا مـدـة سـتـة اـشـهـر اـبـتدـاء مـن شـهـر رـيـمـ الـأـول إـلـى شـعـبـان ٩٦٤ هـ (من جـانـفيـيـ إلى آخرـ مـاـيـ) ١٥٥٧ مـ

وـكـانت دـوـلـةـ الاـشـرـافـ السـعـدـيـيـنـ يـمـرـاـكـشـ تـتـحـيـنـ الفـرـصـ لـلـاقـضـاصـ عـلـىـ مـلـكـةـ تـلـسانـ فـسـاعـدـتـهـاـ الـظـرـوفـ فـيـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ مـنـ الزـمـنـ فـاسـتـولـتـ عـلـيـهـاـ إـلـىـ انـ جـاءـ عـصـرـ حـسنـ باـشاـ بنـ خـيـرـ الدـيـنـ وـعـادـ إـلـىـ مـنـصـبـهـ الـأـوـلـ .



ولاية حسن باشا بن خير الدين (ثانية)

تـقـلـدـ مـنـصـبـهـ هـذـاـ لـلـهـرـةـ الثـانـيـةـ فـيـ شـهـرـ شـعـبـانـ ٩٦٤ هـ (جـوانـ ١٥٥٧ مـ) فـاتـيـجـ اـلوـلـيـتـهـ اـهـلـ الـجـازـيـرـ مـاـ عـرـفـوـهـ قـبـلـ وـتـحـقـقـوـهـ مـنـهـ مـنـ حـسـنـ الـادـارـةـ وـحـزمـهـ الشـدـيدـ فـيـ تـسـيـيـرـ شـؤـونـ الدـوـلـةـ وـكـوـنـهـ اـيـضاـ وـلـدـ اـمـ جـازـيـرـيـهـ فـهـوـ اـذـاـ مـنـهـمـ بـالـخـوـلـةـ كـلـ ذـلـكـ كـانـ مـنـ دـوـاعـيـ الـاقـبـالـ عـلـيـهـ فـيـ هـذـهـ المـرـةـ ،ـ وـالـحـقـ اـنـهـ كـانـ مـنـ رـجـالـ الـاتـراكـ الـمـمـتـازـيـنـ فـيـ وـضـعـ أـسـسـ النـظـمـ الـادـارـيـةـ لـهـذـهـ دـوـلـةـ التـرـكـيـةـ النـاشـيـةـ بـهـذـهـ الـبـلـادـ .

أهم اعمال حسن باشا بن خير الدين

كان من أهم اعمال البيلرباي حسن التي شرع في القيام بها في هذه المرة أخذـةـ فيـ جـمـعـ كـامـةـ الجـنـدـ الثـائـرـ منـ فـرـيقـ الـانـكـشـاـرـيـةـ فـسـلـ مـنـهـ السـيـخـائـمـ وـاطـفـأـ نـارـ غـضـبـهـ المـنـصـبـ عـلـىـ الـوـجـاـقـ كـاـهـيـ عـادـتـهـ فـيـ كـلـ مـنـاسـبـةـ تـحـدـثـ عـنـدـ تـوـلـيـةـ وـالـجـدـيدـ ؛ـ وـذـلـكـ رـغـبـةـ فـيـ زـيـادـةـ الـمـرـتـبـاتـ وـرـفـعـ اـجـورـ الـجـيـشـ الـمـرـتـزـقـ ،ـ فـعـامـلـهـ الـبـيـلـرـبـايـ يـوـمـئـذـبـماـ يـرـضـيـهـ ،ـ ثـمـ اـشـتـغـلـ بـتـنـظـيمـ الـمـخـزـنـ ،ـ وـالـتـفـتـ كـذـلـكـ إـلـىـ مـحـارـبـةـ دـوـلـةـ

الاشراف السعديين الحالة بتلمسان فأجلها عنها ، وتشوف الى تقبیم هذه الدولة المراكشیه الى عقر دارها بسبب ما بلغه عن ملکها ابی عبدالله محمد المهدي من تصريحه بكلمات اهتفظم فيها جناب السلطان سليمان العثماني فنبذه بسلطان (الحواته) وتوعدة مهددا بعزم على فتح مصر وطرد الاتراك عنها
وبلغ خبره هذا الى الباب العالى فبعث السلطان من هناك اثناعشر فدائما حلو بالغرب وقضوا على حياة سلطان مراكش يوم ٢٩ ذى الحجه ٩٦٤ ٢٣٥ اكتوبر ١٥٥٧ م . ولقد ادى ذلك الى اعتراض حکومة المغرب الاقصى بسيطرة الباب العالى على بلادها هـ ٩٨٨ (م ١٥٨٠)

وفي نفس التاريخ الذي هلك فيه سلطان المغرب (م ١٥٥٧ - هـ ٩٦٤) قضى حسن بن خير الدين على الحيوش الاسبانية المقيمة بمازغران - قرب مستغانم - فأسر منها ١٢ الف نسمة ، وانضم اليه يومئذ الجندي التلمساني فاحاط الجميع بالاسبان واوقدت النيران في مخازن البارود فانفجرت وكان من اثر انفجارها سقوط اسوار المدينة وموت الاكثريه من جيش الاسبان وفيهم الحسين ال ماجور الكونت الكوديط ، وعند غروب الشمس من يوم الجمعة ١٢ ذى القعده هـ ٩٦٥ ٢٣٦ او ط ١٥٥٨ م] احتل الاتراك نواحي مازغران .

ثم في السنة بعدها « هـ ٩٦٦ - م ١٥٥٩ » حول اليلار باي نظره من المغرب الى المشرق وتحرك في جنوده الى غزو النواحي الشرقيه التي يملکها عبد العزيز امير قلعة بنى عباس ، فاستولى منها على مدينة المسيلة وبنى حصنا برج بو عريريج وآخر بزمورة وذاك المحافظة على سطوة الاتراك بتلك النواحي الشرقيه وتشيّتا لقدمهم هناك ورتب بهما الحامية التي بلغ عددها اربعمائة جندي ثم غادرها متوجها الى بلاد حمزة - نواحي بويرة -

وفي منصرف حسن من نواحي زمورة والبرج وثبت عبد العزيز على الحصيني المذكورين فأسر ما بهما من الجنود ونشبت هناك معارك كان فيها

حتفه ، وجىء براسه الى الجزائر ، وخلفه يومئذ في مقامه اخوه احمد امقران وهو جد الاسرة المقرانية الشهيرة المقيمة بمجانة التي حاربت الاستعمار الفرنسي سنة ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م ، ويحيى نـد ٥٩٦٨ (١٥٦١م) تملك احمد امقران نواحي كوكو من بلاد القبائل واضطرب الاتراك الى مصالحه .

وكان من اجل احداث السياسة بهذا العصر في الجزائر ظهور شركة صيد المرجان الفرنسية المعروفة باسم لانش Lenche حيث ابرمت مع الحكومة الجزائرية عقدة تجارية احرزت بها على رخصة لانشاء مراكز لها بكل ساحل الجزائرية الشرقية ، منها ما كان بالقرب من غربى القالة ومنها ما كان بشرق بونة الخ ، وكل ما اشتهرت به الدولة الجزائرية على هذه الشركة هو ان لا يكون بهذه المراكز التجارية سلاح وان لا تظهر بمظاهر الحصون الحربية ابداً، فكانت الحال اولاً على ذلك الى ما بعد اربع سنوات حيث نزل بها اول قصل فرنسي ويومئذ ابتدأ دور العاب اروبا الدبلوماسية يظهر في مجال السياسة الاستعمارية، فكانت هذه المراكز خير عنون للاستعمار مهد بها لاحتلال البلاد وسقوطها بين مخالبي فيما بعد ، ثم بعد خمس سنوات جاء دور الانكليز فتدخلت في اقتصاديات البلاد بطريق نصب ممثلين معتمدين للتجارة بالجزائر .

وسقطت يومئذ جزيرة جربة بيد الاتراك الجزائريين وانجلى عنها الاسبان ٥٩٦٧هـ (١٥٦١م) فتحولوا انتظارهم حيى نـد الى وهران فاتصرروا على بعض حصونها واستولوا على بعض المراكب الاسلامية ، ويومئذ اندفع السلطان العثماني الى اعلان الجهـاد وتقدم الى فتح جزيرة مـالـاطـة مـقـرـ رـهـبـةـ القـدـيسـ يـوـحـنـا الاورشليمي . وكان من الضروري فتح هذه الجزيرة لمريـدـ السـيـادـةـ بهذهـ الـبـحـرـ الاـيـضـ الـمـتوـسـطـ ، ذلك لما وـهـبـتهاـ الطـبـيـعـةـ منـ اـهـمـيـةـ موقعـهاـ الجـفـراـفيـ وـمـرـكـزـهاـ الاستـرـاتـيجـيـ ، وكان انهـزـامـ الاسـپـانـ هذاـ فيـ جـرـبـةـ وـاتـصـارـ الـاتـراكـ بـهـاـ باـعـثـاـ قـوـيـاـ وـسـيـاـ مـبـاشـرـاـ فيـ جـلـاءـ حـلـفـائـهـمـ السـعـديـيـنـ عنـ تـلـمـسانـ وـتـرـكـهاـ لـالـاتـراكـ

وتصدی الیلربای في السنة التالیة لادخال بعض الاصلاحات والتنظيمات في الادارة التركية بالجزائر فقضی على ثورة بلاد الزواوة واصهر الى قبیلة جبل کوکو بتزوجها بنت شیخها واشرك اهلها في الادارة ؛ وباتفاقیة كانت بينه وبين الوطاسیین غزا حیشه دولة السعیدین بفاس ، ثم انسحب عنها في مقابلة تعویضات عن نفقات الحملة ، وكان لهذة الغزاة اثر کییر في ادخال بعض التقـالید والنظم العسكريـة التركـیـة في الجيش المـغـرـبـیـیـ وـ بالـ قـصـرـ السـلـطـانـیـ اـیـضاـ کـاـدـابـ الـاستـقـبـالـ وـ حدـوثـ فـرـقـةـ الانـکـمـشـارـیـةـ الخـ .

واحاطت الدسائیں يومئذ بالیلربای وسعی به حسـدتـهـ وـ منـافـسـوـهـ لـدـیـ الـبابـ العـالـیـ فـأـخـذـ مـکـبـلـاـ إـلـىـ اـسـتـانـبـولـ ثـانـیـ مـرـةـ ، وـ تـعـینـ مـکـانـهـ حـسـنـ آـغاـ لـمـرـةـ الثـانـیـةـ اـیـضاـ ثـمـ عـزـلـ بـقـوـصـةـ مـحـمـدـ رـیـشـماـ حـضـرـ منـ الـاـسـتـانـةـ اـحـمـدـ باـشاـ بـسـتـانـجـیـ فـیـ الـمـحـرـمـ ١٥٦٢ هـ (٩٦٩) وـ لمـ تـطـلـ مـدـتـهـ فـتـوـفـیـ اـثـرـ ثـلـاثـةـ اـشـهـرـ مـنـ وـلـیـتـهـ ، فـیـ خـلـفـهـ يـوـمـئـذـ القـائـدـ يـحـیـیـ إـلـىـ اـنـ اـعـادـتـ الدـوـلـةـ العـشـمـانـیـةـ حـسـنـ باـشاـ بنـ خـیرـ الدـینـ إـلـىـ مـنـصـبـهـ

ولاية حسن بن خير الدين (ثالثا)

لقد عاد الیلربای حسن بن خیر الدين هذه المرة لولاية الجزائر معززاً بـعـشرـ سـفـنـ حـرـیـةـ وـ مـزوـدـاـ بـقـوـاتـ عـسـکـرـیـةـ مـسـلـحـةـ ، وـ كانـ تـارـیـخـ حـیـیـهـ هـذـاـ سـنـةـ ١٥٦٢ هـ (٩٦٩) وـ انـ اوـلـ عـمـلـ جـدـیـ قـامـ بـهـ فـیـ وـلـیـتـهـ هـذـهـ هـوـ انـ غـزـاـ فـیـ رـیـبعـ السـنـةـ التـالـیـةـ قـوـاتـ الـاسـبـانـ الـاسـپـانـیـةـ بوـهـرـانـ فـشـنـ عـلـیـهـاـ غـارـاتـهـ بـرـاـ وـ بـیـحـراـ وـ کـادـ انـ یـتمـ اـتـصـارـهـ عـلـیـهـاـ اـلـوـلـاـ مـاـ لـحـقـتـهـاـ مـنـ النـجــدـاتـ ، فـانـهـزـمـ عـنـدـئـذـ حـسـنـ اـلـجـزـائـرـ مـنـقـطـعـاـ مـلـىـ اـتـمـ اـصـلـاحـاتـهـ وـ تـنـظـيمـاتـهـ الـادـارـیـةـ فـاـحـدـثـ اـذـ ذـاـکـ بـالـقـطـرـ الـجـزـائـرـیـ اـرـبـعـةـ بـشـالـکـ - مـقـاطـعـاتـ - : بـایـلـکـ الـجـزـائـرـ اـلـمـعـبـرـ عـنـهـاـ بـدـارـ السـلـطـانـ وـ قـاعـدـتـهـ الـعـاصـمـةـ ؛ وـ بـایـلـکـ تـیـطـرـیـ وـ مـرـکـزـہـ بـالـمـدـیـدـیـةـ : وـ بـایـلـکـ الشـرـقـ وـ قـاعـدـتـهـ

قسطنطينية ؛ وبأيامك الغرب بمعازونة (١) ثم تحول من كفر بـ بأيامك الغرب إلى مدينة معسکر وأخيراً إلى وهران ، وجعل لكل ولاية من هذه المقاطعات الأربع من غير دار السلطان رئيساً يحمل لقب البـ ، وأول من عرفناه من بـيات هذا الدور هو بـ الغرب بوخديجة بـ معازونة هـ ٩٧٠ (١٥٦٣)

ولقد حاول الفرنسيون بعد ذلك بـستين (٩ صفر هـ ٩٧٢ - ١٧ سبتمبر ١٥٦٤) تنصيب سفيرهم بالجزائر فرفضت الحكومة ذلك ، واستمر البـيلـ بـ على حـظنـهـ الـهجـومـيـةـ ضـدـ الـاسـبـانـ فـيـ فـترـاتـ مـتـفـرقـةـ ،ـ كـاـنـهـ شـارـكـ بـنـفـسـهـ فـيـ هـجـومـ الـاتـراكـ العـشـمـانـيـنـ عـلـىـ مـالـطـةـ سـنـةـ هـ ٩٧٣ـ (١٥٦٥)ـ ثـمـ لـمـ يـلـبـثـ بـعـدـ ذـلـكـ أـنـ اـسـتـدـعـاهـ الـبـابـ الـعـالـيـ ليـتـولـيـ منـصـبـ قـيـادـةـ الـاسـطـولـ العـشـمـانـيـ باـسـتـانـبـولـ فـانـتـقـلـ إـلـىـ مـنـصـبـ الـجـديـدـ هـنـاكـ سـنـةـ هـ ٩٧٤ـ (١٥٦٧)ـ



ولاية محمد بن صالح رـايـس

اتصل البـيلـ بـ على محمد بن صالح رـايـسـ بالـجزـائـرـ فـيـ ذـيـ الحـجـةـ سـنـةـ هـ ٩٧٤ـ [جـوانـ ١٥٦٧ـ]ـ فـاصـادـفـ بـهاـ اوـبـةـ وـمـجـاعـاتـ رـهـيـةـ صـحـبـهاـ هـيـجانـ فـيـ الجـنـدـ واـضـطـرـابـ فـيـ الشـعـبـ ،ـ فـاضـطـرـ الـصـرـفـ اـغـلـبـ اوـقـاتـهـ فـيـ مـوـاسـاةـ الـضـعـفـاءـ وـالـمـاصـيـنـ وـتـسـكـينـ الـفـقـنـ ،ـ وـماـ فـتـىـءـ يـعـمـلـ عـلـىـ ذـلـكـ اـذـ فـاجـأـتـهـ ثـورـةـ هـنـاكـ وـوـلـيـ علىـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ القـائـدـ رـمـضـانـ بـنـ شـوـلاقـ .ـ وـفـيـ رـيـمـ الـاـولـ هـ ٩٧٥ـ «ـ سـبـتمـبرـ ١٥٦٧ـ »ـ هـاجـمـ الـاسـبـانـيـنـ ،ـ فـعـزـلـ البـيلـ بـ علىـ الـشـوـرةـ هـنـاكـ وـوـلـيـ علىـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ القـائـدـ رـمـضـانـ بـنـ شـوـلاقـ .ـ وـفـيـ رـيـمـ الـاـولـ هـ ٩٧٥ـ «ـ سـبـتمـبرـ ١٥٦٧ـ »ـ هـاجـمـ الـاسـبـانـيـنـ جـانـ جـاسـكـونـ مـدـيـنـةـ الـجـزـائـرـ فـرـدـ عـنـهـ مـهـزـوـمـاـ .ـ

ثـمـ لـمـ تـطـلـ اـيـامـ البـيلـ بـ علىـ ذـلـكـ بـالـجـزـائـرـ اـذـ تـعـيـنـ نـقلـهـ إـلـىـ لـوـلـيـ اـخـرىـ بـاـنـحـاءـ الـامـپـراـطـورـيـةـ الـعـشـمـانـيـةـ فـانـتـقـلـ مـنـ عـاصـمـةـ الـمـغـرـبـ الـاوـسـطـ فـيـ رـمـضـانـ سـنـةـ هـ ٩٧٥ـ «ـ مـارـسـ ١٥٦٨ـ »ـ وـلـاـ يـعـلـمـ مـنـ آـثارـ الـمـعـمـارـيـةـ بـالـجـزـائـرـ سـوـىـ حـصـنـ بـابـ الـوـادـيـ غـرـبـيـ الـعـاصـمـةـ .ـ

[١] انظر خريطة الجزائر التركية ص ٢٨٩ من هذا الجزء

ولاية علی علی

ذكرته بعض المصادر هكذا «اولوج على» وكان يلقب بالفرطاس - الاقرع - واصلب من اسرى نصاري «كالابير» الايطاليين بصفية ، نشأ في احضان القرصنة التركية وسبق ان حاز في حياته البحرية مرتب عسكرية خولته درجة الرئاسة فخلف درغوث باشا بطرابلس ، وتولى ولاية تلمسان فحارب بها الاسبان ثم صدر الامر العالى بتوليه بيلرباي على الجزائر فنزل بهما يوم ١٤ صفر ٩٩٧٦هـ (٨ اوكتوبر ١٥٦٨م) ، واشتهر في لايتها هذه بالعنزرم في تسييس الادارة والبطولة الحربية والشجاعة الادبية وسجلت له انتصارات عديدة في البر والبحر ومن اشهرها انقاذ بعض المخالفين من المسلمين بسواحل الاندلس وتحطيم مواني الاعداء هناك وانتصاره الباهر في وقعة «لييانات» الشهيرة ٩٧٨هـ (١٥٧١م) التي مني فيها الاسطول العثماني لاول مرة في تاريخه بالانهزام بينما والى الجزائر علی علی نجا بسفنه الاربعين واحرز على مفانير كثيرة كان من بينها اللواء الباباوي المقدس !... ولقد شارك بنفسه في انشاء الاسطول العثماني وتكوينه من جديد بعد وقعة لييانات المذكورة

وفي صدر امارته على الجزائر انتزع من الفرنسيين حق احتكار تجارة المرجان بمرکز القالية بسبب تماطلهم وتخلفهم عن دفع الضريبة لثلاث سنوات مضت ، واباح ذلك للانكليز ويومئذ ٩٩٧٧هـ (١٥٦٩م) اعادت الدولة الفرنسية مفاوضتها مع حكومة الجزائر حول تنصيب القنصل وتنظيم سير الحرفة التجارية ومما يؤثر عن هذا الحكم الجزائري انه كان اول من فكر في فتح قنالة السويس قبل وجود فيرديناند ليبسيس بما يزيد على ثلاثة قرون

فتح تونس

انك على بصيرة مما آلت اليه الدولة الحفصية في اواخر ايامها - حسبما أسلفنا - من الانحلال السياسي وضعف قواتها الحربية ووهن اخلاق ولاتها وانتشار فتن الاعراب ونشوب الخلاف واقتراق الكلمة بسبب نزوع بعض امراء البيت الحفصي الى العرش وتنازعهم على ذلك واستئجاد بعضهم بالاجانب الخ..^(١) فحققت بهم يومئذ ضربات الاسپان حيث استحوذوا على بعض المدن الهامة والمراکز الاستراتيجية من القطر النوين وبسطوا نفوذهم على مملكة بنى ابي حفص، وكان ظهور الاتراك يومئذ بهذا البحر واستيلاؤهم على بعض ثغوره ضربة قاسية على مطامم الاسپان والبرتغال المتوجه نحو سواحل المغرب الاسلامي، فاستولى اذاك خير الدين بار باروس على ثغر بنزرت ثم جرت هنالك وقائع بين الترك والاسبان في مختلف اتجاهات المملكة الحفصية ومنها هذه الحادثة التي كانت على يد والي الجزائر علی في هذه السنة ٩٧٧ هـ (١٥٦٩ م)

كان علی علی علی يرافق احوال مملكة تونس حين وفدي عليه احد وزرائها ابو الطيب الحضار محضًا على امتلاكه ، فيجهز الوالي الجزائري حيشاً ورمح بم نحو تونس فلقى اميرها ابو العباس احمد الحفصى بباجة ، ثم بعد قتال عنيف انهزم الامير الحفصى وتقدم والي الجزائر بجموعه الى الحاضرة فامتلكها وأخذ بيعة اهلها للسلطان سليم الثاني وقتل ابن الحضار ورتب حسامية لحراسة البلاد تحت رعاية حيدر باشا ثم انكفا راجعوا الى مقره بعاصمة الجزائر. وبعد سنة من هذه الواقعة دعى علی الى القدسية ليتوالى بها رأسة القيادة العليا للاسطول العثماني فقاده الجزائر وخلفه عليها موقعنا قبطان باشا

(١) راجم ص ٤٥ من هذا الجزء وخلاصه تاريخ تونس ص ١٣١ - ١٣٤

تعصب اورو با المسيحية

انعقد الحلف الاوروبي المسيحي الثالث عشر سرا بين قداسة البابا بيوس الخامس وفيليپ الثاني ملك الاسپان وجمهورية البندقية بتاريخ فاتح امتحرم ٩٧٩ هـ (٢٥ ماي ١٥٧١) ، وبعد حين من تاريخ انعقاد هذه المؤامرة وتدبرها تقرر اعلان الحرب الهجومية والدفاعية ايضا من طرف الحلفاء ضد تركية لاسترداد جميع الاماكن التي فتحها الاتراك ومن بينها الجزائر وتونس وطرابلس عملا بقادتهم التعصبية التي تنص على ان ما استأثر به الصليب واغتصبه من الهلال لا يرد ؛ وان كل ما حازه الهلال او ضمه اليه منه تتحتم عليه اعادته

وعن هذا الحلف المسيحي الاوروبي نشأت وقعة معركة ليانت الشهيرية بجنوب بلاد اليونان بتاريخ ١٧ جمادى الاولى سنة ٩٧٩ هـ (٧ اكتوبر ١٥٧١) ولا يزال اهل ايطاليا الى اليوم يحتفلون بذلك في هذه الواقعة التي كانت سببا في درء امتداد السلطة التركية عن بلادهم

مطامع فرنسا في الجزائر

كانت وقعة ليانت هذه فرصة مواتية لاظهار رغائب فرنسا نحو المغرب الاسلامي ، فانه بمجرد ما اشتهر انهزام الاسطول التركي في وقعة ليانت قدم ملك فرنسا «شارل التاسع» مشروعه الى الدولة العثمانية بواسطة السفير المفوض باستانبول الراهب «فرانصوا دونواي» يتضمن طلب الترخيص لحكومته في بسط نفوذها على القطر الجزائري وحماية الاسلام والمسلمين به وانها مستعدة في مقابل ذلك لدفع المغرم او الجزيئة للباب العالي ؟ فاعرض عن السلطان ولم يعره بالا ولكن رغم ذلك فان دولة فرنسا اوغلت في طموحها والمت واكدت في المحاجها وسلكت للتوصل لغرضها هذا مسالك دبلوماسية غريبة ، واخيرا حصلت على الرخصة لها في نيل امتيازات خاصة وتصريح من السلطان باقامة محارس تجارية

بالقالة وغيرها من الساحل الجزائري ، فاكتفت اوليا بذلك ، على انها كانت اول خطوة استعمارية خطتها فرنسا نحو هذه البلاد المغربية قبل احتلالها السياسي بما يزيد على قرنين ونصف ، الامر الذي يدلنا دلالة واضحة على ان انفجار شرارق نار الحرب ضد الجزائر سنة ١٨٣٠ لم يكن هكذا فلتة عن مجرد حركة المنشئة المصطنعة المزعومة ! ...

والحق اتنا قد عرفنا اتجاه همة فرنسا الى اخضاء المغرب الاسلامي منذ ايام الصليبيات وحملة الملك لويس التاسع عشر على تونس التي انتهت هنالك بموته وهزيمة حيشه سنة ١٦٦٩ - ١٢٧٠ .



ولاية احمد عراب

تولى الحكم بالجزائر في شهر ذى الحجة ١٩٧٩ (افريل ١٥٧٢) واستهر في مدة ولايته كاها بالاجتهد في نشر الامن وتنظيم السابلة وتنظيم الادارة ، ومن اشهر مواقفه قضاؤه على ثورة اهالي قسنطينة ومشاركته في الدفاع عن تونس ومناصرة اميرها العاج على ضد الاسبان في جمادى الثانية ١٩٨١ (سبتمبر ١٥٧٤) ويومئذ نزح الاسبان عن تونس وانجلوا عنها نهائيا وتم حض الحكم بها للاتراك وفي نفس التاريخ استولى بعض القرصان الجزائريين على سفن فرنسية كانت تتوجه بعثيات الجزائر ، فاحتاجت دولة فرنسا على هذا الصنيع لدى الباب العالي ، وذلك بناء على ما كان امضاه السلطان من المعاهدة التي تنص على عدم المبالغات البحرية ، وجاء حينئذ امر الباب العالي الى الجزائر برد ما استحوذ عليه القرصان من المراكب الفرنسية وحاول احمد عراب استخلاص السفن من يد القرصان فلم ينجح ، ثم عزل من ولايته .

ولاية القائد رمضان

ولى رئاسة حكومة الجزائر سنة ١٥٧٤ هـ - ١٩٨١ م ، ولم يكن لتاريخ أيامه بالجزائر شأن كبير يذكر به سوى مشاركته في تأسيس العاج علي لعبد الملك بن الشيخ و أخيه أحمد الاميرين السعديين على انتزاع الملك من أخيهما الغالب بالله ، فغزا الاتراك فاسا سنة ١٥٧٥ هـ - ١٩٨٣ م وحققوا لعبد الملك منيته ثم عادوا من مراكش بمبلغ عظيم من الهدايا المغدقه عليهم .

وفي اواخر أيام حكومة القائد رمضان بعث الفرنسيون بقنصلهم الى الجزائر فرده البيلرباي ورفض قبوله ما لم يؤد إتاوة ، ولم يتمكن السفير الفرنسي من النزول بالعاصمة الا بعد ان جاء الازمام الحتمي من طرف الباب العالي ؛ ثم لم تطل ايام الوالي هذا فنقل من الجزائر الى ولاية تونس سنة ١٥٧٧ هـ - ١٩٨٥ م .

**ولاية حسن فزيري-انو**

جلس على سرير الحكم بالجزائر في شهر ربيع الثاني سنة ١٩٨٥ هـ (جوان ١٥٧٧ م) واصله من ايطاليا ؛ نشأ محترفاً مهنة الكتابة بمدينة البندقية Venise ولذلك دعى بفنزيانو ، اسرة درغوث باشا قباعه لعلاج على ؛ وأسلم وكان ينسب اليه فيقال له ابن القبطان علي .

اشتهر حسن بشدة الشكيمة والنشاط والحزم ومضاء العزيمة ، هاجم الاسبان في عقر دارهم مراراً فاقلق راحتهم في عدة مرات ؛ ومن بينها حركته الهجومية ضدتهم سنة ١٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ م . وكانت لم عنایة واجتهاد في تحصين مدينة الجزائر على الخصوص بجعلها في مناعة ووقاية من هجمات العدو ، وفي هذه السنة اتضحت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدولة العثمانية ، وصار شمال افريقيا باموالها تابعاً لها تماماً او خاضعاً لنفوذها على الاقل .

والامير فنزيانو هذا هو اول من عقد معاهدة تجارية بين دولة الجزائر وانكلترا ، وذلك سنة ٥٩٨٧ م - ١٥٧٩ ، وبعد ان قضى نحو مدة ثلاثة سنوات من ولايته بالجزائر دعى الى استانبول فسافر اليها سنة ٥٩٨٨ م - ١٥٨٠ .

□

ولاية جمفر باشا

يقال ان اصله من اسرى المجر ، وانه بعد ان ظهرت كفاءته ومقدرتها الحربية للباب العالي ولته الحكومة العثمانية باداراتها فباشر هنالك بالشرق عدة وظائف ومناصب عسكرية واخيراً عينته السلطة العليا باستانبول حاكماً عاماً بالجزائر في رجب سنة ٩٨٨ هـ (اوط ١٥٨٠)

وان ابرز عمل قام به هذا الوالي الجديد في ولايته الجديدة ، هو صرف عنايته وبنسل مجده وداته في ادخال بعض الاصلاحات والتحسينات في الادارة العسكرية بالجزائر ، ومنها انشاؤه لقلعة الكيفان الموجودة بناحية حصن الماء Fort de l'Eau شرق العاصمة ، اسسها سنة (٥٩٨٩ م - ١٥٨١) وفي هذه السنة اتصلت العلائق بين السلطان مراد الثالث وبين حكومة فرنسا .

ويذكر مؤرخوا الافرنج ان في صدر ولاية هذا البشا كان تعين اول قنصل فرنسي بالجزائر ، وهو م. بيونو : كما ان الفضل في توحيد الوجهة السياسية لبلاد المغرب الاسلامي وضمه الى الامبراطورية العثمانية يرجع الى هذا الوالي نفسه مع رفيقه في العمل علچ علي .

وبينما الرجال يعملان بمرأكش على تحقيق خطبة هذه الوحدة السياسية اذ فوجئا بأمر الباب العالي يأمرهما بالتخيي عن العمل بالمغرب والانتقال الى الحجاز لاخماد ثورة نشأت هناك ، فتخليا عن عملهما هذا سنة ٩٩٠ م (١٥٨٢)

(١) في اليوم الخامس من شهر اكتوبر من هذه السنة الميلادية ١٥٨٢ كان القداء تطبق الحساب بالقويم الغريغوري المعتبر اليوم في ضبط التاريخ المسيحي وهو المتعارف عند الفلكيين بالزيج الجديد والجاري به العمل عند اغلب الامم وفي معظم بلدان العالم الان

وذهبوا إلى المشرق

وبومئذ تولى قيادة الجزائر للمرة الثانية القائد رمضان فحاول من اول مرة الزام قرصان الجزائر برد المركبين الفرنسيين الذين استولى القرصان عليهم منذ سنة ١٥٧٣ هـ ١٩٨١ م فلم ينجح في ذلك بل احدث صنيعه هذا ضجة وثورة عنيفة ضدة فاضطر إلى التخلص عن منصبه وذهب إلى طرابلس حيث اغتيل هناك وتولى مكانه في هذه الفترة بالجزائر مامى الارناؤوط مؤسس المركب الذي كان يحمل الكاتب الإسباني الكبير ميكال سيرفانطيس في سنة ١٥٨٠ هـ ١٩٨٨ م

ولاية حسن فنزيانو (ثانية)

ثم بعد انتقال القائد رمضان إلى طرابلس اتخد القوم المسمى يونس رئيساً حضر من غزواته البحرية الرئيس حسن فنزيانو الذي بادر إلى عودته للجزائر حينما بلغه انتشار الفوضى واضطراـب الجنـد لـحـادـثـةـ المـركـبـينـ الفـرنـسيـينـ فـنصـبـ نـفـسـهـ عـلـىـ عـرـشـ الـجـازـائـرـ لـلـمـرـةـ الثـانـيـةـ وـفـرـضـ طـاعـتـهـ عـلـىـ الرـعـيـةـ وـذـكـرـهـ فـيـ شـهـرـ رـبـيعـ الثـانـيـ سـنـةـ ١٩٩١ـ (افـرـيلـ ١٥٨٣ـ مـ)ـ وـلـمـ يـعـارـضـ السـابـ العـالـىـ تـولـيـتـهـ هـذـهـ ذـلـكـ لـمـ كـانـ لـهـ مـنـ فـضـلـ فـيـ حـسـمـ الـخـلـافـ وـاطـفـاءـ لـهـيـبـ نـارـ الـقـنـ

واسـتـبابـ الـامـنـ بـالـجـازـائـرـ

ولقد باشر الوالي دفة تسليم الادارة الجزائرية هذه المرة بما عهد منه من النشاط والحرز ، فإنه لم يترك قط قيادة الاسطول الجزائري لغيره ولم يكن ليشق في المهمات بغیره أبداً، وكثرت في أيامه المغامن بما كانت تجلبه السفن والمراكب الجزائرية من سواحل إسبانيا والجزر الشرقية وصقلية وسردانية من النفائس وبما كان يستولي عليه هو بنفسه من الاسرى وخירות البلاد في غزوتها وزحوفه على الأعداء

ومن أشهر غاراته وأهمها حملته العنيفة على ثغر بلنسية (١٥٨٤ هـ ٩٩٢ م) حيث ابحر بسطوله إلى هناك وحمل من الموريسكيين (١) الفي وثلاثمائة نسمة جاء بها إلى الجزائر فاقذها من أضطهاد الإسبان وفي السنة التالية استطاعت سفنه المغيرة أيضاً أن تحمل إلى الجزائر جميع سكان كالوسا. ولقد بلغت غارات المسلمين البحريّة التي وقعت على الشواطئ الإسبانية ما بين ستين (٩٣٣) و (٩٩٢ هـ ١٥٢٨-١٥٨٤ م) ثلاثة وثلاثين غزواً ما عدا الغارات المحليّة التي كانت تقوم بها سفن صغيرة تحمل جماعات من العرب المُنتصرين المهاجرين.

وبقي حسن فنزيانو على رأس الحكومة الجزائرية إلى أن استدعاه السلطان إلى استانبول ليتولى منصب أمارة البحر في مكان عاج على المتوفى سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧ م) عن ثمانين سنة؛ فانتقل الحاكم فنزيانو إلى استانبول في شعبان سنة ٩٩٣ هـ «أوْط ١٥٨٥ م» وترك من آثاره بالعاصمة حصن باب عزون أنشأه حوالي سنة ٩٨٩-٩٩٣ هـ (١٥٨١-١٥٨٤ م) وتولى مكانه مؤقتاً محمد مامي عتيق المعروف بقارج علي، وبانتقال حسن فنزيانو انتهى دور حكومة السيلرباي وهو الدور الثاني من عصر الاتراك بالجزائر.

(١) أصلها Moriscos وهي تصغير لكلمة Moors الإسبانية ومعناها المسلمين أو العرب الأصغر المُنتصرون رمزًا إلى ما انتهت إليه الأمة الاندلسية من السقوط والاحتلال. انظر نهاية الاندلس لـ محمد عبد الله عنان ط القاهرة ١٩٤٩ م

بیلوبایات الجزائر

تاریخ التولیة

م ١٥٤٤ - ٥٩٥٠	بیلربای	حسن باشا بن خیر الدین
م ١٥٥١ - ٥٩٥٨	»	حسن آغا - موقتا -
م ١٥٥٢ - ٥٩٥٩	»	صالح رایس
م ١٥٥٦ - ٥٩٦٣	»	حسن قورصو
م ١٥٥٧ - ٥٩٦٤	»	حسن باشا بن خیر الدین (ثانية)
م ١٥٦٢ - ٥٩٦٩	»	احمد باشا بستانجی
» »	»	القائد یحیی - موقتا -
» »	حسن باشا بن خیر الدین (ثالثا) بیلربای	محمد بن صالح رایس
م ١٥٦٧ - ٥٩٧٤	»	علیج علی
م ١٥٦٨ - ٥٩٧٦	»	احمد عراب
م ١٥٧٢ - ٥٩٧٩	»	القائد رمضان
م ١٥٧٤ - ٥٩٨١	»	حسن فنزیانو
م ١٥٧٧ - ٥٩٨٥	»	جعفر باشا
م ١٥٨٠ - ٥٩٨٨	»	القائد رمضان - موقتا -
م ١٥٨٢ - ٥٩٩٠	»	مامی الارناؤوط
» »	»	حسن فنزیانو (ثانية)
م ١٥٨٣ - ٥٩٩١	»	محمد مامی عتیق - موقتا -
م ١٥٨٥ - ٥٩٩٣	»	

سلاطين آل عثمان

تاریخ التولیة

م ١٥٢٠ - ٩٢٦

السلطان الغازى سليمان خان

م ١٥٦٦ - ٩٧٤

السلطان الغازى سليمير خان - الثاني -

م ١٥٧٤ - ٩٨٢

السلطان الغازى مراد خان - الثالث -

مشـاهـيـرـ الـجـزـائـرـ يـينـ

عـمـرـ بـنـ الـكـمـادـ

١٥٥٣ مـ ٩٦٠

هو العالم المحقق الشيخ ابو حفص عمر بن محمد الکماد الانصارى القسنطينى المعروف بالوزان اشتهر رحمة الله بتحرير المسائل والتحقيق في دروسه عند الالقاء و كان جاماًعاً مشاركاً في العلوم الاسلامية معقولها و منقولها ذكره صاحب نيل الابتهاج نقل عن فهرست المذجور فاشنی عليه وقال : انه كان من عباد الله الصالحين ، رحل اليه الشيخ ابو زكرياء يحيى بن عمر السزاوى و سمعه يقرر الفقه بنقل الایخى وغيره ويقرئ الفتنون فكان اذا ذكره يعجب به و يعجب ويرجحه على كل علماء عصره و سأله عن مسائل كثيرة في الفقه والكلام فاجابه الشيخ عنها بتأليف خاص

و كان فيمن اخذ عنه جماعة منها الميسيني ، عبد الكريما الفكون ، ابو الطيب البشـرىـ وـ يـحيـىـ بـنـ سـلـيمـانـ ،

ولقد عرض عليه حاكم الجزائر حسن آغا خطبة القضاة فاعتقذر اليه برسالة طويلة فأعفاه .
وله من المؤلفات كتاب «البضاعة المجزاة» كتبه على اسلوب طوال البيضاوي و مواقف العضد . وهو في غاية التحقيق والايضاح ، وله تعليق على قول خليل «و خصت نية الحالف» و شرح لصغرى السنوسى و تأليف في الرد على امرابط عرق الفقير اوني و صحيحه قال في نيل الابتهاج : و اخبرني بعض اصحابنا ان وفاته رحمة الله كانت سنة ١٥٥٣ مـ «١٥٥٣ مـ» ، و ذكر غيره ان وفاته ابن الکماد كانت يوم ٢١ شعبان ٩٦٠ جوان ١٥٥٨ مـ و دفن بمدرسة صهورة الشيخ ابن افوناس على يمين الذاهب الى باب الوادى من مدينة قسنطينة ، ولا وجود اليوم لهذه المدرسة حيث حطمت بعد الاحتلال

محمد الخروبي

١٥٥٦ هـ - م ٩٦٣

هو الامام المتصنع ابو عبدالله محمد بن علي الخروبي صدر علماه الجزائر في الدور الثاني من العهد التركي ، اصله من طرابلس الغرب كان رحمة الله متمنكا من علوم الشرعية والتصوف متبحرا في معرفة احوال الدول والملوك ذا دراية واسعة بسياسة الملوك وخبرة تامة بشؤون الحكومات عالما اديبا بلسان القلم واللسان خطيبا مصقعا ، شجاعا هاما شديد النكير على اهل البدع والضلالات لا تأخذ في الله لومة لائم ، ذاجلا ووجاهة عظيمة عند الملوك والسلطانين او فدته حكومة الجزائر مرتب الى المقرب الاقصى لتسوية قضية الحدود السياسية بين الملكيتين الاولى سنة ٩٥٩ هـ والثانية سنة ٩٦١ هـ «١٥٥٤-١٥٥٢ م» فاقبليتها حكومة مراكش بما يليق بجلال فضله واكرمه وفداده وجرت له هناك مع علماء المغرب مساجلات ومناظرات واستجاجاته بعضهم فأجازه بسنه وكان رحمة الله ذا ولوع خاص بجمع الكتب النافية حتى أصبحت مكتبة العاملة مضرب الامثال بين العلماء وله من التأليف تفسير القرآن الكريم وشرح الحكم العطائية ورسالة في الرد على ابن عمر القسطلي وغير ذلك توفي بعاصمة الجزائر سنة ٩٦٣ هـ «١٥٥٦ م» ودفن خارج سور المدينة وقبره الان مجهول.

علی بن یحیی الجادیری

١٥٦٥ م - ٥٩٧٢

هو العلامة الفقيه الخطيب ابو الحسن علی بن یحیی السلكسینی الجادیری التلمسانی كان رحمة الله اماماً محققاً ذا دراية فائقة في علوم الحساب والفرائض وعلم الكلام والمفهوم وفن الرسم وضبط القرآن وتفسيره : اخذ عن جماعة منهم الشيخ احمد بن ملوكة الندرومي وشقرون بن ابی جمعة ومحمد بن موسى الوجديجي والشيخ عيسى الخ....

كان رحمة الله مقتلاً خاشعاً يضل نهاره صائمًا منقطعًا لنشر العلم وتدریسها بجامع اجادير في تلمسان حيث كان اماماً خطيباً به فكان لا يفتر عن الدرس ابداً فهو في الصباح يقرئ في المسجد المذكور الى الضحى الاعلى ثم يخرج من المسجد راكباً دابته الى حقله بوادي الصفصيف فيراقبونه الطلبة الى الحقل وهم في طريقهم ذلك يستفيدون منه ما يملئون عليهم من مسائل العلم والحكمة ثم اذا وصل الى الحقل نزل عن دابته وافرغ السرجين بنفسه ونزع البردعة عن دابته ويربطها بيده ولا يترك ذلك لاحداً ابداً ثم يأخذ الفاس ويباشر اعمال الفلاحية والزراعة وهو مع ذلك مشغولاً بتقديم مسائل العلم للطلبة وشرح ما يقرأه عليه القاريء من المتون وهكذا دأبه دائمًا وابداً فـإذا عاد من حقله فـذلك يصنع وهو يمشي معهم راكباً او راجلاً قائماً او قاعداً فلا يفتر عن الدرس اصلاً وـإذا حضر وقت الصلاة قام الى الاذان وفي طريقه اليه يذهب معه القاريء ويطلع معه في الصومعة فيقرأه في طرقه ذهاباً واياباً ويؤذن الشيخ بنفسه ليخرج من الخلاف في اجرة الامام

تخرج عنه جماعة منهم ولده عاشور، ومحمد الادغم، واحمد ابركان الزكوطى وعلى العطافى، واحمد بن الحاج البيدرى؛ واحمد اعراب بن سهلة الراشدى،

ومحمد بن العباس العبادي، وموسى بن ابي عمران، ومحمد بن جوهرة الوجدي
وسعيد المقرى ، وعبد الرحمن بن موسى ، في آخرين .
توفي رحمه الله في اليوم الثاني والعشر من شهر رجب سنة ٩٧٢ هـ
(٢٣ فيفري ١٥٦٥ م)

مصطفى باش تارزى

١٥٧٢ - ٥٩٨٠ م

هو العالم الفقيه الشیخ مصطفی بن العارف بالله سیدی عبد الرحمن باش تارزی
القسطنطینی ، كان رحمة الله اعجوبة زمانه في الفقه والحفظ والسوء والتدين
وحيدا في معرفة الفلك شاعراً حميداً ولـ فتوی الحنفیة بـقسطنطینیہ ثم القضاء
ثم الخطابة بـجامـع سوق الغزل ثم بـجامـع القصبة ثم بـسیدی الـکـانـی لـ تـآـلـیـفـ
تفییـهـ منها تـحریرـ المـقالـ فـیـ جـواـزـ الـاتـنـقاـلـ وـرـسـالـةـ فـیـ وـقـفـ الحـنـفـیـةـ . وـشـرـحـ
منـظـوـمـةـ الشـیـخـ عـبـدـ الرـحـمـنـ فـیـ الحـسـابـ مـقـتـصـراـ فـیـهاـ عـلـىـ الـعـمـلـ دونـ تـعرـضـ لـشـرـحـ
کـلامـ اـمـتنـ ، تـوفـیـ رـحـمـهـ اللهـ سـنـةـ ١٥٧٢ـ [٥٩٨٠ـ] تـرـجـمـ لهـ بـلـدـیـهـ الشـیـخـ عـبـدـ
الـکـرـیـمـ الـفـکـوـنـ فـیـ کـتـابـهـ مـنـشـورـ الـهـدـایـةـ فـیـ کـشـفـ حـالـ مـنـ اـدـعـیـ الـعـلـمـ وـالـوـلـایـةـ .
وـخـلاـصـةـ تـرـجـمـتـهـ هـوـ ماـ قـدـمـنـاهـ .

جدول تاریخي

٩٩٥ - ٩٥٠ هـ

١٥٨٧ - ١٥٤٤ م

تاریخ الحوادث	الحوادث
١٥٤٤ هـ ٩٥٠ م	ولایة حسن باشا بن خیر الدين بيلرباي على الجزائر
١٥٤٥ هـ ٩٥٢ م	غزو تلمسان والقضاء على السلطان مولاي احمد وحاميته من الاسبان
١٥٤٨ هـ ٩٥٥ م	احداث بليلك - مقاطعة - تيطري وتولية اول البايات بها
١٥٥٠ هـ ٩٥٧ م	استيلاء دولة السعديين على تلمسان واحوازها ؛ وانشاء مدينة القليعة بالساحل الجزائري - غربا -
١٥٥٤ هـ ٩٦١ م	غزو الاتراك لمدينة فاس وتولية ابى حسون الوطاسي عليهما والحق تلمسان بالجزائر
١٥٥٥ هـ ٩٦٢ م	تمكن الاتراك من الاستيلاء على اهم مدن عمالة قسنطينة وبجاية
١٥٥٦ هـ ٩٦٣ م	استيلاء الدولة السعدية على تلمسان ثانية وانتشار الوباء بالجزائر
١٥٥٧ هـ ٩٦٤ م	انتصار حسن بن خير الدين على السعديين وايقاعه بالاسبان في وقعة مازغران
١٥٥٩ هـ ٩٦٦ م	غزو حسن باشا لنواحي قلعة بنى عباس والمسيلة
١٥٦١ هـ ٩٦٨ م	تملك احمد امقران على نواحي جبل كوكو من بلاد القبائل
١٥٦١ هـ ٩٦٨ م	ظهور شركة لانش Lenche الفرنسية لتأسيس مراكمز صيد المرجان بالسواحل الجزائرية
١٥٦٢ هـ ٩٦٩ م	تقسيم القطر الجزائري الى اربع مقاطعات
١٥٦٧ هـ ٩٧٥ م	انهزام جان جاسكون الاسپاني عن مدينة الجزائر وخطيته

تاریخ الحوادث	اهم الحوادث
١٥٦٨ هـ	مزاحمة الانكليز لشركة صيد المرجان الفرنسية بالساحلالجزائري
١٥٦٩ هـ	مفاوضات فرنسا للحكومة الجزائرية حول فتح قنصلية لها بالجزائر
١٥٧٠ م	امتلاك تونس
١٥٧٥ هـ	سير الحامية التركية الى حماية عبد الملك بن الشيخ بفاس
١٥٧٨ هـ	انضمام مملكتة مراكش الى الامبراطورية العثمانية
١٥٧٩ هـ	اول تعاقد تجاري وقم بين حكومة الجزائر والانكليز
١٥٨٠ هـ	تعيين اول قنصل فرنسي بالجزائر
١٥٨٤ هـ	مجيء الجالية الاندلسية المهاجرة من بلنسية وفالوس الى الجزائر

«ج» عصر البشاوات

٩٩٥ - ١٠٦٩ هـ

١٥٨٧ - ١٦٥٦ م

وقد في هذه السنة تغيير في سياسة الدولة العثمانية نحو ولاية الجزائر فاقتضى ذلك حذف لقب البيلرباي الذي كان يحمله حاكم الجزائر وصار يلقب بالباشا^(١) وحددت مدة ولايته بثلاث سنوات وشاركت في نفوذ الوجاق، او قوة الجيش مع الديوان، وكان أول باشاوات الجزائر دالي أحمد باشا
ولاية دالي أحمد باشا

تولى سنة ٥٩٩٥ - ١٥٨٧م ولا نكاد نعلم عن تاريخ أيام حكمه شيئاً سوى انه ذهب على رأس بعثة عسكرية الى طرابلس الغرب لاخضاع شوكتة الثائرين هناك فكان فيها حتفه وذلك بعد ستين من ولايته ٥٩٩٨ - ١٥٨٩م



ولاية خضر باشا

استلم منصب باشا الجزائر في شهر شوال ٥٩٩٧هـ او ط ١٥٨٩م ، وكان من كبار رجال القرصنة الجزائرية؛ نشاطاً في سائر حركاته وغزواته البحريّة عاملاً على تنشيط غيره في ذلك، ولم يؤثر عنه – فيما علمناه – كبير عمل في ولايته هذه المرة سوى غزوة لاعمال مجازة الخاضعة لاحمد امقران فقضى على الثائرين هناك واحتل المدينة سنة ٥٩٩٨هـ - ١٥٩٠م ثم اندفع بامر السلطان العثماني لغزو اسطول مرسيليا المتمرد على ملوك فرانسيا حليف تركية اذ داك

(١) اصل هذه الكلمة جزء من باشن آغا ومعناها رئيس الرؤساء ويطلق على ارباب الاقلام والسيف في مراتب معينة من نظام الجنديّة ثم توسعوا فيه بعد ذلك وصار يمنح للقب شرف للمدنيين

وفي نفس السنة هذة تحرّكَت زوّعة بحرية هو جاء فتح حطم لهبوبها اسطول
الجزائر الراسى بغز العاصمة ؛
واحيط البشا بتهم سراسية لاندرى مكانها من الصحة فقضت على
سمعته لدى الباب العالى فاستدعاه السلطان الى استانبول فحمل اليها مكبلاً في
الاغلال سنة ١٥٩٩ م - ٥٩٩٩



ولاية الحاج شعبان باشا

هو شعبان بن يحيى تأمر على الجزائر في ذى القعدة سنة ١٥٩٩ هـ - او ط
١٥٩١، وفي ايامه اشتد لهيب الثورة ببلاد زواوة فانتشر اوارها غرباً وجنوباً
الى ان كاد يتصل بقاعدة ولاية تيطري، واجتهد البشا في احمداده فلم يحصل
على طائل،
وفي ايامه تعين القنصل الفرنسي دوفيس بالعاصمة ثم جاء دور الانكليزى

بعدة



ولاية مصطفى باشا

هو مصطفى بن قية باشا تولى الحكم بالجزائر في شهر ربيع الاول سنة
١٤٠٣ هـ - نوفمبر ١٥٩٤ م حاول اطفاء هيجان الثورة القبائلية التي نشبت على
عهد سلفه شعبان باشا فلم ينجح بل انتشر لهبوبها واندلع لسانها الى متى بحثة غرباً
وما وسعه في ذلك سوى اقامة حصن بسور الغزلان (١) لمقاومة من هنالك من العصاة
وقمع الحركة الثورية تلك النواحي ويومئذ دعى الى استانبول فخادر الجزائر
ثم اعيد اليها فحكم بها ثلاثة اشهر ثم تخلى عنها

[١] اصل الكلمة هذه لاتينية وينطق بها هكذا «أورزا» تم حرفت الى ما هي عليه الآن

ولاية خضر باشا (ثانياً)

تولى على رأس الحكومة الجزائرية للمرة الثانية في ذي الحجة سنة ١٠٠٣ هـ اوط ١٥٩٥ م وكانت ايامه كاها فتن و ثراث و ~~كثير~~ حوله الاضداد والخصوم؛ فيجمع اليه الباشا الكراجلة والاعراب ويؤمند نشأ التنافس بين هؤلاء والاتراك واشتد هيجان الشعب واضطرباه وتصدى الباشا لمقاومة المنشقين والمتمردين وكثي الشغب فعزل الباشا خضر من سنته وجئ بـ سالفه مصطفى فمكث اياما قليلة ثم انعزل

ولاية دالي حسن باشا

تولى باشوية الجزائر سنة ١٠٠٧ هـ ١٥٩٩ م وكان يكنى ابا ديشة وذكر بعضهم ان المتولى يومئذ على عرش الجزائر هو مصطفى جاقرجي باشى ثم جاء بعده ابو رشيد ؟ ... وال الصحيح هو ما ذكرناه بدليل ما اورده صاحب البستان في ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن موسى التلمساني المتوفى سنة ١٠١١ هـ حيث قال : وهذه الآيات الآتية نظمها - المترجم - عند هدم الباشا حسن حصن المرسى الاعلى - بوهران - وهران النصارى دمرهم الله للحصن الاسفل وهى هذه :

هنيئا لك باشا الجزائر والغرب	بفتح اساس الكفر مرسي قرى الكلب
ستفتح وهرانا ومرساتها التي	اضرت بذا الاقليم طرا بلا ريب
فتق بالله واستعن به واصبرن	ينالك المراد يا اميري ومطلبى
وقد وعد الرحمن جل جلاله	مع العسر يسر قد اتي ذاك في الكتب
وبعد ان اتي على القصيدة برمتها قال : وكان دخول المسلمين هذا الحصن ليلة	
السبت خمسة عشر من رمضان عام ١٠٠٧ هـ (١٣ افريل ١٥٩٩) وذلك هو نفس	
تاریخ ولاية دالي حسن باشا على الجزائر	

طموح الغرب نحو المغرب العربي

جاء في مشروع لوتسيو الإيطالي الذي حررها أو قررها على رأس القرن السادس عشر الميلادي أن ملك الأسبان يمكنه أن يصلى الحرب في إفريقيا ويطرد الترك منها ، وله الحق في الاستيلاء عليها ، وأنه يجب على البابا أن يجهز الاساطيل لمحاربة الترك في البحر . ولا ادرى والله من أين اكتسب الكاتب هذه السلطة أو السلطة التي أوحى اليه باصدار أمره إلى الملوك والبابوات بالغزو وشن الغارات والحروب ضد المسلمين ؟ ولا كيف أعطى لهم الحق في ذلك ؟ ... اللهم الا ان يقال ان ذلك عن تعصب وحمية فيتحمل !



ولاية سليمان باشا

هو سليمان بن قاطانيا ويعرف بالعلبي ، تولى على الجزائر سنة ٩١٠٠ هـ ١٦٠١م واظهر الاحداث في دولته هو ذلك الانقلاب العسكري الناشئ عن طغيان حيش الانكشارية ومحاولتهم الاستبداد بتعيين رئيس الحكومة الجزائرية من بينهم فاصبحت عندئذ سطوة السلطان العثماني ضئيلة جدا بهذه الديار ، وذلك ما يشبه عصر الفوضى في التاريخ الروماني (١٩٢ - ١٢٧٠) حيث تدخل الجندي في اسناد الامبراطورية الرومانية لمن وافق هواه ؛ والتاريخ يعيد نفسه.

ومما كان في ايام هذا البشا اخفاق الأسبان في حملتهم على الجزائر (٩١٠٩ هـ ١٦٠١م) وهم في سبعين سفينة وعشرة آلاف جندي . أو ما وقع كذلك من تكرار المحاربة بين احمد امقران سيد مجاهة وحيوش البشا بنواحي حمزة والساحل الجزائري وفيها كانت وفاة احمد امقران بجمعة الصهريج من بلاد زواوة فيخلفه ولده ناصر

ولقد حدث خلال الستينيات التالية من تاريخ ولاية البشا سليمان زلازال وطوابع اعقبها جفاف ومسحة شديدة وبلغ ما كان ذلك في اعمال قسنطينة

ولاية خضر باشا (ثالثا)

عاد الخضر ملتصبه هذا بالجزائر للمرة الثالثة سنة ١٤٠١١ - ١٨٠٣م ويؤرخه الأفرنج بشهر ماي عام ١٨٠٤م واستعمل الشدة والقسوة في معاملته للرعية، وكانت بينه وبين الحكومة الفرنسية عداوة منشأها تخلف فرنسا عن دفع ماتركب بذمتها من الانتهاك والواجبات في مقابلة مراكيزها التجارية بالسواحل الجزائرية وما ارتكبته كذلك من المخالفات لنصوص المعاهدة السابقة الذكر، فاظلم الخجو بينهما وحدثت عن ذلك مشاكل واحاديث سياسية فعمد البشا إلى تحطيم المركز الفرنسي بالقالة والقاء القبض على القنصل الفرنسي المتصرف هناك ولم يكن ليسمح البشا بالغفو عنه الا بعد قبضه لضمان مالي جسيم.

ويومئذ سعت فرنسا في اخذ تعويضات عن ذلك من طرف الباب العالي بستانبول، واتصل البشا بالبلجيق فصرفه إلى القرصنة، فعزله السلطان من سنته وبعث مكانه محمد قوصة - او كوسه - باشا

ولاية محمد قوصة باشا

كانت ولايته سنة ١٤٠١١ - ١٨٠٣م وأول ما قام به من الاعمال هو ان قبض على سلفه البشا خضر فقتله ختفا (١) وصدر جميع امواله وممتلكاته وابرم مع الحكومة الفرنسية معاهدة يملخص مضمونها في هذه البنود الاربعة :

البند الاول : تأمين المراكب الفرنسية من القرصنة الجزائرية في كامل البحر الايضاً المتوسط

البند الثاني : تحمل الحكومة الجزائرية لضمان ما عسى ان يقع لهنـه المراكب من العطب والخسائر من قبل القرصنة

(١) لايزال قبره ظاهراً معروفاً بمقدمة سيدى عبد الرحمن التماعنـى بالعاصمة

البند الثالث : عتق جميع الاسرى الفرنسيين
 البند الرابع : اقامة مركز القالة واعادته من جديد
 ولذن هذه المعاهدة لم يرض عنها الديوان فاحدث لذلك ضجة في الاوساط
 الجزائرية المسئولة وامتنع اعضاء الحكومة وابرز الشخصيات الحاكمة من المصادقة
 عليها وهدد البشا بالقتل وباغ ذلك آذان السلطان بالاستانة فأوفد من طرفه مأذونا
 لحماية البشا وتجزىء المعاهدة فاصر الديوان على الرفض ولم يلبث البشا ان توفي
 ولم يبلغنا عن تاريخ هذا البشا بالجزائر سوى ما قدمناه او ما كان من رده
 لغارة الاسبان عن مدينة زفون بالساحل



ولاية قوصة مصطفى القااجي

تولى باشوية الجزائر في شهر ذى الحجة سنة ١٠١٣ هـ - افريل ١٦٥٥ وسعى بكل مجدهاته في تطبيق نص المعاهدة السالفة الذكر فعارضه الديوان بسبب ماظهر على حكومة فرنسا يومئذ من التهاون بالشروط التي هي في مصالح الجزائر واخيرا رضخ الديوان لرأي البشا الجديد امتناعا لامر السلطان وقبل تنفيذ المعاهدة وتطبيقاتها على ان يكون الاعتراف بها ودخولهما في حيز التنفيذ بعد ان لا يبقى من اسرى المسلمين الذين هم بمرسيليا تحت تصرف الفرنسيين احد فكان ما اراد

وحدث في السنة التالية من ولاية القااجي هذا (١٤) (٥١٠٦ هـ ١٠١٤)

«١» ان من اعظم احداث هذا العصر وارهاصاته المتقدمة بين يدي تهقر آل عثمان افت اعقدت في هذه السنة بين الدولة العثمانية والفرنسا معاهدة «Sitvolorok» فنزلت تركية بحسبها عن قبض الجزيره او الاٰواه السنويه التي كانت تدفعها لها النمسا ، وهي ثلاثة الف دوكه واكتفت بقبض مائتي الف ريال غرامه حربيه وكان من خصائص هذه المعاهدة ان الدول المسيحيه امكنها ان تناقش الدوله العثمانيه في كيفية تحريم الصكوك والمعاهدات وقبل ذلك كانت الدوله تملئ مثل هذه المعاهدات باللغه التركيه وتبلغها اعداءها وكان عليهم ان لا يرجعوا فيها

اذ حارب الاسپان اهالی عمالقة و هر ان فاستجدهم هؤلاء بباشا الجزائر فانجدهم بالحامية فاخفقت وضاع من الجيش نحو ثلاثة ارباع، ولكن البشا نجح في اخضاع من هناك من الشوار، ويدرك ان عاقبتة كانت في السجن بسبب تصليبه في تنجيز المعاهدة مم فرانسا؛ وفي السنة هذه ظهر الوباء بالعاصمة



ولاية رضوان باشا

كnight ابو نعيم رضوان بن عبد الله وهو من مماليك رمضان باشا، تقلد منصبه هذا بالجزائر في شهر صفر سنة ١٦٠٧ م - مای ١٦١٦ م
واشهر الاحداث في ايامه غزوة الطوسكان (١) وحملتهم على مدينة بونة
انتقاما لما قام به الاتراك من قبل في ليفورنيا فنزلوا بميناء عنابة فنهبوها وسلبوا
ارزاقها واحتلوا المدينة ايضا فغنموا اماها من مغانم كثيرة ثم اذروا عنها، وفي هذه
الوقعة كان استشهاد والي قسنطينة محمد بن فرحت الذي جاء من جدا
كما انه حدث في ايام هذا البشا وحشة بين الحكومة الجزائرية وفرانسا بسبب
مدفعين من الفولاذ كانا تحت القرصان المفلمنكي المدعى سيمون دانزير يعمل
بها لفائدة الجزائر فقر بهما يوما الى فرانسا وقدمهما امامه هدية لاحظ كبار ولاة
فرانسا وهو الدوك دوكينز، فغضب لذلك ديوان الجزائر ورفع قضيته الى حكام
فرانسا مطالبا باسترداد المدفعين المذكورين، فأهملت القضية ورفض النصارى
الاصغاء الى هذه الدعوى ويومئذ اعلنت حكومة الجزائر قطع العلاقات بينها وبين
فرانسا ولغت معاهدة احترام مراكبها في البحار وشرعت حينئذ في شن غاراتها
ضد السواحل الفرنسية فظفرت منها بغنائم اربت على نحو مليون ليرة
وثارت فرانسا من الجزائر بتنظيم غزاة شنته على ميناء مدينة بشكك
- بين شرشال وتونس - فحيطمتها ثم ذهبت شرقا الى شواطئ حيجل وهناك

«١» امارة بوسط بلاد ايطاليا

قذفتها المدافن الجزائرية بقنابلها فاستجابت الحملة الفرنسية الى ليفورنيا

ولاية قوصة مصطفى « ثانيا »

عاد هذا البشا الى منصبه للمرة الثانية بظهوره من الدولة العالية مؤرخ في جمادى الثانية سنة ١٤١٩ هـ - اوط ١٦١٠، وفي ايامه هذه اشتهرت البحريمة الجزائرية بشدة الشكيمة وقوة الباس، فجاء يومئذ الانكليز ومعهم الهولانديون والاسبان فغزوا الجميع تونس ثم عرجوا على السواحل الجزائرية فدمروا منها نواحي حيجل وخربوها

ثم بعد سنة من ولاية هذا البشا ظهر الوباء بالجزائر فقتلك بعدد وافر من الانفس، وفيها كان تأسيس المسجد الجامع بمدينة القليعة الساحلية (١٤٢٠ هـ ١٦١١) ثم انت لا نعلم بعد هذا من مهم امر حوادث هذا البشا سوى وقوفه في وجه ثوار زواوة فأخضوه ونشره الامين في البلاد واخيراً تخلى عن منصبه لابن أخيه مصطفى باشا قتولي مكانه يوم ٢٦ جمادى الثانية عام ١٤٢٠ هـ سبتمبر ١٦١١

ولاية حسين الشيخ باشا

كانت ولايته سنة ١٤٢٢ هـ - ١٦١٣ م وعلى عهده كان ذلك الخلاف المشهور بين حكومة تونس والجزائر في شان الحدود فكان هناك قتال بين الطرفين انتصر فيه الجزائريون ثم وقع الاتفاق من الجانبين على جعل نهر سراط هو الحد الفاصل للتخيوم الجزائرية الشرقية

وبسعى هذا البشا اوقع عتق ~~شیر~~ من الاسرى المسلمين الذين هم بفرازها، واظهرت الدولة الفرنسية يومئذ تقربا من ~~حك~~ومة الجزائرية فاستجابت لعقد الاسرى ولم تشترط في مقابلة ذلك سوى تامين مراكبها

واحترام اهلها، ثم نقضت غزلها واحتلتها فأبطلت المفاوضات وتعطل المشروع وجاء اسطول الدوك دو كيز فانتهت من الجزائر مائة اسیر وتخلى البشا المذكور عن منصبه فتولى مكانه مصطفى خزناجي حسين سنة ١٤١٦ هـ ١٩٣٥ ولكن لا يعلم عن سيرته شيء



ولاية سليمان قاطانيا باشا

الظاهر ان اصله من مدينة «قطانيا» بصفلية وكان تعيينه لمنصبه هذا بالجزائر في اليوم الثاني من شهر رمضان المعظم سنة ١٤١٧ هـ - ٣ سبتمبر ١٩٣٦م وفي ايامه تظاهرت الدولة الغرانية بمظاهر الصداقة للجزائر واحتلت في مصانعها البشا وجاءت بعقد طائفة من الاسرى كتكفير لما سلف منها من المخالفات فصانعها البشا باملئل، وال Herb خدعة ...

حتى اذا اكتمل نزول الاسرى بمدينة الجزائر انبرى الاتراك حينئذ الى مهاجمة مركز القالة الفرنسي فهدموا انتقاما لما سبق من فرنسا حتى لم يبقوا فيه حجرا على حجر واستعبدوا اهلها

وفي ايام سليمان هذا بلغت اساطيل الجزائر بقيادة مراد راييس الى جزيرة مادير بالحيط الاطلنطيكي بل والى شواطئ جزيرة ايزلاندة باعلى الشمال ثم كانت وفاة البشا يوم الاربعاء ودفن يوم الخميس ١ جمادى الثانية سنة ١٤١٨ هـ - فاتح جوان ١٩٣٧



ولاية حسين الشيخ باشا (ثانيا)

اعيد اليه زمام الحكومة الجزائرية للمرة الثانية عصر يوم الاربعاء ٢٩ رمضان سنة ١٤٢٥ هـ ١٩٠٢م فاشتعل اولا باخمام دنار الفتنة والاضطرابات الداخلية واعادة الهدوء والدعة للبلاد، وبعد ستين من ولايته كانت حادثة تحطم الاسطول

الجزائري المرا بط شعر العاصمة بسبب زوبعة بحرية شديدة ذهبت ضحيتها المئات وفي أوائل رمضان سنة ١٤٢٩ هـ - ٨ اوكتوبر ١٩٠٢ م ظهر في الميدان السياسي من سعي من تجاه فرنسا في رأب الصدع ونشر الوئام بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية وعمل على استرجاع المدفعين السالفي الذكر إلى الجزائر مع من وجدهنالك في بلاد الشعور الفرنسي من أسرى المسلمين فانشرح لذلك صدر البشا واحد هو بدوره يعمل على تحرير أسرى الفرنسيين وأوفد سنان آغا مبعوثاً مفوضاً إلى فرنسا وكممثل لحكومة الجزائر لدى البابط الملكي هناك، وما كادت الاتهامات تتم بين الطرفين حتى احاط بها الريب والشك وداهمتها اشاعات وقلائق زائفة مضمونها أن أحد قرصنان الجزائر - رجب رئيس - قد استحوذ على سفينة فرنسية بخليج مدينة ليون فحطمتها وفتح بها باصحابها.

ورغم بطلان هذه الاشاعة المزورة فإن الجو الفرنسي تكهرب واظهر اهل مرسيليا عداوتهم للجزائريين بتحطيم مفوضية الدولة التركية بمرسيليا وقتل اهلها بما فيهم من السفير سنان آغا نفسه، ولكن العدالة الفرنسية ساءها ذلك فلم تكن ترضى عن هذا الاعتداء الشنيع فحاكمت شرذمة ممن شاركوا في هذه العملية الاتية وساقت اربعة عشر منهم إلى المشنقة، غير أن الجزائريين راعهم ما فعله أهل مرسيليا بالعقوبة التركية وعظم عليهم موت ممثل حلوة الجزائر هكذا غدوا مجرد فريسة وبهتان فاعلنوا حرب القرصنة ضد المراكب الفرنسية واطلقوا العنوان للقرصنان في القاء القبض عليهما اينما حللت وارتاحت واسر يومئذ جميع الفرنسيين الذين وجدوا بالجزائر.

وعادت العدالة جذعة وانقطعت العلاقة بين الطرفين.

ثم اعتزل البشا حسن الحكم سنة ١٤٢٨ هـ - ١٩١٩ م وحل محله موقتاً البشا سليمان ويقال ان المستخالف هو خسراف باشا تأمر يوم الاحد ٢٦ شعبان ١٩٠٥ من هذه السنة؟... وكلاهما لاعلام عنه شيئاً؟...

ولاية خضر باشا

قيل انه هو نفسه خضر باشا السالف الذكر وانه تولى الحكم بالجزائر اربع مرات ؟ ... فان صبح ذلك فيكون تاريخ موته غير ما ذكرناه سلفا ؟ ...
وايا ما كان فان الخضر هذا تولى عرش الجزائر سنة ١٦٢٩ هـ - ٥١٢٩ م
فناهضته دولة فرنسا فقاومها وكسر شوكتها ، ثم اعادت عليه الكرة حتى
تمكنت من رغبتها باقامة وانشاء مركز تجاري لها بالقلالة وانزلات به الحامية ، ولم
يكن ليستقر به الفرانيسيون حتى حمل عليه الاتراك فخطموه وقضوا على من
كان به من الجند والحماية.

وفي صفر ١٠٣٠ هـ - ديسمبر ١٦٢٠ م جاء الاميرال الانكليزي «مانصيل» الى
الجزائر يحمل امر ملكه جاك الاول الناطق بتبليص اسرى الانكليز وفدائهم
فرض الديوان قوله ثم حاول الاميرال يومئذ التوصل الى غرضه بالمقاومة الحربية
فلم ينجح

التزاحم الهولاندى الانكليزى بالجزائر

لقد انارت هذه المراكز التجارية التى يحتلها الفرانيسيون بالساحل الشرقي
من الشواطئ الجزائرية امتعاضا شديدا واضطراما فى صدور المنافسين الغربيين ،
و خاصة منهم الهولانديين والانكليز واهل جنوة ، فهم كانوا من اسبق الناس ركضا
بهذا الميدان كل ذلك طمعا وحرصا على احتكار تجارة الرقيق والمرجان واستئثارا
بيخيرات البلاد وتركيزا لسلطتهم القرصانية على ضفاف غربى هذا البحر ...
ففيما بين سنتي ١٠٣٣ - ١٠٣٥ هـ (١٦٢٤ - ١٦٢٦ م) حل قافلة هولاندية
بحريية بعياد الجزائر تشمل على ست وحدات حربية واتصل اهلها بالديوان
فاظهروا له رغبتهم في النزول بمراكز المرجان المنشية بالشواطئ فلم يعرهم
الديوان بالا ويومئذ كشف هؤلاء الهولانديون عن عداوتهم فيجاؤوا بطائفة من

ويذكر الاخباريون ممن عنى بتدوين احداث هذا العصر انه حدث خلل
سنة ١٤٣٠ هـ - ١٦٢١ م وباء رهيب بولاية تونس وانتشر منها الى الجزرائر
فهلك منه نحو الحسينين الف نسمة ويعرف هذا الحادث بالوباء الكبير وبائرة كان
انهزام الاتراك امام الاسبان بسهل الهبرة من اعمال وهران
وهذا تذكر لنا الرواية التاريخية عدة باشوات اعقبوا حضر باشا من غير ان
تعطينا تفاصيل عنهم ولا يسعنا حين الاسر داسمائهم هكذا مجردة تأدية لامانة التاريخ
اولهم مصطفى حافظ كoste او قوسته؟ سنة ١٤٣٠ هـ - ١٦٢١ م ثم حسين باشا
قائد سوسة تولى يوم السبت ثاني شوال من هذه السنة نفسها؛ وبعدة حسين
بن الياس باي عام ١٤٣٢ هـ - ١٦٢٣، ثُم في نفس السنة مراد باشا الاعمى
٢٢ رمضان - جواليت - ثم ابراهيم باشا يوم ١٤ جمادى الثانية ١٤٣٣ هـ
افريل ١٦٢٤ م



ولاية خسرف باشا

تولى منصب البشاوية بالجزائر يوم ٢٢ ذي الحجة ١٤٣٤ هـ - ٢٥ سبتمبر ١٦٢٥ م ويدرك ان اسمه اسرااف ...؟

كثرت في ايامه الشورات وانتشرت بنواحي جبل كوكو شرقا الى اعمال تلمسان غربا وليج الانكشافيرية بالعاصمة في عقدهم وطغيانهم فبعث بهم الى نواحي الثوار فاخذوا حركاتهم وسكنت العاصمة

وفي اليوم الثالث من شعبان ١٤٣٤ هـ - ١١ جوان ١٦٢٥ اوقدت فرنسا سفيرها لدى الباب العالي باستانبول لاسترضاء السلطان وطلب العفو عن الاسرى والحصول منه على تصريح بعودتها الى فتح باب المعاملة مع الجزائر والنزول بقلع المراكز التجارية المنبثقة بالساحل الجزائري فاذن لها السلطان في ذلك وامر البشا بالعفو عن الماسورين وجاء القنصل الفرنسي الى الجزائر فنزل بهذه المؤسسات وتولى بنفسه ادارة حركتها التجارية

ولقد بلغت المراكب التركية الجزائرية في اعمالها القرصانية ايام هذا البشا مبلغا عظيما فانها بلغت الى ايزلاندة باعلى الشمال واسرت منها اربعين اسير، وبلغت كذلك الى سواحل اكادي Acadie بامريكا الشمالية، ثم كانت وفاة البشا

خسرف يوم ٢٢ رجب ١٤٣٥ هـ - ١٩ افريل ١٦٢٦



حسين باشا

وبعد فترة قصيرة تولى الحكم بالجزائر حسين باشا سنة ١٤٣٦ هـ - ١٦٢٦ م وفي ايامه اتصلت الجزائر بمائتى اسير من كان بمرسيليا من الجزائريين كما أنها حصلت على المدفعين المخصوصين منها اموجودين بفرنسا منذ ولاية رضوان باشا ١٤١٦ هـ - ١٦٠٧ م وبذلك فتحت فرنسا طريقا لتمريرها بالجزائر وبذلك

في ذلك اموالاً شتى بعضها رشى لولاة الامر وبعضها الآخر قروضاً واموالاً باسم الدولة، واستطاع بذلك سانصون نابولون المفوض الفرنسي ان يحصل من الدولة التركية بتاريخ ٢٩ المحرم ١٤٣٨ هـ - ٢٨ سبتمبر ١٦٢٨ م على تصريح باقامة محرس تجاري حصين عرف باسم Bastion على الساحل الشرقي واحتكار صيد المرجان بالسواحل الافريقية نظير دفع ستة عشر مليون فرنك سنوياً وتمت المعاهدة بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية على الشروط الآتية

أ بتبادل الاسرى

ب احترام مراكب الطرفين

ج رفع الاسر بين المتعاهدين

د حماية المحارس والقنصلية الفرنسية ورجالها

ولم يكن مصر حلاً للمفوض الفرنسي سانصون نابولون كما ترى بهذه المعاهدة ان يجعل من هذه المحارس التجارية حصوناً او يتخذها وسيلة للتدخل في شؤون البلاد ولكن استعملها مراكيز للاستطلاع والتجسس واتخذ منها محطة لتمويل اعداء الجزائر ومحاربيها من الدول الاجنبية والتجسس لهم ثم تناول تصدير القمح وامتدت يده الى متاجر شتى من بلاد المغرب.

وقعة السطارة

السطارة او الستارة هي اسم مكان قرب الكاف من اعمال تونس وبها كانت هذه الوعرة الشهيرة بين التونسيين والجزائريين في ١٣ رمضان ١٤٣٧ هـ - ١٧ ماي ١٦٢٨ م بسبب تجدد الخلاف بين اهل هذين الولايتيين حول التخوم والحدود المقررة بينهم منذ سنة ١٤٣٣ هـ - ١٦١٤ م فانتصر فيها اهل الجزائر وغنموا من سلاح تونس اثنين وعشرين مدفعاً ويومئذ بادر والي تونس يوسف داي الى حقن الدماء فتم الصلح بينهما بعقد معاهدة السلام وجعل الحدود هكذا .

يمتد خط الحد من البحر الى راس حبيل الهاfa، ومنه الى قلوب الشيران؛ ومنه الى الكرش، ثم الى وادي ملاق، ومن هناك الى وادي السيرات في الجنوب، وتنص المعاهدة في مادتها الرابعة على ازقوانين الدولة المحالية بتونس او الجزائر تعم جميع من يوجد داخل الحدود من رعايا الجانبين ولا يمكن بحال تعقب احكامهما

وهنا كذلك تسوق لنا الرواية التاريخية طائفة من اسماء البشاوات ومن حكم الجزائر بعد حسين ولا نعلم عن تاريخهم سوى ذكر اسمائهم حسبما يلى : اولهم حسن خوجة سنة ١٠٣٨ هـ ١٦٢٨م، وفي هذا التاريخ كان سقوط مدينة تلمسان بيد دولة مراكش السعدية ثم انتزعت منها. وفي السنة بعدها اتتحد الكراغلة مع طائفة الرياس ضد الحكومة المركبة ابتغاء المزاحة في الحكم فاوقدوا النار في خزينة البارود فانفجرت ومات يومئذ ستة آلاف نسمة وتهدم بالمدية ما يقرب من خسمائة منزل، ولم تسجل لهم مع ذلك نتيجة، ثم توالي تولى يونس باشا بتاريخ اليوم الرابع من ذي الحجة سنة ١٠٣٩ هـ - ١٥ جويلية ١٦٣٠م، ثم حسن باشا سنة

١٦٣١ هـ - ١٠٤١

وتقص علينا الرواية التاريخية ان البحرية الجزائرية بلغت في هذا العصر الى ايرلاندة شمال بلاد الانكليز وجالت فيما حولها من بحار الجزر البريطانية وصافحت قناة القديس جورج وان الخسائر التي منيت بها دولة فرنسا في البحر تجاه الاسطول الاسلامي ما بين سنتي ١٠٣٧ هـ - ١٦٢٨م (١٦٣٤ - ١٠٤٤) بلغت الى ثمانين مركب مشحونة بمختلف البضائع وان قيمتها تقدر بعملة ذلك العصر : ٤،٧٥٢٠٠ ليرة

ثمر تولى حسين باشا الشيخ للمرة الثالثة وذلك يوم ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٦٣٢ هـ - ٨ نوفمبر ١٩١٠م ، وفي ايامه حدث زلزال هائل اندك له اكشن دور العاصمة ومات من جراءه عدد وافر من الناس ولا يبعد ان يكون هذا

الحدث هو نفسه تملك الكارثة التي زلزلت لها الجزائر في حركة الگراغلة اثر انفجار خزينة البارود التي اشرنا اليها فيما تقدم ...؟
ويذكر عن هذا البشا انه اختلف مع اعضاء الديوان فنشأت عن ذلك ثورة الانكشارية والقى القبض على البشا فاوعد السجن



ولاية يوسف بasha

تدخل الجندي في تولية الولاية هذه المرة وكانت يومئذ فترة اقطاع اضطراب لها جبل الحكومة الجزائرية وحصل تشوش اعقبه اغلال وفتور في الادارة الى ان بادرت حكومة استانبول الى اقذاذ الموقف هذا فقضت على الفوضى الشائعة يومئذ بتعيين يوسف بasha يوم ٢١ المحرم سنة ١٠٤٤ هـ (جويلييت ١٦٣٤)
ولكن الديوان تصلب في وجهه معاكسا لسلطته ومقاوما لسياساته المعبدلة وكان مما حاول هذا البشا السعي في حسم الخلاف بين الجزائر وفرنسا واستمر الديوان على اظهار عداوته للفرنسيين المقيمين بالمحارس التجارية واخيرا رضخ البشا للديوان والقى القبض على القنصل الفرنسي م بيون ، ويومئذ هوجمت الجزائر من طرف الفرنسيين بحملة بحرية فخابت وكان هناك غلاء في الاسعار وازمة في التجارة.



ولاية علي بasha

اتصل بمنصبه هذا في فاتح صفر سنة ١٠٤٧ هـ - ٢٥ جوان ١٩٣٧ وصادف ان كان الصراع والخلاف قائما بين الفرنسيين والجنويين حول المنشآت والمتاجر الساحلية ولقد بلغ التراحم والتنافس بين شركات هذين الامتين اشده فاشتد النزاع وتفاقم امر الخلاف حتى ازعج حكام الجزائر وقلق بالهم فاصدر

الديوان يومئذ امره للرئيس على بششى (١) بالقضاء على هاتيك المراكز ومصادر راـموـالـهاـوـماـاحـتوـتـعـلـيـهـمـمـنـارـزاـقـفـيـخـرـجـالـرـئـيـسـفـيـمـراـكـبـالـقرـصـانـيـةـيـومـ٢ـ٤ـجـبـ٤ـ٠ـ٥ـ١ـ١ـ٦ـ٣ـ٧ـدـيـسـمـبرـمـ١ـ٦ـ٣ـ٧ـفـدـمـرـهـاـوـجـاءـهـمـبـمـاـفـيهـامـنـالـغـنـائـمـمـنـهـاـ١ـ٣ـ١ـ٧ـاسـيـرـوـمـعـلـومـأـنـهـذـهـالـمـحـارـسـكـانـتـقـائـمـبـنـاحـيـةـالـقـالـةـوـبـونـةـمـنـالـعـمـالـةـالـقـسـنـطـيـنـيـةـوـكـانـسـكـانـتـلـكـالـنـواـحـيـمـسـتـقـعـيـنـبـمـاـيـجـرـىـبـيـنـهـمـوـبـيـنـاصـحـابـهـاـمـنـالـمـعـامـلـاتـالـتـجـارـيـةـفـكـانـالـحـرـكـةـالـاقـتصـادـيـةـيـوـمـئـذـرـائـجـةـبـيـنـالـاهـالـىـوـالـاجـانـبـوـلـاـنـضـبـذـلـكـالمـعـيـنـبـعـمـلـيـةـالـتـدـمـيرـالـتـىـقـامـتـبـهـاـالـحـكـوـمـةـالـمـرـكـزـيـةـنـقصـعـنـالـسـكـانـمـاـكـانـوـاـيـسـتـغـلـوـنـهـمـنـالـمـوـارـدـوـالـمـدـاخـلـ،ـفـكـانـمـنـالـضـرـورـىـأـنـيـعـلـمـهـؤـلـاءـاستـيـاءـهـمـوـتـذـمـرـهـمـأـمـاـرـالـحـكـوـمـةـوـفـعـلـاـقـطـمـالـقـوـمـصـلـتـهـمـبـالـدـوـلـةـوـامـتـعـنـوـاـمـنـدـفـمـالـلـزـمـةــالـمـغـرـمــلـحـاـكـمـالـمـقـاطـعـةــمـرـادـبـاـيــوـأـعـلـنـوـاـثـورـتـهـمـفـيـحـمـلـوـالـسـلاحـبـنـئـاسـةـشـيـخـالـعـرـبـابـيـعـكـازـابـنـالـصـخـرـىـوـقـاتـلـوـالـحـامـيـةـالـتـرـكـيـةـفـقـضـوـاـعـلـيـهـاـفـاستـنـجـدـبـالـبـاـيـيـوـمـئـذـبـحـاـكـمـالـجـزـائـرـفـانـجـدـهـبـارـبـعـمـائـةـجـنـدـىـوـجـاءـتـالـنـجـدـةـإـلـىـقـسـنـطـيـنـيـةـبـنـئـاسـةـالـقـائـدـيـنـيـوـسـفـوـشـعـبـانـوـحـمـىـهـنـالـكـوـتـيـسـالـحـرـبـفـانـهـزـمـالـاـتـرـاكـبـالـمـلـكـانـالـمـعـرـوـفـبـاسـمـقـيـجـالــبـالـقـافـالـمـعـقـودـةــقـرـبـمـيـلـةـوـذـلـكـيـومـ١ـ٢ـجـمـادـىـالـأـوـلـىـسـنـةـ٤ـ٨ـ٥ـ١ـ٠ـ٤ـ٨ــ٢ـ٠ـسـبـتـمـبـرـمـ١ـ٦ـ٣ـ٨ـوـلـمـتـلـبـثـالـحـكـوـمـةـالـجـزـائـرـيـةـحـيـشـذـأـنـمـنـحـتـأـمـتـيـازـاتـجـدـيـدـةـلـشـرـكـةـفـرـنـسـيـةـمـرـسـيلـيـةـصـرـحـتـفـيـهـاـلـلـشـرـكـةـبـاـنـتـقـيـلـمـهـذـهـمـنـشـيـاتـلـحـمـيـةـاـمـوـالـهـاـوـارـوـاـحـاـصـحـابـهـاـ(ـ٢ـ)

وـاثـرـهـذـهـالـحـادـثـةـتـحـرـكـالـنـعـرـةـ..ـالـتـعـصـبـيـةـفـيـالـاـتـرـاكــوـهـمـالـمـبـاشـرـوـنـ

«١» ايطالي الاصل من البندقية ويلكتب اسمه هكذا Piccini او Amier البحـرـفـاسـلـهـوـاسـسـذـلـكـالـمـسـجـدـالـاـيـنـقـالـقـائـمـالـيـوـمـبـحـىـبـاـبـالـاوـادـىـبـالـعـاصـمـةـبـنـاءـسـنـةـ١ـ٦ـ٢ـ٢ــ٥ـ١ـ٠ـ٣ـ٢ـمـ١ـ٦ـ٣ـ٨ـفـاسـلـهـوـاسـسـذـلـكـالـمـسـجـدـالـاـيـنـقـالـقـائـمـالـيـوـمـبـحـىـبـاـبـالـاوـادـىـبـالـعـاصـمـةـبـنـاءـسـنـةـ١ـ٦ـ٢ـ٢ــ٥ـ١ـ٠ـ٣ـ٢ـثـمـحـولـهـالـاـسـتـعـمـارـإـلـىـكـنـيـسـهـمـسـيـحـيـةـسـنـةـ١ـ٢ـ٥ـ٩ــ٥ـ١ـ٨ـ٤ـ٣ـمـ١ـ٨ـ٤ـ٣ـكـمـاـحـولـغـيـرـهـكـذـلـكـمـنـالـمـعـاهـدـالـاـسـلـامـيـهـبـالـجـزـائـرـإـلـىـكـنـائـسـوـمـرـاـكـزـعـسـكـرـيـهـوـمـصـحـاتـالـخـ...ـ

E. Vaysettes : Histoire de Constantine sous les Beys p. 94-110 Alger 1869 انظر

والمسيطرون طبعاً على الحكم فقاوموا الكراجلة واجلوهم العاصمة (١٠٣٩هـ ١٦٢٩م) وصادروا أموالهم مخافة استقوائهم وتطلعهم بعد ذلك إلى مناصب الحكم



ولاية الشيخ حسين باشا

كانت ولايتها سنة ٤٩٥١هـ ١٦٣٩م ولا نعلم عن تاريخ أيامه القليلة التي قضاها على العرش سوى النكبة التي أصابت الأسطول الجزائري بشغف فالونa Valona من بلاد البانيا، وذلك أن الدولة العثمانية كانت في حرب مع أهل البدقية فحملتها من أكب الجزائري برئاسة علي بتشنى في بحر الادرية^١، وفي ثغر فالوناهذه خسر الأسطول الجزائري ثمانية عشر قطعة، حيث غرق منه أربع سفن وأسرت أربعة عشر ومات من الجندي الف وخمسين نسمة وحصلت الجزائر على تصريح من الباب العالي بدفع تعويضات عن هذه الخسائر كاهاولم يلبيت الباشا أن توفي من سنته بالطاعون



ولاية ابن جمال يوسف باشا (ثانية)

تقلد منصب الحكم بالجزائر للمرة الثانية في ٢١ من المحرم سنة ١٠٥٠هـ (ماي ١٦٤٠م) وكان يعرف بلقب قرطاج او قرطاحي؛ واهر ما علمناه من الحوادث على عهده هو عقده للمعاهدة التجارية بين الجزائر وفرنسا بتاريخ ١٧ ربيع الأول - ٧ جويلييت من هذه السنة وتصريحه للشركة الفرنسية باستقطاع مراكيزها الجزائرية او ما كان كذلك من اندلاع لسان نار الثورة الاهلية التي لم ينطفئ لهيبها ضد الحكم الاجنبي منذ خلق الله الجزائري وولادته امه حررا الى اليوم وتمكن البasha من اخماد هذه الثورة المنتشرة يومئذ باعمال قسنيطينة وغيرها ثم اعقبها تمرد الجنود الانكشارية بسبب تخلف الحكومة عن دفع مرتباتهم فتغلبوا على البasha وقبضوا عليه فاوعدوه السجن ثم افرجوا عنه واعادوه الى منصبه.

ولاية محمد برصالي باشا

تولى زمام الامر بالجزائر سنة ١٦٤٢ هـ ١٠٥٢ م وكان يلقب بسرقوشلي وهو الذى أكمل فتح اعمال قسطنطينية واتمر الاستيلاء التركى على تملك الجهات الشرقية من القطر الجزائري

وحدث في ايامه ان كان الاسطول العثمانى متوجها الى غزو جزيرة مالطة فاراد السلطان تعضيد هذه الحملة بمرافقه اسطول الجزائر الذي كان يرأسه يومئذ على بتشنى فرفض الديوان ذلك بحججه تختلف الباب العالى عن ايجاز وعده السابق من دفع التهديدات عن الحسائير التى منى بها الاسطول الجزائري في وقعة ليفورنيا من بلاد إيطاليا فأوفد السلطان الى الجزائر مندوبيين للنظر في القضية فاشاع الناس وارجعوا بيان ما جاء المندوبان الا لقتل الرئيس على بتشنى وكثير القوال والقيل وكانت الناس ان يصدقوا بذلك وخشي الباشا من اغتيال الوفد فائز له بنزاوية سيدى عبد الرحمن الشعابي ومكث معه الباشا نفسه الى ان دخل عليهم الرئيس على بتشنى فأمن حيقهم واذهب عنهم السروع وخرج الجميع من الزاوية آمنا وعند ذلك منح على بتشنى منصب الامارة العليا على الاسطول العثمانى باستانبول وما كان يتصل بفرمان التولية حتى اودت به المديدة رحمة الله

ولاية احمد دغانجي باشا

انتصب على عرش الجزائر يوم السبت ٤ جمادى الاولى سنة ١٦٤٤ هـ ١٠٥٤ م وكانت ايامها ایام قلق واضطراب بسبب اشتداد وطأة القرصنة من كلا المعسكرين وامتلات العاصمة على عهده بالاسرى وشارك الاسطول الجزائري بخمسين قطعة في وقعة كريت ببحر ارخبيل اليونان (١٦٤٥ هـ - ١٠٥٥ م)

ثم تضعضعت قواته بعد ذلك في وقعة مالطة فاستشهد فيها يومئذ مائتان وخمسون
نسمة واسر نحو المائة والخمسين جزائري
وفي أيام هذا الحكم تأسست الارسالية المسيحية بالجزائر على يد القديس فانصان
دوبول (١٦٤٦ - ٥١٠)

ولاية يوسف باشا (ثالثة)

كان جلوسه على سرير البشارة للمرة الثالثة بالجزائر يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٤٥٧ - ٢٨ ماي ١٦٤٧ وكان هنالك خلاف قائم بين الديوان وحكومة فرنسا فانتقم البشامن شيخ القنصل الفرنسي فأودعه السجن ترضية للرأي العام الجزائري وحينئذ جاءت الجملة الفرنسية يقودها الاميرال دوكين وام تزل تقذف بقنابلها العاصمة فامطرتها وأبلا من المقدونيات النارية حتى اضطر اهلها إلى الاقياد فنزلوا عن جميع الاسرى الفرنسيين ودفعوا للحملة مليونا ومائتين قرش فكشف عنهم الاميرال وصرف اسطوله عن الجزائر.

وفي شعبان - سبتمبر - من هذه السنة خرج الباشا بنفسه الى اخضاع العصابة المنشقين من الدواودة وغيرهم من اهل الارجاء الشرقيه الجزائرية

استشراف الدوله الشريفيه العلميه للحجـ زائر

صرف المولى محمد بن الشريف العلوي سلطان المغرب الأقصى - جد الأسرة المالكة اليوم - عنياته لاحياء ما اندرس من عهد ملوك المغرب في دولة الموحدين والمرابطين وعصر الفاتحين الاولين فحاول ضم الجزائر الى مملكته وبذلك يتم توحيد المغربين الاقصى والاوسيط تحت سلطانه فيخرج في قومنا سنة ١٠٦٠ م الى التخوم الشرقية من حدود مملكته فبلغ الى انكاد واحد البيعة لنفسه من اولئك الاقوام ثم حملهم معه الى منازلة قبيلة بني يزناسن - سناسن - فاستولى

عليها وقصد وجدة فاحتلتها وشن غاراته على ما جاورها من القرى والقبائل كاولاد زكري وبني سوس فيخضع الجميع لطاعته وتقدم سائرا بجيوشه الى ندرومة ثم عاد الى وجدة فمكث بها مدة ومنها توجه الى تلمسان فسائل احوازها واحاط بقرابها واقع هنالك بالحامية التركية فاذاقها قوارعه ثم ادركم فصل الشتاء فعاد الى وجدة يستجم

ثم بعد انصرام فصل الشتاء خرج السلطان العلوى الى الصحراء الغربية فاغار على البعافرة وبايته هنالك قبيلة حميان ثم جاء من دله على مدينة الاغواط وعين ماضي والغسول فتوجه اليها السلطان واحتلتها فاحدث ذلك قلقا عاما بالقطر الجزائرى اضطرب له حبل الحكومة التركية وكادت الرعية ان تنقض على حكومتها

تجهز الاتراك للقتال

وعم الخطير بلاد الجزائر فأخذت الحكومة التركية تعمل على اخذ احتياطاتها في الدفاع والتأهب للحرب ضد الدولة الشرفية فشمرت عن ذيلها وشرعت في حفر الخندق حول إيتالا معسكرا وبدار حاكم الناحية - البای - إلى استئصال باشا الجزائر فخررت الحامية من العاصمة يقودها نائب الباشا إلى نواحي تلمسان فاستقرت هنالك ويومئذ انكفاء مولاي محمد بن الشريف متقدما إلى وجدة عن غير قتال وهناك أخذ في تقسيم الغنائم واقتسم الأسلام ثم قفل إلى سجلهاست - تافيلالت -

وائز مغادرة سلطان المغرب للجزائر او فد الاتراك الى حضرته لجهة من العلماء للمفاوضة في شأن الحدود بين القطرتين وتوثيق عرى الصداقة بين الممكلتين فتقرر جعل وادي التافنا هو الخط الفاصل بين الحكومتين وتأكد ذلك بابر امر معاهدة مؤرخة سنة ١٤٦٥ - ١٠٦٤ م

وفي عهد هذا البشا يوسف تحصلت الجزائر على تعويضات الدولة العثمانية

الموعود بها من قبل في مقابلة الحسائر التي تكبدتها الجزائر في حمایة الاسطول العثماني ببحار الادرياتيك ايام الشيخ حسين باشا سنة ١٤٥٠ هـ - ١٦٣٩ م فاتصل الديوان بمبلغ ستين الف سلطانى وهو ما يقدر بنحو مليون ونصف فرنك بعملية ذلك الزمن،

وبعد مهلك البasha يوسف خلفه المسمى مراد فاتح ربيع الاول عام ١٤٦٠ هـ مارس ١٦٥٠ ولا يعلم من حوادث تاريخ ايامه في الجزائر الا ما يذكر من هيجان الاسرى الاروبيين واضطرابهم في السجون



ولاية بوشناق محمد باشا

تراس على حكومة الجزائر بلقب باشا يوم ٢٢ جمادى الاولى سنة ١٤٦١ هـ متصف مائى ١٦٥١ واشتهر امره بنشر الامن في الرعية وحماية شعبه واهتمامه براحتة ورفعته

ولا يعلم من تاريخ الحوادث الجديدة بالذكر على عهده سوى انهزام الاسطول الجزائري مرتبين امام مدينة البندقية وفي بحر الارخبيل، او ما كان من هجوم بريطانيا العظمى على الجزائر وخيبتها

ثم تولى بعده طوبال محرم باشا يوم ١٧ محرم ١٤٦٤ هـ - ٩ ديسمبر ١٦٥٣ ولم يحفظ لنا التاريخ فيما علمناه عن هذا البasha شيئاً



ولاية احمد طوشان باشا

كانت ولايته يوم ٢٢ رمضان سنة ١٤٦٥ هـ - ٢٦ جويلييت ١٦٥٥ م وابرز حادثة كانت في ايام القصيرة بالجزائر هي حملة بريطانيا على العاصمة ورميها بالقنابل فاحترقت بعض المراكب الراسية ولم يكن بالشغر من رؤساء البحرين يومئذ احد اذ كان كاهم بالغزو فتختطفت الحلة كل من ظفرت به من اسرابها والاسرى

الهولانديين من غير فداء ثم انصرفت
ولم تطل ایام هذا الباشا فعزل من سنته وخلفه الباشا عبد الله باشا وكذلك
هذا لم تطل ایامه ولا يعلم من شانه شيء سوى انعقاد الصاح في هذه الآونة
بين الجزائر وبريطانيا



ولاية ابراهيم باشا

تقلد زمام الحكم بالجزائر يوم ١٢ ربيع الثاني سنة ١٤٦٦ هـ (٩ فبراير
١٦٥٦) فغزا الاسپان وحاربهم بوهران، وكانت ایامه هادئة مطمئنة لم يرعنها
غير حادث القنصل الفرنسي حيث توهم معاداة الجزائر لحكومة فبادر الى القاء
القبض على نحو الحسين نسمة من الجزائريين فاسرهم وخف الى حمل متاعه
وكل ما استطاع نقله من مستودعات المحارس فاستصحب ذلك كله معه الى فرansa
فاشئاز من ذلك اهل الديوان فاجتمعوا على عزل الباشا حيث لم يتعجل بمحجز القنصل
ونصبوا مكانه الحاج احمد باشا الذي كان سجيننا باحدى الحصون الجزائرية، وذلك
عصر يوم الجمعة ٢٤ رجب - مای - من هذه السنة وفيها ايضا كان استيلاء
الامير الهولاندي ليتير على ثمانية عشر سفينه جزائرية بجبل طارق
ثم ادركت فرانسا خطأ القنصل في عمله هذا في جاءت مستر ضيّة، واعيد
ابراهيم باشا الى منصبه عصر يوم السبت ٢٢ ذي القعده ١٤٦٧ هـ فاتتح سبتمبر
١٦٥٧، وكان هذا آخر العهد بحكام الجزائر وبشاوتها اصحاب السلطة الفعلية
التابعة للباب العالي بستانبول .

نهاية حكومة الباشاوات

هناك قسط وافر من المسؤولية في سقوط سمعة حكومة الباشاوات واضمحلال
سيادتهم بالجزائر ملقي على عواتق هؤلاء الحكام - الباشاوات انفسهم - ذلك ان

الباشا قد شعر بالاستقلال في هذه المدة وأخذ في الاتساع بالنفس من صفا عن الادارة مجتهدا في التمول بطرق الرشى والسرقات فلما تثبت هيئته ان سقطت واجترأ عليه الانكشارية

والى هؤلاء الباشاوات ايضا ترجع مسؤولية الاسراف في التعدي على السفن والانشغال فقد كان هنالك من الباشاوات من يدفع اهل البلاد الى ذلك دفعا بل يكلفون بعض القرصان بان يقوموا بعملية القرصنة لحسابهم ومن ثم لم يعن الباشا بان يحسن تمثيل السلطان او يقوم بالمهمة الملقاة على عاته فلم يكن الجند او الاهلون ليحسنوا بوجوده بينهم الا في الاحتفال العظيم الذي يقام لاستقباله يوم يصل من القدسية والى هذه الاجتماعات التي كان مجلس الشورى يعقدوها للنظر في شؤون البلاد من حين الى حين وربما حاول الباشا ان يخضعا لشوكة الانكشارية بالاستعانت عليه بقبائل من اهل البلاد فنشأت عن ذلك حروب وويلات شتى

وقد حاول احدهم ان يستولى على المنحة التي كان السلطان يعيشها كل عام لاغاثة الاسطول الجزرى فكانت النتيجة ان قرر الديوان - وكانت السلطة فيه للانكشارية - ان يسحب من الباشا آخر ما بقى له من مظاهر السلطان وهو القيام على الاموال والاحتفاظ بالخزينة فتولاها يومئذ الآغا يعاونه الديوان، واصبحت السلطة الفعلية بيد الاغوات (١)

باشیاوات الجزائر

تاریخ التولیة

م ١٥٧٨ - ٥٩٩٥	باشا	دالى احمد
م ١٥٨٩ - ٥٩٩٧	»	حضر
م ١٥٩١ - ٥٩٩٩	»	الحاج شعبان
م ١٥٩٤ - ٥١٠٠٣	»	مصطفى
م ١٥٩٥ - ٥١٠٠٣	»	حضر «ثانيا»
م ١٥٩٩ - ٥١٠٠٧	»	دالى حسن
» »	»	مصطفى جاقر حى
م ١٦٠١ - ٥١٠٠٩	»	سلیمان
م ١٦٠٣ - ٥١٠١١	»	حضر «ثالثا»
» »	»	محمد قوصرة
م ١٦٠٥ - ٥١٠١٣	»	كوسة مصطفى القابيجى
م ١٦٠٧ - ٥١٠١٦	»	رضوان
م ١٦١٠ - ٥١٠١٩	»	كوسة مصطفى «ثانيا»
م ١٦١١ - ٥١٠٢٠	»	مصطفى
م ١٦١٣ - ٥١٠٢٢	»	حسين الشيخ
م ١٦١٦ - ٥١٠٢٥	»	مصطفى خز ناجى
م ١٦١٧ - ٥١٠٢٦	»	سلیمان قاطانيا
م ١٦١٨ - ٥١٠٢٧	»	حسين الشيخ «ثانيا»
م ١٦١٩ - ٥١٠٢٨	»	سلیمان
» »	»	خسرف

م ١٦٢٠ - ٥١٠٢٩	باشا	حضر
م ١٦٢١ - ٥١٠٣٠	»	مصطفى حافظ كوسة
« «	»	حسين
م ١٦٢٣ - ٥١٠٣٢	»	حسين بن الياس
« «	»	مراد
م ١٦٢٤ - ٥١٠٣٣	»	ابراهيم
م ١٦٢٥ - ٥١٠٣٤	»	خسرف
م ١٦٢٦ - ٥١٠٣٦	»	حسين
م ١٦٣٤ - ٥١٠٤٤	»	يوسف
م ١٦٣٧ - ٥١٠٤٧	»	على
م ١٦٣٩ - ٥١٠٤٩	»	الشيخ حسين
م ١٦٤٠ - ٥١٠٥٠	»	ابو جمال يوسف - ثانية -
م ١٦٤٢ - ٥١٠٥٢	»	محمد برصالى
م ١٦٤٤ - ٥١٠٥٤	»	احمد دغانجى
م ١٦٤٧ - ٥١٠٥٧	»	ابو جمال يوسف - ثالثا -
م ١٦٥٠ - ٥١٠٦٠	»	مراد
م ١٦٥١ - ٥١٠٦١	»	بوشناق محمد
م ١٦٥٣ - ٥١٠٦٤	»	طوبال سحرم
م ١٦٥٥ - ٥١٠٦٥	»	احمد طوشان
« «	»	عبد الله بلكباشى
م ١٦٥٦ - ٥١٠٦٦	»	ابراهيم
« «	»	ال حاج احمد
م ١٦٥٧ - ٥١٠٦٧	»	ابراهيم - ثانيا -

سلطین آل عثمان

تاریخ التولیة

م ١٥٦٦ - ٩٧٤ هـ

م ١٥٧٤ - ٩٨٢ هـ

م ١٥٩٥ - ١٠٠٣ هـ

م ١٦٠٤ - ١٠١٢ هـ

م ١٦١٧ - ١٠٢٦ هـ

م ١٦١٨ - ١٠٢٧ هـ

م ١٦٢٢ - ١٠٣١ هـ

م ١٦٢٣ - ١٠٣٢ هـ

م ١٦٤٠ - ١٠٤٩ هـ

م ١٦٤٨ - ١٠٥٨ هـ

السلطان الغازى سليم خان «الثانى»

السلطان الغازى مراد خان «الثالث»

السلطان الغازى محمد خان «الثالث»

السلطان الغازى احمد خان

السلطان مصطفى خان

السلطان عثمان خان «الثانى» (١)

السلطان مصطفى خان «ثانية»

السلطان الغازى مراد خان «الرابع»

السلطان ابراهيم خان

السلطان الغازى محمد خان «الرابع»

(١) في ثامن رجب سنة ١٠٣١ م - ٢٠ ماي ١٦٢٢ م كان قتل السلطان عثمان الثاني
بالابراج السبعة في استانبول ، وهو أول سلطان قتل في الدولة العثمانية .

مشـاهـيـرـ الـجـزـائـرـ وـيـمـ

ابـوـ العـبـاسـ اـحـمـدـ المـقـرىـ

١٦٣٢ - ٥١٠٤١

علامة الجزائر ومفخرة المغرب العربي الامام الحافظ الحجة والمؤرخ الاديب الكبير ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد بن احمد المقرى (١) التلمسانى اشتهر بيت المقرى هذا بتلمسان منذ ان انتقل اليها اعضاء هذه الاسرة الاولون من مقرة في اواخر القرن السادس الهجرى اعني حين استقرت دولة بنى زيان على عرش الجزائر، وبها ولد المترجم حوالى سنة ٩٨٦ هـ ١٥٧٨ م وفيها درج ونشأ وبها حفظ القرآن الكريم وتأدب وأخذ علمه عن مشائخها المشهورين في التاريخ واصحهم عمّه ابو عثمان سعيد مفتى تلمسان ستين سنة،

ارتحل الشيخ الى المغرب الاقصى فدخل مدينة فاس سنة ١٠٠٩ هـ ولقي بها المشيخة فأخذ عن امثال الشيخ احمد بابا التنبوكى وغيره من علماء العدوتين، ثم عاد الى بلاده فمكث ستين ثم غادرها الى فاس ثانية سنة ١٠١٣ هـ وبها القى عصاه منقطعا الى العلم والتعمق في البحث والدرس حتى برع في علوم الشرعية والادب والتاريخ فكان آية في الحفظ وسعة الاطلاع واستحضار ابواب الفقه ونوازله راسخ القدم حميد القربيحة قوى البديهية متسللا بلينا وكتبا محيدا وشاعرا متفتنا ومحاضرا ظريفا

(١) نسبة الى قرية (مقرة) احدى قرى الازاب الجزائرى المشهورة بجنوب جبال الحضنة وشرقى المسيلة - المحمدية - ضبطها المترجم نفسه في ازهار الرياض ج ١ ص ٣ بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة، وهى كذلك عند التعالى في «العلوم الفاخرة» والواشنرىسى ايضا، وضبطها ابن مسرزوق الحفيفى في شرحه على الالقى بفتح الميم وسكون القاف وقال فى النسبة اليها مقرى كبدري، وهى كذلك عند ابن الاحمر فى فهرسته والشيخ زروق

ولاه السلطان احمد المنصور الامامة والخطابة بجامع القرويين بفاس سنة ١٥٢٢ هـ صارت اليه الفتوى في ايامه

ولما اختلت احوال مملكة المغرب السياسية اثر وفاة السلطان المذكور وكثرت الفتن وانقسمت الدولة السعودية الى مملكتين السخ .. ازمع المقرى على الرحيل الى المشرق تاركا المنصب والاهل والوطن والالاف، فهاجر المغرب في اواخر رمضان سنة ١٥٢٧ هـ - سبتمبر ١٦١٨ فركب البحر الى مصر فمكث بها قليلا ثم توجه الى الحجاز فيحج وطاف بالاماكن المقدسة واملى بذلك المعاهد والاماكن المشهودة علومه و المعارف فظهر هنا لك فضله وبنبله، ثم عاد الى مصر فدخل القاهرة في شهر رجب سنة ١٥٢٨ هـ - جوان ١٦١٩ فتزوج بها من اسرة السادة الوفائية وبقى يتردد على الحجاز خمس مرات ثم استقر الشيخ بالازهر الشريف متجردا للعلم، فاشتهر يومئذ علمه بين الناس وطار صيته في الآفاق؛ فعملت منزلته وتمكنت بحبته وتباري الادباء والشعراء في مدحه بقصائد ورسائل بلغة وجرت لهم معهم مسابقات شعرية ومطرادات حات علمية نفيسة بعضها مذكور في كتب السير والتراث (١) وفي نفح الطيب.

وبعد ان تبو الشیخ مكانه في المجتمع الاسلامي بالشرق واصبح به كقطب من اقطاب العلم وامام من ائمة الاسلام عقد اثناء ذلك رحلات في ربوع الشرق الاذني ومنها رحلته المشهورة الى بيت المقدس سنة ١٥٣٧ هـ حيث القى هنا لك بالمسجد الاقصى دروسا قيمة كانت سببا في اتصاله بكثير من علماء وادباء فلسطين والتقيات الاعيان اليه، ثم دخل دمشق فابتسم لها قدمو علماء الشام وافاضلهم ونزل فيها بالمدرسة الجعفرية فاللغ اهلها في اكرامه وهنا لك اقتربوا عليه تدریس صحيح البخاري فابى اقتراحهم وشرع في اقرائهم الكتاب دراية فاحتشد الناس لدروسه وضاقت رحاب مجالسه بالجامع الاموي وتسابق الفضلاء والاعيان الى لشم يده والجشو بين يديه ...

(١) انظر خلاصة الاثر لمحبی ج ١ ص ٣٠٢ ط القاهرة ١٢٨٤

ذكر من ترجم له من علماء المشرق انه تكلم يوم ختمه لل صحيح بكلام في العقائد وعلم الحديث لم يسمع له نظير قط، وكان فيما ساقه في درسه المشهود ان تعرض لترجمة الامام البخاري بافاضة وانشد له هذين البيتين وافاد ان ليس للبخاري غيرهما :

اعتنم في الفراغ فضل رکوع فعسى ان يكون موتك بغمة
 كم صحيح قد مات قبل سقيم ذهبت نفسه النفيضة فلتـه
 واستغرق مجلس الحتم هذا من شروق الشمس الى قرب صلاة الظهر
 وبالشام اقتصر عليه العلماء تصنيف كتاب جامع لتاريخ الاندلس فجاءهم بهذا
 الاثر الجليل والصنيع النقيض العجيب والسجل العظيم الخالد : نفح الطيب بغضون
 الاندلس الرطيب، وذكر وزيراها لسان الدين بن الخطيب. فرغ من تأليفه وامانه
 سنة ١٠٣٩هـ اي نحو سنتين قبل وفاته وطبع كتابه هذا بمصر مرارا في اجزاء كما
 طبع منه الجزءان الاولان بليدن سنة ١٨٥٥ - ١٨٦١م وترجم الى الانكليزية
 ونشر بلندن سنة ١٨٤٣ - ١٨٤٠م وهو خزانة علم وادب وفن وتاريخ، افرد
 فيه مؤلفه بجمع وتدوين اخبار ذلك الفردوس المفقود

ولله رحمة الله ثبت حافل بالمؤلفات النفيضة يزيد عددها على ثمان وعشرين
 مؤلفا، منها المطبوع ومنها غير المطبوع عرفنا منها كتابه ازهار الرياض في
 اخبار عياض طبع منه بمصر ثلاثة اجزاء ولا يزال السراي تحت الطبع، وطبع
 بعضه في تونس ايضا واصابة الدجنة في عقائد اهل السنة مطبوع بمصر اقراره مرارا
 واما له دروسا بنفسه على طلاب مصر والشام وال Hijaz، وفتح المتعال في اوصاف
 النعال - النبوية - ووقفت على نسخة مخطوطة منه بمكتبة الجزائر الوطنية، وحسن
 الشنا في العفو عن جنى، وشرح على مقدمة ابن خلدون وحاشية على مختصر
 خليل في فقه المالكية وازهار الکمامۃ في العمامة، الفہ بمدينة الرسول صلى
 الله عليه وسلم وكان تصنيفه بالحجرة النبوية الطاهرة تجاه الرأس الشريف،

ولا يخفى حسن المناسبة في ذلك، وقطع المهمصر من افنان المختصر، واتحاف المغربي في تكميل شرح الصغرى – للسنوسى في العقائد – وعرف النشق في اخبار دمشق وروض الآس العاطر الانفاس في ذكر من لقيته من اعلام مراكش وفاس، والدار الشمرين في اسماء الهايدي الامين، والغوث والسميين، والرث والشمدين، وكتاب البداية والنهاية، كاه ادب وفن، وحاشية على ام البراهين في علم الكلام، ومن دوچات شعر مطبوعة ببصري الى غير ذلك مما لا يتسع ذكره في هذا الموجز وهو مع ذلك يعدمن فجول الشعراء المطبوعين فشعرة حيد رشيق ليس فيها تتكلف ولا تعسف فانصت الى قوله في الحنين الى الجزائر :

بلد الجزائر ما امر نواها **كـلـفـ الفـؤـادـ بـحـبـهاـ وـهـوـاـهاـ**
ياعاذلى في حبها **كـنـ عـاذـرـىـ** ما مؤها وـهـوـاـهاـ
وقوله ايضا :

نفحات كافور ومسك	قطـرـ كـانـ نـسيـمـهـ
در هوی من نظم سلیمان	وـكـانـ زـهـرـ رـيـاضـهـ

وفيه يقول ايضا :

يشـتـاقـهـ الـولـهـانـ فـيـ الـاسـيـحـارـ	اضـوـاؤـهـ طـبـقـ المـنـىـ وـهـوـاـهـ
فـيـ الـظـلـلـ وـالـازـهـارـ وـالـانـهـارـ	وـالـطـبـعـ مـعـتـدـلـ فـقـلـ مـاـ شـئـهـ

واستمع الى هذه القطعة الشائقة الرقيقة في الحنين الى وطني ايضا :

بكـيـتـ وـقـدـ يـبـكـيـكـ مـاـ اـنـتـ ذـاكـرـ	وارـبعـ اـحـبـابـ اـذـاـ ماـ ذـاكـرـ تـهـاـ
بـكـلـ خـلـيـجـ نـمـنـمـهـ الاـزاـهـرـ	بطـاحـ وـادـوـاحـ يـرـوـقـكـ حـسـنـهـاـ
تسـاقـطـ فـيـ الـلـوـلـوـ الـمـتـنـاثـرـ	فـمـاـ هـوـ الـاـفـضـةـ فـيـ زـبـرـ جـدـ
عيـسـ وـكـافـورـ وـراـجـ وـعـاطـرـ (١)	بـحـيـثـ الصـباـ وـالـتـرـبـ وـالـمـاءـ وـالـهـوـيـ
وـماـ ضـمـ مـنـهـ الـحـسـنـ نـجـدـ وـحـاجـزـ	وـمـاـ جـنـةـ الـدـيـنـاـ سـوـىـ مـاـ وـصـفـتـهـ

[١] ذكر اربعه اشياء وشبهها باربعه اشياء على سبيل اللف والنشر المرتب

ببلادى التى اهلى بها واحببى
 تذكرنى انجادها ووهادها
 اذ العيش صاف والزمان مساعد
 بحث ليالينا كغض شبينا
 ليالى كانت للشبيبة دولة
 سلام على تلك العهود فانها مصادر
 واستمر اديينا العالم الكبير متناقلًا في ربوع المشرق متربدًا بين معالم
 مصر ومعاهد الشام متوجولا بين ضفتى بردى والنيل الى ان اصطفاه الله لجواره
 في شهر جمادى الثانية سنة ١٠٤١ هـ - جانفي ١٦٣٢ م ودفن بقرافة المجاورين
 بمصر وقيل بالشام تغمده الله برحمته

عبدالكريم بن الفکون

١٦٦٣ - ١٠٧٣ م

بیت ابن الفکون بقسطنطینیة مستطیر الشہرہ منتشر السمعۃ، فهو بیت علم و ادب و رئاسة و دین؛ توارث ابناوہ المیجد والسؤود منذ دھر طویل و قرون متتابعة بالجزائر ولا يزال هذا الیت الماجد ملحوظاً بعین الوقار والاحوال الى اليوم.

وكان من اشتهر وذاع صيته في الآفاق من اعضاء هذه الاسرة الجزائرية الماجدة في القديم ابو على الحسن بن الفکون اکبر شعراء الجزائر وابرع كتابها وفي الحديث - اى العصر الذي نوره - الشیخان العلامان عبد الكریم بن الفکون وولده محمد

قال الشیخ العیاشی فی رحلته : وممن لقيته بطرابلس الشیخ الفقیه المشارک النبی سیدی محمد بن العلامة الفهامة الناسک الحاشی الجامع بین علمی الظاهر والباطن سیدی عبد الکریم بن محمد بن عبد الکریم الفکون القسطنطینی رضی الله عنہ وتفعنا به، قدمها حاجا وهو امیر رکب اهل الجزائر وقسطنطینیة وتلک النواحی علی نهج ایہ وعادته فی ذلك محافظاً علی سلوك سیرة والده من التؤدة والوقار فاحتسب القلوب ومالت اليه النفوس ولم يطلع امیرا الا فی هذة السنة وقبل ذلك انما كان يطلع بالرکب والده - عبد الکریم - رضی الله عنہ، فلما توفي الوالد قام ولده مقامه فی ذلك اعانه الله وسدده ،

..... قال وكانت لنا به - اى بالشیخ عبد الکریم - رضی الله عنہ وصلة واتساب بالخدمة والولاء والاعتقاد الصالح لما حججت معه فی سنة اربع وستین (والف) وقد قال لی رضی الله عنہ لما طلبت منه الاتصال بحضورته والانحراف فی سلک اهل خدمته : انى اقول لك كما قال الامام الشاذلی رضی الله عنہ لك ما لنا من الخدمة وعليك ما علينا من الرحمة

.... قال وكان في غاية الاقباس والانزواء عن الخلق ومحاباة علوم اهل الرسوم بعد ما كان اماما يقتدى به فيها وله في كثير منها تأليف شهد له فيه بالتقدم اهل عصره فالقى في قلبه ترك ذلك والukoف على حضرته بالقلب والقلب والتزود الى الحرمدين الشريفين مع كبر السن، وكان يقول اذا ذكر له شيء من هذه العلوم : قرأتها الله وتركتها الله !!!!

قال العيashi : وقنعت منه رضي الله عنه بالكلمة التي قالها لي لما علمت حاله وخشيت ان انقل عليه واكتفه مالا تطيب به نفسه فانه رضي الله عنه من اهل القلوب، ومرؤياته رضي الله عنه مستوفاة في فهرسة شيخنا ابي مهدي عيسى الشعالي فتحن نروى عنه جميعها بواسطته؛ قال فلما لقيت ولده - محمد - تقربت له واتسببت له بمعرفته والده فوجدت عنده بعض علم بي وقال اما انت الذى وصل كتابك المبوعث الى والدى من وادى رين قبل موته بعام ..؟ فقلت نعم ورحب بي وهش وبش وانس، ووجدت عنده عدة من مؤلفات والده وبعضها يخطه رضي الله عنه فأغاره على مدة اقامته هناك، فمنها شرحه على ارجوزة الماكودى في التصريف وهو مجلد اجاد فيه غاية الاجادة.... فرغ من تأليفه اوائل صفر من عام ثمانية واربعين والـ،... ومنها ديوانه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم اهرب على حروف المعجم وكتب عليه «مما يمدرس به عند الغمة وساعة الغياه بـ المدلهمة» والالتزام ان جعل مبدأ كل شطر حرف من حروف «الاهى بحق المدوح اشفنى ءامين» وجملة ذلك حمس وعشرون حرفا، ففى كل قصيدة مثلها اياتا وهذا اوردة العيashi نماذج من قصائد هذا الديوان، ثم قال «وبآخرها يخطه تم بحمد الله وحسن عونه هذا المديح في المصطفى المليح الفصيح في ليلة الجمعة وقت العشاء منها ليلة ثلاثة وعشرين من جمادى الآخرة من سنة واحد وثلاثين والـ،...» ومن تأليفه ايضا جزء في تحرير الدخان سماه «محمد السنان في تحور اخوان الدخان» وهو في عدة كراس مشتمل على اجوبة عددة من الایمة وقد لخصنا

بعضه بحسب ضيق الوقت ولنذكر ذلك تتميماً للفائدة وهنا اورد العياشى ملخص الكتاب (١) وللمترجم شرح على شواهد الشرييف على الاجرومية التزم فيه عقب كل شاهد ذكر حديث مناسب للشاهد، وشرح جمل المجراد وخارج الحروف من الشاطبية وتاليف في حوداث فقراء الوقت، ولعله هو كتابه المسماى بمنشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ،

وهذه رسالة لطيفة من نوع الاخوانيات كتبها الشيخ عبد الكريم بن الفكون الى صديقه بالشرق ابى العباس شهاب الدين احمد المقرى، احبينا ادراجها هنا كنموذج لاسلوب الشر - والشعر ايضا - المستعمل في المكتبةين الادباء والعلماء في ذلك العصر قال :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من انزل عليه في القرآن «وانك
على خلق عظيم» وآله وصحبه وسلم افضل التسليم، من مدنس الايزار المتسريل
بسراويل الخطايا والاوزار، الراجح للتتصل منه رحمة العزيز الغفار؛ عبد الله
- سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون اصلاح الله بالتفوى حاله، وابلغه من متابعة
السنة النبوية آماله، الى الشيخ الشهير؛ الصدر النجفى، ذى الفهم الثاقب والحفظ
الغزير الاحب في الله، المؤاخى من اجله سيدى ابى العباس احمد المقرى، احمد
الله عاقبى وعاقبته واسبل على الجميع عافيته، اما بعد فانى احمد الله اليك واصلى
على نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا اريد الاصلاح الدعاء وطلبه منكم ،
فاني احوج الناس اليه واسعدهم في ظني الحاها عليه لما تحققت من احوال نفسي
الامارة، واستبطنت من دخيلاتها المثابرة على حب الدنيا الغرارة كانها عميت عن
الاهوال التي اشابت رؤوس الاطفال وقطعت اعناق كمل الرجال، فتراها في
طبع هواها خائفة وفي ميدان شهوتها راكضة طفت في غيها وما لانت وجمحت
فما انقادت ولاستقامت فولى ثم ولي من يوم تبرز فيه القبائح وتشعر الفضائح

(١) انظر في رحله العياشى ج ٢ ص ٤٠٣-٣٩٠ ط فاس ١٣١٦

ومنادي العدل قائم بين العالمين «وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين» فالله اسأل حسن الاطاف؛ والستر عما ارتكبناه من التعدي والاسراف
وان يجعلنا من اهل الجمی العظيم وممن يحشر تحت لواء خلاصته الكريم، سيدنا
ومولانا وشفيعنا النبي الرؤوف الرحيم ولنکف من القلم عنانه، لما رأيتو من اجله
ثواب الله سبحانه. وقد اتصل بيدي جوابكم اطال الله في العلم بقاءكم فرأيت
من عنونية الفاظكم وبالغه خطابكم ما يذهب من العلماء في حولها وبنيلها لدى
الجنو لسماعه سؤلها وأمولها بيد ما فيه من اوصاف من امره قاصر وعن الطاعة
والاجتهاد فائز وأصدق قول فيه عند مخبره ومرآه ان تسمع بالمعيدى خير من
ان تراه، لكن يجازيكم الله بحسن النية البلوغ في بحبوحة الجنان غایة الامنية وقد
ذيلتم ذلك بآيات انا اقل من ان اوصف بمثلها على انى غير قائم بفرضها ونقلها
فالله تعالى يمدكم بمعوتهم ويجعلكم من اهل مناجاته في حضرته ويسقينا من
كاسات القرب ما تعمت منه بلذيد منا دمته وقد ساعد البنان الجنان في اجابتكم
بوزنها وقافيةها والعدل لى اتنى لست من اهل هذا الشان والاعتراف بانتي جبان
واي جبان والكمال لكم في الرضا والقبول؛ وال الكريم يغضى عن عوارت الاحمق والجهول
وظمنا - حققه الله تعالى - ان يجعل على منظومتكم الكلامية - يعني اضاءة الدجنة -
تقييدها، ارجو من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدركم وعلى قدركم وعلى مثل
فكري القاصر لا على عظيم فكركم، وان ساعد الاوان وقضى بتيسيره رب الزمان
فآتي به ان شاء الله الاجل معى لانتي بالاشواق الى حضرة زراك البراق ومحترق السبع
الطبق و كنت عازما على ان ابعث لكم من الآيات اكثرا من الواقع الا ان الرقة
اعجلت وصادقتني ايام موت قعيدة البيت فلم يتيسر عاجلا الا ما ذكر وعلى الله
قصد السبيل وهو حسبي ونعم الويل

علمـا تعاصـدـهـ السـرواـيـةـ
يـروـىـ بـهـ الطـالـبـونـ غـايـةـ

يـاـ نـيـختـةـ الـدـهـرـ فـيـ الدـرـايـةـ
لـاـ زـلتـ بـحـسـراـ بـكـلـ فـنـ

كما تعاليت في العناية
 بلغت في حسنها النهاية
 تحوى به القرب والولایة
 في الحفظ والفهم والهداية
 بشراك تصيّبها الرعاية
 والآل والصحاب والنقاية
 نكفي بها الشر والغواية
 واحتم كتابي بالصلوة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وكتب بغایة عجلة يوم السبت سبع او ثامن رجب من عام ثمانية وثلاثين وalf
 للهجرة على صاحبها الصلاة والسلام (١)
 وقد توفاه الله اليه عشيته الخميس ٢٧ ذي الحجة سنة ١٠٧٣ هـ - ٣ او ط
 ١٦٦٣ م سقى الله ضريحه

(١) نفح الطيب ج ٩ ص ١٨٩ ط دار المامون بالقاهرة ١٩٣٦ م

جدول تاریخی

21079 - 990

م ١٦٥٩ - ١٥٨٧

تاريخ الحوادث	أهم الحوادث
١٦٢٠٥١٠٢٩ م	تجدد الخلاف بين الجزائر وفرنسا وشن الغارات البحرية الجزائرية ضد المراكب الفرنسية
١٦٢٠٥١٠٣٠ م	خيبة حملة الاميرال الانكليزي «مانصيل» على الجزائر
١٦٢٣٥١٠٣٣ م	تقدّم البحرية الجزائرية واتصالها باعلى جزر بحر الشمال التزاحم الهولاندي الانكليزي بالجزائر
١٦٢٣٥١٠٣٣ م	نشوب الخلاف بين الجزائر وتونس حول قضية الحدود وانفجار وقعة السطارة
١٦٢٨٥١٠٣٧ م	تدمّير الزلزال الهائل لاكتشاف دور العاصمة وموت الاكثرية من السكان
١٦٣٤٥١٠٤٤ م	انكسار الاسطول الفرنسي بعيادة الجزائر
١٦٣٧٥١٠٤٦ م	تحطيم مرکز القالة الفرنسى واعلان الحرب ضد فرنسا
١٦٤٠٥١٠٥٥ م	انكسار الاسطول الجزائري في حرب البندقية ببحر الادرياتيك الاستيلاء النهائي على اعمال قسنطينة
١٦٤٢٥١٠٥٢ م	انكسار اسطول الجزائر امام قرصان مالطية
١٦٤٤٥١٠٥٤ م	تأسيس ارسالية القديس «فانسان دوبول» بالجزائر
١٦٤٦٥١٠٥٦ م	هيجوم الاميرال الفرنسي دوكين على مدينة الجزائر
١٦٤٨٥١٠٥٨ م	محاولة الدولة الشرقيّة العلوية الاستيلاء على الجزائر
١٦٥٠٥١٠٦٠ م	اتخاذ وادي التافنا حدا فاصلا بين حكمتى الجزائر ومراسكش
١٦٥٥٥٥١٠٦٤ م	تسريع القنصل الفرنسي الى مغادرة المحرس التجارى وتأسيس لطائفة من المسلمين
١٦٥٦٥١٠٦٦ م	نهاية عصر حكومة البشاوات

الفهرست

صفحة :

٦ استهلال الجزء الثاني

الدولة الحفصية ٦٨-٧

- | | |
|--|---|
| <p>٢١ امارة بنى مزنى ببسكرة</p> <p>٢٢ حزب السنوية وابن مزنى</p> <p>٢٤ الجزائر بين الحفصيين والمرinيين</p> <p>٢٧ خريطة المغرب الاسلامي</p> <p>٢٨ حركة السلطان الى بسكرة</p> <p>... تنازع امراء بنى ابى حفص على ولاية قسنطينة وبجاية</p> <p>٢٩ مشاركة الجزائر في هزم الصالبيين</p> <p>٣٠ مقاومة القرصنة الارووية</p> <p>٣٢ الاسلام والنصرانية بالغرب</p> <p>٣٣ المعتقدات والمذاهب الدينية</p> <p>٣٥ احصاء اتباع المذاهب الاسلامية المشهورة (هامش)</p> <p>٤٠ الثقافة والحضارة والعلم ان</p> <p>٤٤ انهيار الجزائر الحفصية</p> <p>٤٦ ولاية الجزائر وزعماؤها</p> | <p>٧ نشأتها</p> <p>٩ نظامها الحكومى</p> <p>١١ حدود الجزائر الحفصية</p> <p>١٢ كيف كان استيلاء الحفصيين على الجزائر</p> <p>... فتح ولاية تلمسان</p> <p>١٣ المبايعة بالخلافة</p> <p>١٥ ترخيص يغمر اسن وانتصاره</p> <p>١٦ اضطرابات وفتنة</p> <p>١٧ مقاومة العصابة المنشقين</p> <p>... انتفاض مدينة الجزائر وفتحها</p> <p>١٨ مبايعة الجزائر لابى اسحاق (الاول) ... ظهور ابن ابى عمارة الدعى</p> <p>١٩ انفصال الجزائر عن الحكومة</p> <p>٤٠ المركبة</p> <p>٤٦ اعتماد الافرنج على مدينة الجزائر</p> |
|--|---|

صفحة :

٥٣ ملوك الدولة الحفصية

مشاهير الجزائرين

٥٤ يحيى بن عبد المعطي

٥٧ عبد الرحمن بن السطاح

٦٠ محمد بن الحسن القلعي

٦٣ أبو زيان ناصر بن مزني

٦٤ أحمد بن أبي القاسم الخلوف

٦٧ جدول تاريخي

الدولة المرinية ٦٩—١١٣

٦٩ بنو مرین

٧٠ نظامها الحكومي

٧١ حدود الجزائر المرinية

٧٠ المرinيون وبنو عبد الواد

٧٢ الزحف على مملكة تلمسان

٧٤ وقعة وادي اسلی

٧٥ وقعة وادي تافنة

٧٦ تاسيس حاضرة المنصورة

٧٧ معركة مرسى الرؤوس

٨٥ انقسام بنى مرین وتملك بنى عبد الواد

٨٠ تنازل بنى مرین عن ولاية تلمسان

٧٨ نقض الصلح

٨٠ تحالف بنى مرین والحفصيين

ضد تلمسان

٨٩ الثقافة والحضارة والعمان

٧٩ الوثوب على عمالة الجزائر ووهان

٩٠ القضاء على امارة بنى مزني

٩٧ ولاية الجزائر وزعماها

١٠٠ فتح الاعمال الشرقية

٥٨ عبد الله بن السكاك

٥٩ محمد بن منداس

٦٠ محمد بن الحسن القلعي

٦٣ أبو زيان ناصر بن مزني

٦٤ أحمد بن أبي القاسم الخلوف

٦٧ جدول تاريخي

٦٩ ثورة بنى عبد الواد

٨١ عودة الجزائر لبني عبد الواد

٨٢ استيلاء السلطان أبي عنان على

اعمال تلمسان

٨٠ تملك بجاية

٨٣ انتفاض بجاية وفتح فسطينة وبونة

٨٤ الجزائر بنى بنى عبد الواد وبنى

مرین

٨٥ انقسام بنى مرین وتملك بنى عبد

الواد

٨٦ المذاهب والمعتقدات

٨٧ فيخامة بلاط بنى مرین

٨٩ الثقافة والحضارة والعمان

٩٦ انهيار الجزائر ووهان

٩٧ ولاية الجزائر وزعماها

١٠٠ ملوك الدولة المرinية

صفحة:

- مشاهير الجزائرين**
- ١٠٩ ابراهيم بن فائد الزواوى
 - ١١٠ سالم بن ابراهيم الصنهاجى
 - ١١١ محمد بن عمر المليكشى
 - ١١٣ جدول تاريخى
- الدولة العبد الوادية - الزيانية - ١١٤ - ٢٦٩**
- ١١٤ منشأها ونشأتها
 - ١٢٧ ولاية السلطان ابى سعيد عثمان
 - ١٢٨ محاصرة تلمسان ووفاة ابى سعيد الزخرفة (هامش)
 - ١٣٠ ولاية السلطان ابى زيان (الاول) نظامها الحكومى
 - ١٣٢ مقاومة القبائل المشaqueة حدود الجزائر الزيانية
 - ١٣٣ ولاية السلطان ابى حمو (الاول) ولاية السلطان يغمراسن
 - ١٣٤ غارات ابى حمو وفتحاته اغارة الحفصيين على تلمسان
 - ١٣٥ القضاء على امارة الشعالبة بمتىجنة اخفاق الموحدين في هملتهم على تلمسان
 - ١٣٦ اغارة بنى مرین وثورة الاعراب منشأ الخلاف بين بنى عبد الواد وبنى مرین
 - ١٣٧ مصرع السلطان ابى حمو (الاول) طموح يغمراسن نحو المغرب
 - ١٣٨ القضاء على سلطة مغراوة الاقصى وخيبة الرحمن (الاول)
 - ١٣٩ فتح اعمال قسنطينة وبجاية المنافسة وحب الاستئثار
 - ١٤٠ ظهور الدعوة الموحدية بوهران حزم يغمراسن ونشاطه
 - ١٤١ غدر الفرقـة الافرنجية بالسلطان ١٤٢ نهاية الدور الزيانى الاول وفاة يغمراسن

صفحة :

- ١٣٩ ملوك الدولة الزيانية - في الدور
الاول -
- ١٦٤ ولایة السلطان ابی تاشفین
عبد الرحمن (الثاني)
- ١٦٥ محاربة الاخوين ابی زیان وابی
تاشفین
- ١٦٥ تذكر مرين لا بی تاشفین (الثاني)
- ١٦٦ ولایة السلطان ابی زیان محمد
(الثاني)
- ١٦٧ التعریف ببني عامر ومواطنهم
(هامش)
- ١٦٨ ولایة السلطان ابی حمو موسى
(الاول)
- ١٦٩ ولایة السلطان ابی عبد الله محمد
(الثالث)
- ١٧٠ ولایة السلطان عبد الرحمن
(الثالث)
- ١٧١ ولایة السلطان السعید بن ابی حمو
- ١٧٢ ولایة السلطان ابی مالک
عبد الواحد
- ١٧٣ ولایة السلطان محمد (الرابع)
- ١٧٤ السلطان ابو مالک (للمرة الثانية)
ابی حمو (الثاني)
- ١٤٠ ابنا الامام : عبد الرحمن وعيسى
- ١٤٤ محمد بن ابراهيم الآبلي
- ١٤٦ محمد بن حمیس
- ١٥٠ جدول تاریخي
- ١٥٢ سیادة بني مرین
- ١٥٣ نهضة بني عبد الواد
- ١٥٤ انبعاث الدولة الزيانية
- ١٥٦ ولایة السلطان ابی حمو موسى
(الثاني)
- ١٥٧ فتح مدينة وهران
- ١٥٨ مقاطعات ومشاغبات بني مرین
- ١٥٩ التنافس على العرش
وقعة بجاية ونتائجها
- ١٦٠ اعتداء قراصة الانفرنج
- ١٦١ حصار مدينة الجزائر
- ١٦٢ الزحف المریني على تلمسان
مبایعه تدلس والجماعۃ العامة
- ١٦٣ اغارة الحفصیین على تلمسان
عصیان ابی تاشفین واستشهاد

فهرس الجزء الثاني

- ٤٠١ -

صفحة :

- ١٧٤ ثورة (ابن الحمراء) ونهايتها ١٧٩ ولاية السلطان محمد (ال السادس)
- ١٧٥ ولاية السلطان ابى العباس احمد ١٨٠ ولاية السلطان محمد (السابع)
- ١٨١ ولاية السلطان ابى حمو موسى المعتصم
- (الثالث)
- ٠٠ ثورة ابى يحيى واستيلاؤه على وهران
- ٠٠ احتلال الاسبان لوهران والسوائل
- الجزائرية
- ١٨٥ ثورة الامير يحيى بن الشابي ١٨٦ تغور الجزائر تحت نير الاسبان
- ١٨٨ ملوك الدولة الزبيانية - الدور
- الثاني -
- مساهمات الجزائريين
- ١٩٠ الشريف التمسانى ١٩٤ احمد بن على المليانى
- ١٩٥ ابن مرزوق الحفيظ
- ١٩٩ ولاية السلطان تاشفين بن ابى ٢٠١ جدول تاريخى ثابت
- ٢٠٦ زحف ابى حمو واستشهاد عروج
- ٢٠٦ ولاية السلطان ابى زيان احمد ٠٠ ولاية السلطان ابى محمد عبد الله
- (الثاني)

القسم الثالث

الجزائر المكافحة

- ٢٠٥ الحملة الاسپانية والاتراك ٢٠٦ زحف ابى حمو واستشهاد عروج
- ٢٠٦ ولاية السلطان ابى زيان احمد ٠٠ ولاية السلطان ابى محمد عبد الله
- (الثاني)

صقحة :

- ٢٠٧ ثورة الامير ابى سرحان وتملكه
٢٠٨ عودة ابى محمد الى الملك
٢٠٩ نقض معاهدة الاتراك
٢١٠ ولاية السلطان محمد (السابع)
٢١١ ولاية السلطان ابى زيان احمد
٢١٢ زحف السلطان الميخلص الى
تلمسان
- ٢١٣ خيبة ابى عبد الله وعودة ابى زيان
٢١٤ استشراف الدولة السعدية
٢١٥ ولاية السلطان مولاي الحسن
٢١٦ خلاصة حوادث الاسپان على عهد
بنى زيان
- ٢١٧ المجتمع الجزائري
٢١٨ الاقتصاد والانتاج الصناعي
- مشاهير الجزائريين**
- ٢٤٣ المذاهب والمعتقدات
٢٤٤ المذهب الشيعي بالجزائر (هامش)
٢٤٥ الثقافة والحضارة وال عمران
٢٤٦ انهيار دولة بنى عبد الواد
٢٤٧ الزيانية
- ٢٥١ ملوك الدولة الزيانية - في الدور
الثالث والاخرين -
- ٢٥٢ ابو الفضل محمد المشدالى
٢٥٣ ابو زيد عبد الرحمن الشعابى
٢٥٤ احمد بن يونس القدسية
٢٥٥ يحيى بن ابى عمران المازوني
٢٥٦ جدول تاريخي

الدولة التركية - العثمانية -

- ٢٧٠ الترك
٢٧١ اتصال الاتراك بالجزائر
٢٧٢ نظامها الحكومي
٢٧٣ جيش اليونكشايرية (هامش)
٢٧٤ حدود الجزائر التركية
- ٢٨٩ خريطة الجزائر التركية
٢٩٠ عروج وخیر الدين
٢٩١ اضطرار المسلمين الى شن
الغارات البحرية

صفحة :

- ٢٩٢ فتح مدينة حيجل ٣٠٤ انكسار اندري دوريا
- ٢٩٣ فتح حصون بجاية ٣٠٥ نزوح الاتدليسين الى الجزائر
- ٢٩٤ الاستيلاء على مدينة الجزائر ٣٠٧ ملوك غرناطة بتلمسان (هامش)
- وشرشال ٣٠٨ استخلاف محمد حسن آغا الطواشى
- ٢٩٦ خيبة حملة دون ديفرو دوفيرا ٣٠٩ اغارة الاسبان على تلمسان
- علي الجزائر ٠٠ تاريخ بناء جامع سفير بالعاصمة
(هامش)
- ٠٠ تقدم الفتح التركى ٣١٣ فتح بونت ومستغانم وبسكرة
- ٠٠ وقعة هوارة ٣١٥ اندحار حملة شارل كان الكبرى
- إلى العرش ٣١٧ مخطط تحملة شارل كان على مدينة
- الجزائر ٠٠ انهزام الاسبان عن الجزائر
- ٢٩٩ الحاق الجزائر بالامبراطورية ٣١٩ ولادة عصر الفتح التركى
- العثمانية ٠٠ سلاطين آل عثمان
- ٣٠٠ انبعاث الاضطراب والفتنة مشاهير الجزائريين
- بالجزائر ٣٢٠ محمد النقاوسي
- ٣٠١ غزو ولاية تلمسان ٣٢٢ محمد بن عبد الكريم المغيلي
- ٠٠ حرکة احمد بن القاضى ٣٢٦ احمد الواشريسى
- ٣٠٢ خيانة قارة حسن واستيلاء ٣٢٨ عبد الرحمن الاخضرى
- ابن القاضى على الجزائر
- ٣٠٣ عودة خير الدين الى الجزائر ٣٣٠ جدول تاريخي
- ٠٠ فتح قلعة البينيون Penon

صفحة :

- ٣٤٧ ولاية جعفر باشا
 ٣٤٨ ولاية حسن فنزيانو (ثانيا)
 ٣٥٠ بيلربايات الجزائر
 ٣٥١ سلاطين آل عثمان

مشاهير الجزائريين

- ٣٥٢ عمر بن الكماد
 ٣٥٣ محمد الخروبي
 ٣٥٤ محمد بن يحيى الجاذيري
 ٣٥٥ مصطفى باش تارزى
 ٣٥٦ جدول تاريخى

«ج» عصر الباشوات

- ٣٥٨ ولاية دالى احمد باشا
 .. ولاية خضر باشا
 ٣٥٩ ولاية الحاج شعبان باشا
 .. ولاية مصطفى باشا
 ٣٦٠ ولاية خضر باشا (ثانيا)
 .. ولاية دالى حسن باشا
 ٣٦١ طموح الغرب نحو المغرب
 العربي
 .. ولاية سليمان باشا
 ٣٦٢ ولاية خضر باشا (ثالثا)

«ب» عصر البيلرباى

- ٣٣١ ولاية حسن باشا بن خير الدين
 .. رسوخ قدم الاتراك بتلمسان
 ٣٣٢ رسم حدود الجزائر وتحطيم طخومها الغربية
 ٣٣٣ انتقال البيلرباى الى استانبول
 .. ولاية صالح رais
 ٣٣٤ الاستيلاء على فاس
 ٣٣٥ الحق ولاية تلمسان بالجزائر
 .. تمكّن الاتراك من فتح قسطنطينة وبجاية ووهان

ولاية حسن قورصو

- ٣٣٧ ولاية حسن باشا بن خير الدين «ثانيا»
 ٣٤١ ولاية محمد بن صالح رais
 ٣٤٢ ولاية عاج على
 ٣٤٣ فتح تونس
 ٣٤٤ تعصب اوروبا المسيحية
 .. مطامم فرنسا في الجزائر
 ٣٤٥ ولاية احمد عراب
 ٣٤٦ ولاية القائد رمضان
 .. ولاية حسن فنزيانو

صفحة :

- ٣٦٢ ولاية محمد قوصة باشا ٣٧٦ ولاية محمد بر صالى باشا
- ٣٦٣ ولاية قوصر مصطفى القاباجى ٠٠ ولاية احمد دغانجى باشا
- ٣٧٧ ولاية يوسف باشا (ثالثا) ٠٠ اشتئراف الدولة الشريفية العلوية
- ٣٦٤ ولاية رضوان باشا ٣٦٥ ولاية قوصر مصطفى (ثانيا) للجزائر
- ٣٧٨ تجهيز الاتراك للمقاتل ٠٠ ولاية حسين الشيخ باشا
- ٣٧٩ ولاية بوشناق محمد باشا ٣٦٦ ولاية سليمان قاطانيا باشا
- ٠٠ ولاية احمد طوشان باشا ٣٦٧ ولاية خضر باشا
- ٣٨٠ ولاية ابراهيم باشا ٣٦٨ التزاحم الهولاندي الانجليزي
- ٣٨٢ باشاوات الجزائر بالجزائر
- ٣٨٤ سلاطين آل عثمان ٣٧٠ ولاية خسراف باشا
- مشاهير الجزائريين**
- ٣٨٥ احمد المقرى ٠٠ ولاية حسين باشا
- ٣٩٠ عبد الكريم بن الفكون وولده محمد ٣٧١ وقعة السطارة
- ٣٩٥ جدول تاريخي ٣٧٣ ولاية يوسف باشا
- ٣٩٧ الفهرست ٠٠ ولاية علي باشا
- ٠٠ ولاية ابي جمال يوسف باشا «ثانيا»

فهرس الخرائط والصور

صفحة :

- ٢٧ خريطة المغرب الاسلامي منذ القرن السابع الهجري الى العاشر
٨٩-٨٨ صورة باب المسجد الجامع بربض العباد بتلمسان
٢١٤-٢١٥ بقية من بناء قصر القصبة الاسباني بوهران
٢٦٥ محراب مسجد سيدى عبد الرحمن النعالبي بالعاصمة
٢٨٩ خريطة الجزائر التركية
٣١٧ مخطط حملة شارل كان على مدينة الجزائر

تصويبات واستدراكات

صفحة

٦ سقط من السطر الاول ذكر الآل

صواب	خطأ	سطر	صفحة
الثخوم	الخوم	١٤	١١
دولنا	دولتا	١	بالهـماش
التسـر	التـسر	١٦	١٣
نقلوا	نوقـلو	٥	١٨
غـازـيا	غازـما	٨	١٩
وتـارـة	تـارـة	١٥	٢١
آن	انـ	١٦	٢١
وـآذـنـهـمـ	وـاذـنـهـمـ	١٧	٢٢
بني ابي حفص	بني حفص	٥	٢٥
يـسـقـزـهـرـ	يـسـقـزـهـمـ	١٢	٢٩
٤١	٣١	١	الـهـماـشـ
ان	نـ	٤	٣٢
تـاجـ	تقـىـ	١٦	٣٣
مـذـهـبـاـهـلـالـسـنـنـةـ	مـذـهـبـالـسـنـنـةـ	٣	٣٨
فـلاـثـرـالـ	فـانـ	٤	٤٠
منتـظـمـاـ	منـظـمـاـ	٢٣	٤٠
الـقـلـاوـسـيـ	الـقـلـاوـسـيـ	٢٣	٤١
اوـكـسـفـورـهـ	اوـكـسـفـورـهـ	١٤	٤٤

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٦	٨	يحيى	صواب
...	١٥	لمر يزالو	ولم يزالوا
٤٧	١٩	الداعي	الدعى
٥٠	١	اصحاحب	استصحاب
...	٧	مكان صغرة	لصغره
٥٢	١٧	راوح	راحج
٥٥	٥	من قبيلة	إلى قبيله
٦٣	١٢	٣٠٨	٨٠٣
٦٤	١٤	الولد	الوالد
٦٥	٨	كتب	كتبت
٧٠	١٢	لكتابه	الكتابة
٧٩	١٥	لاعما	الاعمال
٨٢	١٦	شكواه	لشکواه
٨٣	١٩	بقصتها	بقصبتها
٨٩	٨	حala	حلا
٩٠	١٩	خلدوی	خلدون
٩٤	١	مايفتخـر	يفـتـخـر
...	٤	فيـهـ جـمـلةـ مـكـرـرـةـ تـدـرـكـ بـادـنـيـ تـامـلـ	
٩٠	١٨	زـربـابـ	زـربـابـ
...	١٩	الـغـنـاءـ	الـأـخـانـ
٩٩	١٩	زـبرـ	زـيرـ
٩٧	٢٣	والـيـ	الـىـ

تصويبات واستدراكات

- ٤٠٩ -

صفحة	سطر	خطأ	نسبة	صواب
٩٩	١٢	تبسة	تبسة	
١٠٦	١٧	توريخ	تاريح	
١١٢	١٣	٧٣٠	١٣٠	
١٢١	٨	يغمراسن بن زيان بن ثابت	يغمراسن بن ثابت	
١٢٦	٢١	عمره	وعمرة	
«	٢٢	ولده ابا	لولده ابى	
١٢٨	١٢	وفي هذه	في هذه	
١٣٣	٢	ابو حمو بن موسى	ابو حمو بن السلطان	
١٣٤	١٤	الاول « الخ	بسبيب	
١٣٧	٥	استيلاء الدولة	الدولة استيلاء	
«	٩	دعوة	عودة	
١٤٥	١٠	ذكر	ذكره	
١٥١	١	٧٠٦	٨٠٦	
١٥٦	١٦	يضاف الى اول السطر : توج يوم الخميس ٨ ربيع الاول ١٣٥٩ م - ٥٧٦٠		
١٥٩	٣	تحتها	بـ	
«	٩	العامريين	العامرين	
«	١٥	الاحمال	احمال	
١٦٣	١٤	اللقاء	اللقاء	
١٦٤	١٤	عنه	عند	

صفحة	سطر	خطأ	صواب
۱۷۰	۱۲	توجهت	ثم توجهت
«	۲۱	ورحمة	رحمه
۱۷۱	۱۶	فاضهرت	فاظهرت
۱۷۶	۱۵	انيئذ	آنئذ
۱۸۰	۲ تعليق	هسيانيا	هسبانيا
۱۸۲	۱	طورزلاس	طورد يسيلاس
۱۸۴	۱۳	عشر	عشرة
۱۸۸	«	الوثق	الواثق
۱۹۰	۳	۱۱۰	۷۱۰
«	۵	العلويين	العلويين
۱۹۱	۱۶	مدرسته	المدرسة
۱۹۲	۳	اذ	اذا
۱۹۳	۱۰	لم يسعه	فلم يتسع له
«	۱۱	فانه لم يبلغنا	فلم يبلغنا عنه
۲۰۰	۲۲	غرار	غrrر
۲۰۵	۷	سنة	منه
«	۱۹	الابجاد	الاجماد
«	۲۲	ابا زيان الثالث	ابا زيان احمد الثاني
۲۰۸	۹	« السابع »	« الثامن »
«	۱۰	« السابع »	« الثامن »
»	۲۰	يضاف الى الجليةة : المعرفة الاصلية ؛ وتبديل	يضاف الى الجليةة : المعرفة الاصلية ؛ وتبديل
		كلمة الحسينية بالمحكمة	

صواب	خطأ	صفحة سطر
	تحذف الاصلية ويحبه	٢١ ٢٠٨
الخيانة	الخيانة	١ ٢١٢
خيبة	خبة	٩ «
الحسن	الحسين	٣ ١١٣
تلتها	تليها	٥ ٢١٤
الغاصبين	الغاضبين	٢٠ «
	يضاف الى كاتمة شعب : كار	٨ ٢١٥
	يضاف الى كلمة الاتصال :	١٠ ٢١٦
	الصناعى	
على اي ناحية	على ناحية	١ ٢١٧
يتجهز	يتجهز	١٦ «
يتجهز	يتجهز	٩ ٢١٩
نواحي	نوحى	٢ ٢٣٥
واصلية	واصيلية	٣ «
والفتيا	والفتیان	٢١ ٢٣٦
وبذلك اضحت	وأضحت	١ ٢٣٧
الصحيح	اهماش	١٤ ٢٤٠
والحوائط	ولحوائط	١٤ ٢٤٣
بالمدية	بمدية	١٦ ٢٤٨
الشاطئتين	الشاطيستان	٥ ٢٥٣
احمد بن العديم	احمد العديم	٩ تعليق «
بغفو نه	بقاؤ نه	١٤ ٢٥٤

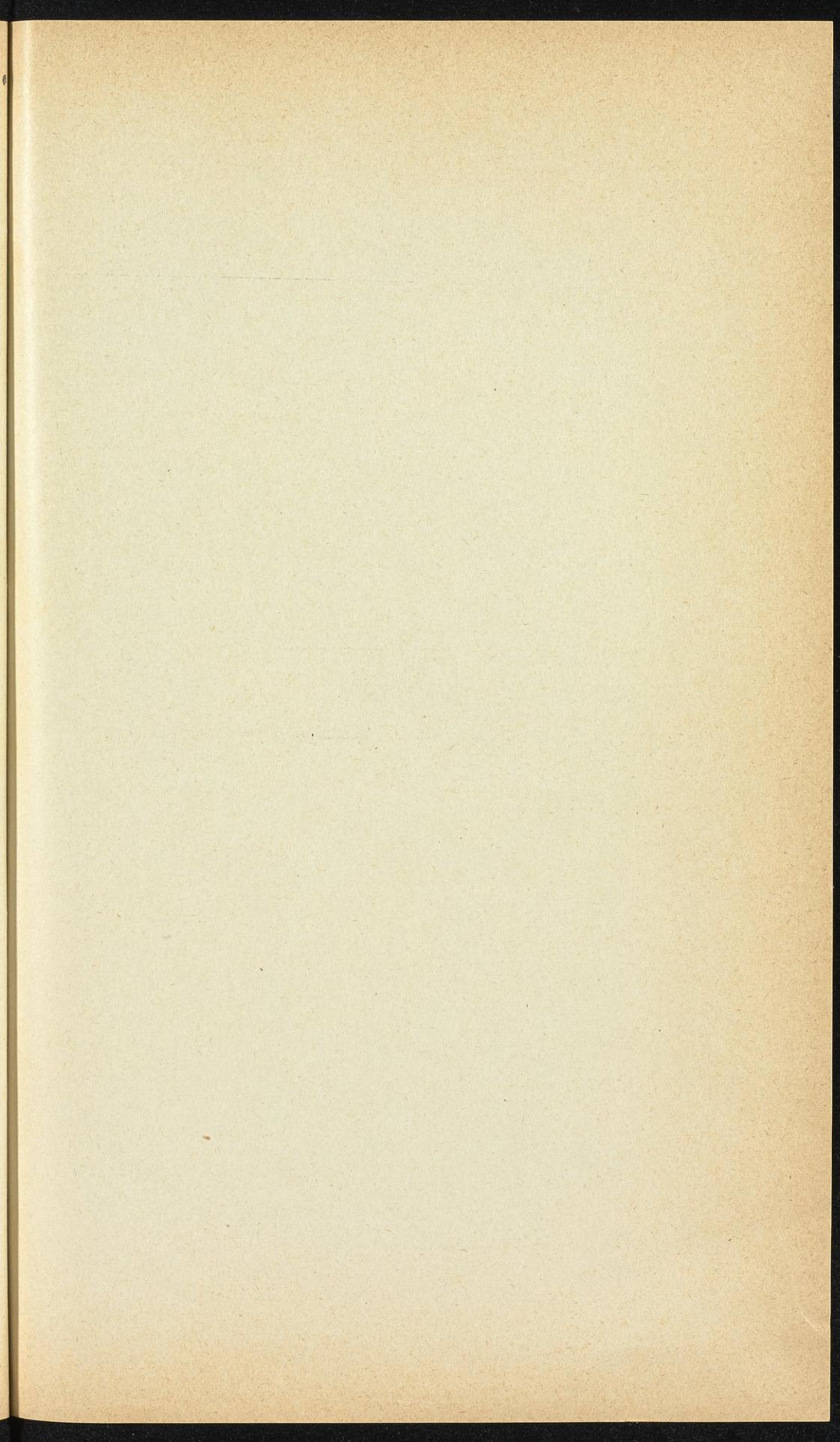
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥٥	٦	ابن	أبى
«	١١	روا	رواه
»	١٨	تلامهذتها	تلامذتهما
»	٢١	بهما	بهمـا
٢٧٣	٤	صورة	صوريا
٢٧٤	٥	وجبهـ	وجهـهـ
٢٧٧	٢٢	حدـ	حددـ
٢٨٠	١٠	لهـولةـ	لهـؤـلـاءـ
٢٨١	١٠	مـقتضـىـ	مـقـضـىـ
٢٨٢	١٠	تسـعـيرـ	وـتـسـعـيرـ
٢٨٣	٢٢	تطـويـدـ	توـطـيدـ
٢٩٠	١٤	وـكـلـواـ	ونـكـلـواـ
٢٩٢	١٩	مـدـيـنةـ	المـدـيـنـةـ
٢٩٣	١٨	الـامـدادـ	الـامـدـادـ
٢٩٦	٢	جـاتـ	جـاءـتـ
٢٩٧	١	جـمـعـةـ	معـجمـةـ
٢٩٨	١٩	رمـزـ	رمـزاـ
٣٠٧	٦	وـاماـ	أـوـماـ
٣١٠	١٨	بـقـرـيـةـ	بـقـرـيـةـ
٣١٣	١٦	فـاعـتـقـلـهـاـ	فـاعـتـقـلـهـمـاـ
٣١٥	٤	الـرـهـبةـ	الـرـهـبـةـ
٣٢٦	١٠	يـضـافـ الـاوـسـطـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ	يـضـافـ الـاوـسـطـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ

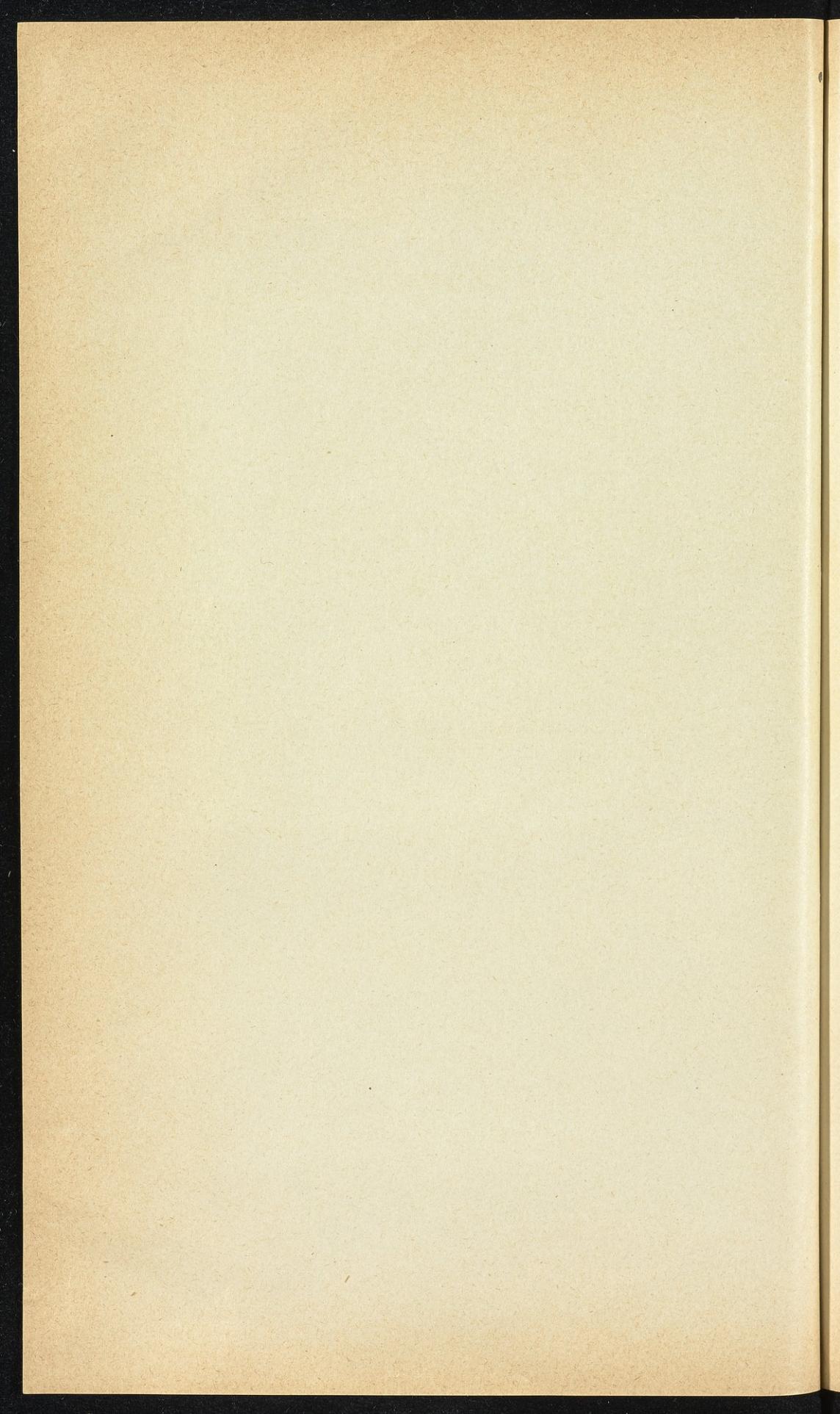
تصويبات الجزء الثاني

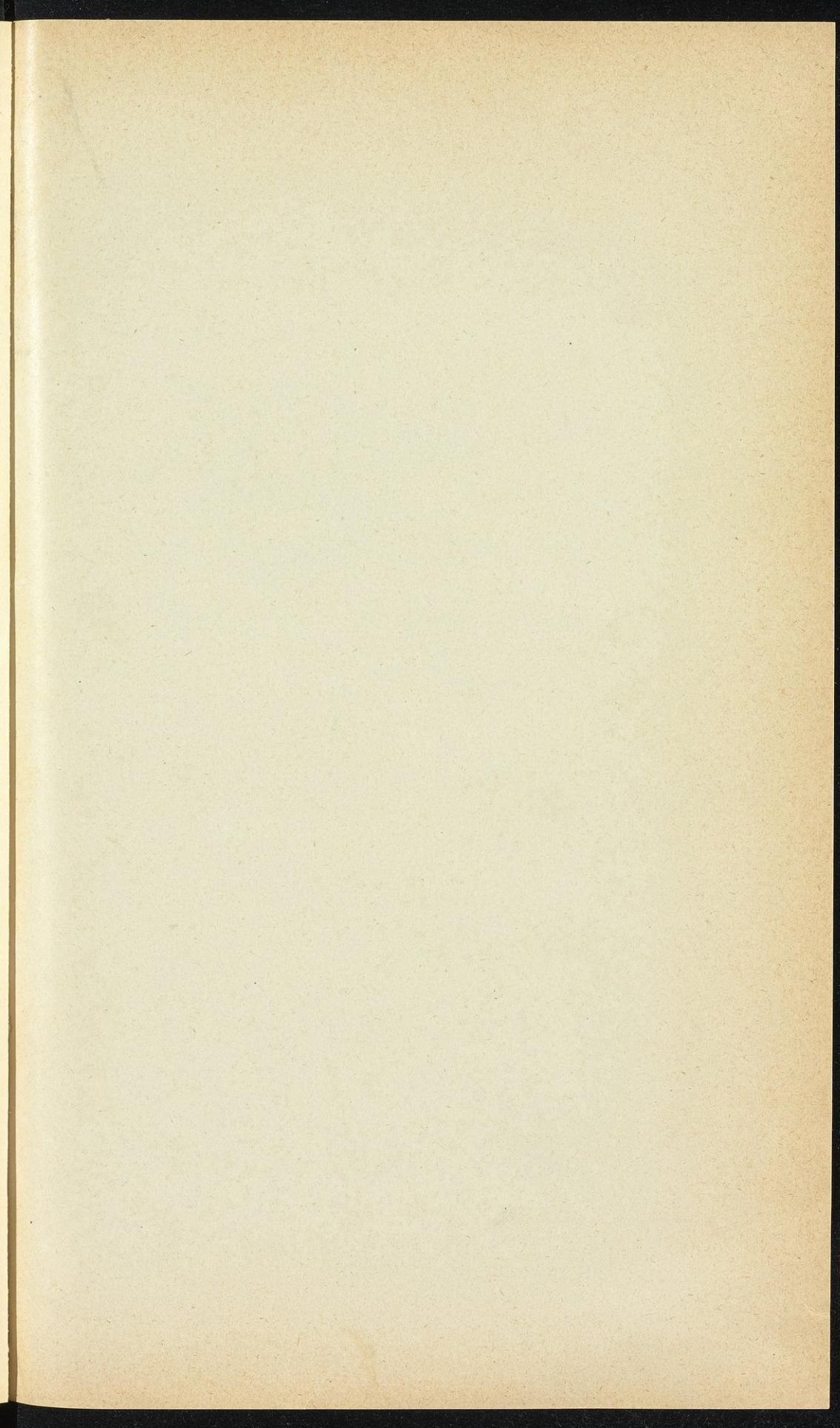
- ٤١٣ -

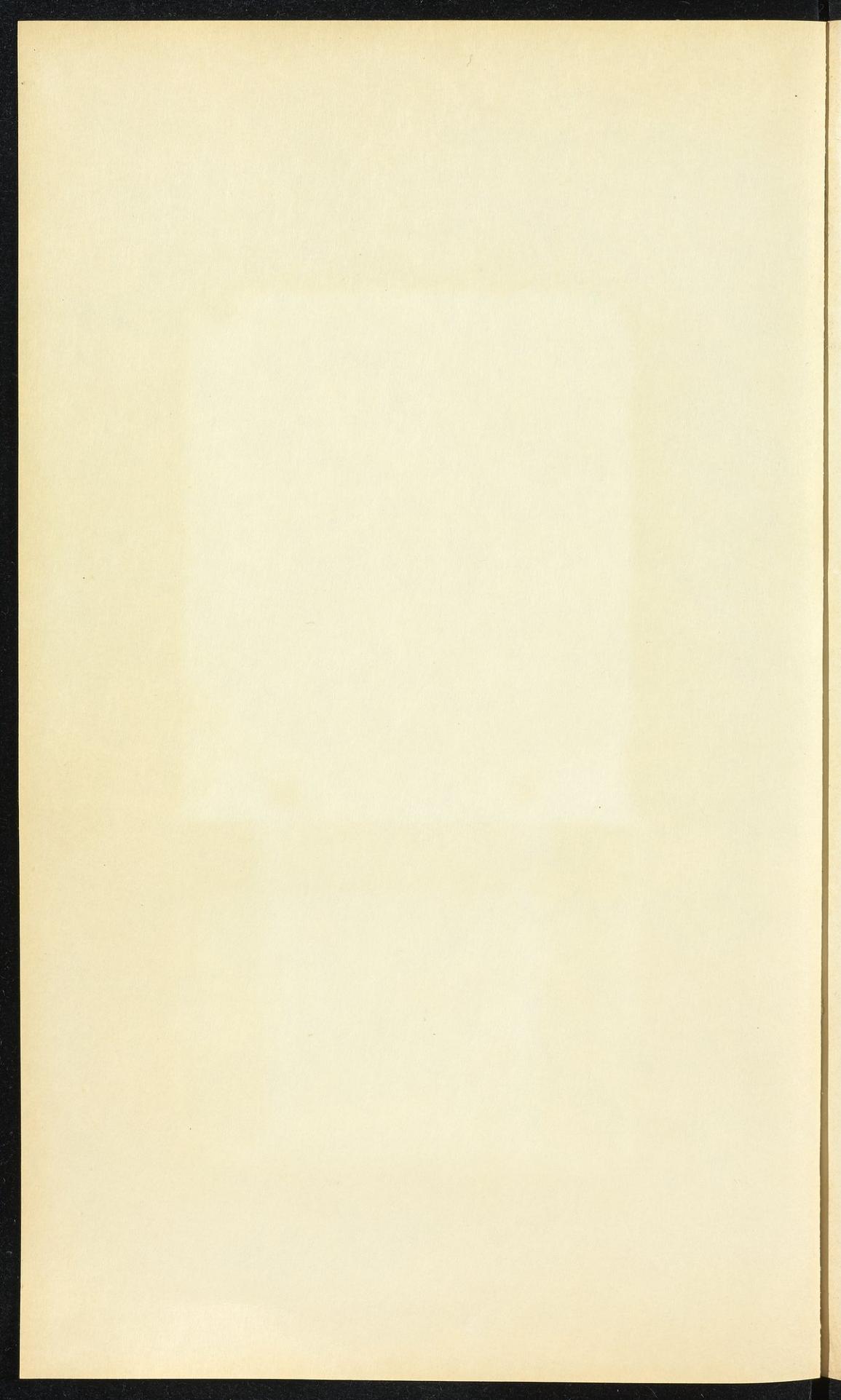
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٨	٨	الفقـ	التـاليف
٣٣٧	٢١	رغبة فيـ	رغبة منه فيـ
٣٤٢	١٠	٩٧٨	٩٧٩
٣٥٨	١٥	نشاطـا	نشاطـا
٣٦٠	٣	ثـرات	ثـورات
٣٧٥	١	اجـلـوهـمـ العـاصـمـة	اجـلـوهـمـ عنـ العـاصـمـة

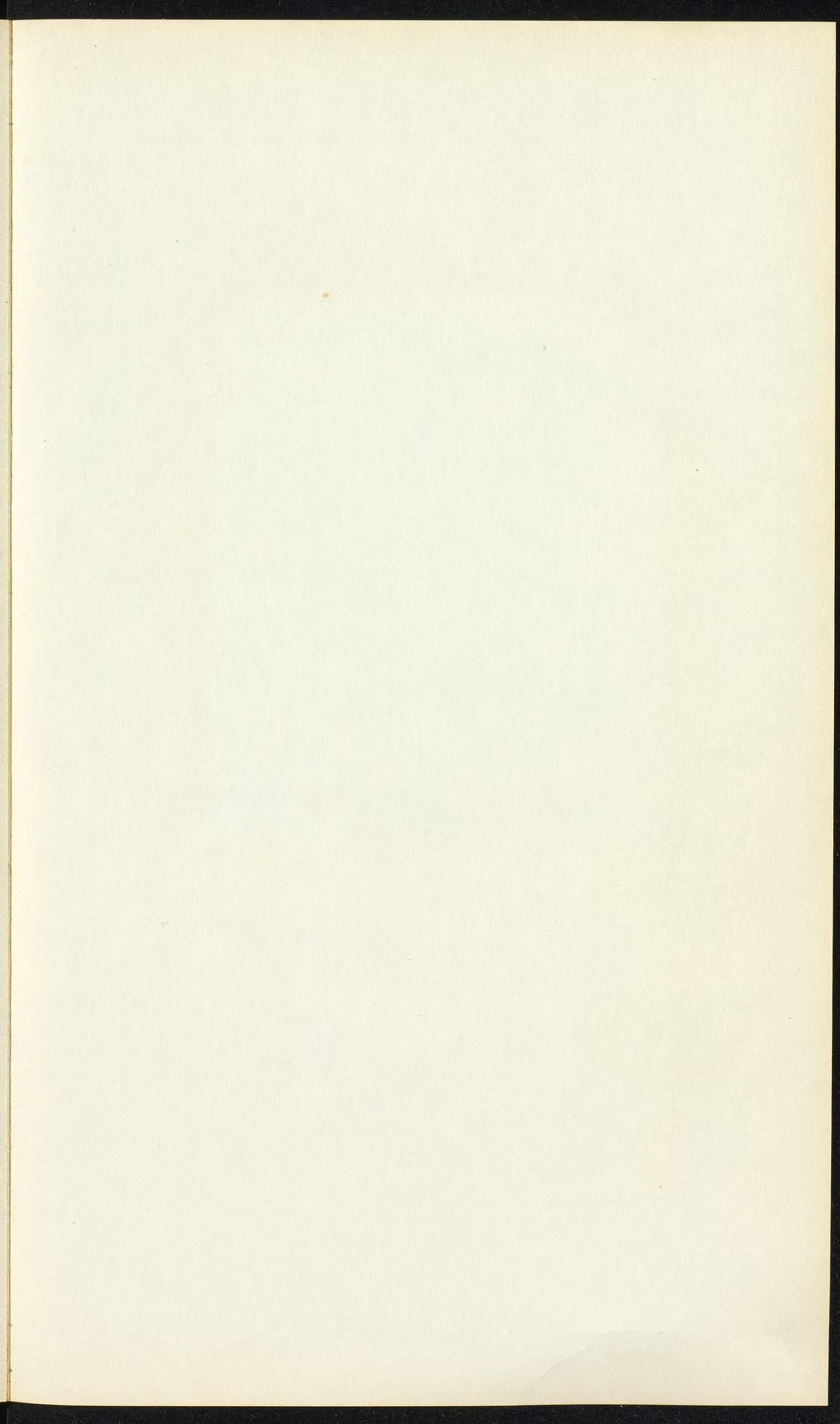
انتهى طبع الجزء الثاني من تاريخ الجزائر العام : ويتلوه الجزء الثالث اوله
الدور الرابع من عصر الدولة التركـية العثمانية : حـكـومـةـ الـاغـواـتـ .

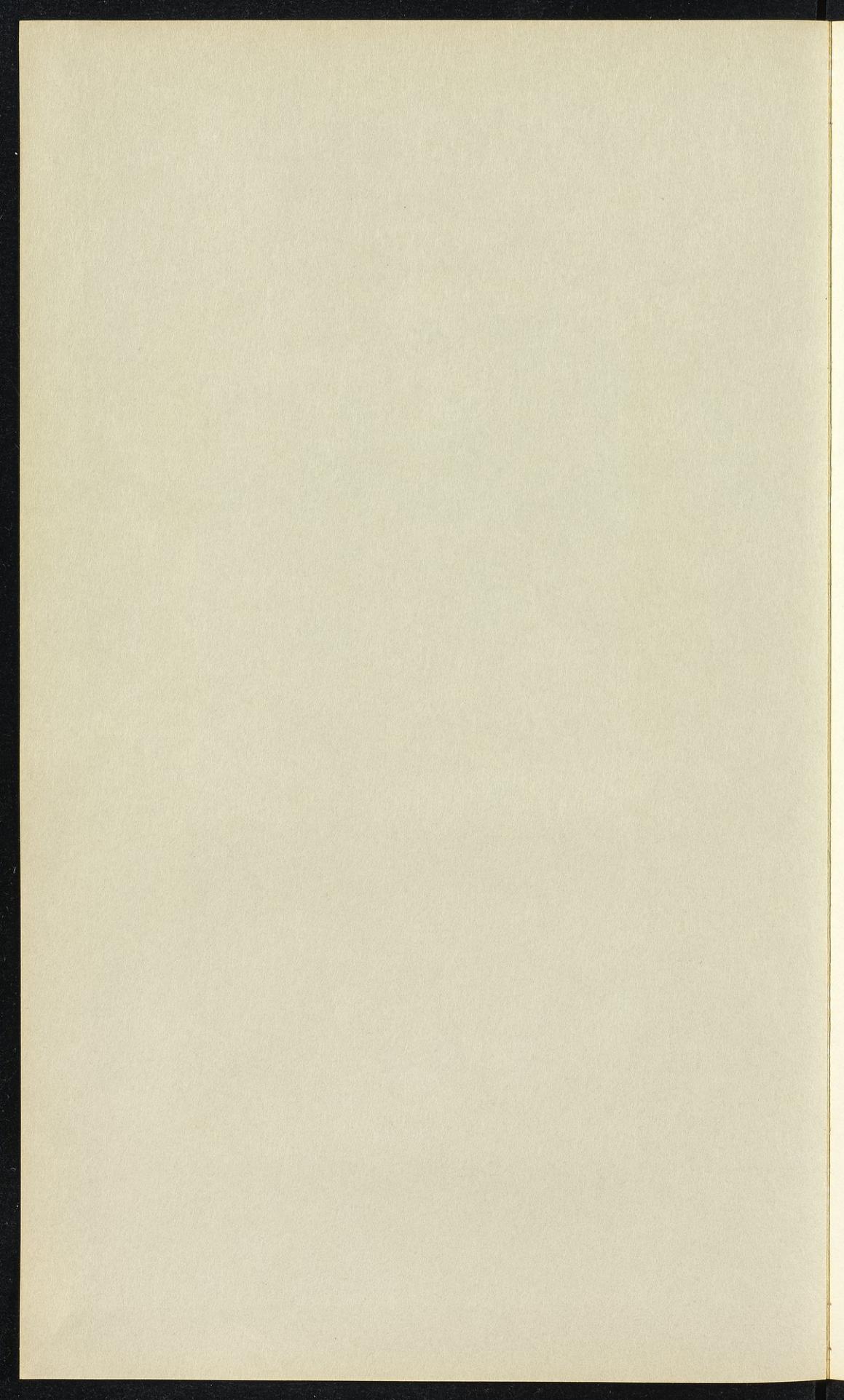


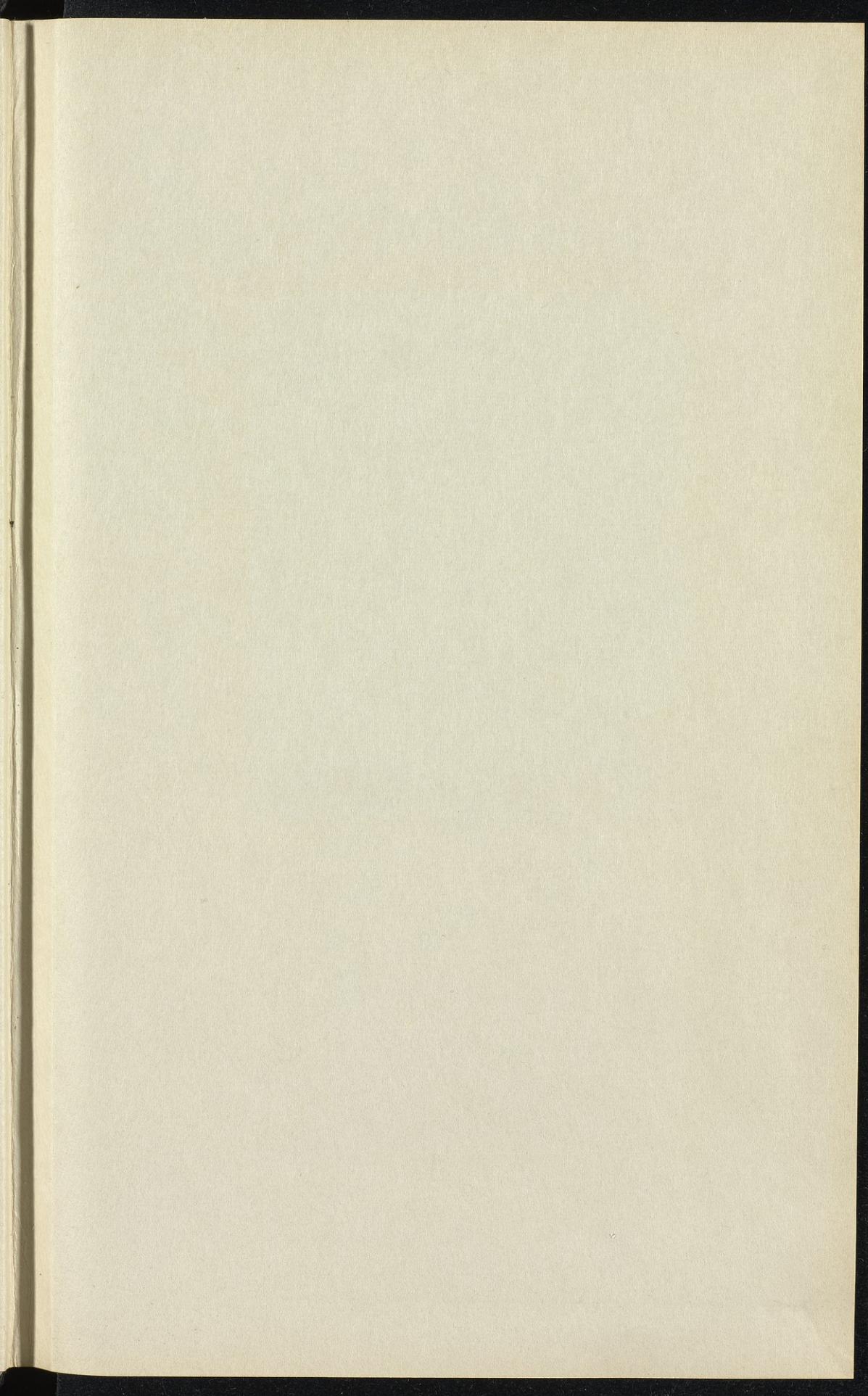












COLUMBIA UNIVERSITY



0026811731

965
J56
v. 2

APR 18 1963

